



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

الاتجاه الوجوداني في الشعر السوداني

(يوسف مصطفى التني، سعد الدين فوزي، حسن عباس صبحي)

موجاً

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

إشراف الدكتور
بشير عباس بشير

إعداد الطالب:
محمد حامد نو البشير أحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لجنة المناقشة

تكونت لجنة المناقشة من :

- ١/ الدكتور / بشير عباس بشير - مشرفاً ورئيساً
- ٢/ الدكتور / الحسن الفضل علي - مناقشاً خارجياً
- ٣/ الدكتور / محمد زروق الحسن - مناقشاً داخلياً

وقد انعقدت اللجنة بكلية الدراسات العليا يوم الخميس ٩ جمادي الآخر ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣/٤/١٨م وبعد المناقشة منحت اللجنة الباحث درجة الدكتوراه في اللغة العربية تخصص الأدب والنقد بتقدير ممتاز .

استهلال

قال الله تعالى:

(قَالَ رَبِّ آشْرَحَ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
وَأَحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٦﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي)

صدق الله العظيم

سورة طه الآيات ٢٥-٢٨

۱۰۷

أهدي بخشی هذا إلى

أُسْرَتِي الْكَرِيمَة

وإلى كل طالب علم

وإلى كل معلم وملمة

الباحث

شكر

الشكر لله سبحانه وتعالى القائل: (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي حَلَقَ حَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلَقٍ أَقْرَأْ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمِ عَلَمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ^(١)). وأرجو أن يكون عملي هذا صالحًا ونعمته أنعمها الله سبحانه وتعالى علي. يقول تعالى: (...وَقَالَ رَبِّ أُوزِعْنِي أَنَّ أَشْكُرَ بِعَمَّتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلِدَيَّ وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلِحًا تَرْضِيهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)^(٢).

والشكر لوالدي الكريمين اللذين كان لهما فضل السبق في بداية تعلمي ذلك بتوجيهي إلى طريق العلم في المدرسة الابتدائية وهذا كان اسمها حينذاك في زمان أحسب أن التعليم فيه كان غير منتشر الأممية متقدمة كان ذلك في العام الأخير من العقد السابع من القرن العشرين.

كما أن شكري موصول لكل من أسهم في تعليمي في كل المراحل التعليمية المختلفة في المدارس أو حلقات العلم التي حضرتها في المساجد أو المعاهد أو غيرها من دور العلم المتوافرة بحمد الله.

والشكر لجامعة أم درمان الإسلامية التي تحصلت منها ما يسره الله سبحانه وتعالى لي من علم في الدراسة الجامعية والدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه. كما أشكر أسرة مكتبات جامعة أم درمان الإسلامية في كل أفرعها. والشكر لأسرتي الكريمة التي شجعني معنوياً وهيأتني نفسياً لكي أجز هذا البحث بإذن الله. والشكر أجزله آخرًا وليس أخيراً للأديب الأربيب الدكتور / بشير عباس

بشير المشرف على هذه الرسالة.

جاء في الحديث الشريف: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)^(٣).

(١) سورة العلق، الآيات (٥-١).

(٢) سورة النمل، الآية (١٩).

(٣) قال الألباني في السلسلة الصحيحة ج(١)، ص ٧٠٢ أخرجه أحمد (٢٠٠-٥٢١٢) من طريقين عن زياد بن كلبي عن الأشعث بن قيس مرفوعاً، قال المنذري: وتبعه الهيثمي "ورجاله ثقات"، وهذا سند صحيح على شرط مسلم، وقد ورد بلفظ (أشكر الناس الله أشكرهم الناس).

مقدمة

الشعر لا يزال يسيطر على الحياة الثقافية والأدبية والفكرية وكذلك الاجتماعية.

والباحثون والكتاب الذين ركزوا على دراسة فن الشعر واتجاهاته هم الذين مكنوا بروز السودان في هذا المجال حيث يحفل وطننا ذو التاريخ والماضي التليد بشعراء مجيدين أضافوا ثروة ضخمة من المعاني والبيان والصور والألفاظ إلى الشعر العربي وبذلك أصبحوا أسماء في تاريخ الأدب العربي الحديث.

ويجدر المقام بالباحث أن يذكر فترات تطور الشعر في السودان حتى تتضح وتکتمل الصورة وهي:

فتررة الشعر الديني الصوفي:

وشعراء هذه الفترة من الذين تلقوا تعليمهم في الأزهر الشريف، والجدير بالذكر أن يذكر الباحث أن علاقة الأزهر الشريف ورفرفه التعليم بالسودان قديم منذ السلطنة الزرقاء حيث كانت هناك مقاعد مخصصة للدارسين من السودان عرفت برواق السنارية كما أن الأزهر الشريف منح كذلك الممالك الإسلامية التي قامت في دارفور وكردفان فرضاً لنيل العلم به عرف برواق دارفور.

والشعر في هذه الفترة ينصرف في غالبيه إلى مدح النبي و هو مدح يتقرب فيه الشاعر ويتودّد إلى نبي الرحمن العظيم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وبالطبع معروف عن السودانيين عشقهم للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وهم في ذلك لا يجارون وقد أنسأت حدثاً بعض القنوات والإذاعات الخاصة بمدح وتعظيم النبي محمد ﷺ.

ويؤرخ لهذه الفترة بين عام ١٨٦٠ إلى بداية الحرب العالمية الأولى. أما بعد الثورة المهدية وما أحدثته من هزة قوية في الوجدان إذ تعتبر المهدية نقلة فكرية واجتماعية وبطولية وجهاضية، ونتيجة لهذه النقلات في الفكر والوجدان والعاطفة انتقل الشعر كذلك إلى التغنى بهذه التحوّلات والبطولات.

فترة الشعر التقليدي:

وهي أتت بعد الحرب العالمية الأولى حيث السودان كان واقعاً تحت نير الاستعمار وما أحدثه من تحولات في الثقافة والحضارة الغربية وقد وقف الشعراء موقف الرفض من تغريب وطنهم وهم جلهم إن لم يكن كلهم من خريجي كلية غوردون وتمسك هؤلاء الشعراء بروح الإصلاح والرجعة إلى الحضارة الإسلامية العربية فكراً ومنهاجاً وعقيدة.

فترة المذاهب الفكرية والأدبية:

وهي الفترة التي انتشر فيها الفكر الواقعي والاشتراكي وما تبع ذلك من المذاهب الوجودية والرمزية، وهي تحولات نتجت لانتشار هذه المذاهب في كل العالم العربي والسودان واحد منها فلابد أن يتأثر بها.

وسوف يركز هذا البحث في مجمله على الشعر الوجданى وقد مر تاريخ السودان بتطورات وتقلبات كثيرة منذ عهود قديمة بدأت بدخول العرب السودان وهجراتهم وهذه التطورات التي أصابت الدولة السودانية من حروب واستعمار واستقلال تعتبر أعنف هزة أصابت الوجدان.

وهكذا بدأت حركة إحياء التراث العربي والإسلامي وحركة اقتباس للحضارات الأخرى في العلم والفكر والأدب والسياسة والمجتمع ومظاهر المدنية الحديثة. ونشأ عن ذلك شعور قومي بالانتماء العربي وللحضارة الإسلامية وهكذا تولد الحنين الوجданى لكل تلك الانتماءات.

وفي ظل ذلك نشأت طائفة من الشعراء الوجدانين يعبرون عن تجاربهم الفردية ومشاعرهم الذاتية بأساليب فيها كثير من الحدة العاطفية والخيال الجامح. وليست الذاتية شيئاً جديداً على الشعر العربي ولعل الحركة العذرية في الشعر الأموي هي أقرب ألوان الشعر العربي إلى الشعر الوجданى وقد جرى العرف على تسمية الاتجاه الوجданى في الشعر العربي بالحركة الرومانسية وهو مصطلح أوروبى يعبر عن مرحلة حضارية وهو يضع حدأً بين عالمين مختلفين في أعقاب التحولات الصناعية والسياسية والاجتماعية في أوروبا بعد انتقال الأدب الأوروبي من مرحلة الكلاسيكية الجديدة إلى الرومانسية.

أما التغير الذي طرأ على المجتمع العربي عامه والسودان خاصة فلم يشبه التحول الأوروبي ولكن يوجد وجه شبه بين الرومانسية والاتجاه الوجданى في الشعر السوداني.

وتعتبر الحركة الوطنية في الشعر السوداني مرحلة انتقال حضاري وهو يقوم على اكتشاف الفرد ذاته والاعتزاز بالثقافة وعشق للجمال والكمال وجذب في الألفاظ الشعرية في اللغة والفن والموسيقا، فليس الوجدانة مرتبطة بالطبيعة والحب لوحدهما، كما قرّ في نفوس الكثرين بل أشواق الإنسان وإحساسه بالكون والتفكير والتأمل لكل مخلوقات الله سبحانه وتعالى فكلها تولد أشعاراً وجداً ويدعو لنا أن نقول إنَّ الشعر الوجданى يعتبر نقلة نوعية لنظام القصيدة وفي دراستنا هذه لا ننكر بأن الشعر التقليدي لا توجد به وجدانيات ولكن هناك شعراء سودانيين عرّفوا بالشعر الوجدانى ففي هذا البحث سوف نقوم بالتركيز عليهم مع إضافة بعض الشعراء الذين لهم قصائد وجداً.

أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث في إبراز الشعر الوجدانى في كل محاوره إذ أن الشاعر الذي لا يعبر عن ذاته فلا يمكن أن يعبر عن غيره وفيه يظهر الولاء الصادق للعقيدة والوطن والطبيعة وغيرها.

أهداف البحث:

١. إبراز الشعر الوجدانى.
٢. إظهار ما حققه الشعراء من نجاح في هذا المجال.
٣. إغناء المكتبة العربية.

فروض البحث:

١. الشعر الوجدانى نقلة نوعية في الشعر.
٢. الشعر الوجدانى تعبير صادق عن الذات.
٣. الطبيعة والعاطفة مادة خصبة للشعراء الوجدانيين

حدود البحث:

يتناول هذا البحث إن شاء الله ما جادت به قريحة الشعراء في الشعر الوجданى في مراحل مرّ بها الشعر السودانى.

منهج البحث وأدواته:

توجد مناهج كثيرة للبحث الأدبى وقد آثرت في بحثي هذا الاعتماد على المنهاج الآتية:

١. المنهج التاريخي في تتبع الشعر الوجدانى حسب تسلسله ما أمكن ذلك.
٢. المنهج الوصفي أو التحليلي في جانب التحليل والمناقشة والموازنة والمقابلة.
٣. المنهج التكاملى.

مشكلة البحث:

يتناول الباحث في هذه الزوايا وهي التي أسهمت أو ساعدت في اختيار الباحث للدراسة وعليه نطرح التساؤلات الآتية:

١. إلى أي مدى كان التعبير الذاتي في الشعر الوجدانى.
٢. ما هي إسهامات الطبيعة في إحساس الشاعر الوجدانى.
٣. إلى أي مدى كانت الطبيعة والعاطفة والأوطان والعقيدة صورة شعرية كثقافة وحضارة.
٤. إلى أي مدى أثرى الشعراء الوجدانيون ذواتهم وغيرهم.

خطة البحث:

يشمل البحث مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

الباب الأول: الاتجاه الوجدانى في الشعر العربي في العصر الحديث
و فيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الوجدانية عند شعراء الإحياء في الشعر العربي الحديث
و فيه مبحثان:

المبحث الأول: الذاتية.

المبحث الثاني: التجديد.

الفصل الثاني: مفهوم الرومانسية عند النقاد العرب في العصر الحديث
و فيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى و مفهوم الرومانسية.

المبحث الثاني: نموذج للشعر الرومانسي الأوروبي

الفصل الثالث: الإبداع الوجданى في الشعر العربي الحديث.

و فيه مبحثان:

المبحث الأول: المدرسة الجديدة في الشعر العربي المعاصر

المبحث الثاني: النزعة الوجدانية والطبيعة

الفصل الرابع: مرحلة الازدهار في الشعر الوجданى العربي الحديث

و فيه مبحثان:

المبحث الأول: مشاهد الطبيعة

المبحث الثاني: المساء والحزن

الباب الثاني: مراحل الوجданية في الشعر السوداني

و فيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الانطلاق الوجданى

و فيه مبحثان:

المبحث الأول: الانتقال من التقليدية إلى الوجданية عند التجانى يوسف بشير

المبحث الثاني: التجانى يوسف بشير والتعبير عن الذات

الفصل الثاني: شعراء الوجدان

و فيه مبحثان:

المبحث الأول: الدعوة إلى التجديد

المبحث الثاني: التعبير عن الذات

الفصل الثالث: الطبيعة في الشعر الوجданى

و فيه مبحثان:

المبحث الأول: ذكر الطبيعة في القرآن الكريم والسنة النبوية

المبحث الثاني: النيل ومظاهر الحياة والحنين

الباب الثالث: الدراسة التطبيقية على بعض شعراً الوجдан

الفصل الأول: الشاعر يوسف مصطفى التني

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صدى الحب للإنسانية والوطن

المبحث الثاني: الطبيعة والأسى واللوامة

المبحث الثالث: الرثاء والحرية والجمال

الفصل الثاني: الشاعر سعد الدين فوزي

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ملامح المجتمع وحسن الطبيعة.

المبحث الثاني: الفضيلة والجمال والعفاف.

المبحث الثالث: في الحب للإنسانية والوطن ونبذ الحرب

الفصل الثالث: حسن عباس صبحي.

فيه مبحثان:

المبحث الأول: الرمزية والإحساس بالذات

المبحث الثاني: الطبيعة والوجد والسوق

وخاتمة: تحوي خلاصة البحث وأهم النتائج والتوصيات.

كما ذيلت الرسالة بالفهرس العلمية الآتية:

▪ فهرس الآيات القرآنية.

▪ فهرس الأحاديث الشريفة.

▪ فهرس الأعلام المترجم لهم.

▪ فهرس المصادر والمراجع.

▪ فهرس الموضوعات.

الباب الأول

الاتجاه الوجданی في الشعر العربي في العصر الحديث

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الوجدانیة عند شعراء الإحياء في الشعر العربي الحديث

الفصل الثاني: مفهوم الرومانسية عند النقاد العرب في العصر الحديث

الفصل الثالث: الإبداع الوجданی في الشعر العربي الحديث

الفصل الرابع: مرحلة الازدهار في الشعر الوجданی العربي المعاصر

الفصل الأول

الوجودانية عند شعراء الإحياء

في الشعر العربي الحديث

وفيه مبحثان:
المبحث الأول: الذاتية.
المبحث الثاني: التجديد

مدخل:

أعنف الهزات التي أصابت الوجдан العربي تتمثل في اللقاء الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الأوربية الحديثة على خلفية حملة نابليون حيث أدرك العرب في مصر والشام أنهم يواجهون حضارة جديدة متقدمة في العلم والثقافة والمدنية.

لكن العرب قد أفاقوا من ذلك التغيير بما يمتلكون من مناعة وقوة دفاع تتمثل فيما يمتلكون من حضارة وتراث وعراقة مما حفزهم على مواجهة الحضارة الغازية دون التأثر في قيمهم الدينية والروحية والاجتماعية.

ويرى الباحث أن من أسس وعناصر الحضارة الإسلامية الحضارات الأخرى التي يمكن أن يأخذ المسلمون منها ما يفيدهم ولا يتعارض مع قيمهم الدينية ولذلك ظهرت حركة الاقتباس من الحضارة الأوروبية.

وأخذ العرب يتغيرون وظهرت عليهم الحياة المدنية وزادت الصلة بينهم وأصبحت لهم قضايا مشتركة مما زاد حسهم القومي والوطني وارتقت حياتهم تبعاً لذلك وبدأ الناس ينهلون من العلم وخاصة العلوم الدينية والعلم الحديث وعلوم الحكم والسياسة وبدأ تعليم المرأة ووصفها، ويقول الباحث في ذلك بأن ما تم هو نقلة نوعية في حياة العرب من مرحلة البداوة وما يصاحبها من قبليه وتعصب إلى مرحلة الاستقرار والحياة المدنية الحديثة.

ومتفق العربي كان شعوره هو التناقض والصراع لأن اللقاء بين الحضارتين (العربية والأوروبية) لم يكن سلساً وطيناً إنما تم بالغزو والسلط مما أدى إلى تحريك وجاده من القهر الذي تم.

ويرى الباحث إن كانت ثمة فائدة مما حدث فهو قد وحد الشعور العربي القومي ورجع الناس إلى هويتهم وعقيدتهم الإسلامية لتكون حاجز الصد والدفاع الأقوى على قول (ما لا يقتلني يقويني).

وكانت بداية القرن العشرين هي مرحلة التهيء والتطور للمتفق العربي لهذا التطور ومقاومته في كل المجالات الاجتماعية والسياسية والقومية والأخلاقية والفنية والأدبية.

الجدير بالذكر أن القرن العشرين شهد إحكام العالم الأوروبي وسيطرته على العالم العربي، حيث شهد الوطن العربي جميعه ثورات التحرير والمقاومة وتبعاً لذلك تطور فكرهم.

وفي هذا المجال الخصب بالتعبير والرسم بالكلمات الذي هزَ الوجود نشأ الشعراء الوجانيون يعبرون عن الذاتية والعاطفة والحياة والطبيعة والمجتمع مما عرف بالاتجاه الوجاني.

والحركة الوجانية هي حركة انتقال حضاري تقوم على الاعتزاز بالدين والهوية والوطن والثقافة والوعي والحس المرهف والتطلع إلى المثل الإنسانية العليا مثل الحرية والكرامة والعدالة والعفة والعنف والجمال والكمال. ونتيجة لذلك يتطلب من الشعراء الخروج بألفاظ شعرية جديدة غير مألوفة في الأدب.

والجديد في الشاعر الوجاني أنه يمتزج بما يقوله من شعر امتراجاً يكاد يتحد فيه الوجود الخارجي بالوجود الداخلي وهل هناك صدقية أكثر من ذلك؟ ويقول الباحث بأن التجربة الوجانية تعتبر نقلة نوعية في الشعر العربي، ومن خلال هذه الدراسة لهذا الباب للوجانية في الشعر والنقد العربي الحديث يمكننا أن نقسمها إلى مراحل هي:

المبحث الأول

الذاتية

لحركة الإحياء أسباب فكرية واجتماعية وسياسية وحضاروية وأن بوادر التطور الحضاري في الوطن العربي بعد الاتصال بالحضارة الأوروبية الحديثة، ففطن العرب عن طريق المشاهدة والمقارنة، وعاد العرب إلى تراثهم في الفكر والأدب والثقافة لبداية نهضة جديدة.

وقد أتيحت للشعر حينذاك موهبة كبيرة وضعته على أول الطريق إلى النهضة الحديثة هي موهبة محمود سامي البارودي^(١).

(١) البارودي: (١٢٥٥ - ١٤٣٧ هـ = ١٨٣٧ - ١٩٠٤ م) ينتمي محمود سامي البارودي إلى أسرة جركسية ذات جاه، وينتهي نسبته إلى المماليك الذين حكموا مصر، وكان أبوه حسن حسني من أمراء المدفعية ثم صار مديرًا لبرير وبنقلا على عهد محمد علي باشا، وقد مات بنقلا والبارودي في السابعة من عمره، وتلقى البارودي مبادئ العلم في البيت، ثم التحق بالمدرسة الحربية مع أمثاله من أبناء الطبقة الحاكمة، وتخرج وهو في السادسة عشر من عمره، ثم سافر إلى الاستانة وأقام فيها نحو ست سنوات وهنالك التحق بوزارة الخارجية، وتعلم التركية والفارسية والتحق بحاشية إسماعيل باشا وأصبح من فرسان حرسه الخاص، واشترك في الكتبية المصرية التي ذهبت لمساعدة الأتراك في إخماد ثورة جزيرة كريت سنة ١٨٦٨ م كما اشتراك في الحرب التي كانت بين تركيا وروسيا سنة ١٨٧٧ م ثم عُين مديرًا للشرقية، فمحافظاً للقاهرة، تولى وزارة الأوقاف، فوزارة الحربية، ثم عُين رئيساً للوزراء في فبراير ١٨٨٢ م وفي وزارته ثار الجيش بقيادة أحمد عرابي وزير الحربية احتجاجاً على سياسة توفيق والتدابير التي اتخذها لتسديد ديون مصر، كتعيين لجنة أوروبية للإشراف على وفاء تلك الديون، وتسريح قسم كبير من الجيش المصري، كما طالبوا بتولي المصرية في المناصب العليا، بعد أن كان وفقاً على الجراكسة والأتراك، وشارك البارودي في هذه الثورة فتدخل الإنجليز وأحمدوا الثورة، فنفي البارودي مع ستة من رفاقه من قادة الثورة في ديسمبر ١٨٨٢ م إلى جزيرة سرنديب فلبيت في ذلك المنفى زهاء سبعة عشر عاماً، ثم سمح له بالعودة إلى مصر سنة ١٩٠٠ م نظراً لظروفه الصحية السيئة، وتوفي سنة ١٩٠٤ م، البارودي: نسبة إلى (بني البارود) بلدة بمديرية البحيرة، سرنديب: سميت فيما بعد بـ(سيلان) ويطلق عليها الآن اسم (سيرلانكا) وهي جزيرة كبيرة في جنوب شرق الهند، وكانت مستعمرة إنجليزية. (محجوب محمد آدم، نصوص من الأدب الحديث، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٥ م، ط١، الخرطوم، مطبعة السداد، ٢٠٠٧ م، ص ٣٧).

ولعل أقرب نماذج البازجي إلى التوفيق في ذلك الإطار التقليدي الغالب قوله من قصيدة من البحر البسيط بعنوان (الزُّهرة)^(١):

قف بي نحي رباها أيها الحادي *** فتاك أبياتها في عروة الوادي
قد خيمت باللوى العربي ضاربة *** عليه أطبابها من غير أوتاد
مقيمة لم تقم إلا على سفر *** ما ينقضي بين تأويب وإساد
تمشي الهويني كما مر النسيم ضحى *** في هودج من شعاع النور وقد
يحجب بعد سيماتها فإن قربت *** صدت دللاً فزادت غلة الصادي
يسارق الطرف عين الشمس منظرها *** فالشمس من دونها حلت بمرصاد
حتى إذا هجعت في لبها ظفرت *** منها العيون بلمح المبسم البداي
فنبينا رعاك الله جارتنا *** بل أنت سوغ لنا من عهد ميلاد
قد انقطعنا فما إن بيننا صلة *** ولا سبيل لملاح ولا حادي
ولم يكن بيننا سد وقد ضربت *** أيدي العصا دون لقيانا بأسداد
ما إن ينالكم للبرق منطلق *** ولا يقرب منكم سير منطاد

أما الشاعر العراقي محمد سعيد حبوبي فنجده ينحي منحى آخر في شعره وهو المحاكاة للشعر القديم ويرى الباحث أنه شعر مصنوع، فلنطلع على قصidته (مهنئاً الروضة الحيدرية)^(٢)، وهي من بحر البسيط:

لح كوكباً وامش غصناً والتفت ربما *** فإن عداك اسمها لم تعدك السيماء
وجه أغبر وجيد زانه جيد *** وقاممة تخجل الخطى تقويمها
يا من تجل عن التمثيل صورته *** أنت مثلت روح الحسن تجسيماً
ويرى الباحث بأن الشاعر يبدو عليه التقليد ظاهراً ولذلك اعتمد على التشبيهات المعروفة كما في البيت الأول ويمضي الشاعر في قصidته فيقول:
نطق بالشعر سحراً فيك حين بدأ *** هاروت طرفك ينتشي السحر تعليماً
فلو رأتك النصارى في كنائسها *** مصوّراً ربعت فيك الأقانيم!

(١) الشيخ إبراهيم البازجي، نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م، ص ٤٥.

(٢) عباس محمود العقاد، إبراهيم المازني، الديوان، القاهرة، ١٩٢١م، ص ٩٩.

إذا سفرت تولى التقى صنما *** وإن نظرت توقي الضيغف الريما
 من لي بألمي نعيمي بالعذاب به *** والحب أن تجد التعذيب تعينا
 ويتبصر جلياً شعر الصنعة في تلك الأبيات وما فيها من مبالغات أما المبالغة
 المصنوعة المسرفة الواضحة فتتمثل في بيت الشاعر في القصيدة نفسها في الآتي:
 لو لم تكن جنة الفردوس وجنته *** لم يسكن الريق سلساً وتسنيما
 ويمضي الشاعر في مبالغاته الشعرية في وصفه الآتي:

ألقى الوشاح على خصر توهمه *** فكيف وشح بالمرئي موهوما
 ورجّ أحقاف رمل في غلائه *** يكاد ينقد عنها الكشح مهضوما
 إن آلم الحجل ساقيه فلا عجب *** فقد شكى من دقق الدرز تأليما
 الردف والساقا رداً مشيه بهرا *** والدرع منقدة والجبل مفصوما

وللحبوبي بعض الموشحات في ديوانه بها شيء من الوجدان بحكم طبيعة
 الموشحات العاطفية ولكنها لا تخلو أيضاً من طريقة المحاكاة فيقول:

بحر	جود	في	ورد	أو	صدر
عب	حتى	جاز	أوكار	النسور	
ترق	الشعري	به	وهي	العبور	
	السماك	فيه	سمكاً	وتسامي	
يأجن		لم	مورده		سائغاً
	الفخار	تاج	العلم	له	عقد
ولكم	فخار	قزم	طاوله		
أين	شهب	الليل	من	شهر	النهار
	هناك	ليس	إنه		فليخفض
	الأوهن		للحضيض		وليخرج
	بإيات	في	ذكاء	تفسه	لا
	يقارب	لا	إذ	كرما	وبمعن

خالص التبر بقطر أو نحاس
هل ترى التاج كنعل أو شراك
أم سنا أدكن كليل الشمس

وواضح جداً كما يرى الباحث من هذا الموسوعة الصنعة الظاهرة من جناس وتشبيه مألف.

ونحن نؤرخ لهذه المرحلة وهي المرحلة التي تفصل بين التقليدية والوجودانية وهي مرحلة الانتقال، يمكننا أن نضيف شاعراً عراقياً مولداً ونشأة ومصري الإقامة حتى توفاه الله ذلك هو عبد المحسن الكاظمي في قصيده (بدور فضلك حالهن أقول) ^(١).

حيث يقول:

لَكَ فِي الْحُشَاشَةِ يَا أَمِيمَ مَقِيلَ *** رَبِيعَ أَغْرِيَ وَمَنْزِلَ مَأْهُولَ
عُوْنَانَ عَيْنِي وَالْفَوَادَ عَلَى دَمِيَ *** مَنْ لَيْ بِهِ؟ وَالْقَاتِلُ الْمَقْتُولُ!
فَعَلَى أَسِيلِ خَدُودَ أَرَامَ النَّقاَ *** أَمْسَتْ نُفُوسَ الْعَاشِقِينَ تَسِيلَ
مَيْلَ كَانَ عَهْوَدَهَا بِقَدْوَمِهَا *** مَعْقُودَةَ فَتَمِيلَ حَيْثَ تَمِيلَ
مِنْ كُلِّ مَاطْلَةِ لَوْتِ دِيَانِهَا *** كَيْفَ التَّقَاضِيُّ وَالْغَرِيمُ مَطْوُلُ؟
لَا تَأْمُلْنَ صَلَةً وَإِنْ هِيَ وَاعِدَتْ *** هَيَّهَاتَ كُلَّ عَدَاتِهَا تَأْمِيلَ
قَدْ حَرَّمْتَ وَصَلَى وَحَلَّ لَهَا دَمِيَ *** فَعُدَا لَهَا التَّحرِيمُ وَالتَّحْلِيلُ
نَفْسِي الْفَدَا لِقَوَامِهَا وَرَضَابِهَا *** هَذَا عَسَالُ وَذَا مَعْسُولَ
أَمْسَى الْهُوَى جَمْلًا فَفَازَ بِبَعْضِهَا *** بَعْضُ وَأَصْبَحَ عَنْدِي التَّفَصِيلُ
وَتَنْزَلَتْ سُورَ الْغَرَامَ عَلَى الْوَرَى *** مَدْحَأَ فَكَانَ بِمَدْحِي التَّنْزِيلُ

أما البارودي فهو شاعر موهوب فقد أدى دوره في حركة الإحياء على خير ما كان يمكن أن يؤدى فشعره يشبه شعر الكبار من شعراء العصر العباسي وشعر العذريين من شعراء الدولة الأموية ومع ذلك يسير بلمسات عصرية بهذه المزايا

(١) الديوان، ص ٤٣.

جعلته شاعر كل العصور حيث يقول في قصيده التي يعارض فيها قصيدة أبي نواس المعروفة في مدح الخصيب:

فلو كنت في عصر الزمان الذي انقضى *** لباء بفضلِي جرول وجرير
ولو كنت أدركت النواسى لم يقل *** أجارة بيتيما أبوك غير
هذا وقد تبوا البارودي مكانة شعرية سامقة في عصره.

ويسأل عبدالقادر القط^(١) (ما الذي جعل الناس يكررون الشاعر كل هذا الإكثار ويتجاهلون عن كثير مما في شعره من مظاهر التقليد البين؟).

ويجيب عبدالقادر القط^(٢) بقوله: (أغلب الظن أن ذلك يعود إلى عنصر جديد ردّه البارودي إلى الشعر العربي بعد أن كان قد فقده قروناً طويلاً غالب عليه فيها الاحتراف والمديح والإخوانيات والمناسبات، هو عنصر "الذاتية").

ويرى الباحث أن البارودي توفرت له كل عناصر وموارد الذاتية حيث حفلت حياته بالأحداث الجسم والتجارب فوق أنه شاعر فهو سياسي من الطراز الأول وجندي محارب حيث خاض حرب كريت والبلقان وكان من رواد الثورة العربية وتعرض للنفي فكل هذه المحاور في حياته وما تعرض له من محن وإحن جعلته يرتد إلى الذاتية.

وفي ذلك يعلق عبدالقادر القط^(٣).

(ومن هنا يمكن أن نقول - على ما يبدو في القول من مفارقة - إن البارودي برغم نزعته التقليدية الغالبة يعد إرهاصاً للحركة الرومانسية التي قدر لها أن تقوم بعده بسنين على أساس من الذاتية والتجربة الشخصية).

وطلائع الوجданية في شعر البارودي تتمثل في قوله؛ وهو ما يزال في رونق الصبا متحدثاً عن غربته وهو يخوض الحرب في جزيرة كرلين:

أراك الحمى، شوقي إليك شديد *** وصبري ونومي في هواك شريد
مضي زمن لم يأتني عنك قادم *** ببشرى ولم يعطف علي بريد

(١) عبدالقادر القط، الاتجاه الوجданى في الشعر العربي المعاصر، ط/٢، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٧.

وحيد من الخلان في أرض غربة *** إلا كل من يبغى الوفاء وحيد
 فهل لغريب طوحته يد النوى *** رجوع؟ وهل للحائمات ورود؟
 وهل زمن ولى وعيش تقىضت *** غضارته بعد الذهاب يعود؟
 ويرى الباحث أن شعر البارودي فيه من الملامح الشعرية والشعرية
 والتعبير كما الشعر العذري الذي يمكننا أن نعده وجهاً من وجوه الوجданية في ذلك
 الزمن البعيد وتلك الأبيات في روحها وإيقاعها تذكرنا بقصيدة جميل بثينة العذري
 المعروفة:

ألا ليت أيام الصفاء جديد *** ودهراً تولى يا بثن يعود
 ويمضي البارودي في تعبيره عن مشاعره الذاتية مشابهاً العذريين لذلك عن
 الوجد والغربة والفقد والحنين إلى الأوطان فيقول:
 يا حبذا جرعة من ماء محنية *** وضجعة فوق برد الرمل بالقاع
 ونسمة كشميم الخلد قد حملت *** ريا الأزاهير من حيث وأجراع
 ويقول عبدالقادر القط معلقاً على أبيات البارودي الساجعة في مجاراته
 للعذريين (وما أكثر^(١) ما عبر العذريون عن ظمئهم إلى تلك الجرعة الصافية
 الباردة من "ماء محنية" وإلى تلك الضجعة الوادعة فوق "برد الرمل بالقاع").

ويمضي البارودي معبراً عن محنته التي ألمت به فيقول:
 لكل دمع جرى من مقلة سبب *** وكيف يملك دمع العين مكتب
 لولا مكافحة الأسواق ما دمعت *** عين، ولا بات قلب في الحشا يجب
 فيها أخا العدل، لا تعجل بلائمة *** على فالحب سلطان له الغلبة
 لو كان للمرء عقل يستضئ به *** في ظلمة الشك لم تعلق به النوب
 ولو تبين ما في الغيب من حدث *** لكان يعلم ما يأتي ويجتنب
 لكنه غرض للدهر يرشقه *** بأسمهم، ما لها ريش ولا عقب
 كيف أكتم أشواقي؟ وببي كلف *** تقاد من مسه الأحشاء تتشعب!

(١) عبدالقادر القط، مصدر سابق، ص ٢٨.

أم كيف أسلو؟ ولِي قلب إذا التهبت *** بالافق لمعة برق يكاد يلتهب
أصبحت في الحب مطويًا على حرق *** يكاد أسرها بالروح ينتشب
وواضح ما في الأبيات من محنَّة ودفاع عن النفس.

ويواصل البارودي في قصidته واصفًا التجربة النفسية وصورها حيث يقول:

وعاد ظني علياً بعد صحته *** والظن يبعد أحياناً ويقترب
فيما سراة الحمى، ما بال نصرتكم *** ضاقت عليّ وأنتم سادة نجباً!
أضعموني وكانت لي بكم ثقة *** متى خفرتم ذمام العهد يا عرب؟
أليس في الحق أن يلقى النزيل بكم *** أمنا، إذا خاف أن ينتابه العطب؟
فكيف تسلبني قلبي، بلا ترة *** فتاة خدر لها في الحي منتب
ويواصل البارودي فيصف محنَّته السياسية والنفسية بأبياته المعروفة فيقول:

ومن عجائب ما لاقيت من زمني *** أني منيت بخطب أمره عجب
لم أقترف زلة تقضي عليّ بما *** أصبحت فيه فمادا الويل وال الحرب!
فهل دفاعي عن ديني وعن وطني *** ذنب أدان به ظلماً واغتراب!

وللدلالة على تشابه شعر البارودي بالعذريين تلك المقطوعات الوجданية في
شعره فهي ميسرة اللغة وبسيطة في أسلوبها حيث نجد ذلك في مقطوعته الذي فيها
يقول:

هل من فتى ينشد قلبي معي *** بين حدود العين بالأجرع?
كان معي ثم دعاه الهوى *** فمر بالحي ولم يرجع
فهل إذا ناديته باسمه *** يضيق من سكرته أو يعي؟
هيئات يلقى رشداً بعدها *** ويا بنات الأيك نوحي معي
وأنت يا نسمة وادي الفضي *** مرّي برياك على مربعي
وأنت يا عصفورة المنحنى *** بالله غني طرباً واسجعي

وأنت يا عيني إذا لم تف *** بذمة الدمع فلا تهجمي^(١)

ويعلق عبد القادر القط^(٢) مقارناً بين مقطوعة البارودي والشعر العذري (والصلة بين هذه المقطوعة ونظائرها من الشعر العذري بينة في هذا الأسى الشفيف المستسلم وفي ذلك الالتفات إلى مظاهر الطبيعة الوديعة الرقيقة وفي النداء المكرر الذي طالما لجأ إليه العذريون ليعبروا عن تشبيهم بحبهم أو مواطنهم الأولى أو التذاهم بتزداد أسماء أحبائهم أوطنهم!).

وعن ذاتية البارودي في شعره ووجانياته يعلق الدكتور محمد حسين هيكل^(٣) في مطلع مقدمته لـ ديوان البارودي (شعر البارودي حياته، بكل قصيدة في ديوانه صورة لحالة نفسية من حالات هذا الشاعر الملهم والديوان في مجموعة صورة للعصر الذي عاش فيه وللبيئة التي أحاطت به وللنهاية المتواترة في الحياة من حوله وللثورة التي تمضي عنها تلك النهاية، وللنكسة التي أصابت النهاية والثورة كلتيهما والتي نقلت الشاعر من وطنه إلى منفاه ليقيم به سبعة عشر عاماً وبعض عام يستأثر الشعر بها جميعاً وقد اختار البارودي أثناء نفيه أجود ما قيل من الشعر في العصر العباسي وقال أجود ما اختار فبعث الشعر العربي خلقاً جديداً وشعر المنفى كشعر الشباب وشعر الكهولة صادقة لهذه الحياة التي أراد لها القدر أن تكون نغماً من الأنغام تسمو بها النسوة إلى ذروة السرور والطرب حيناً ويدفعها الطموح إلى مضطرب الصورة والمثل الأعلى حيناً آخر ثم

(١) ويمضي البارودي في قصيده.

صباية أغرت على الأسى	***	ودلت السهد على مضجعي!
ويلاه من نار الهوى! إنها	***	لولا دموعي أحرقت أضلاعي
أبيت أرعى النجم في سدفة	***	ضلّ بها الصبح فلم يطلع
لا اهتدى فيها إلى حيلة	***	نقى حياتي من يدي مصرعي
طوراً أداري لوعتي بالمنفى	***	وتارة يغلبني مدعى
فهل إلى الأسواق من غالية	***	أم هل إلى الأوطان من مرجع؟
لاتأس يا قلب على ما مضى	***	لابد للمحنة من مقطع

(٢) عبد القادر القط، مرجع سابق، ص ٣١.

(٣) ديوان البارودي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤م، المقدمة.

تصقلها السن ويصدقها النفي فإذا الحكمة والحنين والحب تبعث إلى هذا النغم سكينة تسمو بها على المأثور من ألحان الحياة لا يعبر من ذلك ما يدفعه النفي إلى نفس الشاعر من ألم تترجم عنه صيحات ثائرة تعيد أمام أذهاننا صورة من نزوات شبابه وثورة كهولته).

أما العقاد^(١) فيقول عن البارودي ما يأتي (... دع مواضع التقليد التي قضى بها حكم العصر أو حكم الصناعة اللفظية واستعرض ديوان البارودي كله لا تر فيه بيتاً واحداً إلا وهو يدل على البارودي كما عرفناه في حياته العامة أو الخاصة، أو يدل على البارودي كما وصفته لنا أعماله وصوره لنا مؤرخوه وهذه آية الشعرية الأولى، لأن الشعر تعبير، والشاعر هو الذي يعبر عن النفوس الإنسانية، فإذا كان القائل لا يصف حياته وطبيعته في قوله فهو بالعجز عن وصف حياة الآخرين وطبائعهم أولى، وهو إذن ليس بالشاعر الذي يستحق أن يتلقى منه الناس رسالة حياة وصورة ضمير).

هذا ويمكن للباحث أن يقول: إن شعر محمود سامي البارودي يعد إرهاصاً للشعر الوجداني.

ومن رواد حركة الإحياء في العالم العربي الشاعران العراقيان الرصافي والزهاوي وقد نشر الرصافي ديوانه الأول عام ١٩١٠م الذي يحتوي على لمسات عصرية على الرغم من حذوه للشعر العربي القديم ونستطيع أن نرى ذلك في قصيده التي أسمتها (العالم شعر)^(٢) وهي من بحر الطويل:

وليل غداً في الجنائن بته *** أسامر في ظلماه واقع النسر وأقع من سفن الخيال مراسيا *** فتجري من الظلماء في لحج خضر أرى القبة الزرقاء فوقى كأنها *** رواق من الدبياج رُصّع بالدر ولولا خروق في الدجى من نجومه *** قبضت على الظلماء بالأئمل العشر خليلي ما أبهى وأبهج في الرؤى *** نجوماً بأجواز الدجى لم تزل تسرى إذا ما نجوم الغرب ليلاً تغورت *** بدت أنجم في الشرق أخرى على الإثر

(١) العقاد، شعراء مصر وبئاتهم في الجيل الماضي، ص ١٣٣.

(٢) عبد القادر القط، ص ٣٤-٣٥.

تجولت من حسن الكواكب في الدجى *** وقبح ظلام الليل في الغُرف والنكر
إلى أن رأيت الليل ولت جنوده *** على الدُّهم يغفو إثراها الصبح بالشَّغر
فقلت وطفي شاخص لنجومه *** ألا إن هذا الشعر من أحسن الشعر
والملاحظ أن الرصافي في القصيدة يتحدث عن نفسه وعن وقوع الليل على
وجданه ونلاحظ أن القصيدة لا تخلو من الصنعة اللفظية ولكن للرصافي قصائد
رائعة وجدانية ذاتية كما في إحساسه في قصيدة (اليتيم في العيد)^(١):

صباح به تُبدي المسرة شمسها *** وليس لها إلا التوهم مطلع
صباح به يختال بالوشي ذو الغنى *** ويعوز ذا الإعدام طمر مرقع
صباح به يكسو الغني ولدده *** ثياباً لها يبكي الوليد المضيع
صباح به تغدو الحاليل بالحلوى *** وترقص من عين الأرامل أدمع
ويقول الرصافي في قصidته (اليتيم المخدوع)^(٢):

قضى والليل معتكر بهيم *** ولا أهل لديه ولا حميم
قضى في غير موطنها قتيلاً *** نمح دم الحياة به الكلوم
قضى من غير باكية وباك *** ومن يبكي إذا قتل اليتيم؟
قضى غض الشبيبة وهو عف *** مطهرة مازره كريم
ومن الشعراء الوجدانيين عبدالرحمن شكري وظهر ديوانه الأول عام
١٩٠٩م، ويقول في قصة شعرية بعنوان (عاشق المال)^(٣):

كنت أهواك حين بحرك عال *** يأسر الدهر بالدور المطير
كنت أهواك والزمان مؤاتيك *** وربيب الزمان غير مغير
ويقول عبدالرحمن شكري في قصيدة بعنوان (حنين الغريب)^(٤):

أيهذا الغريب ذو البلد النازح *** ماذا دهاك عند الغروب؟

(١) ديوان معروف الرصافي، بيروت، ١٩١٠م، ص ٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٣) ديوان عبدالرحمن شكري، الإسكندرية، ١٩٦٠م، ص ٢٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٥.

قد عهناك مستكيناً لريب الدهر *** بعزم صليب
 وعهناك لست تعرف ما الحب *** ولا لوعة الفؤاد الطروب
 وعهناك ليس يكربك الضيم *** ولا سطوة الزمان العصيب
 وعهناك ذاكراً نعمة الأغر البخيت *** خاشعاً مستقاداً
 وعهناك إن زلت فأدليت *** بعذر سلت غل العطوب^(١)

ومن ومضات الذاتية عند الرصافي نجده في قصidته (الغروب)^(٢) حيث يقول:

نزلت تجر إلى الغروب ذيولاً *** صفراء تشبه عاشقاً متبولاً
 تهتز بين يد المغيب كأنها *** حبٌ تململ في الفراش علياً
 ضحكت مشارقها بوجهك بكرة *** وبكت مغاربها الدماء أصيلاً

ونجد الرصافي يضع قصائد على نظام المقطوعة المتغيرة القوافي كما في قصidته (الفقر والسلام) حيث يقول:

أي مضنى يمدنا باكتاب ***
 آنة تترك الحشا في التهاب ***
 يشتكي والليل وصف الإهاب ***
 ضمن بيت جثا على الأعقاب ***
 سفعته فمال، كف الخراب ***

(١) ويواصل الشاعر قصidته (حنين الغريب):

وعهناك لا حسوداً ولا غراً *** طموحاً إلى المكان الخصيب
 وعهناك لا بكيناً قطوعاً *** لرجاء المستمرخ المستشيب
 فأخوك الأدب في الأهل والدار *** له عيشة الغريب الكئيب
 ليس في ثوبه سوي طلل بال *** وداء صعب وجراح رغيب
 ليس في وجهه من البشر إلا *** مدمع مشرق كلمع الضريب
 ليس في قلبه سوي الحب والحب *** وغيظ على الزمان مريرب

(٢) ديوان معروف الرصافي، مرجع سابق، ص ٢١٠.

تسمع الأذن منه صوتاً حزيناً
 راجفاً في حشا الظلم كميناً
 يملأ الليل بالدعا أنيناً
 ربّن لي على الحياة معيناً
 ربّ إن الحياة أصل عذابي

وفي شعر الرصافي كذلك دعوة نظرية إلى العصرية كما جاء في قوله:
 ما جئت منزلة إلا بنيت بها *** بيتاً من الشعر لا بيتاً من الشّعر
 وأجود الشعر ما يكسوه قائله *** بوشى ذا العصر، لا الخالي من العُصر
 لا يحس الشعر إلا وهو مبتكر *** وأي حسن لشعر غير مبتكر
 ومنه قول الرصافي من قصيدة بعنوان (بعد البين):

تركت من الشعر المديح لأهله *** ونرحت شعري أن يكون قدّاعاً
 وأنشدته بحلو الحقيقة بالنهى *** ويكشف عن وجه الصواب قناعاً
 نمضي قدماً في مرحلة الإحياء للشعر الوجданى في العالم العربي وننتقل إلى
 الشاعر الزهاوى وهو شاعر مجيد ذو قصائد سياسية وقومية وذو النزعة العاطفية في
 وصفه للطبيعة وهو شاعر متبع لنتاج الشعراء ويتمثل ذلك في تشطيره لقصيدة شوقى
 (خدعواها بقولهم حسناً) ^(١) حيث يبدأها بقوله:

خدعواها بقولهم حسناً *** شعرها الليل والجبين ذكاء
 غرّها ذلك الثناء فلانت يغرنـي والغوانـي

وفي شعر الزهاوى ^(٢) القومي والسياسي نجده يقول عندما كان في الإستانة
 عام ١٨٩٨م هذه القصيدة:

الا فأنتبه للأمر حتم تفعل؟ *** أما علمتك الحال ما كنت تجهل
 أغث بـلـداً منها نـشـأتـ، فقد عـدتـ *** عـلـيـهاـ عـوـادـ لـلـدـمـارـ تعـجلـ

(١) الزهاوى، الكلم المنظوم، ١٩٠٨م، ص ١١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٧.

لقد نزعت أمُّ رُبْيت بحُجْرَهَا *** وإنك عنها غافل لست تسأل
بلادي بلادي لا أضنُّ بنصرها *** وإن عذلتني في هواهن عذلٌ
كأنى بالأوطان توقيظ فتية *** عليهم إذا اشتد البلاء المعوّل

وفي صورة بلاغية وتعبير ذاتي صادق يصف الزهاوي حالة فيما لاقاه من
عنت ومشقة في زمن الاستبداد بعد إرجاعه إلى بغداد مخموراً ووضعه في دار
السعادة ومن ألم وفرق إخوانه الذين نفوا معه حيث يقول^(١):

نبأ الدهر بالأخوان حتى تمزعوا *** وحتى خلت منهم ديار وأربع
ونابهم خطب فشت شملهم *** وكان بهم شمل المكارم يُجمع
رجال لهم أعلى من النجم همة *** وأمضى من السيف الجراز وأقطع
لقد ربطهم بالوفاء مودة *** حبانها للموت لا تتقطع
أحنّ إلى عهد اللوى وهو منقض *** وأبكي لنأى الدار والدار بلقع

وشمولية شعر الزهاوي في مناحي الحياة وتصويره لحال المجتمع وقياسه
حيث يصوغها في قالب قصة شعرية كما في قصيّته (سليمى ودجلة):

أمير على جند بغداد يذكر *** يقال له التركي ذو الطيش جعفر
له زوجة تدعى زليخا رُكُونُه *** إليها كثير، فهي تنهي وتأمر
وكان له من تلك بنت جميلة *** يقال لها - فيما أتاني - دلبر
وجارية في بيته شركسية *** تسمى سليمى وهي عذراء مُعصر
مهففة رُود كأن قوامها *** قضيب من الليمون ريان مزهر
لها نظرة كالسيف ماض غراره *** ووجه كمثل الزهر زاه منور

وفي لمسات وجداً في وصفه للحياة وسأمه فيها وتفكييره في الموت منذاً يقول
الزهاوي:

لعمرك لقد تشابهت الليالي *** بما في عودها شيء جديد
نهار خلفه يأتي نهار *** وليل كلما ولى يعود

(١) الزهاوي، الكلم المنظوم، مرجع سابق، ص ١٠.

ترى عيني بكف الموت قوساً *** بها سهم إلى جهتي سديد
 فيها موت أرمي إن كنت ترمي *** فأتي بالردى صبّ عميد
 ولم أر منها لـ كالموت عذباً *** على طرفيه تزدحم الورود

وللزهاوي قصائد ذات نزعة ذاتية ووجدانية واضحة خاصة في وصف
 الطبيعة وبهائها وجمالها وصفاتها حيث نجد يقول:

إن حسن الربيع للعين فاتن	
كم به من زهر كثير المحسن	
غير أن الزمان يا قوم خائن	
فلأزهاره جمال ولكن	
هي - آه - قصيرة الأعمار	
حبدا الروض إنه قد تزين	
بسون واقحوان وسوسن	
زرته في الصباح حين تبين	
وأطلت الجلوس فيه إلى أن	
صعدت في السماء شمس النهار	
حيث ظل للسرور فوقى ظليل	
وعلى السرو للحمام هديل	
وبساط للزهر تحتي خميل	
وأمامي رواه جميل	
وغدير صوب يساري	
وبذات اليمين تفور	
عين كأنه بلور	
ذاب فيه فاهتز لطفاً النور	

وعلى العين وهي تجري طيور^(١)

وهذا الوصف واضح ويعبر عن (ذاتية) الشاعر وقد أبدع في وصف الطبيعة التي تعتبر ملهمة للشعر الوجданى كذلك أبيات القصيدة لا تخلو من الحداثة وقد أجاد في وصف الصور الفنية والنفسية ويمكن أن تشابه تلك الأبيات نظام الموشح أو المقطوعة.

وينتقل الزهاوى ويفصح عن وجدانياته في تصويره للطبيعة الريفية وما تمتاز به من جو يصاحب الهدوء ويصف حركة الريف عند الغروب عندما يعود الإنسان والحيوان الأول من عمله والثاني من مرتعه وهو جو بل منظر به مشاهد مشبعة بالفطرة والبساطة والمحبة حيث يقول^(٢):

أترى أفرع الغزالة ذيب *** فهي تسعي شريدة وتغيب
وقد أصفر وجهها كفتاة *** قلبها من وشك الفراق كئيب
وعلاها السحاب فأحمر منه *** إذا توارت ذوابب وجذوب
صاحب، ما هذى الدماء أراها *** بعيوني أم في السماء حروب!
أم ترى أبدت الطبيعة لوها *** نظر الروح نحوه مجذوب

(١) ويختتم الزهاوى قصيده بقوله:

رفرت، فواخت من وقماري
إن تمشت ريح تزيد وصولا
لغضون بسقн في بعد طولا
فتخطت بنفسجاً مطلولا
ثم مرت ماء يسيل في أنهار
 عبرتها التقت حتى
ولوت من عيوني
والمتون أعطاها
فبكت عليها من خزن
يا بنات هجن
إذ ذرى في تلويت
الأشجار

(٢) الزهاوى، الكلم المنظوم، مرجع سابق، ص ٩٩.

تقف العين عنده وهي حيري *** يستبيها جماله المحبوب
 وانظر البر في مقابلة الشمس *** نجد ما تذوب منه القلوب
 بقر الحي من مراتعها ترجع في مشية خطها قريب
 وقطيع الأغنام من وجهة الشروق *** إلى جانب الخيام يؤوب
 وصغار الحملان مربوطة تصبو إلى أمهاها وتلوب
 تسمع الأمهاها وهي إليها *** مسرعات بُغامها فتجيب
 منظر للغروب في البر مشج *** فتكاد القلوب منه تذوب
 منظر يعجز المصور والشاعر عن رسمه ويعيا الخطيب
 وقد بدأ الشاعر قصيده السابقة متسائلاً ولكنه لا يلبث إلى أن ينتقل لوصف
 الطبيعة في الريف وصفاً دقيقاً ومفعماً بالشجن والمتعة معاً في بساطة المشهد.
 وللزهاوي أيضاً تجربة رائدة في الشعر المرسل وهي تتضمن نظرات في الحياة
 والناس والقارئ لأبياته يحس بشيء من القلق والقصيدة فيها خروج عن القافية وقد
 نظمها الشاعر عام ١٩٠٥ حيث يقول:

لموت الفتى خير له من معيشة *** يكون بها عبئاً ثقيلاً على الناس
 وأنك من قد صاحب الناس عالم *** يرى جاهلاً في العز وهو حقير
 يعيش نعيم البال عُشرً من الورى *** وتسعة أعشار الورى بؤساء
 إذا ما رجال الشرق لم ينهضوا معاً *** فأضيع شيء في الرجال حقوقها
 أسرُ مكان لي على الأرض ربعة *** إلى جانبها روضة وغدير
 إلا أيها الناس أرحموا الناس وأركنوا *** إلى السلم، إن السلم خير من الحرب
 لأحسن أوقات الفتى وقت نومه *** إذا كان ذاك النوم خلواً من الحلم
 أخي إن أسرار الطبيعة جمة *** وما اكتشفت منها العقول قليل
 ويجرد بنا المقام هنا أن نورد قصيدة للدكتور نقولا فياض من ديوان (رفيق
 الأحوان) بعنوان (زيارة من غير موعد)^(١) وهي من الشعر الطليق ونظمها

(١) نقولا فياض، ديوان رفيق الأحوان، ص ٢٣.

الشاعر في باريس عام ١٩٠٦م وقد أوردناها هنا لنرى ما بينها وبين تجربة الزهاوي من خلاف حيث يقول نقولا فياض:

مرحباً بالشتاء إن كان غيري *** لا يرى في الشتاء إلا حدادا
مرحباً بالشتاء والقلب خال *** أعيش النار في سكون الليلالي
مستريحاً من الهوى وهمومه *** هذه عزلتي فنم يا فؤادي
ليست من زينب هنا أو سعاد

وإلى الطرس يا يراع فعندِي *** في زوايا الفكر العميق معان
آن أن يطلع النهار عليها *** قلت هذا وما حسابا
للذى خبأت يد الأقدار قرع الباب *** من ترى يقرع الباب وليس بساعة الزوار
ودبيب النعاس في الأجنان *** قال لي: افتح، أنا هو الحب قلت أذهب
فمالى بالحب، يا حب، شأن

قال: برد الشتاء يقرص عظمي *** ودموع السماء تمطر جسمى
وجناحي مهدم مأسور *** عثاً تطلب الدخول فنفسي
أيها الحب قد سلتك طويلاً نسيت عادة *** الصباية والشكوى وذكر العهود والتقبيلا
نسيت فعل قوسك المرهوب

والكاظمي^(١) ينضم إلى رفيقه الرصافي والزهاوي لحركة الإحياء وكما هو معلوم ليس المقصود بالإحياء مجرد تقليد الشعر القديم وأساليبه بل أن يتجاوز الشاعر ذلك ويعود إلى منابع الشعر الحقة في وجده منطلاقاً إلى التجديد والعصرية والشاعر هنا يخاطب البارودي^(٢) فيقول:

لمن النجائب سيرهن وخيد *** تُطوى وتنشر دونهن البيد
بغيا الورد من الفرات شواخساً *** للنيل، لو في النيل طاب ورود
طربى إذا ما قيل قلص للسرى *** حاد وشمر سائق غريد
عوج الخياشيم يندفعن إلى الحمى *** ما لم يُسْطَن فزائد ومزود

(١) ديوان الكاظمي، الحلبي، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ٩٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٤.

لتحقُّ حتى ينثني من فوقها *** طرباً لأن حنينها تغريد
 ويقول راعيها إذا هي أقبلت *** تكلم جمال أم جبال قود؟
 وكأنما فيها الركوب ولاد *** وكأنما أكوراهنَ مهود
 فإذا مررت على الديار رأيتها *** ترنو كما ترنو الظباء الغيد
 فالرّبع إذ تحنو عليه بدمعها *** كابن اللبون حت عليه رفود
 وينتقل الشاعر من مطلعه التقليدي الذي اتصف بالقول في هذه القصيدة إلى
 مدح صديقه البارودي عن الطريقة المعروفة في الشعر بـ (حسن التخلص)
 فيقول^(١):

والملاحظ أننا نجد في شعر الزهاوي كما يرى الباحث تجارب أكثر حداثة
 وأقرب إلى وجdan الشاعر وطبيعته العصرية أما الكاظمي فقد أتيحت له فرصة
 أكبر نسبة لإقامة الطويلة في مصر وللشعراء الثلاثة دور كبير في حركة الإحياء
 وطلائع الوجданية في العراق، أما البارودي في مصر كانت خالصة للأحياء
 والذاتية حيث تطورت بعده إلى حركة من التجديد.

وقد عبر الشعراء جميعهم عن قضايا عصرهم السياسية والاجتماعية
 والكفاح والاستقلال وفيه كثير من النزعة الوجданية ولا يدري شعراء العراق
 الرصافي والزهاوي والكاظمي ما يحل بوطنهم العزيز بلاد الرافدين بعد مئة عام
 من شعرهم ذلك بما حل بوطنهم في القرن الحادي والعشرين من احتلال ودمار
 وخراب.

(١)

آيت لا ألهو بغير عزيمة ***	لشهابها في الخافقين وقود
حتى تُبرد في المجرة غلتي ***	ويحر لي فوق الشمال برود
ويظل يحسد بعض مجدي بعضه ***	إن ضل عنه كاشح وحسود
وحلفت لا أعنو لغير أخي غالا ***	ينمو إلى إخاؤه ويزيد
محمودها السامي وهل بين الورى ***	إلاء سام في العلاء محمود

المبحث الثاني

التجدد

أما أمير الشعراء أحمد شوقي^(١) فكان يأمل فيه أنصار الذاتية تطلعاتهم، لكنهم رأوا فيه أن قد راح يتبع أحداث السياسة ومناسبات المجتمع. وينحدر أحمد شوقي من أسرة تتعدد في أصولها فهو كما ذكر تركي،

(١) نشأ أحمد شوقي (١٢٨٦هـ - ١٣٥١هـ / ١٨٦٨م - ١٩٣٢م) في بيئة ارستقراطية مترففة لها صلة قوية بقصر خديوي مصر، ألحق في طفولته بالكتاب، وانتقل إلى المدارس الابتدائية والثانوية بالقاهرة، ولما أتم تعليمه الثانوي سنة ١٨٨٥م ألحق بمدرسة الحقوق، ثم تحول إلى قسم الترجمة بها، وتعرف في المدرسة إلى أستاذة الشيخ محمد البسيوني، فدفعه إلى شعر المدح، وأرسله الخديوي فيبعثة إلى فرنسا لمتابعة دراسة الحقوق والتعمق في اللغة الفرنسية، وشؤون الترجمة، فأكمل دراسته في أربع سنوات، وهبأت له فرص التجوال في فرنسا، والتردد على مسارح باريس، والوقوف على حياتها الأدبية. فلما عاد على مصر عمل رئيساً لقسم الترجمة في ديوان الخديوي وتوثقت صلته بالخديوي عباس الثاني الذي خلفه والده توفيق وأصبح مستشاره ومحل ثقته وتقديره، ووظف شعره للتعبير عن سياسة الخديوي، ويختم كل فرصة ل مدحه، وتسجيل مناسبات القصر، وأعياده المختلفة، وكان هذا الدور كافياً ليكون بعيداً عن حياة الشعب. ولما نشب الحرب العالمية الأولى، خلع الإنجليز الخديوي عباس عن عرش مصر لميله إلى الدولة العثمانية ولو لا بدلاً عنه عمله السلطان حسين كامل ونفوا - أيضاً - أحمد شوقي إلى إسبانيا لولائه لعباس وتحمسه للخلافة العثمانية، وظل بها طوال الحرب (مدة أربع سنوات ١٩١٤ - ١٩١٩م) وكانت فرصة لأن يفرغ لنفسه وشعره والتعبير عن ما قاساه في غربته وحنينه إلى بلده وتعزيز مشاعره الوطنية والقومية واستلهام أمجاد المسلمين في الأندلس. وحين وضعت الحرب أوزارها رجع شوقي إلى مصر إبان ثورة ١٩١٩م الوطنية ووجد نفسه في خضم الصراع الجماهيري ضد القوى الأمنية المسيطرة على مصر والمنطقة العربية، فانحاز إلى الشعب، وانطلق يتنفسى بأماله ويعبر عن آلامه، وشارك الأمة العربية وان فعل لأحداثها وانتفاضاتها الوطنية كما خلص لفنه وجمهوره فذاع شعره واحتل مكانة مرموقة بين شعراء العربية، ولما أعاد طبع ديوانه سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م أقيم له حفل تكرييم عظيم وفيه بايعه الشعراء بإمارة الشعر وأعلن حافظ إبراهيم هذه المبايعة قائلاً:

أمير القوافي قد أتيت مبايعاً *** وهذى وفود الشرق قد بايعت معي
واستمر أحمد شوقي في نظمه للشعر حتى لبى داعي ربه في أكتوبر (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م)
(محجوب محمد آدم، نصوص من الأدب الحديث، مرجع سابق، ص ٤٥).

عربي، تركسي، يوناني، فجده لأبيه من أكراد الجزيرة، وجده لأمه (أحمد النجدة لي) تركي الجنسية وكان يشغل وظيفة كبيرة في القصر وكانت جدته اليونانية (تمراز) ذات صلة وطيدة بالقصر وهي التي كفلت شوقي، ورعته في طفولته.

فكان يأمل فيه أنصار الذاتية تطلعاتهم لكنهم رأوا فيه أنه قد راح يتبع أحداث السياسة ومناسبات المجتمع وفي ذلك يقول عبدالقادر القط^(١) (ومن الإنصاف لشوفي وغيره من شعراء هذا الاتجاه الموضوعي أن يقول إن كثيراً من تلك الأحداث السياسية والواقع الاجتماعية التي عبروا عنها كانت مما يشغل بال العرب ويمس نفوسهم وحياتهم في الصميم وهي لهذا يمكن أن تقدر - في موضوعها - ذات صلة لا تتكر بذات الشاعر).

ومما يدل على حاجة الناس لشعر من لون جديد وبالطبع المقصود الشعر الوجданى ما نجده في قول العقاد في تقادمه لـ ديوان المازنى.

(نحن اليوم غيرنا قبل عشرين سنة، لقد تبوا منابر الأدب فنية لا عهد لهم بالجيل الماضي، نقلتهم الزينة والمطالعة أجيالاً بعد جيلهم، فهم يشعرون شعور الشرقي ويتمثلون العالم كما يتمثله الغربي، وهذا مزاج أول ما ظهر من ثمراته أن نزعـت الأقلام إلى الاستقلال ورفع عشاقه راية التحرر من القيود الصناعية وحسب الأدب العصري الحديث من روح الاستقلال في شعرائه أنهم رفعوه من مراغة الامتحان التي عفرت جبينه زماناً فلم نجد اليوم شاعراً حديثاً يهنى بمولود وما نفض يده من تراب الميت! ولن تراه يطرى من هو أول ذاميه في خلواته ويقزع من يكبر في سريرته ولا واقفاً على المرافق يودع الذاهب ويستقبل الآيب ولا متعرضاً للعطاء يبيع من شعره كما يبيع التاجر بضاعته).

والدعوة إلى شعر الوجدان تأتي كذلك من ميخائيل نعيمة^(٢) وهو يعتبر بذلك مشاركاً للعقاد في رأيه إلى النزوع والخلاص من شعر المناسبات حيث يقول: (... وأصبحنا نتراسل نظماً ونتصالح نظماً... ونستقبل أصدقاءنا نظماً، ونهنئهم

(١) عبدالقادر القط، الاتجاه الوجدانى في الشعر المعاصر، ص ٥٣.

(٢) ميخائيل نعيمة، الغربال، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص ١١٩.

بعيد أو بمركز أو بمولد نظماً، إلى أن لم يبق في حياتنا ما ليس منظوماً سوي عواطفنا وأفكارنا).

ويتفق النقاد مرة أخرى في كتابيهما (*الغribal*) و(*الديوان*) حيث يقول العقاد^(١): (إن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصي أشكالها وألوانها... وليس هم الناس من القصيدة أن يتسابقوا في أشواط البصر والسمع، وإنما همهم أن يتعاطفوا ويودع أحسهم وأطبعهم في نفس إخوانه زُبْدة ما رأه وسمعه، وخلاصة ما استطابه أو كرده)^(٢).

وفي نفس السياق يقول ميخائيل نعيمة^(٣): (إن عواطفنا وأفكارنا مشتركة لأن مصدرها واحد وهو النفس... وإن في الواحد منا ما في الآخر من العواطف والأفكار لكنها قد تكون مستيقظة في بعضنا غافلة في الآخر... وإن من استيقظت عواطفه وأفكاره وتمكن أن يلفظ بعبارة جميلة الترکيب وموسيقية الرنا كان شاعراً. وإن العواطف والأفكار هي كل ما نعرفه من مظاهر النفس، فالشعر إذاً هو لغة النفس، والشاعر هو ترجمان النفس).

(١) عباس محمود العقاد: (١٣٠٧ - ١٨٨٩ = ١٩٦٤ هـ - ١٣٨٤) ولد بمدينة (أسوان) وتلقى تعليمه حتى المرحلة الابتدائية، وحصل على شهادتها سنة ١٩٠٣، ثم واصل في تعليم نفسه معتمداً على القراءة الحرة والتقييف الذاتي وعمل في وظائف مختلفة، كما عمل بالتدريس فترة من الزمن. ثم بدأت صلته بالكتابة في الصحف سنة ١٩٠٧ وعمل محرراً في صحيفة الدستور، كما عمل في أشهر الصحف التي كانت تصدر في عهده، وانضم إلى حزب الوفد، فأصبح كاتبه ولسانه، وخاض في سبيل حزبه كثيراً من المعارك الكلامية، وكان بعض آرائه الجريئة سبباً في دخوله السجن، وانتشر بمقالاته السياسية والاجتماعية والأدبية في مجلة الحزب وجريدة لها (البلاغ) وعين عضواً بمجلس الشيوخ سنة ١٩٤٤، كما أسهم في بناء الحياة الفكرية والأدبية، وعين عضواً في مجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٨، ومقرراً للجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٥٦، وكانت له ندوة الأسبوعية المشهورة، وهو يعد موسوعة فكرية وثقافية لتنوع قراءاته تتوجعاً شديداً في كثير من ضروب المعرفة الإنسانية، وإن تركز اهتماماته في مجال الأدب. (محجوب محمد آدم، نصوص من الأدب الحديث، مرجع سابق، ص ٧٨).

(٢) *الديوان*، عباس محمود العقاد، إبراهيم عبد القادر المازني، القاهرة، ١٩٢١م.

(٣) *الغribal*، ميخائيل نعيمة، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص ١١٩.

وعن العلاقة بين العقاد ومخائيل نعيمة وتشابه ألفاظهما وأفكارهما يقول عبدالقادر القط^(١): (لا يقود هذا التشابه بين أفكار هذين الناقدين وألفاظهما إلى تشابه طبيعة بيئتهما الفنية فحسب، فقد كانت هناك صلات شخصية معروفة بينهما. وقد كتب مقدمة كتاب (الغربال) لميخائيل نعيمة، مبدياً إعجابه باتجاهه النقدي وما فيه من غلو وحدة تشبه كثيراً حدة العقاد، وهو اتجاه مأثور في كل حركة جديدة ت يريد أن تثبت وجودها أمام القديم. وأنى ميخائيل نعيمة على العقاد في نقه لشوفي والتقي معه حول قصيدة بعينها هي بائنته):

أنادي الرسم لو ملك الجوابا *** وأجزيه بدمعي لو أثابا
كذلك التقى الناقدان في الرأي حول أبيات فالها شوفي مادحاً أحد الخطاطين
ولعل قيام هذه الصلة الشخصية يؤكّد في ذاته الطبيعة المشتركة ل حاجات هاتين
البيئتين الأدبيتين وطبيعتها الرومانسية).

وشوفي في رأي النقاد كان شاعراً موضوعياً فقد تجاهل وجده وآوغل في
شعر السياسة والأحداث والمناسبات متشبهاً بشعراء العصر العباسي وكمثال لذلك
مخاطبته للخديوي عباس مشبهاً نفسه بأبي تمام شاعر المعتصم بقوله:
وأنا الفتى الطائي فيك وهذه *** كلمى هزرت بها أبا إسحاق
ويقول كذلك مخاطباً (أم المحسنين):

أحييت في فضل الملوك وعزّهم *** ما مات من أم الخليفة جفر
إن الذي قد ردّها وأعادها *** في برديك أعاد في البحيري
ويخاطب الخديوي مرة أخرى بقوله:

حتى إذا رفع الحجاب تدفقوا *** يتشربون براحة تتدفق
وتعارضت فيك القرائح وأبدى *** لأبي نواس البحري المغلق
وهو يريد بأبي نواس إسماعيل صبري وبالبحري نفسه.

(١) عبدالقادر القط، الاتجاه الوجданى في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ٤٥.

أما الدكتور شوقي ضيف⁽¹⁾ يدافع عن شوقي فيقول: (وعباس العقاد محقق حين يزعم أن شوقياً لا تتضح شخصيته في شعره. ولكن الحق بجانبه حين يضع هذه المقدمة لينتهي منها إلى أن شعره ليس شعر النفس الممتازة، ولا شعر النفس الخاصة، وهو لهذا ليس رسالة حياة ولا نموذجاً من نماذج الطبيعة، ي يريد بذلك أن يجرده من حاسة الشعر. وقد قلنا في غير هذا الموضوع إن شوقياً ليس من الشعراء الذاتيين الأنانيين وإنما هو شاعر غيري. ولست أدرى لماذا نحجر على شوقي ولا نجعل له هذا الاتجاه في شعره مذهبًا اتخذه في فنه؟ إننا حين نحمل ذلك ولا نذكره نكون قد تعمدنا ألا ننصفه. حقاً إنه لو أدعى أن شعره صورة نفسية وشخصيته بالمعنى الدقيق لكان من حقنا أن نعارضه وأن نأخذ على يده.

ولكنه لم يتقدم بهذه الدعوى، بل لم يفكر فيها، فقد كان يحلم بالعالم من حوله وأحداثه وحقائقه، ولم يكن يحلم بنفسه ولا اتجه إلى وصف ما يجري في سراديبها المظلمة، لأنه رأى ألا يكون شاعراً نفسانياً ولا شاعر شخصية بالمعنى الذي يريده الأستاذ/ العقاد. وإن من الظلم للشاعر أن نقيسه بمقاييس لم يفكر فيه، وأن نسألة عن قسماته وملامحه ومزاجه وميوله النفسية وهو لم يُعنَ بشيء من ذلك).

ويرى الباحث أن شعر شوقي فنياً له طابع (كلاسيكي) ولكن نجده ينحي منحى ظاهراً يمزج فيه بين الذاتية والتقلدية في قصidته (النيل).

والحديث للنيل عند الباحث ذو شجون حيث أنه كتب رسالته لدرجة الماجستير بعنوان (النيل عند شعراء مصر والسودان - دراسة مقارنة) وذكر من أسباب اختياره لعنوان هذا البحث هو التوسيع الأسي والأفقي للباحث حيث أن النيل مصدر إلهام للشعراء وهو إحساس ذاتي وجداً.

ويقول شوقي في قصidته النيل عن فضلها على مصر ومشيراً إلى الأرض:

تسود ديباجا إذا فارقتها *** فإذا حضرت أخضوض الاستبرق
والماء تسکبها فيسيل عسجاً *** والأرض تفرقها فيحيا المفرق

(1) شوقي ضيف، شوقي شاعر العصر الحديث، الطبعة الثالثة عشر، دار المعرفة، ١٩٥٣م، ص ٥٥.

وينتقل شوقي إلى ذكر الأساطير والتاريخ حيث يقول:
 دين الأوائل فيك دين مروءة *** لم لا يؤله من يقوت ويرزق!
 ويمضي شوقي في ذكر وتصوير ووصف حضارة الفراعنة فيقول:
 من أي عهد في القرى تتدفق؟ *** وبأي كف في المدائن تغدق؟
 ومن السماء نزلت أم فجرت من *** عليا الجنان جداولًا تترقرق!
 وبأي نول أنت ناسج بردة *** للضفتين جديرها لا يخلق
 والشاعر يظهر تقديره وإكباره للنيل ويظهر في هذا البيت التمايز في بنية
 العبارة فيقول:
 حمراء في الأحواض إلا أنها *** بيضاء في عنق الثرى تتألف
 كما يستعمل الجناس والمقابلة في قوله:
 والماء تسکبه فيسیل عسجاً *** والأرض تغرقها فيحيا المفرق
 ويواصل الشاعر في قوله عن النيل بإيقاع تقليدي:
 دين الأوائل فيك دين مروءة *** لم لا يؤله من يقوت ويرزق?
 وقوله:
 جعلوا الهوى لك والوقار عبادة *** إن العبادة خشية وتعلق
 وكذلك يقول واصفاً أحوال النيل:
 دانوا ببحر المكارم زاخر *** عذب المشارق مده لا يلحق
 متقييد بعهوده ووعوده *** يجري على سنن الوفاء ويصدق
 يتقبل الوادي الحياة كريمة *** من راحتيك عميمة تتدفق
 منقلب الجنبين في نعماه *** يعرى ويصبح في نداك فيورق
 وبإيقاع آخر يقول:
 تسقى وتطعم لا إناوك ضائق *** بالواردين ولا خوانك ينفق
 وقوله:
 وإليك بعد الله يرجع تحته *** ما جف أو ما مات أو ما ينفق

ويتوالص الإبداع في شعر النيل في وصف وجداً متشبع ومغلف بالأسرار
في رمز صوفي للنهر ووصف بطبيعة النيل من أطياف وأشجار وزوارق وأمطار
ورياح وغيرها كل ذلك يجسده لنا في أبيات رائعت الشاعر محمود حسن
إسماعيل في ديوانه نهر الحقيقة بعنوان (مع النهر):

سكونه حياة.. ونطقه حياة
والموج فوق صدره صلة
حين تنام الريح.. والموج يستريح
تخاله نشوان، في أفقه النعسان
أقداحه وضوء، للصمت والهدوء
يمر بالحياة، ووجهه مرآة
أمواجه سجادة للطير والعبادة
تجثو بها الطيور، وتترح العطور
وتتصبح الزوارق، كأنها حدائق
مسحورة الأغصان في ربوة النسيان
كل رؤاه حب ومعبد ورب
وكل ما في شطه حياة وخطوة تحرك الحياة
لولاه، زهر الحقل ما تبسم
لولاه، طير الروض ما ترنم
في صدره الأسرار عتية الأستار
لا الريح تدري أمرها ولا النجوم تعرف
سفائن ولهانة وعاشق مطوف
وصائد أيامه في خيطه معلقة
يلقي الشباك مؤمناً مؤملاً أن ترزقه
أوما، وظل ساكناً يرقب الغيوب

كأنه	مدله	ينتظر	الحبيبا
وفجأة	صافحة	الفجر	
والأمل	الموعود	والنهر	
فادع	للكوخ	يحمد الله	
والحب	والإيمان	والحياة	

ويختتم الشاعر قصيده بما بدأها مشيراً إلى النهر فيقول:

حياة.. ونطقة حياة سكونه
صلوة صدره فوق الموج والموح

وفي وصف وجданى يميل إلى الحرقة يقول إبراهيم ناجي^(١):

يا أيها، بي حسد *** لكل جار عليك رف
أكل راج كما يود *** يروي ظماء ويرتشف
ومن حبيب إلى حبيب *** ترنو حناناً وتبتسم
وكل غاد له نصيب *** من مائل البارد الشيم
يا نهر، رويت كل ظامي *** فراح ريان، إن يذق
فكن رحيمًا على أوامي *** فني فم بات يحترق!
يا نهر، لي جذوة بجنبي *** هادئة الجمر بالنهر
فإن دنا الليل برحت بي *** وساكن الليل كم آثار?
وقفت حران في ازائك *** فهل ترى منك مسعد؟

(١) (١٨٩٨ - ١٩٥٣) ولد لأسرة مصرية مثقفة، واصل دراسته حتى تخرج من كلية الطب سنة ١٩٢٣ ثم شغل وظيفة طبيب في عدة مستشفيات حتى وصل إلى رئيس القسم الطبي بوزارة الأوقاف، بدأ يعرض الشعر منذ حادثة سنه، وكان لوالده أثر كبير في توجيهه إلى الأدب، كما أعجب في نشأته بخليل مطران وتأثر به في شعره، وفتحت له معرفته التامة باللغتين الإنجليزية والفرنسية سبيل الاتصال بالأداب الغربية وخاصة أداب الرومانسيين، كما شملت قراءاته أداب الرمزيين، وقد انضم ناجي إلى جماعة أبوابو سنة ١٩٣٢م واختار وكيلًا لها، وساهم في إصدار مجلتها ونشر فيها أشعاره وأبحاثه ثم أنشأ (رابطة الأدباء) عام ١٩٤٤م ثم رابطة (الأدب الحديث) عام ١٩٥٣م.
(محجوب محمد آدم، نصوص من الأدب الحديث، مرجع سابق، ص ٩٣).

وددت ألقى بها لمائل *** لعلها فيك تبرد
 عالج لظاها، فإن سكن *** فرحة منك لا تحد
 وإن عصت نارها فلن قبراً لها آخر الأبد! ^(١):

ويقول عنه الدكتور أحمد هيكل ^(٢): (أما طبيعة الرجل فكانت طبيعة شديدة الشفافية، مفرطة الحساسية، فيها كثير من الانطواء الحزين والحياة المغالب، فالرجل لم يكن على حظ من طول القامة، كما لم يكن على قسط من الوسامية، وإنما كان ضئيل الجسم قصيراً، كبير الرأس، هذا مع صوت غير بين النبرات. ويقول: إن الرجل قد أحب في أول عهده بالشباب، ولكن فتاة أحلامه رفضته وهكذا تصالحت على ناجي ظروف الطبع والنشأة والبيئة ومعاملة الناس لتجعل منه (رومانتيكاً) بكل ما في هذه الكلمة من دلالات الحزن والانطواء والوجود والهياق والهروب والتمرد والتعلق بالطبيعة والتشبث بالحب).

الشعر الذاتي يعبر عن خلجان الشاعر ومشاعره وإن الطبيعة تتجلّى فيها العواطف الجياشة بما تمتاز به من جمال حيث يقول شوقي في ذلك في وصف الربيع:

آزار أقبل، قم بنا يا صاح *** حِّ الربع حديقة الأرواح
 وأجمع ندامى الظرف تحت لوائه *** فالصنفو ليس على المدى يمتاح
 والشاعر في المطلع السابق يدعو إلى الاستمتاع بجو الربع وأن وقته يمتاز
 بجو طلق ومرح ويوافق شوقي الوصف فيقول:

ملك البنات فكل أرض داره *** تلقاء بالأعراض والأفراح
 منشورة أعلامه من أحمر *** قان وأبيض في الربى لماح
 لبست لمقدمه الخمائل وشيها *** وفرض في كنف له وجناح
 يغشى المنازل من لواحظ نرجس *** أنا، وأنا من ثغور أفاح
 ورؤوس "منثور" خفطن لعزم *** تيجانهن عواطر الأرواح

(١) إبراهيم ناجي، وراء الغمام، مطبعة التعاون، ١٩٣٤م، ص ٨٤.

(٢) أحمد هيكل، دراسات أدبية، ص ١٦٥-١٦٦.

الورد في سرر الغصون مفتح *** متقابل يثني على الفتاح
ضاحي المواكب في الرياض مميز *** دون الزهور بشوكة وسلح
مر النسيم بصفحتيه مقبلًا *** مر الشفاه على خدود ملاح
هتك الردى من حسنه وبهائه *** بالليل ما نسجت يد الإصباح
بنيل مصرعه، وكل زائل *** أن الحياة كغدوة ورواح

ويما له من وصف بديع لشاعر مبدع فكانت تلك لوحة غناء بكل ما تحمل
هذه الكلمة من معنى حيث الخمائل والزهور والورود والنسيم والرياض فشاعرنا
عكس الطبيعة في الربيع بأبدع ما يكون.

ويواصل شوقي فيقول:

ويقائق النسرين في أغصانها *** كالدر ركب في صدور رماح
والياسمين لطيفه ونقىه *** كسريرة المتنزه المسماح
متألق خل الغصون كأنه *** في بلجة الأقنان ضوء صباح
والجلnar دم على أوراقه *** قاني الحروف كخاتم السفاح
وكان محزون البنفسج ثاكل *** يلقى القضاء بخشية وصلاح
وعلى الخواطر رقة وكآبة *** كخواطر الشعرا في الأتراح
والسرور في الحبر السوابع كاشف *** عن ساقه كمليحة مفراح

ويواصل شوقي في وصفه جمال الطبيعة في فصل الربيع حيث المياه
بالأودية وأشعة الشمس الساطعة فيقول:

والماء بالوادي يُحال مسارياً *** من زئق أو ملقيات صفاح
بعثت له شمس النهار أشعة *** انت حلّى النيلوفر السباح
يزهو على ورق الغصون نثيرها *** زهو الجواهر في بطون الراح
وجرت سواق كالنواذب في القرى *** رعن الشجى بائنة ونواح
الشاكيات وما عرفن صباية *** والباكيات بمدح سحاح

من كل بادية الضلوع غليلة *** والماء في أحشائها ملواح
 تبكي إذا ونيت وتضحك إن هفت *** كالعيش بين تنשط ورزاح
 هي في السلسل والغلول وجارها *** أعمى بنوء بنيره الفداح

وفي ديوانه الأول (أغاني الكوخ) يقول محمود حسن إسماعيل وهو من شعراء (أبولو):

يا نغمة في المسا طارت مولهه *** صبري تدفق من ناي الدوالib!
 كأنها خفضة من قلب محضر *** يشدو بها العمر في لھf وتكريب
 ماذا ش JACK فرتلت الأسى نغماً *** ورحت نواحة بين المطاريب?
 النور حين دوى في الحقل ناضرة *** ولمم الضوء من تلك المحاريب?
 ونام في حضن زنجي قد اتشحت *** متونه بدجى كالهم غريب
 أم نعية صرفت من جوف كافرة *** بالنور تدعوه له دوماً بتغريب?
 ما تلك إلا صدى البأساء تنفسه *** أنا لكل طليح النفس مغلوب
 أم ضلة غمرت أجفان مضطهد *** محرق بلھib السوط مغلوب^(١)

و واضح التعبير الذي لدى الشاعر والجو النفسي الغالب على القصيدة ويرسم صورة مركبة لوصف المساء، والأبيات تحوي تشبيهات والقصيدة في مجملها بها كآبة مسيطرة واستخدام الشاعر معجماً من الدلالات النفسية المهمومة. والمازني في قصيده (الدار المهجورة)^(٢) يتحدث عن الديار التي هجرها أهلها حيث يصف الجو النفسي والأسى والمفارقة الأليمة حيث يقول:

(١) ويكمel الشاعر قصيده بقوله:

ما الناس إلا أسرى قوة خفيت *** تسوقهم لردى في الغيب مكتوب!
 أم شاعر غرّه في دهره أمل *** فعاد لهفان من بأس وتخبيب
 يسري من الشجو مخطوفاً بلوعته *** كشارد من طيوف الحلم منهوب
 ويرمق النور لا يأسى لفرقته *** ولا بهيم بطيف نته مكذوب
 فنوره ومضة للروح خاطفة *** تناسب ل Maher من جفن محظوب

(٢) العقاد، المازني، الديوان، ص ٢٩.

إيه	يا	مهد	مسرات	الصبا
عجاً،		أصبحت	قبراً	عجا!
حملًا	عن	هاجرتك		الوصبا
كنت	فهو	فقد	صرت	وما
أنت	إلا	طيف	أيام	عذاب
أوصدوا	الأبواب	بالله		ولا
تدعوا	العين	ترى	فعل	البلى
وامنعوا	الهوى	دار	أن	تبذلا
إن	لدار	علينا		ذمما
وقيح	خونها	بعد		الخراب

ولإبراهيم ناجي^(١) في وصف (الدار) أبيات وجداً نية مرهفة فيقول:

ركني الحاني ومحناني الشقيق *** وظلال الخلد للعاني الطليح
 علم الله لقد طال الطريق *** وأنا جئتكم كما استريح
 وعلى بابك ألقى جعبتي *** كغريب آب من وادي المحن
 فيك كف الله عن غربتي *** ورسا رحلني على أرض الوطن
 وطني أنت ولكنني طريد *** أبدى النفي في عالم بؤسي
 فإذا عدت، فلنحوى أعود *** ثم أمضي، بعدهما أفرغ كأسى!

ولشوفي موهبة عظيمة في الشعر سواءً كان شعراً موضوعياً يعبر فيه عن القضايا السياسية والاجتماعية وموضوعات التاريخ مثل (عنترة) و(مجنون ليلي) وبهذه القصائد يعبر شوفي عن عواطف شخصياته المسرحية وأزماتها وفواجعها، وله مرتبة قالها على المجنون وهو يقف على قبر ليلي فيقول:

(١) إبراهيم ناجي، وراء الغمام، مرجع سابق، ص ٢٥.

عرفت القبور بعرف الرياح *** ودلّ على نفسه الموضع
 كثلكي تلمس قبر ابنها *** إلى القبر من نفسها تدمع
 هداها خيال ابنها فاهتدت *** وليلي الخيال الذي اتبع
 فجعنا بليلي، ولم نك نحسب يا قلب أنا بها نفع

أعیني، هذا مكان البكاء *** وهذا مسيلك يا أدمع
 هنا جسم ليلي، هنا رسمها *** هنا رمقي في الثرى المودع
 هنا فم ليلي الزكي الضحوك *** يكاد وراء البلى يلمع!
 هنا سحر جفن عفاه التراب *** وكان الرقى فيه لا تنفع
 هنا من شبابي كتاب طواه *** وليس بناشره البلقع^(١)

وفي الأبيات السابقة واضح النبض الوجданی في لوعة الإحساس بالفقد ومرارة الشعور بالضياع فجاء التعبير صادقاً يجمع بين ما يحسه التاكل من أسى وما قد يفكر فيه أمام الحياة والموت.

و كذلك للشاعر السوري خليل مردم شعر وطني به ذاتية ووجدانية واضحة

متراوح بين الحدة والحزن ففي قصidته (ذكرى الشهداء)^(٢) يقول:

هل تذكرون، وما بالعهد من قدم *** يوماً أراكم ضحاه طالعاً نكدا
 يوماً تجدد ذكراه أسى وجوى *** وتقرح القلب والعينين والكبدما
 على الوجوه علامات الأسى ارتسمت *** وفي القلوب سعير البث قد وقدا
 ترى الكآبة ممدوداً سرادقها *** وغيمها بسماء الشام منعقدا
 في الغوطتين إذا ما نسمة ظهرت *** أنت كما أن محزون إذا جهدا

(١) ويواصل شوقي فيقول:

هنا الحادثات، هنا الأمل الحلو *** يا ليل والألم الممتع
 طريد المقادير، هل من يجيرك *** منها سوي الموت، أو يمنع؟
 تزل الحياة لسلطانها *** وللموت سلطانها يخضع
 طريد الحياة، ألا تستقر *** ألا تستريح ألا تهجر؟
 بلى، قد بلغت إلى مفزع *** وهذا التراب هو المفزع!

(٢) الديوان، العقاد والمازني، مرجع سابق، ص. ١١٠.

كأنما الدوح إن مال النسيم به *** ثواكل نشرت أشعارها كمدا^(١)
ويواصل الشاعر خليل مردم تجلياته الوجданية تحفظ حيث يقول في قصيده
(المحزون)^(٢):

أعن اللهم من صورته من حزن
ألف الحزن فلو فارقه الحزن بكاه
وجفا اللهو فلو واصله اللهو شakah
نفسه ليس لها غير الأسى من سكن
الأسى في مقلتيه قد محا كل ضياء
جاعلاً في مسمعيه كل صوت كالبكاء
إن ما يبصر أو يسمع داعي الشجن
درج الطفل إليه ضاحكاً مستبشرًا
ناشراً كلتا يديه كالمصلى ببرا

(١) ويستمر شاعرنا في ذكره للشهداء:

كأنما الطل والأوراق ترسله *** دمع تحدى من آماقها بدوا
ناحت على بردى الأطياف فانفجرت *** بعد النضوب عيون الدمع من بردى
كأن تهداره في كل منحدر *** نشيج باك يعاني الهم محشدا
فلو تراهم على الأعواد ماثلة *** أجسامهم لفقدان الصبر والجدا
تواجه الشمس منهم أوجهاً نصرت *** كالماس في الشمس للاءً إذا اتقدا

(٢) الديوان، العقاد والمازني، مرجع سابق، ص ٣٩، ويواصل الشاعر في قصيده:

أو كطير هم بالأسفاف من عن غصن
ضمه المحزون، لا يملك رد العبرات
ذكرأ يوماً وإن طال التراخي فهو آت
تصدع الشمل به جورأ صروف الزحف
لو تراه والتي هام بها عند التلاقى
خلته يلفظ روحأ بلغت منه التراقي
غمض العينين للغصة، لا للوشن
قال: لا آسى إذا لاقت يوماً مصرعي
إنما أخسى على حبي أن يُودي معي
فاحفظ اللهم هذا الحب، وأحرس وصن

ويواصل خليل مردم إشرافاته ففي قصيده بعنوان (الشاعر) التي يصور فيها الشاعر بأنه قضى الروح طاهر الوجدان ملئاع الضمير لما تمر به الحياة من مآس ومحن وإحن وفي هذه القصيدة يستخدم نظام المقطوعة ويكثر من الألفاظ الدالة على المشاعر والعواطف، ويصور الشاعر بأنه متصل الأسباب بالسماء فيقول^(١):

هبط عليه الوحي
من سماوات الخيال، في الظلم
وأضاءت جانبيه
ربه السحر الحال، في الكلام
حر يبكي، وله لما تجلت صعقات
قد وعى سر الوجود
ومعاني عدم، في غشيته
قصيد فروي بيت
من عيون الحكم، في صحوته

(١) العقاد والمازني، الديوان، ص ٣٧ واختتم الشاعر قصيده بقوله:

للسماء	يرنو	ظل
فيقول:	الشفق	واحمرار
الشهداء	نجع	ذا
يزول	في الأفق	شاهد
العبارات	السحب	فطليهم
ثكلى	الريح	نسمات
أساها	تنتحب في	لا
ليلًا	البرق	ووميض
حشاها	تلتهب، في	جمرة
أو	جنبها شديد	فؤاد بين
فالقلاب	الرعد	هزم
فاعطفوا	البائسينا، صرخ	ذا
وطلا	الليل	ونجي
وهو	الظالمينا، عسف	فارأفوا
وانكشف يا ليل، إن الرعد أمسى	صرخات	

نظمته زفات، قطعته شهقات
 هتك ناظريه عن الحجب مسدلات
 فجري أصغريه عن غير ما في الكتب من سطور
 صور علوية مثلها بالكلمات

ومن الشعراء الوجدانيين نجد الشاعر السوري خير الدين الزركلي وشعره في الطبيعة متذذاً من مشاهدتها رموزاً يدير حولها قصائد الذاتية ففي قصيده (لم تف يا قمر) يرسم فيها فواجع الحياة ومتناقضاتها ويخاطب القمر في ذلك باعتباره رمز الطبيعة وهذه الصور تدور حول معانٍ عدّة من الرثا والفرقة والاغتراب والفقر والكآبة والشقاء حيث يقول:

أرأيت	تألهة	على	أتراها
فتانة	بسفورها		وحجابها
خلابة	بدلالها		وعتابها
غلابة	بحديثها		وخطاها
ذهب	الزمان بمالها		وشبابها
وتفردت	بأنينها		ومصابها
ناجتك	شاكية تصاريف		القدر
وظلت	تضحك في سمائك يا قمر!		
أرأيت	مسارع الأقلام		
مترسلاً	أو مستجاد نظام		
حتى	رماه من الفوادح رامي		
نهدت	إليه قوارع الآلام		
فبكى	موعداً اليراع بسلام		

عهد النبوغ وصوغ آيات العبر
ونعمت تؤنسك الكواكب يا قمر!
أشهدت في غسق الظلام غريباً^(١)

ويقول عبدالقادر القط^(٢): (ولعلنا نلاحظ أن الشاعر، إلى جانب اعتماده على تتابع القوافي وتتنغيّمها، يستعين ببعض الصيغ الموقعة المتماثلة في الاستيقاق، في بدايات بعض أشطاره ليزيد من وضوح الإيقاع وحدة الشعور كقوله "فتانة بسفورها، خلابة بدلالها، غالبة بحديتها، ومروع ضل السبيل، ومودع مستسلم").

(١) الدكتور سامي الدهان، الشعراء الأعلام في سوريا، ١٩٦٨م، ص ١٧٢ ويواصل قصيدته فيقول:

ملأ	الفضاء	تجمعاً	ونحيباً
نادي	أحبته	وعاش	كتيبة
قلق	الجنان	على	غضوبها
الشوق	حشا	في	لهيباً
والدمع	يجري	يذكي	حبيباً
يرعاك	مقاتيه	مضطرب	وال الفكر
وتتباه	الجوانح	في خيلاء	كبرك يا قمر
أسمع	أنات	الجريح	ممداً
بطوي	مسوها	لا يقر	الليلي
لا	الردى	ولا	العيش طاب له
يمسي	انتهاداً	ويصبح	شكياً
ضعف	تجلاً	فما يطيق	قواه
وتعاصت	الزفرات	أن	تنتصعاً
غض	الجفون	وقال:	حسبك يا غير
وسهرت	ترسم	للكوارث	يا قمر!
أرعاك	شكا	ألم	مبتس
ومروع	السبيل	وما	غوى
ومتوج	الجباه	له	هوى
عن	عرشه	لا الملك	دام ولا القوى
ومodus	لتهوى	مستسلم	النوى
ومعدن	بغرامه	بادي	الجوى
وقسوت	هل قدت	صلووك	من حجر
لم تحتجب	لم ترث	لم تف	يا قمراً

(٢) عبدالقادر القط، الاتجاه الوجданى في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ٨٥.

وفي لبنان نقف مع الشاعر وديع عقل وله قصيدة بعنوان (أباكر روضى يا ثريا)^(١) نظمها عام ١٩١٠ حيث يقول:

أباكر روضى يا ثريا فلا أرى *** هزارى صداحاً على فن البان
وادعوه ملداعاً وليس يجيبنى *** وكنت متى ادعوه بالأمس لباني
ولما سالت البان عنه تلاطمت *** أما لبده، تحكى جوانح ثكلان
وهبت أعاصر على الروض كسرت *** من الروح أغصاناً هوت فوق أغصان
نوع أنت تتعي هزارى، ولم تقل *** قضى نحبه بل قلن مال إلى ثان
لقد لاذ بي فرحاً صغيراً مروعاً *** فربيته في ظل حبي وإحسانى
إذا جاء أقريه فؤادي، وإن أتى *** على ظمأ، أسلقه من بين أجفانى
توليته لا ريش فيه عندما *** نما جناحاه فرّ مني وخلاطي

ولإبراهيم ناجي قصيدة وجدانية بعنوان (الحنين)^(٢) حيث يقول:

أمسى يعذبني ويضئني *** شوق طغى طغيان مجنون
أين الشفاء ولم يعد بيدي *** إلا أضاليل تداويني!
أبغى الهدوء، ولا هدوء، وفي *** صدرى عباب غير مأمون
يهتاج إن لجّ الحنين به *** وين فيه أنين مطعون
ويظل يضرب في أضالعه *** وكأنها قضايان مسجون
ويوح الحنين! وما يجرعني *** من مرّه وبيت يسكنيني!
ربيته طفلاً بذلت له *** ما شاء من خفض ومن لين
فالليوم، لما اشتد ساعده *** وربا كنوار البساتين
لم يرض غير شببتي ودمي *** زادأ يعيش به ويفنيني!
كم ليلة ليلاء لازمني *** لا يرتضي خلاً له دوني
ألفى له همساً يخاطبني *** وأرى له ظلاً يماشيني

(١) الديوان، العقاد والمازني، مرجع سابق، ص ١٤.

(٢) إبراهيم عبد القادر المازني، وراء الغمام، مرجع سابق، ص ٢٧.

متنفساً لهاً يهب على *** وجهي
 البراكين كأنفاس ***
 ويضمنا الليل العظيم، وما *** كالليل مأوى
 للمساكين!
 الشاعر بشاره الحوزي (**الأخطل الصغير**) هو شاعر وجداً حسي في قصيده العاطفية (**أين عيناك**)^(١) فقد نظمها عام ١٩١٢م وفيها يقول:
 أيها الغائب الذي في فؤادي *** حاضر كيف حال قلبك بعدي؟
 أين عيناك، تنظران وكفى *** فوق قلبي ومدمعي فوق خدي
 هائماً في الظلم يذع حر الوجد جلي
 قلبي ويلذع البرد جلي
 شبح طائف كسته يد الليل مسود
 بيد أني لو شئت ما اعترف الليل بوجدي
 ولما هزّ صفع نعلي للأرض *** سكون الظلم، إذ جد جدي
 ولما استلني الشقا حساماً *** في نهاري وصير الليل غمدي
 ولما حير الكواكب مني *** زفات كشهبها ذات وقد
 همست نجمة بإذن أخيها *** همس ثغر الندى بسمع ورد
 ما ترى أخي شخصاً على الغبراء *** يمشي، لكن على غير قصد؟
 مثل قابيل بعد قتل أخيه *** يقطع الأرض بين رهو ووخد
 خافق القلب كالآثيم على النطع *** يرى الموت لاماً في الفرنز
 لهف نفسي! فقلبه مثل قلبي *** يتلذى وسده مثل سهدي
 أي شيء الناس هذا؟ أفيه *** لك قبلًا أخي سابق عهد!
 حفظ الله قلب أخي من الحب *** فهذا الحب أصغر عبد!

واضح في شعر بشاره الخوري ميله وسعيه إلى الطرافه في قصيده السابقة ولا يخلو أسلوبه من الصنعة والتکليف والمبالغه ويستعمل صوراً متعددة وكل هذه المحاور التي اشتملها شعر (**الأخطل الصغير**) تعتبر تجديداً وابتكاراً حافزاً لشعراء الوجدان وفي القصيدة أيضاً مزاوجة بين مشاهد الطبيعة.

^(١) الهوى والشباب، ص ٣٧.

ويواصل بشاره الخوري ادعاته في قصيده التي بعنوان (هند وأمها)^(١) حيث يكثر فيها من المجازات والتشبيهات حيث يجاري في ذلك الشعر العربي القديم حيث يقول:

أنت هند تشو إلـي أمـها *** فسبـان من جـمع النـيرين!
 فـقالـت لـهـا: إنـهـا الضـحـى *** أـتـاني وـقـلـنـي قـبـلتـين
 وـفـرـ، فـلـمـ رـآنـي الدـجـى *** حـبـانـي من شـعـره خـصلـتـين
 وـمـا خـافـ يـا أـمـ، بل ضـمـنـي *** وـأـلـقـى عـلـى مـسـمـعـي نـجـمـتـين
 وـذـوبـ من لـونـه سـائـلاً *** وـكـحـنـي مـنـهـ في المـقـلـتـين
 ولـلـأـخـطـلـ الصـغـيرـ قـصـائـدـ وجـدانـيةـ تـتـحدـثـ عنـ الـذـكـرـيـاتـ وـالـحنـينـ وـالـطـبـيـعـةـ
 ومـثـالـ ذـلـكـ قـصـيـدـتـهـ التـيـ بـعـنـوانـ (كـيـفـ أـنـسـىـ)^(٢) نـظـمـهـاـ عـامـ ١٩١٤ـ حـيـثـ يـقـولـ:

كـيـفـ أـنـسـاكـ يـاـ خـيـالـاتـ أـمـسـيـ؟
 ذـكـرـيـاتـ نـفـسـيـ وـأـحـلـامـ الصـباـ
 كـيـفـ أـنـسـىـ أـيـامـ صـفـوـاـ وـأـنـسـاـ؟
 كـيـفـ أـنـسـىـ...
 مـيـ السـنـينـاـ هـلاـ ذـكـرـتـ تـلـكـ
 يـأـبـيـ تـذـكـرـيـنـاـ!ـ أـنـتـ...ـ كـيـفـ لـاـ
 كـمـ وـقـدـسـاـ نـشـقـاـ تـقـىـ هـنـاكـ
 كـيـفـ أـنـسـىـ?
 أـفـلاـ تـذـكـرـيـنـ ذـاـكـ
 وـالـأـفـانـيـنـ حـولـهـ
 وـالـسـنـونـوـ يـحـدـثـ المـاءـ هـمـسـاـ؟ـ
 كـيـفـ أـنـسـىـ?
 أـفـلاـ تـذـكـرـيـنـ عـنـ المـغـيـبـ

(١) الهوى والشباب، ص ٤٧.

(٢) الهوى والشباب، ص ٥٠.

يُوْمَ وَافَتْ غَرِيبَ سَلْمَى كَطِيرَ فَأَرْتَنَا إِذَا غَابَ الشَّمْسُ، شَمْسًا كَيْفَ أَنْسِي؟

يُوْمَ كَنَا فِي الْحَقْلِ نَمَرْ زَهْوَا وَسُلْيَمَى مَعْنَا وَهَنْدَ وَسْلُوْيَ وَغَرْسَا قَطْفَا النَّهَارَ فَصَرَفَنَا كَيْفَ أَنْسِي؟^(١)

ويقول عبدالقادر القط^(٢): (على أن هذه المحاولات المختلفة للتجديد لم تستطع أن تعطي على النزعة التقليدية الموضوعية التي غلت على شعر كبار الشعراء من كانوا امتداداً وتطوراً لحركة الإحياء، وظل أعلام الشعراء يواكبون أحداث السياسة والمجتمع والحياة اليومية بأسلوب فيه (الفحولة) المعهودة في شعر

(١) ويواصل الأخطل الصغير في وجدياته فيقول:

كَيْفَ أَنْسِي، وَقَدْ كَبَرْنَا قَلِيلًا
وَذَكَرْنَا مَا كَانَ ذَكْرًا جَمِيلًا
وَعَرَفْنَا الدُّنْيَا نَعِيْمًا وَبُؤْسًا
كَيْفَ أَنْسِي؟

لَسْتُ أَنْسِي مَا عَشْتُ يَوْمَ الْفَرَاقِ
وَجَرَاحًا جَمِراً بَتَائِكَ المَآقِي
وَبَكَاهَا وَقُولَهَا تَنْسِي
كَيْفَ أَنْسِي؟

مِنْ ذَاكَ إِلَى مَعْدِي الْزَّمَانَا
وَمَعِيدِ إِلَى سَلْمَى الْآنَا
لَتَرِي أَنَا - وَقَدْ مَتْ يَأسَا
لَسْتُ أَنْسِي!

(٢) عبدالقادر القط، الاتجاه الوج다كي في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٢.

كبار الشعراء لكن تقصصه تلك اللمسات الذاتية التي كانت قد بدأت عند البارودي ثم نقص عنها الشعراء المجددون بعد ذلك، مكتفين من التجديد ببعض اليسر في المعجم والأسلوب وبعض الحداثة في الصور.

وقد قام شوقي بدوره في هذا المجال فرقت أساليبه وأصبحت لغته أكثر قرباً من لغة العصر وخفت إلى حد ما حدة الإيقاع في شعره، واستطاع في كثير من الأحيان أن يأتي بصورة وأحيلة مستمدة من حياة العصر ومظاهرها المادية والروحية. من التجديد في تلك الجوانب ما يمثل كل ما طرأ على الحياة كلها من تحول كبير كان يقتضي تجديداً أبعد مدى من هذا بكثير).

الفصل الثاني

مفهوم الرومانسيّة عند النقاد العرب في العصر الحديث

وفي هذه المقدمة:

المبحث الأول: معنى ومفهوم الرومانسيّة.

المبحث الثاني: نموذج لشعر الرومانسي

المبحث الأول

معنى ومفهوم الرومانسية

يرى الباحث أنه لابد للتطرق للشعر الرومانتيكي التي تكتمل صورة البحث وتتضح الرؤية وفروقاتها بين الشعر الوجданى والرومانتيكي.

ويقول نبيل راغب^(١) عن الأدب: (... الأدب مهما اختلفت مذاهبه وتعارضت وتناقضت فإن جوهره واحد فهو تجسيد للكيان الروحي للإنسان وبلوره له بحيث يمكنه التعرف على ذاته بطريقة صحيحة وأسلوب موضوعي...).

أما عن تعريف الرومانسية أو الرومانستيكية أو الرومانطيقية كلمات ثلاث يؤدّين معنى واحداً وينصرف إلى ذلك المذهب الأدبي الذي أخذ يظهر في أوروبا بعد قرن ونصف من ظهور الكلاسيكية.

ويقول نبيل راغب^(٢): (يرجع أصل كلمة الرومانسية إلى الكلمة الفرنسية "رومانس" ومعناها قصة أو رواية سواء كانت واقعية أو خيالية).

ويمضي نبيل راغب^(٣) بعد شرحه لكتمة الرومانسية فيدلّف بنا في تفصيل أكثر فيقول: (... وبالرغم من التحديدات السابقة لمفهوم الرومانسية إلا أنه من الصعب إيجاد تعريف شامل لها يرتبط بفترة تاريخية معينة أو منطقة جغرافية محددة فهي تحتوي على كل تيارات الفكر الإنساني التي سادت أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر).

ويواصل نبيل راغب^(٤) مسهاماً في الشعر الرومانتيكي فيقول: (...فالمضمون الرومانسي يحتوي على الوصف العاشق لجمال المناظر الطبيعية والعودة إلى عصور الفروسية والتغنى بالماضي المجيد للوطن وتقدير الفرد كإنسان له كيانه

(١) نبيل راغب، المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العينية، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ص.٧.

(٢) المرجع السابق، ص.١٨.

(٣) المرجع السابق، ص.١٩.

(٤) المرجع السابق، ص.١٩-٢٠.

الذي يجب أن يحترم، وتأييد الفرد في ثورته ضد المجتمع، ودراسة الفنون المحلية والشعبية واستخراج الخصائص القومية والترااث الوطني منها).

وبعد توضيح معنى الرومانسية وشرحها ينتقل نبيل راغب^(١) إلى وصف خصائص الرومانسية فيقول: (ولكن أهم خصائص الرومانسية هي الذاتية أو الفردية غالباً ما تجد البطل الرومانسي دائراً داخل ذاته المغلقة عليه سواءً كان مطحوناً تحت وطأة الحزن والكآبة والملل أو ثائراً عنيفاً ضد ركود المجتمع).

ويجدر بنا أن نطلع على الرومانسية الأوروبية وفي ذلك يقول نبيل راغب^(٢): (ترجع الرومانسية الإنجليزية إلى عام ١٧١١م عندما كتب شافستيري كتابه "الأخلاقيات" ثم تبعه (جيمس تومسون) في كتابه "الفصول الأربع" عام ١٧٣٠م ثم يأتي ديوان الشاعر الإنجليزي إدوارد تانج المسمى "خواطر المساء" عام ١٧٤٤م والذي يشمل الكثير من صور الكآبة والليل والظلم والقبور والعودة إلى أطياف العصور الوسطى).

وعن فترة النضج للرومانسية الإنجليزية يقول نبيل راغب^(٣): (ولكن الرومانسية الإنجليزية بدأت مرحلة النضوج بأشعار توماس جراي ووليام بليك وبلغت قمتها في أشعار ورد زورث وشيلي وكيس وبایرون).

وينتقل نبيل راغب^(٤) ويصف لنا الرومانسية الألمانية (وتميزت ألمانيا بظاهرة أدبية غريبة لم تتفرد بها أية دولة أوروبية أخرى. فلم يحدث صراع بين الرومانسية الوافدة من إنجلترا والكلاسيكية الراسخة في ألمانيا بل قام تعامل سلمي بين الاتجاهين حيث كان هناك من الجمهور من يعجب بالاتجاهين في آن واحد ويجد لكل منهما مذاقه الخاص وشخصيته المتفردة. فقد ترجمت أشعار "تومسون" و"جراي" و"بليك" و"كولريدج" وقوبلت بترحاب شديد مما أدى إلى تأثر الشعراء الألمان وبدء الرومانسية الألمانية بديوان "الكوناك والأفلان" الذي ألفه شعراء

(١) نبيل راغب، المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العينية، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٢.

مدرسة "جوتجن" عام ١٧٧٢م وفي العام التالي ألف "جيته" روايته الرومانسية المشهورة "آلام فيرتر" وجاء "شيلي" بروايته "روبيير" التي كتبها عام ١٧٨٢م ولم يطلق هؤلاء الكتاب لفظ الرومانسية على أدبهم حتى عام ١٧٩٨م عندما جاء الناقد "شليجل" وبدأ يقارن بين الرومانسية والكلاسيكية ويبرز أوجه التناقض بين الاتجاهين).

أما الرومانسية الفرنسية فيوضح لنا نبيل راغب^(١) عنها ما يلي: (يعد جان جاك روسو - رائد الرومانسية الفرنسية دون منازع، وربما يوجد من سبقه من الكتاب الفرنسيين الذين نادوا ببعض الآراء التي وردت في كتاباته فيما بعد. ولكن أسلوبه المتسبق في التفكير وطريقة حياته ومناخ عصره، كل هذه العوامل اتحدت لكي تمنح لأعماله نفوذاً لا يبارى وتأثيراً لا يمكن لكتاب الذين أنوأوا من بعده أن يهربوا منه، لدرجة أنه يمكننا القول بأن إنجازات "شانتوبريان" ومدام "دي ستال" في عالم الأدب لم تكن بكافية حتى تمنح الدفعـة القوية التي تؤثر في مجرى التراث الأدبي وتشكل حركة جديدة.

ولعل العشرينيات في القرن التاسع عشر كانت بمثابة الحرب الضروس بين الرومانسية والكلاسيكية وهي الفترة التي شهدت أول عرض لمسرحية "هيرناني" "فيكتور هوجو".

كانت ليلة العرض الأولى بمثابة افتتاح العصر الرومانسي في فرنسا لدرجة أن الجمهور هجم على المنصة وحمل الممثلين والمؤلف على الأعنق خارج المسرح وهم بين هتف وبكاء وبعدها لم تهدأ الحرب بين الرومانسية والكلاسيكية وهي ظاهرة لم يشهدها أي بلد أوربي آخر وخاصة ألمانيا التي تمكنت من استيعاب الاتجاهين في آن واحد.

ورغم أن المسرح الفرنسي كان ميدان المعركة إلا أن المسرحيات الرومانسية الفرنسية لم يكتب لها البقاء كإحدى روائع الأدب الإنساني إذا أخذنا مسرحيات "فيكتور هوجو" على سبيل المثال فسنجد أن الدارسين أصبحوا مهتمين

(١) نبيل راغب، المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العينية، مرجع سابق، ص ٢٣-٤٠.

فقط ببعض مقتطفات شعرية منها لا أكثر، وذلك على سبيل دراسة الشعر الفرنسي في القرن التاسع عشر لأنها مسرحيات لا تحتوي على مقومات المسرح من شخصيات حية وبناء صلب وشعر درامي بل كانت مجرد قصائد رومانسية.

أما الرواية الرومانسية الفرنسية فقد تأثرت كثيراً بروايات "السير" وولتر سكوت" عندما ترجمت إلى الفرنسية فقد أعجب الروائيون الفرنسيون بروح الفروسيّة والإقدام والتضحية التي تميزت بها شخصيات "سكوت" ولكن الرواية الرومانسية لم تحرز نجاحاً كبيراً وبذلك تكون الرومانسية قد تبلورت في الشعر أساساً).

ويواصل نبيل راغب^(١) تفصيله للرومانسية الأوروبية فعن الإيطالية يقول: (لم تشهد إيطاليا نفس الحركة الرومانسية المعاصرة في أواخر القرن الثامن عشر رغم أن أساطيرها وقصصها الخيالية وأحداثها التاريخية القديمة كانت زاداً لخيال الكتاب بطول أوربا وعرضها وعلى رأسهم "شكسبير" الذي استنقى معظم مسرحياته الرومانسية من "البندقية" و"قيرونا" و"فلورنسا" بل أنه لم يعبأ بتغيير أسماء شخصياته التي أطلق عليها نفس الأسماء الحقيقة للأبطال الذين عاشوا فعلاً مثل "روميو" و"جولييت" مثلاً وعلى الرغم من هذا التأثير الذي مارسته إيطاليا على الحركة الرومانسية فإننا لا نستطيع أن نقول أن هناك حركة رومانسية إيطالية شبه مثيلاتها في الدول الأوروبية الأخرى ومع ذلك فقد كانت هناك بعض التأثيرات التي بدأت حوالي عام ١٨١٥م بعد سقوط إمبراطورية نابليون ولكن هناك ظاهرة غريبة في إيطاليا وهي ارتباط الأدب بالسياسة في ذلك الوقت بحيث دخلت الاصطلاحات السياسية ميدان الأدب والعكس فمثلاً أصبح اصطلاح "روماني" في الأدب يعني "لبيراليا" في السياسة وهكذا).

وينقل لنا نبيل راغب^(٢) مشهد الرومانسية الأسبانية فيقول: (أما في إسبانيا فقد تأخرت الحركة الرومانسية كثيراً ولم تستطع أن تشكل تياراً جديداً في الأدب الأسباني لأن الكلاسيكية المحافظة كانت راسخة إلى حد كبير في التراث الأدبي

(١) نبيل راغب، المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العينية، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤-٢٥.

وفي الذوق العام على حد سواء ولذلك وصل المد الروماني ضعيفاً ومنهاكاً عند حدود الشواطئ الأسبانية وليس هناك ما يقال عن الرومانية الأسبانية أكثر من هذا).

أما محمد مندور^(١) فعن لفظة الرومانية يقول: (هي مشتقة من كلمة رومانيوس (Romanus) التي أطلقت على اللغات والأدب التي تفرعت عن اللغة اللاتинية القديمة).

ويواصل محمد مندور^(٢) عن الأدب الروماني وما أحدثه في الساحة الفنية الأوربية فيقول: (وفي الحق أن الرومانية لم تكن ثورة على مصادر الاستيحاء والمحاكاة الكلاسيكية وعلى أصول تلك الكلاسيكية وقواعدها فحسب - بل كانت ثورة على كافة القيود الفنية وأصول الصنعة الأدبية حتى ليتمكن القول بأن الرومانية قد كانت حالة نفسية وتعبيرأً عن تلك الحالة أكثر من كونها مذهبأً أدبياً أهل أصولاً فنية محل أصول أخرى وذلك لأن جوهرها كان التحلل من كل الأصول والقيود من أغلالها لكي تتحرر العبرية البشرية وتنطلق على سجيتها).

وعن نشأة الرومانية وشعاراتها في أوربا ومراتها يقول محمد مندور: (وإنه وإن يكن من الحق أن روسو الذي أنفق الجانب الأكبر من حياته في سويسرا قد مهد - ككاتب فرنسي منذ القرن التاسع عشر - السبيل للرومانية بثورته على كافة القيود والأوضاع الدعوة للعودة إلى الطبيعة وإلى الحياة الفطرية إلا إن هذه الدعوة لم تنته إلى ظهور الرومانية كمذهب وما كان لها أن تنتهي إلى هذا حتى ولو أضفنا إليها المؤثرات الإنجليزية والألمانية. لو لم تتضافر ظروف الحياة في فرنسا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر لكي تخلق تلك الحالة النفسية التي صدرت عنها الرومانية وواعت حقيقتها فاستحالت إلى مذهب أدبي بل وإلى فلسفة وسلوك في الحياة).

(١) محمد مندور، الأدب ومذاهبه، الطبعة السابعة، مصر ٢٠٠٨م، ص ٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٨.

وفي كتابه (اعترافات فتى العصر) المذكور في (الأدب ومذاهبه) يقول الشاعر الروماني الكبير "ألفريد دي موسيه"^(١): (كان الأطفال يخرجون من مدارسهم فلا يرون سيفاً ولا دروعاً ولا مشاة ولا فرساناً فيتساءلون، أين إذن آباؤنا؟ ويكون الجواب إن الحرب قد انتهت وإن قيصر "نابليون" قد مات)، وإن صور "ولنجتون" و"بلوخر" قد أصبحت زينة غرف استقبال السفارات ودور القناصل، وقد كتب من تحتها إلى منقذى العالم.

(هكذا جلست على أطلال عالم مندثر شبيهة مهمومة شبيهة نبتت من قطرات الدماء الحارة التي غمرت الأرض. ولدوا في جوف الحرب للحرب وقد رنحت أحلامهم خمسة عشر عاماً ثلوج موسكو وشمس الأهرام، لم يخرجوا من قراهم، ولكن كم حدثوا أن كل باب من أبواب تلك القرى يقود إلى عاصمة من عواصم أوروبا. لقد تمثل بعقولهم عالم بأكمله، ثم هاهم ينظرون إلى الأرض والسماء والمسالك والطرق فإذا الكل صامت خال، لا يسمع فيه غير دق النواقيس تتردد أصواته في الآفاق البعيدة).

وهال الشبيبة ما أحسست من عجز وأصابها الحزن فقال شاعر^(٢) منهم: (المراء طفل يهديه الألم، لا شيء يسمو بنا قدر ما تسمو الآلام). وقال آخر^(٣): (إني أحب جلال الألم البشري).

(١) محمد مندور، الأدب ومذاهبه، مرجع سابق، ص ٥٨-٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٦١.

(٣) المرجع السابق، ص ٦١.

المبحث الثاني نموذج للشعر الرومانسي الأوروبي

وهي قصيدة ليلة أكتوبر - للشاعر الفرنسي - أفريد دي موسيه وهي تجرى على صورة حوار بين الشاعر وربة الشعر حول تجربة حقيقة عاشها الشاعر وفاسى منها آلاماً مرة في حب عائز هو حبه للكاتبة الفرنسية الشهيرة "جورج صاند" التي سافر معها إلى مدينة البندقية بإيطاليا حيث سقط الشاعر مريضاً وعاده طبيب إيطالي وقعت "جورج صاند" في حبه وهجرت الشاعر المريض. الذي عاد إلى باريس محطمًا كسير القلب وفي خلال تلك المحنة آتته ربة الشعر حيث جرى بينه وبينها الحوار التالي:

الشاعر: لقد تبدد الألم الذي أضناني كما تبدلت الأحلام حتى لتشبه ذكراه البعيدة ما يبعث الفجر من ضباب خفيف يتطاير وندى الصباح.

ربة الشعر: ما بك إذا يا شاعري؟ ما هذا الألم الخفي الذي أقصاك عنى حتى ما أزال أشقي به؟ ما هذا الألم الذي خفي عنى وإن طال ما أبكاني؟

الشاعر: كان ألمًا مبتدلاً مما يصيب الجميع ولكننا نحسب دائمًا - لنخبنا الجدير بالرحمة - إن ما يتسرب إلى قلوبنا من ألم لم يتسرب مثله إلى قلب أحد سوانا.

ربة الشعر: لا! ما في الألم من مبتذل إلا ألم نفس مبتذلة دع - عزيزي - هذا السر ينطلق من فؤادك.. افتح لي نفسك وتتكلم واتقاً من أمانتك فإن الصمت أخ للموت. وكم شكا متألم ألمه فتعزى عنه، ولكم نجي القول قائله من وخذات الضمير.

الشاعر: إذا كان لابد من الكلام عن ألمي، فوالله لا أدرى بأي اسم أسميه، أكان حباً؟ أم جنوناً؟ أم كبراء؟ أم مهنة؟ وما أدرى من سيفيد من سماعه، وأنا بعد قاص عليك نباء، وقد خلونا إلى أنفسنا في جلسنا هذه إلى جوار الموقد، خذى فيثارتك وتعالى إلى جانبي ثم أيقظي ذكرياتي بعذب نغماتك.

ربة الشعر: شاعري، أسئلتك أولاً. أشفيت حقاً من ألمك؟ وعليك أن تذكر اليوم
أنك متحدث عنه في غير جفوة ولا هوى، كما عليك أن تذكر أنني رسول
السلوى فليس لك أن تزج بي في شهوات نفسك التي أنزلت بها الخراب.
الشاعر: نعم شفيت من ألمي شفاء يحملني على الشاك في أنني ألمت يوماً ما. لا،
لا تخافي وما دام هذا وحيك نستطيع أن يثق كل منا بأخيه: ما أذب أن
نبكي وما أذب أن نبتسم كلما ذكرنا آلاماً نستطيع أن ننساها!

ربة الشعر: دعني أحنو بشفقة على قلبك وقد أغلقته دوني - حنون الأم الحنون على
أهد طفلاها الحبيب - تكلم - عزيزي - وهنا قيثارتي تتصل إلى جرس
صوتك فتصحبه بنغماتك الباكي المنهافتة: وأما أشباح الماضي، فها هي
ذى تمر في فيض من الضوء كالرؤيا المشرقة.

الشاعر: أيام جدي ما أحببت غيرك أيتها الودحة المقدسة! تباركت آيات الله أن
عدت إليك. إلى معبد أفكاري! أيتها الجدران لطالما هجوتك، وتلك
المقاعد علاها غبار الهجران، وأنت يا مصباحي الوفي.. هذا قصري،
هذا عالمي الصغير.

ربتني ربتي المقدسة تقدست رحمة الله إذ نعود فنغنـي سوياً. نعم سأفتح لك
نفسـي، سأقصـ علىـ كلـ ماـ كانـ لـتعلـميـ مـبلغـ الـأـلـمـ الـذـيـ تـسـطـيعـ أـنـ تـحدـثـهـ
أـمـرأـةـ،ـ وـأـنـتـ تـعلـمـونـ رـفـاقـ نـفـسيـ أـيـةـ اـمـرأـةـ تـلـكـ التـيـ أـذـلـتـ رـقـبـتـيـ كـمـ يـذـلـ
الـعـبـدـ سـيـدـهـ،ـ مـاـ أـبغـضـهـ مـنـ نـيرـ!ـ لـقـدـ أـضـنـانـيـ فـذـهـبـ بـقوـتـيـ وـشـبـابـيـ..ـ وـلـكـنـيـ
لـاـ أـكـذـبـ أـنـيـ لـمـحـتـ السـعـادـ إـلـىـ جـوارـهـ.

اذكر أنا كنا نسير عشية جنباً إلى جنب فوق الرمال الفضية، وأشجار
الحور تهدينا أشباحها عن بعد، فاذكر جسمها الجميل وقد تعطف بين
ذراعي والقمر يغمرنا شعاـهـ.ـ ثـمـ..ـ لـنـسـ كـلـ ذـلـكـ..ـ وـهـلـ كـنـتـ أـعـلـمـ إـلـىـ
أـينـ يـقـوـدـنـيـ القـضـاءـ؟ـ مـنـ يـدـرـيـنـاـ..ـ لـعـلـ غـضـبـ اللهـ كـانـ يـلـتـمـسـ لـهـ يـوـمـئـ
هـدـفـاـ وـإـلـاـ لـمـاـذـاـ أـنـزـلـ بـيـ مـاـ يـنـزـلـ بـالـمـجـرـمـ مـنـ عـذـابـ؟ـ!

ربة الشعر: لقد مررت بنفسك ذكريات مشرقة، فلم لا تعود إليها.. وهل من أمانة
القصص أن تذكر ما مرّ بك من أيام سعيدة؟ إذا كان القضاء قد تذكر لك

يُوماً أيها الشاب فلم لا تبتسن كما ابتسن لك من قبل عندما عمر قلبك
بالحب؟!

الشاعر: لا، لا أريد أن أبتسن لغير آلامي ربتي، قلت لك إني أريد أن أقص عليك
ـ هادئ النفس من كل حفيظة ـ ما كان لي من آمال وأحلام وهذيان،
لتعلمي متى وأين وكيف نزل بي ما نزل.

أذكر ربتي أننا في ليلة حزينة من ليالي الخريف ليلة تكاد تشبه ليالتنا هذه
وقد أخذت همسات الريح بحفيظها المطرد الممل ترتج في عقلها المضني
حالك الآلام.. وقفـتـ بالـنـافـذـةـ اـنـتـظـرـ عـودـتـهاـ وـقـدـ أـرـهـفـ مـنـيـ السـمـعـ،ـ وـإـذـاـ
بـصـيقـ شـدـيدـ يـأـخـذـ بـالـنـفـسـ وـيـنـذـرـنـيـ بـخـيـانـتـهاـ.ـ وـكـانـ الـطـرـيقـ قـاتـماـ مـوـحـشاـ
إـلاـ مـنـ بـعـضـ أـشـبـاحـ مـرـتـ وـبـيـدـهـاـ مـشـاعـلـ،ـ وـالـرـيـحـ تـهـبـ مـنـ حـينـ إـلـىـ حـينـ
بـيـابـيـ الـمـنـفـرـجـ قـلـيلـاـ فـيـصـلـ إـلـىـ نـفـسـيـ مـاـ يـشـبـهـ أـئـيـنـ الـبـشـرـ.ـ لـسـتـ أـدـريـ
عـنـدـئـذـ إـلـىـ أـيـ الـهـوـاجـسـ أـسـلـمـتـ نـفـسـيـ،ـ وـلـكـنـ عـبـثـاـ حـاـولـتـ أـنـ اـسـجـمـعـ
قـوـايـ الـمـتـخـازـلـةـ.ـ وـدـقـتـ السـاعـةـ فـسـرـتـ بـيـ رـعـدةـ قـوـيـةـ..ـ وـلـكـنـهاـ لـمـ تـعـدـ.

وـظـلـلـتـ مـحـنـيـ الرـأـسـ،ـ أـقـلـبـ الـبـصـرـ بـيـنـ الـطـرـيقـ وـجـدـرـانـ الـمـنـازـلـ آـهـ ـ
ذـلـكـ أـنـيـ لـمـ أـطـلـعـكـ عـلـىـ تـلـكـ النـارـ الـقـاسـيـةـ التـيـ أـضـرـمـتـهـاـ تـلـكـ الـمـرـأـةـ
الـلـعـوبـ بـيـنـ جـوـانـحـيـ ـ لـمـ يـكـنـ بـقـلـبـيـ حـبـ غـيرـ حـبـهاـ،ـ وـكـانـ الـمـوـتـ أـحـبـ
لـيـ مـنـ يـوـمـ لـاـ أـقـضـيـهـ إـلـىـ جـوـارـهـ!ـ وـمـعـ ذـلـكـ أـذـكـرـ أـنـيـ حـاـولـتـ بـكـلـ فـوـايـ
أـنـ أـحـطـمـ أـغـلـاـيـ،ـ فـدـعـوـتـهـاـ أـلـفـ مـرـةـ بـالـخـائـنـةـ الـحـانـثـةـ؛ـ وـأـخـذـتـ أـعـدـدـ كـلـ مـاـ
أـنـزـلـتـ بـيـ مـنـ مـحنـ..ـ وـلـكـنـ ذـكـرـيـ جـمـالـهـاـ لـسـوءـ طـالـعـيـ مـاـ كـانـ تـمـ
بـخـاطـرـيـ إـلـاـ هـدـأـتـ جـمـيعـ آـلـامـيـ وـتـبـدـدـتـ مـحـنـيـ وـطـالـ بـيـ الـانتـظـارـ حـتـىـ
مـالـ النـوـمـ بـرـأـسـيـ عـلـىـ حـافـةـ الـشـرـفـةـ.ـ ثـمـ فـتـحـتـ جـفـنـيـ عـلـىـ ضـوءـ الـقـمـرـ
الـنـاهـضـ فـطـفـاـ بـصـرـيـ الـمـبـهـورـ،ـ وـإـذـ بـوـقـعـ أـقـدـامـ..ـ وـقـعـ خـفـيفـ عـلـىـ
الـحـصـبـاءـ،ـ يـأـتـيـنـيـ مـنـ مـنـعـرـجـ الـطـرـيقـ.

يا إـلـهـيـ!ـ اللـهـمـ رـحـمـتـكـ..ـ هـيـ بـعـيـنـهاـ وـدـخـلـتـ الـغـرـفـةـ..ـ مـنـ أـينـ أـتـتـ؟ـ مـاـذاـ
فـعـلـتـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ؟ـ أـجـبـيـ مـاـذـاـ تـرـيـدـيـنـ مـنـيـ؟ـ لـمـ أـتـيـتـ فـيـ هـذـهـ السـاعـةـ؟ـ أـينـ
أـمـتـ هـذـاـ جـسـدـ الـجـمـيلـ طـوـالـ الـلـيـلـ،ـ بـيـنـمـاـ أـنـاـ بـالـشـرـفـةـ وـحـيدـ سـاـهـدـ الـجـفـنـ

باكى العين؟ في أي مكان وبأي مخدع؟ ولمن ابتسمت؟ أيتها الخائنة
الجسور !

أستطيعين بعد ذلك أن تأتيني مانحة شفتيك لقبلاتي؟ ماذا تبغين مني؟ ما
هذا الظما المخيف الذي تحاولين به جنبي إلى ذراعيك المضناتين؟ اذهبى
عني! اذهبى ما أنت الآن إلا شبح من أحببت! عودي إلى القبر الذي
نهضت منه! دعيني أنسى إلى الأبد أيام شبابي.. ويل لك أيتها المرأة
الداكنة الأعين لقد طوى حبك المشؤوم ربيع حياتي، ونصرة أيامى.
دعيني أؤمن - كلما ذكرتاك - أنتي كنت في حلم تقضى.

ربة الشعر: هدى من روعك، أصرع إليك. لقد بعثت نبراتك الرعدة في نفسي..
أيها العزيز المحبوب! يوشك جرحك أن يدمي من جديد. واحسراه! أكان
إذن بهذه العمق؟ أما لآلام الحياة أن تحت خطها إلى النسيان؟ أنس ما
كان ونح عن نفسك اسم تلك المرأة الذي لا أريد أن أفووه به!
الشاعر: ويل لك! لقد كنت أول من علمني الخيانة! وقد ذهب بعقلی الرعب
والغضب.

علمني: صوتك وابتسامتك ونظرتك الخادعة كيف أتتكر لكل سعادة ولو
لم يكن منها إلا الشبح! لقد ألقى بي شبابك وسحر جمالك إلى اليأس..
وأصبحت - وقد رأيتكم تبكين - أشك حتى في صدق الدموع!
ويل لك؟ لقد كنت في سذاجة الطفل كالزهرة يبللها ندى الصباح، حتى
تفتح قلبي لحبك. وكان قلباً غريباً فخدعته آثامك.. ولكن كان أيسرك عليك
أن تتركي له طهره.

ويل لك! لقد كنت مصدر أول ما عرفت من ألم، وعنك تجرت دموعي.
ثقى أنها لا تزال تتدفق، وأنها لن تجف! وهي تجري من جرح ليس له أن
يندمل.. ولكنني سأغسل قلبي من هذا النبع المر وسأخلف به - إن صدقـتـ
آمالـيـ ذكرياتـيـ الـبغـيـضـةـ.

ربة الشعر: كفى أيها الشاعر فما ينبغي أن يخرج يوم قضيته إلى جانب حسناء
خادعة ولقد لمحت فيه سراباً من السعادة. احترم حبك ما أردت أن تحب.

وإذا كان من الشاق على ضعفنا البشري أن نصف عما يصيّبنا الغير به من ألم، فلنوق أنفسنا لظى الحفيظة، إن عز الصفح فليكن النسيان. وكما يرقد الموت إلى أحضان الأرض يجب أن يرقد ما همد من عواطفنا مخالفاً رماداً.. رماداً مقدساً ما يجوز أن تتمد إليه يد بعدوان. ثم خبرني، لماذا - وقد أخذت تقص على نباً بلواك الحارة. لا تريد أن ترى فيما كان إلا حلماً تقضي أو حلماً خاب؟ أتحسب أن القضاء يصدر عن غير حكمة؟ أتظن أن الله قد بلاك غير واعٍ بما يفعل، من يدرينا؟ ولعل بلواك سبيل نجاتك! أذكر - أيها الطفل - إنك مدین لها بتفتيح قلبك.. وما للنفس أن تقطن لمكونها إلا أن يصيّبها ألم قوي. تلك نواميس الطبيعة الفاسية.. ولكنها نواميس قديمة قدم القضاء المحتوم، ومالنا من مناص من أن يعمدنا الألم، وندفع به ثمن ما نصيّب من سعادة. أو ما ترى النبت لا يقوى ولا يبلله الندى؟ ومتنا مثله تغذينا الدموع. وقدّيماً رمزوا للسعادة، شجرة محطمة كستها الزهور وندتها قطرات المطر. ألم تقل إنك قد شفيت من جنونك؟ إنك بعد في عنفوان الشباب. مكتمل للسعادة، معزز أينما حللت..ولي أن أسألك عما كنت فاعلاً لو أنك لم تعرف البكاء - عندما نختلس من الحياة مسراتها العارضة - أكنت تستطيع أن تقدرها؟ أكنت تستطيع أن ترفع الكأس مشرق القلب وقد نادمك خل قديم فوق منبسط العشب والشمس مائلة للغروب؟ أليس ذلك لأنك عرفت الألم فقدرت السرور؟ ثم كيف كنت تستطيع أن تحب الزهر والرياض والمروج وأن تطرب لأنشيد بتراك وتجريد الطيور. ثم ميكل أنجلو وسحر الفنون وشكسبير وآيات الطبيعة؟ لا، ما نعمت بكل ذلك إلا لأنك وجدت بها آثار الزفرات القديمة، وكيف كان لك أن تقيم جمال انسجام السماء وصمت الليل وهمس المياه ما لم يسبق أن حملتك الحمى والشهاد - حيث كنت - على النزوح إلى الراحة الأبدية.

ثم أما تنعم اليوم بمحبوبة أخرى، تكون إلى جوارها في ظلمة الليل وقد وضعـت يـدك في يـدها فـترـيد ذـكريـات آـلام شـبابـك عـذـوبـة اـبـتسـامـتها! ثم أـما

تذهب معها كما ذهبت من قبل إلى أعماق الغابات المزدهرة، وفوق
الرمال الفضية وأشجار الحور وسط معبود الطبيعة؟ أما تهديك السبيل
أشباحها كما هدتك من قبل؟

وعندما يغمرك القمر بشعاعه، أما يتعطف بين ذراعيك جسم جميل كما
تعطف آخر من قبل؟ وهب لاقيت الخط في طريقك أما كنت تسير خلفه
مغنياً من جديد؟ فيم الشكوى إذن؟ لقد قوى الألم عود الأمل في نفسك. لم
يُذن تأبى إلا أن تبغض ألم شبابك وقد جعلك ذلك الألم خيراً مما كنت؟
ولدي العزيز! ما أجر تلك الخادعة برحمتك وإن أسالت دموعك. ولقد
أراد الله أن يلقنك سر السعادة إلى جوارها، وبما أنزلت بك من آلام. لقد
كلفتها جسيماً، ومن يدرى لعلها أحبتك صدقًا. ولكنه القضاء شاء أن
يحطم قلبك على يدها! كانت على علم بكنه الحياة، وقد علمتك إياها، ثم
احتضنت ثمرة آلامك حبيبة أخرى. أرحمها فقد مر جبها كحلم حديث..
لقد رأت جرحك دامياً فلم تستطع له شفاء! وأنا أعلم - وأرجوك أن
تصدقني - أن دموعها لم تكن كلها كاذبة.. ولو أنها كانت كذلك لما
أغناك هذا عن واجب الرحمة، وأنت بعد تعرف كيف تحب!

الشاعر: حقاً تقولين إن البعض إثم ينساب في نفوسنا انسياب الأفعى فترتعد منا
القلوب. اسمعي عن ربتي، هذا قسمي أشهدك عليه: بحق عين تلك
الحبيبة الزرقاء.. بحق صفاء السماء، بحق تلك النجمة اللامعة التي
تحمل اسم ربة الحب "فينوس". وقد أخذت تتواضع في الأفق كاللؤلؤ
أصابتها رعشة خفيفة بحق جلال الطبيعة ورحمة الله، بحق ضياء
النجوم الساجي الذي يهدي عابر السبيل.. بحق الفياض والروض
والغابات الملتفة.. بحق قوة الحياة وروح الوجود.. أقسم أني طارح
عن ذاكرتي ما تخلف بها من آثار حب عاثر، مخلفاً إياه وسط ظلام
بعيد.

وأما: أنت فهاًنداً أتركك بعد أن دعوتك غير مرة بأرق الأسماء،
ولتكن ساعة فراقنا ساعة صفح شامل، ليصفح كل عن أخيه، ولنفصّل
عرى ذلك السحر الذي ربط قلبينا أمام الله وهأنداً أذرف بين يديك
دمعة تصحب وداعي الأخير.

والآن ربتي المشرقة الجمال.. هي بنا إلى غرامنا، أسمعني من
أنغامك السارة كما سبق أن سمعت منك والحياة في بدئها.. ها هو
العشب المعطر ينتقض لقرب الصباح.. فتعالي نوّقظ حبيبة قلبي
ولنذهب نجني زهرة الحديقة، تعالي نرى الطبيعة الخالدة تطرح غاليل
النوم. فسنبعث معها إلى الحياة عندما تبعث الشمس أول شعاعها^(١).

ويعلق محمد مندور على هذه القصيدة بقوله: (...نلمح حاجة الشاعر الملحة
إلى التعبير عن ذاته كما نجد فلسفة الألم الذي يهذب الإنسان ويعلمه قيمة الفرات
السعيدة التي تمر به في حياته، كما يهدي الشعراء إلى منابع الفن والجمال في
الحياة وفي الطبيعة، وبذلك يسمو بإنسانيتهم ويظهر نفوسهم من الأحقاد والضغائن،
ويحملها على التسامح والغفران، بل والتعزى عن محن الحياة، بفضل ذلك التسامي
الذي يعوض عن تلك المحن، وإن تكن كل تلك المعاني الشعرية الجميلة قد تصبح
وبالاً على الشعر والأدب بل وعلى الفرد والمجتمع؛ أي على الإنسانية كلها عندما
تصبح تصنعاً ودعوى جوفاء للبطولة الكاذبة والاستشهاد الرخيص، أو حافزاً
للانحلال الخلقي أو الإسراف العاطفي السخيف، فضلاً عن محاولة تبرير الرذائل
 وأنواع الضعف الأخلاقي التي ترفع شباب الأدب إلى المغامرات المنسنة، ومحاولات
تدبرها بـالإساقها بربة الشعر والآلة الفنون مع أنها عاجزة عن أن تنتج فناً جميلاً
وتحفز نفساً نقية المعدن^(٢).

(١) محمد مندور، الأدب ومذاهبه، مرجع سابق، ص ٦٧-٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٥.

والشعراء السودانيون لهم محاولات لترجمة الأشعار الأوروبية الرومانسية فقد عرب السيد الفيل^(١) أبياتاً "لوليم بلياك" يقول فيها:

مرحباً أيها الغريب فقد جئت مكاناً *** ما فيه غير الحبور
لن ترى بينما فتى مكهراً *** لا ولا وجه مدع مغور
سوف تلقى طهارة وحياة *** في وجوه المها العذارى الحور
وعفافاً يزين كل فتاة *** وعقوداً من صحة في النحور

ونرى لمحمد أحمد المحجوب^(٢) محاولات كذلك لترجمة أشعار الرومانسيين الأوربيين فقد ترجم للشاعر "باسترناك" وهو روسي مقطوعة بعنوان (ثورة شاعر) يقول فيها:

أنا ضائع كالوحش في أقفاصه *** والناس في أوطانهم أحرار
خلفي ضجيج مطاردين ولا أرى *** كيف الخلاص وليس ثم فرار
والغابة السوداء حول بحيرة *** وجذوع سرو في الضفاف يثار
سدت طريقي لست أبصر منفذًا *** أنا لا أبالي أن يكون عثار
ماذا جنيت من الشرور ترى وما *** أنا قائل أو مجرم غدار
وأنا الذي حمل الآلام على البكا *** لحمل قطر حسنه يُشتار
إني إلى قبري أسير مهرولاً *** وغداً سيقضي الواحد القهار
والشر يهزم رغم أنف حماته *** والخير ينصر روحه الأخبار

والشاعر الفرنسي الروماني "لامرتين" له قصيدة شغف بها كثير من الرومانسيين العرب فترجمها بعضهم نثراً ونظمها بعضهم شعراً مثل أحمد حسن الزيات وعلي محمود طه وإبراهيم ناجي ونقولا فياض والقصيدة بعنوان (البحيرة)

(١) مجلة النهضة السودانية، المجلد الأول، العدد (٧١).

(٢) محمد أحمد المحجوب، قلب وتجارب، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤م، ص ٢٨.

وهي رمزية بما فيها من فقر ووحشة وموت وذكريات الشاعر نفسه وينقل الباحث هنا ترجمة علي محمود طه^(١):

ليت شعري، أهكذا نحن نمضي *** في عباب إلى شواطئ غمض
ونخوض الزمان في جنح ليل *** أبدي بضني النفوس وينضي؟
وضفاف الحياة ترمقها العين، بعض يمر في إثر بعض
دون أن نملك الرجوع إلى ما *** فات منها أو الرسو بأرض
حدي القلب يا بحيرة، مالي *** لا أرى "أولفير" فوق ضفافك؟
أوشك العام أن يمر وهذا *** موعد اللقاء في مصطافاك؟
صخرة العهد! ويک هاًنذا عدت، فماذا لديك عن أضيافك؟
عدت وحدي أرعى الضفاف بعين *** سفكت دمعها الليالي السوافك
يا زماناً يمر كالطير مهلاً *** طائر أنت؟ ويک قف طيرانك!
أهـاء الساعات تجري وتعدونا *** عطاشاً؟ فقف بنا جريانك! ^(٢)

(١) علي محمود طه، الملاح النائي، دار العودة، ١٩٧١م، ص ٢٠٧.

(٢) ويمضي علي محمود طه في قصيده المترجمة:

ويک دعنا نمرح بأجمل أيام *** ونلقي من بعيد خوف أمانك
وإذا نحن لذة العيش ذقتهاها *** ومرت بنا فدر دورانك!
بيد أن الشقاء قد غمر الأرض *** وفاض الوجود بالتأسينا
كلهم ضارع إليك يرجيك *** فأسرع، أسرع! إلى الضارعينا
وافترس مشقيات أيامهم وامض *** رحى تطحن الشقاء طحونا
رحمة فاذكر النفوس الحزاني *** وأنس يا دهر أنفس الناعمينا

الفصل الثالث

الإبداع الوجداني

في الشعر العربي الحديث

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المدرسة الجديدة في الشعر العربي المعاصر

المبحث الثاني: النزعة الوجدانية والطبيعة

المبحث الأول

المدرسة الجديدة في الشعر العربي المعاصر

يقول محمد مندور: (إن الإجماع يكاد ينعقد على أن خليل مطران^(١) يعتبر رائداً للمدرسة الجديدة في الشعر العربي المعاصر، حتى يكاد يختط طريقاً يشبه الطريق الذي اخترته في العصر العباسي مدرسة البديع وعلى رأسها أبو تمام، في مواجهة مدرسة عمود الشعر وعلى رأسها أبو عبادة البحتري وذلك عندما يقارن النقاد بين مدرسة البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وغيرهم من ساروا على عمود الشعر العربي، والمدرسة الحديثة التي تنتسب إلى مطران وتمتد في جماعة أبولو خلال أحمد زكي "أبوشادي" وإبراهيم ناجي ومن سار على دربها من الشعراء الناشئين في مصر وغيرها من البلاد العربية)^(٢).

وعن الوفاء والحب والطهر وربط هذه القيم بظاهر الطبيعة يقول مطران^(٣):

فقال لها: بل يشهد الله بيننا *** وأسقام قلبي الواله المتتجع

(١) خليل مطران: خليل مطران: (١٨٧٢ - ١٩٤٩م) شاعر لبناني، ولد ببعليك في أسرة عربية مسيحية، وتلقى تعليمه في المدارس اللبنانية، وبسبب آرائه الجريئة ونشاطه السياسي تعرض لضغوط ومضائقات من الأتراك الذين يحكمون الشام في ذلك الوقت، فما زل لهجرة إلى باريس، وقضى بها عامين ثم غادرها إلى مصر سنة ١٨٩٢م واستقر فيها بقية حياته، وعمل في تحرير (الأهرام)، لمدة سبع سنوات وأصدر (المجلة المصرية) سنة ١٩٠٠م ثم أصدر بعدها جريدة (الجوانب المصرية) سنة ١٩٠٣م ثم انصرف عنها لممارسة أعماله التجارية لكنه مُنى بالإفلاس المالي، والسقوط في ضائقة مالية، انتخب رئيساً لجمعية أبولو الأدبية سنة ١٩٣٢م كما عُين مديرًا لفرقة القومية للمسرح سنة ١٩٣٤م، وبجانب تفافته العربية العميقه نهل من الثقافة الغربية وأدبها وتتأثر بالمذهب الرومانسي خاصة، وكان يتقن اللغة الفرنسية، وعنها ترجم إلى العربية بعض مسرحيات شكسبير وكورتي وراسين، ويقع ديوانه في أربعة أجزاء. (محجوب محمد آدم، نصوص من الأدب الحديث، مرجع سابق، ص ٦١).

(٢) محمد مندور، محاضرات عن خليل مطران، مطبعة دار الهناء، عام ١٩٤٥م، ص ١١.

(٣) عبدالقادر القط، الاتجاه الوجданى في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٩.

وتشهد هذى الشمس عند غروبها *** وما حولنا من نورها المتفرع
 ويشهد ذا الروض الأرضي ودوجه *** وما فيه من زهر وعطر موضع
 وهذى الظلل الباسط أكفها *** وهذى الشاعر المؤمنات بأذرع
 وهذى المياه الناظرات بأعين *** وهذى الغصون المصغيات بمسمع
 بأنى لا أبغى سواك خليلة *** ومهمما تسمى صبوي فيك أسمع

وينهج مطران^(١) هذا النهج نفسه إذ يصور وقع ذلك القسم الشعري في نفس الفتاة حيث يقول:

أفي حلم أم يقظة ما سمعته؟ *** فإن سروري - فرط ما زاد - مفزعني!
 لعمرك ما قرت عيون بمنظر *** ولا طربت نفس بلحن موقع
 ولا رويت ظمائي الرياحين للندى *** فعادت كأزهى ما تكون وأبدع
 ولا أنس الملاح بشرى منارة *** له بلقاء أهل وصحب ومربع
 كما طبت نفسها بالذى أنت قائل *** وفارقني اليأس الذي كان موجعي

ومطران في قصidته التي بعنوان (الوردة والزنقة)^(٢)، وهي من بحر الطويل، حكاية فتاة أبعد عنها أليف صباحها، لأن أهله، وهم أغنياء، رفضوا تزويجها منها وهي فقيرة وفي القصيدة يمزج الشاعر بين عواطف البشر وما يخلع على عناصر الطبيعة من مشاعر وتلك سمة من سمات الوجدانين حيث يقول الشاعر على لسان الفتاة:

تفقدتها والفجر يفتح جفنه *** كما انتبه الوسنان والجفن مثقل
 إلى أن بدت لي وردة مستكينة *** كان دموع الفجر فيها تهلل
 لها طلعة الجاه المؤثل والصبي *** وفي الوجه تقطيب لمن يتأمل
 تلوح عليها للاكباه والأسى *** مخايل دقت أن ترى فتخيل

(١) عبدالقادر القط، الاتجاه الوجданى في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٢) عباس محمود العقاد بالاشتراك مع إبراهيم المازنى، الديوان، مرجع سابق، ص ١٣٤.

ويُكبسها معنى الحياة ذبولها *** لدی ناظريها، فھي في النفس أجمل
 مليكة ذاك الروض، جاور عرشها *** من الزنبق العاتي ملیک مکل
 أغراً المھيا كالصباح نقیه *** له قامة كالرمح أو هي أعدل
 إذا ما استمالته إلى الوردة الصبا *** فلا ينثي كبراً ولا يتتحول
 فبینا يدي تمتد آنا إليهما *** ويعنی الإشفاق آنا فأعدل
 إذا والدي قد طوقتني يمينه *** وفي وجهه دمع من العين مرسل
 فقبلته ظمائي لأن بمهجتي *** لظى النار، والشيب الم قبل منه
 فقال وما يدری بموقع قوله *** لما هو من أمري وأمرک يجهل
 شفیقاً بحال الزهرتين فؤاده *** شفیعاً بما في وسعته يتول
 بُنیة عفوا عنهمما، فكلاهما *** شقی يود الموت والموت ممہل
 فلا تسقی سيف القضاء إليهما *** على أنه يشفیهما، لو يعجل! (١)

(١) وتنوّاصل قصيدة الوردة والزنبق:

حبیبان، سُرا ساعۃ ثم عوقدا *** طويلاً كذلك الدهر يسخو وبيخل
 وإن لهذین العشيقین حادثا *** غرباً بودی أن أرى كيف يکمل
 فقد جاورت هذی الوفیة إلفها *** إذ الآلف میاس المعاطف أميل
 فكان إذا مرت به نسم الصبا *** يُسر إليها سر من يتغزل
 يداعبها جهد الصباية والھوى *** ويعرض عنها لاعباً ثم يقبل
 ولكن، لم يلبث الغصن أن جفا *** فلم تشن عطفیه جنوب وشمال
 فشق عليها بينه وهو جارها *** وباتت لفترط الحزن تذوی وتتحل
 وعما قليل يقضیان من الجوی *** وإن صح ظنی فهي تھاک أول
 فوا رحمنا! هذی حقيقة حالتنا *** رآها أبي في الزهرتين تمثل
 هما صورتنا في الھوى وحديثنا *** يُنقل حديثهما بين الأزاهر
 أقبل ذاك الغصن كل صبيحة *** أقبل الحبيب يأتي للنائي
 وأنظر أختي في الشفاء، كأنني *** وأذبل أموت أراني

وخليل مطران يلتفت إلى الطبيعة في قصيدة سماها (المساء) يعبر فيها عن تجربة ذاتية ويصور شعوره بالوحدة والغربة والسقم في مجلس على شاطئ البحر وقد حل المساء وغام الأفق وثارت الأمواج ويربط فيها الشاعر بين مشاعر الكآبة ومظاهر الطبيعة من حوله حيث يقول فيها:

متفرد بصابتي، متفرد *** بآبتي،
 شاك إلى البحر اضطراب خواطري *** فيجيبني برياحه
 ثاو على صخر أصم، وليت لي *** قبأ كهدي الصخرة الصماء!
 ينتابها موج كموج مكارهي *** ويفتها كالسقم في أعضائي
 والبحر خفاق الجوانب ضائق *** كمداً كصدرى ساعة الإماماء
 تغشى البرية كدرة وكأنها *** صعدت إلى عيني من أحشائي
 والأفق معنكر، قريح جفه *** يغضي على الغمرات والأقداء
 ولقد ذكرتك والنهر موعده *** والقلب بين مهابة ورجاء
 وخواطري تبدو تجاه نوااظري *** كلمى كدامية السحاب إزائي
 والدمع من جفني يسيل مشعشاً *** بسني الشعاع الغائب المترائي
 والشمس في شفق يسيل نضاره *** فوق العقيق على ذرى سوداء
 مرت خلال غمامتين تحدرا *** وتقطرت كالدموع الحمراء
 فكان آخر دمعة للكون قد *** مزجت بآخر أدمعي لرثائي
 وكأنني أنسيت يومي زائلاً *** فرأيت في المرأة كيف مسائي

ويعلق الناقد محمد مندور على هذه القصيدة بقوله: (هذه قصيدة وجداً نية قوية، ولكن وجداً نية خليل مطران تغاير ما ألفه الشاعر العربي في وجداً نياته وذلك لأنها لا تصدر عن عاطفة موحدة تتباين من القلب مباشرة بل تمتزج بالخيال الشعري ويسيطر الفكر على صياغتها. ففي هذه القصيدة نرى الشاعر مريضاً متفرداً بآبته ومن المعلوم أن المرض يهدد الإرادة والتفكير ويضعف المقاومة ولا

يستطيع الإنسان معه غير البكاء أو إرسال الزفرات حيث يفلت زمام النفس وتتطلاق العاطفة حزينة قائمة ومع ذلك لم يغير المرض شيئاً من طبيعة خليل مطران ولم يذهب بشيء من خصائص شاعريته المركبة فخياله هي يدرك الطبيعة الخارجية بل نستطيع القول إن الشاعر يمتزج بهذه الطبيعة بفضل ذلك الخيال حتى ليبرى نفسه في مرآة تلك الطبيعة فكانه يكون معها أصلاً وصورة بحيث يمكن القول بأننا نستشف في هذه القصيدة ما يصح أن نسميه بالحلول الشعري فالشاعر حال في الطبيعة أو الطبيعة حالة فيه فرياح البحر الهوجاء صدى لاضطراب خواطره والصخرة الصماء ينتابها موج كموج مكارهه والبحر خفاف الجوانب ضائقاً كمداً كصدر الشاعر ساعة الإمساء ومن كل هذا تتكون المرأة التي يرى فيها الشاعر نفسه أو تحل الطبيعة في الشاعر كما يحل فيها وهذه خاصية تميزت بها وجданية مطران المركبة التي تمتزج بالطبيعة وتبادلها المعاني والأحساس وكأن الطبيعة عنده كائن هي يتمتع بكلة خصائص البشر من خوالج وأحاسيس^(١).

وшибه بما صنع مطران ما جاء في أبيات "فوزي ملوف"^(٢)، وهي من بحر الخيف، تتبع فيها التشبيهات البسيطة على هذا النحو:

ما أحمر الأصيل غير لهيب *** شع من قلبه على مقلتيه
 وركام السحاب غير دخان *** نفثته الهموم من شفتنيه
 ما أنين الرياح غير زفير *** نزعته الرياح من رئتيه
 ونواح الطيور غير عويل *** أخذته الطيور من أصغريه
 ما ندى الفجر غير لؤلؤ دمع *** نزعته الأزهار من محجريه
 وبريق النجوم غير شظايا *** كأس حبي تحطم في يديه

(١) محمد مندور، خليل مطران، مرجع سابق، ص ١٨-١٩.

(٢) فوزي ملوف، على بساط الريح، ريدودي جانيرو، ١٩٢٩م، ص ٤٧.

وفي ارتباطه بالطبيعة والفرار من شرور الحياة والناس إلى السكينة والعزلة في رحاب الطبيعة النائية الهدئة كالمروج أو الصحراء كما جاء في قصيدة (الأسد الكبالي)^(١)، وهي من بحر الطويل، حيث يقول مطران:

وكم في فوادي من جراح ثخينة *** يحجبها برداي عن أعين الناس
إلى "عين شمس" قد لجأت وحاجتي *** طلاقة جو لم يدنس بأرجاس
أسرى همومي بانفرادي آمناً *** مكاييد واش أو نمائم دساس
أرى روضة لكنها روضة الردى *** وأصفي، وما في مسمعي غير وسوس
وأنظر من حولي مشاة وركباً *** على مزجيات من دخان وأفراس
كأني في رؤيا يزف الأسى بها *** طوائف جن في مواكب أعراس
هناك أبيح الشجو نفساً منيعة *** على الضيم، مهما يقل الضيم من بأسى
يمر بي الأخوان في خطراتهم *** أولئك عوادي، وليسوا بجلسي!
أهش إليهم ما أهش تلطفاً *** وفي النفس ما فيها من الحزن واليأس

وأكثر قصائد مطران حداةً من حيث الإيقاع والمجم الشعري والصور والأسلوب يظهر كل ذلك في قصيده (عتاب)^(٢) حيث يقول:

يا أيها الطائر المغني *** بلا نثير ولا نظيم
من لي يشدو طليق فن *** كشدوه المطرب الرخيم!
فأنت تشدو بلا بيان *** وما تشاء المنى تجيد
ونحن باللفظ والمعاني *** نعجز عن بعض ما نريد!
أعز جناحك يا رفيق *** أطر وأمرح خلي بال
من ساكن النور لي رحique *** وفسحة الجو لي مجال

(١) الديوان، العقاد والمازني، مرجع سابق، ج ١، ص ١٧.

(٢) الديوان، العقاد والمازني، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠١.

وفي مجال التجديد نجد مطران يخرج فيها على وحدة البيت ونظام القافية وكذلك ينتقل من بحر إلى بحر ونلحظ ذلك في قصيده (نفحة الزهر) كما في قوله:

والبهاء	الجلالة	ذات الأزاهر *** ذات	المليكة في	باسم
والدعاء	التهاني	أزكي شاعر *** إليك	بيان	يهدى

ثم ينتقل إلى بحر الرمل في قوله:

ف克拉	تجديها زهرا *** واقرئيها	تجديها	انظريها
تلك أشباه المنى في لطفها *** لبست حسناً	فجاءت صورا		

والشاعر مصطفى صادق الرافعي يعتبر من المجددين خاصة في وصفه للطبيعة كما في قصيده (زهر الفول)^(١)، وهي من بحر الخفيف، واختيار موضوعها يرتبط بمناظر الريف وهي قصيدة وجданية حيث يقول الرافعي:

نائمان بروضها في سرير *** بين خز وسندس وحرير	
هزها الفجر فاستفاقت كما تطرف *** بعد الكرى جفون الصغير	
جال فيها الندى كما حير الدمع *** دلال الهوى بأهداب حور	
وترى إثره ساقطته فوق التغور	
لفتة الجيد، ثم ينفجر الشرق *** فينفرن نفرة المذعور	
ويضيع الندى كما ضاع دمع *** حسبه الظلم من عيون الفقير	
زهرة الفول، أنت نمرة عمر *** عطر من هوى الشباب قصير	
تشبه الأرض جنة، أنت فيها *** رغب الريش ساقطاً من طيور	
ولو أن النجوم ذات قشور *** لحسناك بعض تلك القشور	
يحمل الصبح من شذاك عتاباً *** رق من هاجر إلى مهجور	
ليت هذى الزهور كن يعرن الدمع *** دمع السرور للمستغير	
قطرات كأنها خطرات *** نور الله سرها لضمير	

(١) مصطفى صادق الرافعي، ديوان قطرات، القاهرة، ١٩٠١م، ص ٣٨.

من دموع المنى تلاؤ القلب * * * تضيئ فيه بنور الحياة

وللشاعر مصطفى صادق الرافعي نشيد طريف أسماء (نشيد الفلاحة المصرية)^(١) يصف فيها الفلاحين وببيتهم وحلهم وترحالهم وفيه شيء من الدعاية حيث يقول:

فَجَرْ قَدْ غَبَرْ ثُمْ لَاحَ * * * وَالْدِيْكَ قَدْ أَذْنَ ثُمْ صَاحَا
وَأَطْلَقَتْ حَمَامِتِي الْجَنَاحَا * * * وَالْكَلْبَ بِالْبَابَ غَدَا نَبَاحَا
وَاشْتَافتَ الْبَهَائِمَ السَّرَاحَا * * * هِيَا إِلَى غَيْطَكَ سُقَهَا.. حَاهَا حَا
أَرْوَحَ الْجَرَةَ نَمَلَا وَالْجَارَةَ نَمَلَا
نَمَرَ الْقَرِيبَ بِالْغَيْطَ مَرَةَ مَرَةَ
نَرَى الْهَنَاءَ وَالْفَرَحَ وَالْمَسَرَةَ
يَا رَبَ لَا تَنْزَلْ بَنَا مَضَرَةَ
وَأَكْتَبَ لَدَارِي الْعَزَ وَالْأَفْرَاحَا * * * هِيَا إِلَى غَيْطَكَ.. سُقَهَا.. حَاهَا حَا
الْبَنْتَ يَا مَوْلَى الدُّعَا الْمَجَابَ * * * احْفَظْ عَلَيْهَا صَحَّةَ الشَّبَابَ
وَافْتَحْ عَلَى أَوْلَادِي الْأَحَبَابَ * * * مَنْ رَاحَ لِلْغَيْطَ وَالْكَتَابَ
وَذَا يَقْرَأُ الْغَيْطَ، وَذَا الْأَلْوَاحَا * * * هِيَا إِلَى غَيْطَكَ سُقَهَا.. حَاهَا حَا
يَا نَخْلَةَ الْغَيْطَ احْذَرِي الْغَرَابَا * * * يَا نَعْجَةَ الْغَيْطَ احْذَرِي الذَّئَبَا
يَا صَاحِبَ الْغَيْطَ احْذَرِي الْعَذَابَا * * * مَنْ رَبَابَا وَالْفَقَرَ وَالْخَرَابَا
إِنْ الرَّبَا لَيْسَ لَنَا مَبَاحَا * * * هِيَا إِلَى غَيْطَكَ سُقَهَا.. حَاهَا حَا

والشاعر "شكري"^(٢) يفتخر بشعره الوجданى مهاجماً ما يراه عند معاصريه من غفلة عن حقيقة الشعر وصلاته بالحياة فيقول:

ولو سفلت إلى حيث القريرض لقا *** بين الأنافي وربع المنزل الفاني
ولو سفلت فقلت الشعر في خبر *** من السياسة في زور وبهتان

(١) عبد القادر القط، الاتجاه الوجданى في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٣٣-١٣٤.

(٢) عباس العقاد والمازني، الديوان، مرجع سابق، ص ١٦٤.

ولو سقت فقلت الشعر مبتلاً *** في وصف مخترع أو نم أزمان
 لقليل: نعم لعمرى أنت من رجل *** جم المحسن من صدق وتبیان
 وإنما الشعر تصوير وتدكرة *** ومتعة وخيال غير خوان
 وإنما الشعر إحساس بما خفت له *** القلوب كأقدار وجذثان

أما المازني فله قصيدة وجداً تدور حول الشكوى والسعى وراء المحال

في قصيدة بعنوان (مناجاة شاعر)^(١) حيث يقول:

يا شاعر النفس كم أبكاك مصرعها *** لقد بكـت على خرقـاء مضـيـاع
 آذاك دهـرك حتى لـست تحـفلـه *** فـما تـبـالـي بـإـخـاصـ وـإـشـبـاعـ
 إـنـا شـبـيهـاـنـ فـيـ شـجـوـ وـفـيـ ظـلـعـ *** وـرـاءـ نـجـمـ منـ الأـحـلـامـ لـمـاعـ
 يـسـكـ صـوتـ المـنـىـ سـمـعـيـ وـتـوـمـضـ لـيـ *** ثـغـورـهاـ عنـ بـدـيعـ جـدـ خـدـاعـ
 فـأـنـثـيـ غـيرـ مـخـدـوـعـ؛ وـكـمـ فـتـنـتـ *** لـبـىـ الـأـمـانـيـ بـإـيمـاءـ وـتـلـمـاعـ
 لـلـهـ صـرـخـةـ وـجـدـ أـنـتـ مـرـسـلـهاـ *** ضـاعـتـ عـلـيـكـ بـوـادـ غـيرـ مـمـرـاعـ
 وـمـاـ بـهـمـ صـمـ لـكـنـهـ جـهـلـواـ *** مـعـنـىـ النـدـاءـ فـضـلـواـ وـجـهـةـ الدـاعـيـ

وغير بعيد من ذلك يقول العقاد مماثلاً صديقه شكري والمازني وتعتبر
 قصيـتهـ أـيـضاـ مـزـيـجاـ مـنـ الشـكـوـىـ وـالـطـمـوـحـ وـخـيـةـ الرـجـاءـ عـنـ الـمـعـاـصـرـينـ حيثـ
 يقول في قصيـتهـ (خطـ الشـعـراءـ)^(٢):

ملوك فأـمـاـ حـالـهـمـ فـعـيـدـ *** وـطـيـرـ، وـلـكـ الجـدـودـ قـعـودـ
 أـقـامـواـ عـلـىـ مـتـنـ السـحـابـ فـأـرـضـهـمـ *** بـعـيـدـ وـأـقـطـارـ السـمـاءـ بـعـيـدـ
 مـجـانـينـ تـاهـواـ فـيـ الـخـيـالـ فـوـدـعـواـ *** رـوـاحـةـ هـذـاـ العـيـشـ وـهـوـ رـغـيدـ
 وـمـاـ سـاءـ حـظـ الـحـاطـينـ لـوـ أـنـهـمـ *** تـدـومـ لـهـمـ أـحـلـامـهـمـ وـتـجـودـ
 بـنـىـ الـأـرـضـ كـمـ مـنـ شـاعـرـ فـيـ دـيـارـكـمـ *** غـبـينـ وـغـبـنـ الشـاعـرـينـ شـدـيدـ

(١) إبراهيم المازني، ديوان المازني، القاهرة، ١٩١٣م، ص ٥٧.

(٢) عباس محمود العقاد، ديوان العقاد، القاهرة، ١٩٢٨م، ص ٨٥.

المبحث الثاني النزعه الوجданية والطبيعة

والنزعه الوجدانية عند الشعراء ثلاثة شكري والعقاد والمازني تتمثل في الطبيعة ومشاهدها مثل البحر والصحراء ويتمثل شعر الوجدان عندهم في الليل وغيره ومن أمثلة ذلك قول "شكري"^(١) مخاطباً البحر فيقول:

وأنت شبيه الدهر، لا الدهر هارم *** ولا أنت منقوص ولا أنت خاسر
ويصطحب الآذى فيك كأنما اصطخابك *** من حكم المنية ساخر
أخفق وإعصار ودفع وهة *** كأنك حي نابض القلب شاعر!
فريحك أنفاس وموتك نابض *** كنبض قلوب أعجلتها البوادر
خلوت من السماء، كالبيد، وأمحت *** معالم لا تُبقي عليها الأعاصير

ويجمع "العقاد"^(٢) بين الليل والبحر في مقطوعة وجданية بد菊花ة ويقول:
غرب البدر؟ أم دفين بقبر *** وهو النجم؟ أم أوى خلف ستار?
ضل هادي العيون واحلوك الليل *** فلا فرق بين أعمى وهر
ماج حتى كأنما يصدم البحر *** يموج من بحره مسبكر
وترى البحر، تحسب الماء حبراً *** وكان السماء أعمق بحر
ظلمات تحيط بالطرف أنى امتد *** لم يعد مده قيد شبر
ولهذا الظلام خير من النور *** إذا كنت لا ترى وجه حر
ها هنا أطلق العنان لأشجانى *** وأبكى نفسي وأنشد شعري

(١) عبدالقادر القط، الاتجاه الوجданی في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٤٤.

(٢) العقاد والمازني، الديوان، مرجع سابق، ص ٧٣.

وقد أفضى الوجدانيون في الحديث عن البحر كما في قول علي محمود طه في قصيده (على الصخرة البيضاء)^(١):

على الصخرة البيضاء ظلاني الدجى *** أسر إلى الوادي نجية شاعر
سمعت هدير البحر حولي، فهاج بي *** خواج قلب مزيد اللج هادر
ألا ما لهذا البحر غضبان مثلما *** تنفس فيه الريح عن صدر ثائر

ويواصل علي محمود طه شعره الوجданى في البحر أيضاً يقول في قصيدة سماها (إلى البحر)^(٢):

لي وراء الأمواج يا بحر قلب *** نازح الدار ماله من مآب
أنا وحدي هيمن في لجك الطامي *** غريق في حيرتي وارتيابي
أرمق الشاطئ البعيد عين *** عكت في الدجى على التسکاب
فسواء في مسمعي من ذراه *** صدحة الطير أو نعيق الغراب
وسواء في العين شارقة الفجر *** أو الليل أسود الجلباب
بيد أني أحسن فيك شفاء *** من سقامي، ورحمة من عذابي!

ويربط الشاعر علي محمود طه بين البحر والصحراء فيقول في قصيدة بعنوان (صخرة الملتقى)^(٣):

صخرة لا تجل في الكائنات *** غشيتها جلة الأبدات
جاورتها الصحراء تستشرق اليّ *** وقرّ المحيط جنب الفلاة
أبديان قد أفاء إليها *** لم تجمعهما يد الحادثات
و جداً الملتقى عليها فقرا *** بعد آباد فرقـة وشتات

(١) علي محمود طه، الملاح الثاني، مرجع سابق، ٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٥.

ويقول المازني في قصيدة بعنوان (العاشق والمعشوق)^(١):

شبابك ريان وروضك ضاحك *** وأنت بتحقيق الرجاء قمين
ولكنني ماذا أرجي؟ ولم يدع *** لي الدهر إلا مهجة ستحين!
ثقلت بأعباء الحياة وهضني *** مسالك عيش كلهن حزون
وما نظمي الأشعار إلا علة *** لو أن سلوا بالقريض يكون!
وما هي إلا برهة ثم ينشي *** يكر مضمض في الحشا وحنين
فصبراً طويلاً، إنما هي رقة *** وتذهلني عما لقيت منون
وصبراً جميلاً يا سمير ففي غدِ *** تسليل عن سحر الجفون جفون
تهيم بهذى، ثم تسلو بغيرها *** ويعيبك من بعد الجبين جبين
فوطن على السلوان نفسك، إنني *** خبير بأدواء القلوب طبين
ستعلم أن العيش حلم، وأننا *** نiams، ولو مد الرقاد سنون
وأنا كأهل الكهف نصحو ما نعي *** فتيلاً، ولو أن الرقاد قرون!

ويربط المازني بين رغبته في الخلاص بالموت وعشقه الطبيعة والحياة وأغانيه للحب والجمال ومن ذلك قوله من قصidته (الشاعر المحتضر)^(٢):

.. فيا مرحباً بالموت يُتلّج برد .. فؤادي، وينسني طويل عائيا
تموت مع المرء الهموم، ولن ترى *** كأس الردى من غلة العيش شافيا
ولست على شيء بآس، وإنني *** لأهجر ظهر الأرض جذلان راضيا
وما طال عمري، غير أن لوعاجا *** أطلن عائي فاجتويت مقاميا
أهاب بنا داعي الردى فترحموا *** وقولوا: سقى الله القلوب الظواميا
وقم ودع الأرضين عنِي فإبني *** بقيد الردى المحتوم، إلا لسانيا
وقل لجبال عاريات مخوفة *** تخال موامهين للجن واديا

(١) العقاد والمازني، الديوان، مرجع سابق، ص ١٥٦.

(٢) العقاد والمازني، الديوان، مرجع سابق، ص ١٦٤.

ألا أطلقى لي صوته والأغانيا *** وغذي بذكراها الشجون النوامية
 ألم تع عنه جنة عبرية؟ *** فقد كان يخشى ملئن الفيافيا
 وكيف يؤدي ما وعاه سماها *** وما تحسن الجنان إلا التعاويا!
 وقل يا عيون الزهر خضي وأطري *** قضى عاشق أجلى العيون الروانيا^(١)
 والمازني^(٢) هنا يعبر عن العفة والألم والحزن من اللذات حيث يقول في هذا
 الاتجاه:

حقيقة شر ذلك الحب بس ما *** تحملنيه في الحياة المقادير
 أراه على ذاته ونعمه *** يفاجئنا منه رميس وناعر
 وهل تشتري اللذات إلا بضعفها *** من الألم الدامي وما نحاذر!
 وما مطلي سحر العيون كأنها *** إذا لامحت عيني النجوم الزواهر
 ولا نصرة الخد الأسيل، كأنما *** غدته على الدهر الورود النواضر
 ولا الثغر إما يستدير كأنما *** تهيا للتقبيل والسوق ثائر

(١) ويمضي المازني في قصيده:

لقد كان في روض الجمال خميلة *** سقتها دموع الحب لا الطل ساريا
 فأعطشتها حتى تصوح عودها *** وألوى بها عصف الرياح سوافيا
 لقد أفردت نفسم بين قومه *** فعاش خيالاً بينهم متراينا
 وما كان إلا قوة أحدقت بها *** حوالى ضعف أمرها ليس باديا
 فعاد وما يستطيع حملًا لساعة *** فكيف بأيام حملن لياليا!
 وما كان إلا كالسحبة أفردت *** وقام بها الرعد المجلل ناعيا
 وما كان إلا موجة قد تحطم *** على سواحل للعيش كم بات راغيا
 وما غاله موت، ولا هاضه كرى *** ولكن خدا من حلم ذا العيش صاحيا
 وما مات إلا الموت يا فجر فائتفق *** وحول سناء طلك المتلايا
 ولا غاب إلا في الطبيعة أمه *** وقديماً أعارته الضلوع الحوانيا
 فقوموا اسمعوا في هزمة الرعد صوته *** وفي سجه الغريد ما بات شاديا
 وفي حينما تبدو لنا القدرة التي *** دعته فلبها ولم يك عاصيا

(٢) العقاد والمازني، الديوان، مرجع سابق، ص ١٥٩.

فقد يُحرق اللحظة المضي ويختنق الأريح *** وترديك التغور الدوائر
 ولكنما أبغي إذا ثار ثائرٍ *** فؤاداً أناجيه وعقالاً أسامر
 وقلباً إليه أستريح بدخلتي *** وأفضي إليه بالأسى وأشاور
 كما خفت يوماً على الزهر نحلة *** وظلت تشكّيه الهوى وتساور
 وكذلك يقول عباس محمود العقاد^(١):

ضاق الفضاء بما يحويه من فرح *** فكل ما في فضاء الله فرhan
 إلا المحب الذي لا حبه دنس *** ولا مودته خبُّ وإدهان
 نفاه عن عرس الدنيا شواغله *** إن الحداد عن الأعراس شعلان

وقد ترجم العقاد^(٢) في ديوانه الأول مقطوعة شعرية للشاعر الإنجليزي "وليام كوبير" عنوانها (الوردة) وقدم لها بقوله: (وردة قطفتها صديقة للشاعر وقدمتها إلى صديقة أخرى فعرفتها هذه عليه تستidi قريحته فتناولها من يدها ثم هزها فتتاثرت أوراقها فندم واستعبر ثم قال ذلك الشاعر الرقيق):

أنتني بها من خدها مثل لونها *** مبللة الأوراق باكية السن
 جنتها لها ترب حصان تزفها *** إليها، وقد يجني على الورد من يجني
 كأن ندى الطل دمع أطله *** فراق وريدات صغار على الغصن
 فأمسكتها خجل المحسنة أهذاها *** لتنشط من خوف وتبسم من حزن
 مما كان أقساني! لقد فاض روحها *** وطارت بداعاً في التراب إلى الدفن
 ولو لطف كفى لفاحت وأزهرت *** مما شئت من عطر وما شئت من حسن
 كذلك يكون اللوم طعناً وربما *** حوى بلسماً يشفى الجريح من الطعن
 وكم راح تعنيف الشجى بروحه *** ألا إن بعض العدل يضنى ولا يثني
 ولو لمن في رفق رأيت ابتسامة *** تجول مكان الدمع من جانب العين

(١) العقاد والمازني، الديوان، مرجع سابق، ص ٤٢٠.

(٢) عباس محمود العقاد، ديوان العقاد، مرجع سابق، ص ١١٤.

ولشكري قصائد تبدو في إيقاعها وقوافيها ومعجمها كأنها معارضة لبعض القصائد القديمة ومن تلك القصائد التي توحى بالمعارضة مقطعة له بعنوان (شكوى صديق)^(١) يقول فيها:

ومطلب بالعتب هجرى لم أزل *** أداريه حتى عارضته مذاهبه
يعالج مني باسم الشر راضياً *** وأخبر غرا أنكرته معايبه
أجود بنفسي في هواه سماحة *** ويبخل بالنزر الذي أنا طالبه
وما كل أمر تستقيم صدوره *** لمن لم يرضه تستقيم عواليه
لقد سامي أن أقبل الذل ضلة *** هل الغبن إلا ما تقل مطالبه
ووكل بي الإعراض حتى أفتنه *** وما كل صافي الوجه تصفو مشاربيه
ساندب عهداً كنت فيه بغطة *** وهل يرجع العهد الذي أنا نادبه
وليل كاغضاء الحليم أدرعته *** لأقضى أو تنجاب عنى غياهبه
وصلت به الأوهام حتى كأنه *** يراقبها في مكثه وتراقبه

ويرى الباحث أن التقليد واضح في أبيات القصيدة في العبارة والمعجم والإيقاع ولعل من خير النماذج لجتماع الأضداد دون أن تكون الألفاظ المقابلة لدى الشاعر مجرد لبنات في بناء البيت أو تمهدًا لقافية أو تحقيقاً لإيقاعه قول المازني في قصيدة بعنوان (المناجاة)^(٢):

الله في كلف الأحشاء مفتون *** يهتجه الشوق، من باد ومكnon
يقوى ويضعف كالآذى، آوانه *** يطغى، وآونة يهدا إلى حين
يمزق الشوق أحشاء، كما فتك *** بالغيم عجرفة الهوج المجانين
مقطب، فإذا ما افتر عابسه *** فذاك سخر أسى في القلب مدفون
قد طارد الفلق المضني سكينته *** فبات نهزة خوف غير مأمون
باع الرجاء ولم يبتع به بدلًا *** سوي قنوط طريد الغرب مسنون

(١) العقاد والمازني، الديوان، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٤.

في صدره من زمان الصيف وقدته *** لكنه مطلخ جد مجنون
 حنادس كظلام الموت باردة *** وهمس يأس كالحان الشياطين
 ماضيه أسمح مرهوب، وحاضره *** كظنه مثل شظيات البراكين
 يستقرطر الألم الدامي مساربه *** كان في كل عضو سكين!
 إن نام نغشت الأحلام رقتها *** أو قام ناجاه هم غير مظنون

وهذا إيليا أبو الماضي^(١) في صور وجاذبية أكثر تركباً التي يصف فيها إحدى النائحات وهي قريبة إلى قلبه مع النسوة وهنَّ يبكين فتاة ماتت في صباها في وصف وجاذبي بديع جاء ذلك في قصيدة (الدمعة الخرساء)^(٢)، وهي من بحر الكامل، فيقول:

فسترجعين خميلة معطارة *** أنا في ذراها بليل مسحور
 يشدو لها ويطير في جنباتها *** فتهش إذ يبدو وحين يطير
 أو جدواً متترقراً متزيناً *** أنا فيه موج ضاحك وخرير
 أو ترجعين فراشة خطاره *** أنا في جناحيها الضحى المنشور
 أو نسمة أنا همسها وحيفها *** أبداً تطوق في الربي وتدور

(١) إيليا أبو الماضي: (١٨٨٩ - ١٩٥٧م) شاعر لبناني، هاجر إلى مصر وعمره ثلاث عشرة سنة، واشتغل فيها بتجارة التبغ مع عمه، وأخذ ينشر في مجلة (الزهور) بوأكير شعره، ثم نشرها باسم (ذكري الماضي) سنة ١٩١١م، وهاجر بعد عشر سنوات من مصر إلى أمريكا الشمالية، وعمل في بداية الأمر بالتجارة، ثم تحول إلى حقل الصحافة والأدب، فعمل محراً في عدد من الصحف، وينشر نظمه في المجالات والصحف، وأسس مع جبران خليل جبران وزملائه (الرابطة القلمية) في نيويورك سنة ١٩٢٠م، ثم أصدر سنة ١٩٢٩م جريدة (السمير) وكانت من أوسع الصحف انتشاراً في المهجر، وكان لديوانه (الجداول) صدى كبير في الأوساط الأدبية، حيث تناوله الأدباء بالنقد والتحليل والدراسة، تأثر في شعره بالنزعة الرومانسية وبدت فلسنته الخاصة في دعوته إلى الخير والحب والجمال، ونظرته المقابلة للحياة وقد عبر عن فلسفة الشعرية هذه في كثير من شعره تعبيراً بسيطاً وبساطاً في ديوانه (الجداول) إلى التعامل الإيجابي مع الحياة، والتعمم بطيئاتها، والاستمتاع بمسيراتها. (محجوب محمد آدم، نصوص من الأدب الحديث، مرجع سابق، ص ١١١).

(٢) إيليا أبو الماضي، الجداول، دار العلم للملائين، ١٩٦٠م، ص ١٨١.

تغشى الخمائل في الصباح بليلة *** وتأوب، حين تؤوب، وهي عبر
 أو نلتقي عند الكثيب على رضى *** وقناعة، صفاصفة وغدير
 تمتد فيه وفي ثراه عروقها *** ويسليل تحت فروعها ويسلير
 وتغوص فيه خيوطها فتلته *** ويشف، فهو المنطوي المنشور
 يأوى إذا اشتد الهجير إليهما *** الناسكان، الظبي والعصفور
 لها سكينتها ووارف ظلها *** والماء، إن عطشا، لديه وفيه
 أتعجبتان: زبرجد متهدل *** نام، تدفق تحته البلور
 لا أصبح بينهما يحول، ولا الدجي *** فكلاهما بكليهما مغمور
 تتعاقب الأيام وهي نصيرة *** مخضرة الأوراق وهو نمير
 والشعر الوجданى أهم مصادره الطبيعة ولإيليا أبي ماضي قصيدة بعنوان
 (قصيدة الطبيعة)^(١) يقول فيها:

روض إذا	زرته	كئيماً	***	نفس عن قلبك	الكروبا
يعيد قلب	الخلي	مغرى	***	وينسى العاشق	الحبيبا
إذا بكاه	الغمام	شقت	***	من الأسى زهره	الجيوبا!
تلقى لديه	الصفا	ضروباً	***	ولست تلقي له	ضربيا
وشاه قطر	الندى	فاضحى	***	رداوه معلماً	فشيما
فمن غصون	تميس	تيهاً	***	ومن زهور تضوع	طيباً
ومن طيور	إذا	تغت	***	المعنى بها	طروباً
ونرجس	كالرقب	يرنو	***	وليس ما يقتضي	رقبيا
وأقحوان	درا	يريک	***	وجلار حكى	الهبيبا
وجدول	لا يزال	يجري	***	يقتضي كأنه	مربيا
تسمع طوراً	له	خريراً	***	وتارة في الثرى	دببيا
إذا ترامى	على جديب	***		أمسى به مربعاً	خصبيا

(١) العقاد والمازني، الديوان، مرجع سابق، ص ٣٩.

أو يتجمى على خصيب *** قاحلاً
 جديباً أعاده *** لم يأت من بعده طبيباً
 صح، فلو جاءه عليل *** يعلم الشاعر النسيباً
 وكل معنى به جميل *** أرض إذا زارها غريب *** أصبح عن أرضه غريباً
 ويقول "رشيد سليم"^(١) تعبرأ شعرياً رابطاً بين مظاهر الطبيعة والحزن
 والحنين إلى الوطن ذلك في قصidته (الغريب والشمس) نظمها في الريودي
 جانIRO عام ١٩١٤م:

ربة النور جمال وكمال.. ما أجلا!
 مذ بدا وجهك من خلف الجبال.. وتجلى
 مال ظل الليل نحو الغرب، مال.. ثم ولى
 شمس لبنان، انظري حال الغريب.. وارحميه
 واذكري كل شروق وغروب.. لذويه
 أنه صب، وتنكار الحبيب.. ملء فيه
 وإذا لحت بميناء "الوطا" مستحمى
 حيث يمشي إخوتي مثل القطا.. خلف أمي
 فالشمي عن آثار الخطى.. أنى لثم!
 ليتني أعلق يا ذات الضياء.. بحبالك!
 لتدور بي آفاق السماء.. كهلالك
 وأراهم كل صبح ومساء.. من هنالك

ولرشيد أيوب قصيدة بعنوان (ليتنى)^(٢) وهي تتحدث عن أمنيه في معرفة
 بعض الأشياء حتى يعتبر بها ويستهدى فيقول:
ليتنى في الحق أرعى الغنما * صارفاً عمرى سميرًا للنجوم**

(١) العقاد والمازني، الديوان، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٢) رشيد أيوب، الألوبيات، دار صادر، ١٩٥٩م، ص ٢٠.

خالياً من كل هم مثلاً *** غني قد جهلت معنى الهموم
 فإذا هبت رياح وهمي *** مطر وانتشرت فوقى الغيوم
 أنفح الشباب، أشدو طرباً *** وقطيعي سائر في أثرى
 لست أخشى من غراب نعماً *** آمناً لم أدر معنى الحذر
 ليتنى في روضة عند الغدير *** باعتزال عن جهادي في الوجود
 مصغياً كلي لذياك الخير *** وهو يتلو أناشيد الخلود
 ما أحيلى القلب في الدنيا، كسير *** فهو عنوان لمن يرعى العهود
 رق حتى كلما هبت صبا *** حملته مع نسيم السحر
 وهو يتلو باكيأً منتحباً *** يا زمان الحب تحت الشجر

وعن الروع الذي حصل للناس إبان الحرب العالمية الأولى والشاعر واحد

منهم يقول الشاعر (نسيب عريضة)^(١) عن تلك الأيام:

كفنوه وادفنوه.. أسكنوه هوة اللحد العميق
 واذهبوا، لا تندبوه، فهو شعب ميت ليس يفيق!
 هتك عرض نهب أرض، شنق بعض، لم تحرك غضبه
 فلماذا نذرف الدموع جزاها؟ ليس تحيا الحطبه!
 لا وربى، ما لشعب، دون قلب، غير موت من هبه
 فدعوا التاريخ يطوي سفر ضعف، أو يسوى كتبه
 ولنناجر، في المهاجر، ولنفاخر، بمزايانا الحسان
 ما علينا إن قضى الشعب جمياً أفسنا في أمان!
 رب ثار، رب عار، رب نار، حركت قلب الجبان
 كلها فيها ولكن، لم تحرك ساكناً، إلا اللسان!

(١) الأرواح الحائرة، ص ٦٥.

ويقول رشيد أیوب في الحنين للوطن في قصيدة أسمها (نيويورك - وففة

على الهدسون)^(١) حيث جاء فيها:

تذكرة أوطاني على شاطئ النهر *** فجاش لهيب الشوق في مطلع السر
وأرسلت دمعاً قد جنته يد النوى *** على، فأمسى في منتخب القطر
عدوان، منذ البدء، لكن لشقوتي *** قد أتفقا أن أقضى العمر بالقهر
فلا النار في صدري تجف أدمعي *** ولا عراتي تطفئ النار في صدري
كان نصبي بـأن بـحر مـصـائب *** له أبداً مد بـقلبي بلا جـزـر
أكتـم صـبـري والـخطـوب تـنوـشـني *** وهـيـهـاتـ أنـ تـقوـيـ الخطـوبـ عـلـىـ صـبـريـ
يـروـعـنـيـ بـالـهـجـرـ دـهـرـيـ كـانـهـ *** عـلـيمـ بـأـنـيـ لـسـتـ أـخـشـىـ سـوـيـ الـهـجـرـ
وـإـنـيـ لـدـيـ دـهـمـ اللـيـالـيـ وـجـورـهـاـ *** ضـحـوكـ المـحـيـاـ غـيرـ مضـطـربـ الفـكـرـ
أـصـوـغـ القـوـافـيـ حـالـيـاتـ نـحـورـهـاـ *** عـرـائـسـ أـبـكـارـ بـرـزـنـ منـ الدـخـرـ
إـذـاـ مـاـ نـسـيـمـ الشـوـقـ هـزـ قـرـيـحـتـيـ *** تـسـاقـطـ مـنـهـاـ الدـرـ فيـ روـضـةـ الشـعـرـ

(١) رشيد أیوب، الأیوبیات، مرجع سابق، ص ٩.

الفصل الرابع
مرحلة الازدهار في الشعر
الوجوداني العربي المعاصر

وفيه مبحثان:
المبحث الأول: مشاهد الطبيعة
المبحث الثاني: المساء والحزن

المبحث الأول

مشاهد الطبيعة

يقول عبدالقادر القط^(١) عن فترة الازدهار والنضج: (منذ أن انقضت الحرب العالمية الأولى نمت في العالم العربي كثير من القضايا السياسية والاجتماعية التي كانت بدورها قد بدأت تشق طريقها إلى الحياة في المرحلة السابقة فازداد الشعور القومي قوة و(تباور) في حركات استقلالية كثيرة تهدف إلى الخلاص من سيطرة الاحتلال الأوروبي وازداد الشعور الاجتماعي وعيًا وتطلع المتفقون إلى مزيد من الحرية والعدالة الاجتماعية.

وكان التطور الفني في الشعر والنشر على السواء قد بلغ مداه عند المجددين فأصبحت الأساليب الأدبية الجديدة ذات طابع فني ونفسي متميز وقد توزع بين القديم والجديد فصار من الممكن أن يقسم الدارس الأدب إلى عصري ومحافظ أو وجدي و"كلاسيكية جديدة".

وتولى ظهور الشعر الوجدني في الصحف والمجلات والدواوين الكاملة في الوطن العربي والمهاجر الأمريكية).

وفي مشاهد الطبيعة يقول إيليا أبو ماضي في قصيدة بعنوان (ريح الشمال)^(٢):

فجاوبني هاتف في الظلام *** غلت ما هذه الشمال
ولكنها نفس الغابرين *** تجوس الديار ولا تنزل
فقلت: أينهض من في القبور *** وفوقهم الترب والجندل
أجاب الصدى، ضاحكاً ساخراً *** إلى كم تحار، وكم نسأل
من البحر تصعد هذى الغيوث *** وتهطل في البحر، أو تهطل

(١) عبدالقادر القط، الاتجاه الوجدني في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٦٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٤.

وفي الجو، إن خفيت، نسمة *** وفي الأرض، إن نصب المنهل
لقد كان في أمس ما قبله *** وفي غده يومك المُقبل
عجبن لباك على أول *** وفي الآخر الناح الأول!
هم في الشراب الذي نحتسي *** وهم في الطعام الذي نأكل
وهم في الهواء الذي حولنا *** وفي ما نقول وما نفعل
والشاعر الوجданى فهو في صراع دائم بين رغباته ومثله ويعيش مشدوداً
بين عالمي الواقع والمثال وهو أكثر شفافية بإحساسه كما يقول علي محمود طه^(١):
لقد دنس الجسد الآدمي *** حياة حرست على طهرها
بكى الفن فيك على شاعر *** تسائله الروح عن ثأرها
نزلت بها وھدة كم خبا *** شعاع وغيب في قبرها
رفعت تماثيلك الرائعات *** وحطمتهن على صخرها
دفع زهرة الأرض يا ابن السماء *** فأنت المبرا من شرها
مراحل في السحب العاليات *** وفوق المنور في زهرها
فمد جناحك فوق الحياة *** وأطلق نشيدك في فجرها
وعن الندم كذلك يقول إلياس أبوشبكه^(٢):

رباه، عفوك! إني كافر جان *** جوعت نفسي وأشبعت الهوى الفاني
 تبعت في الناس أهواه محرمة *** وقلت للناس قولًا عنه تنهاني
 ولم أفق من جنون القلب في سبلي *** إلا وقد محت الأهواه إيماني

وطأة لي كنف الدنيا، فقلت: قفي يا نفس في منهل اللذات وارتشفي
ومال مذهب طبعي عن سجيته حتى تقلب في بطل وفي صلف
وغاب عنى أني عشبة نبت على جوانب إبريق من الخزف

(١) علي محمود طه، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٢) إلياس أبوشبكه، أفاعي الفردوس، دار المكتشوف، ١٩٦٢م، ص ١٠٩.

وفي الهدوء والتأمل والطبيعة يقول رشيد أليوب^(١):

أنا في سبيل الحب أهوى العين في عبراتها
والطير إن ناحت على الأغصان في غدواتها
والريح، يحيا العاشق المشتاق من نفحاتها
والليل أصغر فيه للأفلاك في رناتها
أنا أُعشق النفس التي تكثر في حسراتها

وعن التسامي والآفاق الروحية التي ترقى إليها الأحساس الوجدانية
الصادقة يقول سيد قطب^(٢):

أحبك من قلبي الذي أنت ملؤه *** ومن كل إحساس بنفسي ذائب
فؤادي الذي فتحت به مشاعراً *** من الحب والإحساس شتى المذاهب
سموت به حتى تكشف دونه *** عوالم أخرى تائها الجوانب
عوالم لا تبدو لقب منقب *** بلا ذك القلب الرفيق المصاحب!
بها كل لذات الحياة، ودونها لذائذ أخرى كاذبات العواقب!
هناك نسمو بالحياة فترتقي إلى كنف بين السموات ضارب
هناك نحيا والأمانى حولنا *** تغرد ألحان المنى والرغائب
والشابي بوجданه يمزج بين الحب والطبيعة والمجتمع والنفس والموت
ويتمثل ذلك في قصidته (صلوات في هيكل الحب)^(٣) حيث يقول:

يا ابنة النور، إني أنا وحدي *** من رأى فيك روعة المعبد!
فدعيني أعيش في ظلك العذب *** وفي قرب حسنك المشهود
عيشة للجمال والفن والإلهام *** والطهر والسنى والسجود
عيشة الناسك البطل ينادي الرب *** في نشوة الذهول الشديد

(١) رشيد أليوب، أغاني الدرويش، دار صادر، ١٩٥٩م، ص ٥٣.

(٢) سيد قطب، الشاطئ المجهول، ص ١٢٢.

(٣) أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٠م، ص ١٨٥.

وامتحني السلام والفرح الروحي *** يا ضوء فجري المنشود
 وارحميني فقد تهدمت في كون *** من اليأس والظلم مشيد
 في شعاب الزمان والموت أمشي *** تحت عباء الحياة جم القيود
 وأماشي الورى ونفسي كالقبر *** قلبي كعالم المهدود
 ظلمة مالها ختام و هول *** شائع في سكونها المدود
 وإذا ما استخفني عبث الناس *** تبسمت في أسى وجود
 بسمه مرة، كأني أستل *** من الشوك ذابلات الورود

وهذا هو الهمشري^(١) يقول عن الحب ومزجه بالنفس البشرية:

أنت كل الحياة، أنت كياني *** أنت روحى أبصرتها فى سباتي
 أنت وحى مجداً أنت لحنى *** يا سماء على سماء حياتي
 أنت أغريتني بأن ألاك *** خلف سور الحياة.. فوق رياك
 غير أنى بحثت عنك طويلاً *** وأخيراً نعست تحت ذراك
 أيقظيني من الذهول وغنى *** يا ملاكي على طول حياتي
 أرشدينى إلى الضياء، وإلا *** فاتركيني أهوى إلى ظلماتي!
 وعلى عالمي الشتائي فيضي *** نور دفع يفني ظلامي الحالك
 وارفعيني كمعبد قدسي *** تتهادى به طيف جمالك

كذلك إبراهيم ناجي^(٢) يعبر عن ذلك الطموح الروحي الذي يزكيه الحب في نفس الشاعر فيقول:

لست أنساك وقد أغريتني *** بالذرى الشم فأدمنت الطموح
 أنت روحي في سمائي، وأنا *** لك أعلى فكأني محض روح
 يا لها من قم كنا بها *** نتلاقى وبسربينا نبوح
 نستشف الغيب من أبراجها *** ونرى الناس ظللاً في السفوح

(١) الهمشري، ديوان الهمشري، وزارة الثقافة بمصر، ١٩٧٤م، ص ١١٦.

(٢) إبراهيم ناجي، ليالي القاهرة، دار العودة، ١٩٧٣م، ص ٤٨.

والشاعر محمود حسن إسماعيل^(١) الذي عرف شعره باقتربه من الرمزية ويتحدث هنا عن المرأة يقول:

كنا جناحين لطير السماء.. يهفو كما تخفق
إذا أمرنا الأفق رق الهواء.. وعرج الزورق
وإن نزلنا العشب دق الغناء.. من قلبه المغلق
لكنه فرق.. وأصبحت أنتى ككل النساء!
جبارة كانت تسوق التنشيد.. سحراً لأوتاري
وتصطلني أحلامها ما تزيد.. من شهوة النار
أخفت عن الدنيا هواما العتيد.. من خشية العار!
وباعت الحب لشار جديد.. لو أنه دار
ما أحرقت ناري، لباعها وارتدى بيع العبيد!
والإثم خفاف تحب الظلام.. طيور أسراره
يقال عار، إن أدار الأنام.. كأساً بأخباره
وإن غفا السمع تمطى ونام.. في ظهر أوزاره
قل لرداء العرس: أرخ اللثام.. وانظر إلى عاره
وزهر أبكاره.. يبكي على العطر بتلك الرّمام

أما إلياس أبوشبكة في قصidته (شمدون)^(٢) بأسلوب حسي يعبر عنه رأيه تعبيراً صريحاً وجارحاً عن المرأة فيقول:

ملقيه بحسنك الماجور *** وادفعيه للاقتalam الكبير
إن في الحسن، يا دليلة، أفعى *** كم سمعنا فحيها في سرير
سكت خدعة الجمال هرقلاء *** قبل شمدون، بالهوى الشرير
والبصير البصير يخدع بالحسن *** وينقاد، كالضرير الضرير

(١) محمود حسن إسماعيل، أين المعز، ص ١٣.

(٢) إلياس أبوشبكة، أفاعي الفردوس، دار المكشوف، ١٩٦٢م، ص ٣٣.

ملقيه فالليل سكران واه *** يتلوى في خدره المسحور
 ونسور الكهوف أو هنها الحب *** فهانت لديه كالشحور
 وعنا الليث للبوءة كالظبي *** فما فيه شهوة للزئير
 ملقيه ففي أشعة عينيك *** صباح الهوى وليل القبور
 وعلى شرك الجميل ثمار *** حجبت شهوة الردى في العصير
 وعن الحرية متمثلة في حرية البطل الذي لا يتقيد بشيء فهو يغنى وإذا
 صمت فهذا دليل على أنه في أسر ففي ذلك يعبر عمر أبوريشة في مقطوعة
 بعنوان (بطل)^(١) فيقول:

أفيته ينشر كأنما ينشر من كده
 وإلهه المشق ظل له باق، كما كان، على عهده
 مدلله الافتات مستوحش طاو جناحه على وجده
 كم أطبقت منقاره غصة فمد ينقر في قيده!
 أسلمه العيش، على وفره لما رأه ليس من كده
 وأين مخضل الجن حوله من زنبق الروض ومن ورده!
 طوى المنى نوها، ولكنما لم يُفه النوح ولم يجده
 فعاف دنياه، ولم يتخذ عشا، ولم يحمل سوي زهره
 كأنه من طول ما مضّه من عبث الدهر ومن كيده
 أبي عليه الكبر أن يورث الأفراح ذل القيد من بعده
 أما أحمد شوقي فقد اتخذ موقفاً وجداً في مسرحيته (مسرح كيلوباترا)^(٢)
 حيث جعل (الزنقة) رمزاً لأسر الروح التي لا تزدهر إلا في رحاب النور
 والجمال حيث قال على لسانها قبل انتحارها فيقول:

زنقة في الآية ضحية الآنية

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٤٤.

(٢) أحمد شوقي، مسرح كيلوباترا، ص ٩٢.

جنت عليها عربة الأسر الأكف الجانية
وبدلت من سعة الربوة ضيق الباطية
يسقونها من جرة بعد العيون الجارية
يا جارتا شأنك لا يشبه إلا شأنيه
وكلنا ذابلة عما قليل ذاويه!

وعن الطبيعة وجمالها والاستمتاع بها نجد الشابي^(١) تتبّق من وجданه تلك الكلبة فانقلب السعادة هو اجساً وتشاؤماً وشكوى فبدل أن يطرب الشاعر لصوت عصفور يغني فيجعل من نفسه طائراً توافقاً إلى الغناء فيتمنى لو شارك العصفور بهجهته لولا ما يخرس أوتاره في شعور مؤلم فيقول:

يا أيها الشادي المفرد هاهنا *** ثملأ بغيطة قبة المسور
متتقلاً بين الخمائل، تالياً *** وهي الربيع الساحر المسحور
غرد، ففي تلك السهول زنابق *** ترنو إليك بناظر منظور
غرد، ففي قلبي إليك مودة *** لكن، مودة طائر مأسور!
هجرته أسراب الحمام، وانبرت جنية الديجور
غرد ولا ترهب يميني، إبني *** مثل الطيور بمحاجتي وضميري
لكن، لقد هاض التراب ملامحي *** فثبت مثل البيل المكسور
أشدو برنات النياحة والأسى *** مشوبة بعواطفي وشعوري
غرد ولا تحفل بقلبي إنه *** كالمعزف المتحطم المهجور
وأما الحرية القومية فإنها تتمثل عند الشاعر العربي في قضايا التحرر والاستقلال وفي ذلك نجد الشاعر عمر أبوريشة^(٢) يعبر تعبيراً وجداً حيث يمزج في قصيده عن أمته العربية بين التراث والأساليب الشعرية الحديثة حيث يقول:
أمتي! كم غصة دامية *** خنقت نجوى علاك في فمي

(١) أبوالقاسم الشابي، أغاني الحياة، مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٨.

أي جرح في إبائي راعف *** فاته الآسى، فلم يلتئم!
 كيف أغضبت على الذل ولم *** تنفضي عنك غبار التهم
 أو ما كنت، إذا البغي اعتدى *** موجه من لهب أو من دم!
 فيم أقدمت؟ وأحجمت ولم *** يشتف الثأر، ولم تنتقمي؟
 اسمعي نوح الحزاني واطربى *** وانظرى دمع اليتامى وابسمى
 ودعى القادة في أهواها *** تتفانى في خسيس المغم!
 رب "وامعتصماه" انطلقت *** ملء أفواه البنات اليم
 لامست أسماعهم، لكنها لم تلامس نخوة المعتصم!
 وللشعراء الوجدانيين ملاد آخر غير الحب والطبيعة والحرية هو الماضي
 لما به من ذكريات سواء كانت ممتعة أم محزنة ويتمثل في قول علي محمود طه
 عن الماضي (١):

آوى إلى جنبات الصخر منفرداً *** أبكي لأمسية مرت وليلات
 قد غيرتنا الليالي بعدها سيراً *** وخلفنا العوادي بعض أشتات
 تلفت القلب في ليلاء باردة *** يبكي لياليك الغر المضيئات
 وذكريات من الماضي يطالعها *** بين الحقول وشطآن البحيرات
 فدع فؤادي محزوناً يرف على *** ماضي لياليَّ، وأنعم أنت بالآتي!

ويواصل علي محمود حنينه إلى الماضي نجد ذلك في قوله (٢):

وفزعت للأحلام والذكر *** تبكي، وتنشد رجعة الأمس
 وودت لو حكمت في القدر *** لتعيد سيرتها من الرمس
 ووهمت ناراً ذات إيماض *** فبسط كفك نحوها فزعها
 مرت بعينك لمحاة الماضي *** فوثبت تمسك بارقاً لمعا

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٣٤.

(٢) المرجع السابق ص ٦٩.

والشاعر إبراهيم ناجي^(١) يذكر الماضي بأوقاته السعيدة وذكرياته الجميلة فيقول:

التفت أرواحنا في ساحة *** كغريبين استراحا من سفر
 وحططنا رحلنا في واحة *** زادنا فيها الأماني والذكر
 وتساءلت عن الماضي، وهل *** حسنت دنياي في غير ظللك؟
 يا حبيبي أين أمضى من خجل *** وفؤادي أين يمضي من سؤالك!
 شد ما يخجلني جهد المقل *** من شباب ضاع أو من نور عين
 يتمشى السقم في قلب الأجل *** وأراني لك ما وفيت ديني
 أنا شاديوك ولحني لك وحدك *** فاقض ما ترضاه في يومي وأمسى
 درج الدهر وما ذكر بعدك *** غير أيامك، يا توأم نفس
 وعن البطولات والأمجاد الماضية يقول علي محمود طه عن طارق بن زياد^(٢):

أشباح جن فوق صدر الماء *** تهفو بأجنحة من الظماء؟
 أم تلك عقبان السماء وثبت من قلن الجبال على الخضم الثاني!
 لا، بل سفين لحن تحت لواء *** لمن السفين، ترى، وأي لواء!
 ومن الفتى الجبار تحت شراعها *** متربيساً بين الموج والأتواء
 يُعلى بقبضته حمائل سيفه *** ويضم تحت الليل فضل رداء
 وينيل ضوء النجم عالي جبهة *** من رسم إفريقيبة السمراء
 ذهب ببوقعة السنى، من ذويه *** مسحت محياه يد الصحراء
 لون جلت فيه الصحارى سحرها *** تحت النجوم الغر والأنداء
 وسماء بحر، ما تطامن موجه *** من قبل لابن الواحة العذراء
 بحر أساطير الخيال شطوطه *** ومسابح الإلهام والإيحاء

(١) إبراهيم ناجي، وراء الغمام، مرجع سابق، ص ١٦.

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٤٥٠.

ومدائن سحرية شارفته *** بنخلها وصفافها الخضراء
 ما زال يرمي الروم، وهو سليم *** ويذيل من قرطاجة العصماء
 حتى طلت به فكنت حديثه *** عجباً وأي عجائب الأنباء
 ويساعلون بك البروق لومعاً *** والموح في الإرباد والإرغاء
 من علم البدوي نشر شراعها *** وهداه للإبحار والإرساء
 أين القفار من البحار؟ وأين من *** جنّ الجبال عرائس الدماء!
 يا ابن القباب الحمر، ويحك! من رمى *** بك فوق هذي اللغة الزرقاء؟
 تغزو بعينيك الفضاء، وخلفه *** أفق من الأحلام والأضواء
 جزر منورة الثغور كأنها *** قطرات ضوء في جفاف إناء
 والشرق، من بعد، حقيقة عالم *** والغرب، من قرب، خيالة رائي
 أما عن ترابط الصورة الشعرية الذي يظهر فيما بين المشاهد الطبيعية
 والجو الخيالي الرمزي والشجن، نلحظ ذلك عن الهمشري في قصيدة بعنوان
 (الأغنية المسائية.. أو عودة الرايعي)^(١):

ها هو الليل، مقبل يتهدى *** فارس يمتطي ظهور التلال
 ونسيم المساء يسرق عطرأ *** من رياض سقيقة في الخيال
 صور المغرب الذكي رباهما *** فهي تحكي مدينة الأحلام
 نفخت في الخيال منها زهور *** غير منظورة من الأوهام
 المساء *** غازلتها أشعة في ووراء السياح زهرة قُل
 نشر النسم سرها وهو يسري *** في رياض مطولة الأفياء
 ودهاليز من ظلال ونور *** صورت سحرها يد الأطیاف
 عسس الطائر المسائي فيها *** ساكباً لحنـه الحنون الصافي
 إن هذي الأزهار تحلم في الليل *** وعطر النارنج خلف السياج
 وخمير المياه والشفق السحر *** وهمس من النسيم الساجي

(١) الهمشري، ديوان الهمشري، مرجع سابق، ص ١٦٢.

والندى والظلال تنعس في الماء *** وهذا الشعاع خلف الغمام
 بعض ألحانه تأنق فيها *** فتراءات في هذه الأجسام
 ولإبراهيم ناجي قصيدة عن (الزورق)^(١) الضال بين مهب الريح وثورة
 الأمواج حيث يقول:

أين شط الرجاء *** يا عباب الهموم؟
 ليلتي أنواء *** ونهاري غيوم!
 أعولي يا جراح أسمعى الدين
 لا يهم الرياح زورق غضبان
 البلى والثقوب في صميم الشراع
 والضنى والشحوب وخیال الوداع
 اسخري يا حیاھ قھقھي يا رعود!
 الصبا لن أراھ *** والھوى لن یعود

(١) إبراهيم ناجي، ليالي القاهرة، دار العودة، ١٩٧٣م، ص ٧٧.

المبحث الثاني المساء والحزن

وعن المساء والشفق والأطيار والأزهار والضجة والسكون والحركة والظلم وعودة الطيور إلى أعشاشها والرعاة إلى ديارهم كل تلك المعاني يصورها لنا الشاعر أبوالقاسم الشابي^(١) في قصيدة بعنوان (المساء الحزين)^(٢) حيث يقول:

أظل الوجود المساء الحزين *** وفي كفه معرف لا يبين
وفي ثغره بسمات الشجون *** وفي طرفه حسرات السنين
وفي صدره لوعة لا تقر *** وفي قلبه صعقات المنون
و قبله قبلاً صامتات *** كما يلثم الموت ورد الغصون
وأفضى إليه بوحي النجوم *** وسر الظلم ولحن السكون
وأوحى إليه مزاميره *** فغنت بها في الظلم الحزن
وعلمه صرخات القلوب *** وأنهله من سلاف الشؤون
فأغفي على صدره المطمئن *** وفي روحه حلم مستكين
قوى غلوب كسر الجفون *** شجي لغوب، كزهر حزين

(١) أبوالقاسم الشابي: (١٢٢٧ - ١٩٣٤م) ولد الشاعر سنة ١٩٠٩م في حي (الشابة) إحدى ضواحي مدينة توزر من جنوبى تونس، وكان والده قاضياً شرعياً ينتقل بحكم عمله من بلد إلى آخر، فلم يجد الشابي استقراراً في المقام أو الدراسة، وإن أتيح له أن يرى مناطق مختلفة في القطر التونسي، وأن يغذي خياله بجمالها، ويتطرق مباشرة لمشكلات الشعب في مختلف طبقاته وبقاعه، ثم التحق بجامع الزيتونة وعمره نحو اثنى عشرة عاماً، وتخرج عام ١٩٢٧م بعد أن نال شهادة التطويع ثم انتسب إلى المدرسة التونسية لنيل شهادة الحقوق وتخرج فيها عام ١٩٣٠م (محجوب محمد آدم، نصوص من الأدب الحديث، مرجع سابق، ص ٩٨-٩٩).

(٢) أبوالقاسم الشابي، أغاني الحياة، مرجع سابق، ص ٩٤.

ضحوك وقد بلته الدموع *** طروب وقد ظلته الشجون^(١)

والشابي بوجданه الفلق ومرضه وحياته القصيرة يبين لنا ذلك في قصيدة
عنوان (قلب الأم)^(٢) فيقول:

.. يصغي لصوتك في الوجود، ولا يرى إلا بهاك

يصغي لنغمتك الجميلة في خرير الساقية

في رنة المزمار، في لغو الطيور الشادية

في صجة البحر المجلل، في هدير العاصفة

في لجة الغابات، في صوت الرعد القاصفة

في نقبة الحمل الوديع، وفي أناشيد الرعاة

بين المروج الخضر، والسفح المجلل بالنبات

في آهة الشاكي، وضوضاء الجموع الصاخبة

في شهقة الباكي يؤججها نواح النادية

في كل أصوات الوجود، طروبها وكئيبها

(١) ويواصل الشابي، في قصيدته المساء الحزين ويقول:

أظل الفضاء جناح الغروب *** فألقى عليه جمالاً كئيب
وألبسه حلة من جلال *** شجي قوي، جميل غلوب
فنامت على العشب تلك الزهور *** لمرأي المساء الحزين الرهيب
وابت طيور الفضاء الجميل القلوب *** لأوكارها، فرحتا
وقد أضرمت بأغاريدها *** خيال السماء الفسيح الرهيب
وولى رعاة السوام إلى الحي *** يزجونها في صمات الغروب
فتغفو حنيناً لحملتها *** وتقطف زهر المروج الخصيب
وهم ينشدون أهازيجهم *** بصوت بهيج فروح طروب
ويستمحنون مزامرهم *** فتمنحهم كل لحن عجيب
تطير به نسمات الغروب *** إلى الشفق المستطير الخلوب

(٢) أبوالقاسم الشابي، أغاني الحياة، مرجع سابق، ص ١٩٧.

ورخيماها وعنفها وبغيضها وحبيها^(١)

ونجد هنا شكر الله الجر^(٢) يرثي أخاه فيقول:

ماذا أقول لقلب أمي الواله المتوجد؟
ما انفك طيفك نصب عينيها يروح ويغتدي
وتکاد تسمع وشوشاتك في الصدى المتردد
في هينمات الروض، في صخب الرياح الشرد
في زلاقات الطير حول المنزل المستوحذ
من غعممات الموج تحت الزروق المتاؤد
في مركب آت، وآخر للرحيل مزود

وفي رسم الصور المركبة نرى علي محمود طه^(١) يجسد ذلك في مأساته الموسيقية العميماء بعبارات وجداً نية حافلة بالصور البليانية حيث يقول:

(١) ويواصل شاعرنا في قصيده فيقول:

ويراك في صور الطبيعة حلوها ودميتها
وحزينها وبهيجها وحقيرها وعظمتها
في رقة الفجر الوديع وفي الليالي الحالمة
في فتنة الشفق البديع وفي النجوم الباسمة
في رقص أمواج البحيرة تحت أضواء النجوم
في سحر أزهار الربيع، في تهليل الغيوم
في لمعة البرق الخفوق، وفي هوى الصاعقة
في ذلة الوادي، وفي كبر الجبال الشاهقة
في مشهد الغاب الكئيب، وفي الورد الذاوية
في ظلمة الليل الحزين، وفي الكهوف العارية

(٢) د. عمر الدقاد، شعراء العصبة الأندرسية في المهجر، دار الشرق، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٨٧.

إذا ما طاف بالأرض *** شعاع
 إذا ما أنت الريح *** وجاش بالومض
 إذا ما فتح الفجر *** عيون الغض
 بكيت لزهرة تبكي *** بدمغ غير مرفض

زواها الدهر، لم تسعد *** من بالإشراق باللمح
 على جفنين ظمانين *** لأنداد والصبح
 أمهد النور: ما *** لليل قد لفك في جنح
 أرضي في خاطر الدنيا *** ووار سناك في جرحي
 أرى الأقدار يا حسناء *** مثوى جرك الدامي
 أريها موضع السهم *** الذي سوده الرامي
 أنيلي مشرق الإاصباح *** هذا الكوكب الظامي
 دعيه يرشف الأنوار *** من ينبع عنها السامي

وخلِي أダメع الفجر *** تقبل مغرب الشمس
 ولا تبكي على يومك *** أو تأسى على الأمس
 إليك الكون، فاشتفي *** جمال الكون باللمس
 خذِي الأزهار في كفيك *** فالأشواك في نفسي
 إذا ما أقبل الليل *** وشاع الصمت في الوادي
 خذِي القيثار واستوحِي *** شجون سحابه الغادي
 وهزي النجم إشفاقاً *** لجم غير وقد
 نعل اللحن يستهدي *** شعاع الرحمة الهادي^(٢)

(١) الأعمال الكاملة، ص ٣٤٠.

(٢) ويواصل علي محمود طه وجدانياته المليئة بالصور البيانية فيقول:

ومن القصائد الرمزية ذات الخيال البعيد ويمتزج فيها الحقيقة بالحلم هي قصيدة (أحلام النارجنة الذابلة) فبعد ذبول الشجرةأخذ الشاعر ينظر إليها من شرفت ويتأمل فيها بروح صادقة حيث تتضمن القصيدة ماضياً مليئاً بالذكريات ويقول الشاعر الهمشري^(١):

كانت لنا عند السياج شجيرة *** ألف الغاء بظلها الزرзор
 طرق الربيع يزورها متخفياً *** فيفيض منها في الحديقة نور
 حتى إذا حل الصباح، تنفست *** فيها الزهور وزقق العصفور
 وسرى إلى أرض الحديقة كلها *** نبا الربيع، وركبه المسحور
 كانت لنا.. يا ليتها دامت لنا! *** أو دام يهتف فوقها الزرзор!
 قد كنت أجلس حولها في شرفتي *** أو كنت أجلس تحتها في ظلتي
 أو كنت أرقب في الضحى زرورها *** متهلاً يغشى نوافذ غرفتي
 طوراً ينقر في الزجاج، وتارة *** يسمو يزرر في وكار سقيفتي
 فإذا رأني طار في أغوردة *** بيضاء، واستوفى غصون شجيرتي
 كانت لنا.. يا ليتها دامت لنا! *** أو دان يهتف فوقها الزرзор
 هيهات! لن أنسى بظلك مجلسِي *** وأنا أراعي الأفق نصف مغمض
 خفت جفوني ذكريات حلوة *** من عطرك القمري والنغم الوضي
 فانساب منك على كليل مشاعري *** ينبوع لحن في الخيال مفضض

إذا	ما	سقسق	العصفور	في	أعشاشه	الغن
وشق	الروض	بالألحان	غصن	من	غضن	إلى
أنتك	خواطري	الصداحة	الرفافة			الحن
تغييك	بأشعاري			وتدعى	عالم	الحسن

إذا	ما	ذابت	الأداء	خوف	ورق	النصر
وصبّ	العطر	في		الأكمام	إبريق	من التبر
دعوت	عرائس	الأحلام		من	عالها	السحري
تزيي	الحن	في		والأشجان	في	صدرى

(١) العقاد والمانزي، الديوان، مرجع سابق، ص ١٥٠.

و هفت عليك الروح من وادي الأسى *** لتعب من خمر الأربع الأبيض
هيئات لن أنسى ضحي سبتمبر *** والنحل يغشى نورك المتلاي
ومساء مارس كيف يهبط تله الأظلال ممدودة سفقيّة ***
نزل الحديقة تحت أرهام الندى *** وضفا عليك معطر الأذيال
فهناك كم ذهبية شغفت بها *** روحى، فتاهت في مروج خيالي
وهنا تحركت الشجيرة في أسى *** وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فتأوهت *** وكأنها بيد الأسى طنبور!
وتذكرت أيام يرشف نورها *** ريق الضحى ويزرزر الزرзор
وعرائس النارج تحلم في الندى *** فيرف فيها طيفه المسحور
كانت لنا، يا ليتها دامت لنا *** أو دام يهتف فوقها الزرзор!
وتذكرت عند السياج أزاهرا *** صفراء رفت في ظلال العوسج
زهر القطيفة كيف خان عهودها *** نسى الهوى في عطرها المتبلج
وتذكرت في رعشة لما سبا *** زرزورها منها، ولم يتبرج!
وهنا تمشت في الشجيرة خلجة *** وبكت حنيناً للشذى المتأرج
وتذكرت شفق توهج جمره *** خلل الغيوم على ربى الآصال
وبدت غصون الجوزرين كأنها *** قلع ترفرف في الحال خيال
وهنا تحركت الشجيرة في أسى *** وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فنتهت *** وكأنها بيد الأسى طنبور
وتذكرت شجر النخيل وهدهداً *** قد كان يقصدها صباح مساء
حلمت بأرض في الخيال سقيقة *** في ذلك الأفق القصي النائي
وهناك تحت "سمانجون" سمائها *** تافت إلى أحلامها الزرقاء
خلدت إلى صمت هناك مخيم *** تسجو عليه خوافق الأفياع

وذكرت في اليوسفي يمامه *** كانت تنوح الليلة القمراء^(١)

وهذا رأى الباحث أن يكون الباب الأول عن الوجданية في الشعر العربي الحديث، مدخلاً للوجدانية في الشعر السوداني، وهو كما معروف تاريخياً بأن السودان في كل حضاراته متاثر بانتقالها من العرب إليه، باعتبار أن العرب قد هاجروا إلى السودان بطرق عدّة، واحتلّوا بالسكان الأصليين، وأقاموا حضارة ونظام حكم وممالك إسلامية، فالنطر إلى الشعر العربي الوجданى الحديث يجعل الانقال سلساً إلى الشعر الوجدانى السوداني. وقد تم تقسيم هذا الباب إلى أربعة فصول وكل فصل يشتمل على مباحثين، فكان الفصل الأول بعنوان الوجدانية عند شعراء الإحياء في الشعر الحديث، وتعرضنا فيه لكثير من شعراء هذه المرحلة، باعتبارهم هم الذين مهدوا إلى هذا الشعر الوجданى. وبما أن الرومانسية بها بعض المشابهات لهذا الشعر الوجدانى العربي فقد رأينا التعرض لها أصلها ومنبعها ومعناها، وشعراءها، وأوردنا كذلك بعض القصائد المترجمة إلى العربية، كذلك قدمنا فصلاً عن مراحل الإبداع في الشعر الوجدانى العربي الحديث، وختمنا هذا الباب بمرحلة الازدهار في الشعر الوجدانى العربي الحديث.

(١) ويواصل الشاعر قصيته بقوله:

والأنداء	والأنغام	هي جنة الأشجار والأطلال والأعطار ***
يتزاهر "البشنين"	زهر اللوتين	فوق شطوطها ***
وعرائس	بالنحل تحلم في السكون	فاح عبرها ***
وهناك	ويقص أحلام الزهور	يغرد دائماً ***
يروي	ما يفوح به خيال النرجس!	لها أسطورة سحرية ***
نارنجتي،	وأنا حليف كآبة خرساء	فارقتني والله مذ ***
أصبحت	وكأني منه مساء شتاء!	بعدك في انقباض موحش ***
تناثر	روحى إليك وراء كل فضاء	الأعطار في آفاقها ***
وترف	قمراء أو ترنيمه بيضاء	في دهليز كل أشعة ***
قد كنت أرجو أن تكون نهايتي	في ظل هذا سور حيث أراك	آخر ما يخدر مسمعي ***
ويكون	رززورك الهاتف فوق ذراك	في غيبتي فيقيقة ***
ويطوف	فجر قصير العمر من رباك	سيقوم في الذكرى خيال شذاك!

الباب الثاني مراحل الوجودانية في الشعر السوداني

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الانطلاق الوجوداني

الفصل الثاني: شعراء الوجودان

الفصل الثالث: الطبيعة في الشعر الوجوداني

الفصل الأول

الانطلاق الوجوداني

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الانتقال من التقليدية إلى الوجودانية

المبحث الثاني: التعبير عن الذات عند التجانبي يوسف بشير

المبحث الأول

الانتقال من التقليدية إلى الوج다انية

الانطلاق الوج다اني هو تحرر من التقليدية والوجداانية في السودان تأثرت بالبلدان العربية الأخرى فقد استفاد مجددو السودان من إنتاج المجددين فيسائر العالم العربي وقد كان هذا الانطلاق والتجدد ملائماً لحاجتهم ومنسجماً مع الظروف التي تحيط بهم وكان قرض الشعر الوجدااني أملته ظروفهم وطبائعهم وهدم القوالب التقليدية وأشاعت نغماً جديداً وفتح أمام الشعراً آفاقاً أرحب وهو شعر يهتم بالذات في كل المحاور الخاصة وال العامة في كل المجالات، ومن صفات الشاعر الوجدااني القلق والحيرة والإبهام والحزن والأسى واللوعة والحنين. والرمز الذي يتطرق فيه الشعراً الوجداانيون هو الحب في كل شيء العقيدة والوطن والطبيعة والمرأة وغيرها.

وعن الانتقال من الشعر التقليدي إلى الوجدااني يقول محمد النويهي^(١): (أخذ عدد متزايد من المثقفين السودانيين في الرابع الثاني من هذا القرن (يقصد القرن العشرين) يمل هذا التقليد ويتبرم منه، ولا يجد فيه غناً، وجعل يتعطش إلى نوع جديد من الأدب، لا يقتصر على تقليد الأدب المأثور، بل يلتقي إلى الثقافة المعاصرة فيقتبس منها ما يغنيه ويتوسع أفقه، ويلتفت إلى السودان المعاصر فيصوّره في جميع عناصره وأوضاعه، ولا يقتصر على ما يجد له شبهاً في الأدب القديم، ويلتفت إلى مزاج أهله ونفسية هم وذوقهم فيعبر عنهم تعابيراً كاملاً تاماً الصدق، حتى يبرز كينونتهم الخاصة وشخصيتهم المتميزة).

ويقول المؤرخ محمد عبدالرحيم^(٢) عن الانتقال كذلك من التقليدية إلى الوجداانية والتعطش إليه بقوله: (أن يكون للسودان أدب خاص يحمل طابع شمسه

(١) محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٥٧م، ص ٤٢.

(٢) نفاثات اليراع في الأدب والتاريخ والمجتمع، محمد عبدالرحيم، طبعة شركة الطبع والنشر، الخرطوم، ١٩٣١م، ص

المشرقة وبدره الوضئ، ويخص بعنایته الحیاة السودانیة وحدھا منھنیاً علیھا یصفھا ویحللھا ویصدر عنھا ویرسم لھا منجذبًا إلیھا مندفعة إلیھم مؤثراً بھا متأثراً معھا ثم ینکمش علی النفس السودانیة یوسعھا درساً وتمحیصاً وتغیرھ فینقذھا ویمتحنھا متحیناً بھا أسباب الرقی والكمال مستخرجاً من مبادئھا غایاتھا ومن یومھا غدھا ومن أحلامھا حقائقھا دافعاً بھا حافزاً لها مسيطرًا علیھا نازلاً منها منزلة العقیدة من نفوس المؤمنین یحطونھا بالرعيایة ویزروون عنھا بالنفس).

وعندما بدأت مرحلة التجدد في الأدب والداعين إليها من الأدباء السودانيين كانت لهم سوح وميادين لنشر هذه الأفكار حتى تتشوّع دعوتهم التجددية وفي ذلك يقول محمد النويهي^(۱) عن مدرسة التجدد: (نشر دعاة هذه المدرسة الجديدة مقالاتهم في مجلة حضارة السودان بين سنة ۱۹۲۷م وسنة ۱۹۳۰م ثم في مجلة النهضة السودانية من سنة ۱۹۳۱م إلى سنة ۱۹۳۳م ثم في مجلة الفجر في سنتي ۱۹۳۴م و ۱۹۳۵م ولعل أولهم في الدعوة إلى إبراز الطابع السوداني في الأدب هو حمزة الملك طمبـل ۱۹۲۷م ثم جمعها في كتيب عنوانه (الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه) طبعه بالمطبعة الرحمانية في مصر في سنة ۱۹۲۸م ثم تبلورت هذه الدعوة على يد المفكر السوداني الكبير محمد أحمد محجوب في بحث توجيهي أهداه إلى المهرجان الأدبي بأم درمان وطبعه بالخرطوم في سنة ۱۹۴۱م في كتيب عنوانه (الحركة الفكرية في السودان إلى أين يجب أن تتجه)).

ويرى الباحث أن الظاهرة الوجданية لم تحدث عفواً بل كانت لها منها ما هو السياسي والاجتماعي وحتى المادي وأيضاً هناك أسباب ثقافية وجميع هذه الأسباب أثرت في الشاعر الوجданی وتقمصھا في ذاتیته وعبر ونطق وجاش بها شرعاً، ويقول محمد النويهي^(۲) في ذلك: (حين بدأ التجدد لم يتوجه أول ما اتجه إلى الشعب كما دعا أولئك الدعاة بل أخذ وجهة أخرى هي النفس الفردية للشاعر وكيانه الوجدانی الخاـص، فانکمش الشاعر في نفسه واهتم بما يجده فيها من

(۱) محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، مرجع سابق، ص ۴۸.

(۲) المرجع السابق، ص ۶۲.

اضطرابات عاطفية وشغل بالتأمل فيها وتتبع انفعالاتها وبالغ في ذلك حتى خلق منها عالماً قائماً بذاته أحاط نفسه به في عزلة ظاهرية من عالم الواقع المحيط به). وتعتبر حالة الشاعر الفذ التجاني يوسف بشير مثالاً فقد كانت حالته مرآة صادقة انعكست فيها كل تلك الأوضاع التي ذكرناها سابقاً ووضح أثرها جلياً في حياته.

والشاعر الأديب والأريب التجاني يوسف بشير كان ذكياً، بل حاد الذكاء شغوفاً بالعلم مغرياً بالدراسة والتحصيل، فقرأ وانكب على الأدب العربي القديم ولكنه لم يقلده بل اشتق طريقاً خاصاً به في شعره، ومن تصويره للأوضاع في بلاده يقول التجاني في قصيّته (ثورة)^(١)، وهي من بحر المديد:

قف بنا نمأً البلاد حاماً *** ونقوص في ركناها المرجحن
هي للنازحين مورد جود *** وهي للاهلين مبعث ضن
يستر الأجانب الخير منها *** ولثراء العريض من غير من
أبطرتهم بلادنا فتعالى ابن أثينا واستكبر (الأرمني)

والتجاني يصف لنا حال المستعمر والأجانب واستكبارهم على أبناء البلاد حيث متاجرهم الفاخرة وشركاتهم الفخمة واحتقارهم للسودانيين عندما يدخلونها أو يريدون الشراء منها فيشكون التجاني من الظلم وجراحته الكرامية السودانية فيقول في قصيده تحيه (٢):

حسن قيام الشعب واشرئباه *** والوثبة الأولى وظرف شبابه
لكن وددت لو أن بعض معارف *** شيدت فقام بها على اشرئباه

ويواصل في نفس القصيدة فيقول:
في الشرق تنطلق القرائح فجة *** والشرق منقلب على أعقابه

(١) التجانى يوسف بشير، إشرافه، الدار السودانية للكتب، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ٩٣.

^{٢)} المرجع سابق، ص ١٠١.

والتجاني في قصيده بعنوان (دنياي)^(١) حيث يصف دنياه الخاصة فيقول:

ما بي ثرأوك من ذخر ولا مال *** فاستبق دنياك حسيبي كنز آمالى
 ما بي شقيت وما بي إن نعمت وما *** بالقلب زهو الغنى أو رقة الحال
 دنياي وهي من الدنيا على نفس *** أثرى من التبر أو أسمى من المال
 وهبت للناس من دنيا مطامعهم *** ما عندها لي من نع미 وإقبال
 فليتركوا لي أحلامي وما نسجت *** حولي من الضنك إن لم يرضهم حالى
 وهبتهم من لذاذاتي وصمت فلم *** أطعم لذيداً ولم أفتر على حال
 ولا غنيت وما أبغى ولا رغبت *** دنياي في وفرة منها وإقلال
 وعشت انعم في عدمي ويسعدني *** أني تخففت من إصرى وأتخالي
 أولئك الناس لم أطرق حقائقهم *** بما لهم بي لا أهلي ولا آلي
 جانبت باطل أيامى وزهدنى *** فيها خوادع ما يطفو من الآل

ويمضي التجاني شاعر الوجدان ويواصل وصف حالته الخاصة ودنياه نجد

ذلك في قصيده (هوى وفقر)^(٢) فيقول:

سما بالهوى فقري ومن لك بالهوى *** سماوي معنى كله أبداً نبل
 هوى ساوقته النفس والشعر فانتمى *** إلى القلب واستولى مقاوده العقل
 وهبت له نعمى الحياة وزدته *** ذخائر أسرار المفاتن من قبل
 وهبت له الدنيا فأثرى ولم أهبه *** له التبر منها إن مشرعها ضحل
 عجبت لها كم ذا أروح واغتندي *** على ظمأ يروي سواي ويبتل
 وما بي ما أفت منها وإنما *** تخيرت من دنيا الصباية ما يحلو
 غرفت لها أني شقيت وأنها *** يصح بها مرضى النفوس وأعتل
 ولـي في كنوز الروح سلوى ورغبة *** بحسبي لا خلف لديها ولا مطل
 وحسبي لا أثرـيت منها وإنـي *** ليصرف نفسي عن نضارـكم شـغل

(١) المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٢) التجاني يوسف بشير، إشراقة، مرجع سابق، ص ٥٠-٥١.

وهل كان ما أسموا نضاراً وفضة *** وما كاثروا الدنيا به وهم قل
وما وهموا فيها لزمان ولم يزل *** يقدس من رحمانه العلم والجهل؟
سوى الترب واطأنا سوانا فضله *** دنائر لم يأخذ بناصرها العدل?
ضلاناً وسايرنا خداعاً وبهرجاً *** ونكب على نهج الحقيقة من ضلوا؟

ويعلق النويهي^(١) على الأبيات السابقات بقوله: (ندرك أن استهانته بكنوز المادة وفضيله كنوز الروح عليها لم يكن سوي محاولة عنيفة في تعزية نفسه، ولكنه ظل في صميمه شديد السخط على حظه التعس والحدق على اختلال الميزان الاقتصادي وسوء توزيع الثروة بين الناس).

ويعد فرض الاستعمار لسياسته القمعية على البلد في كل المحاور وانهيار السيادة الوطنية كانت نفس التجاني تروم نحو شمال الودي لما تتمتع به مصر من رخى في كل المجالات وجهادهم الرائع ضد المستعمر حيث يقول التجاني في قصidته (إلى!)^(٢):

ويا مهيب الجناح كم أمل *** تبغي وكمل في السماء تطلب
تود مصر الزمان وهي لما *** يأمل منها الشباب مطلب

ويواصل التجاني إعجابه بنضال الشعب المصري فيقول في قصidته (رسل الشباب في مصر)^(٣):

وشباب من الكناة حمس *** يثرون الحماس صاعاً بصاع
يدخلون النفوس كالأمل الثا *** ئر في رعدة أجل والتياع
كلهم ثائر الحفيظة حر الـ *** قلب ليث لدى الوعى والمصاع
صرخوا بالعرىن (صرخة) ذي *** مجد مذال وذى مقر مضاع
في سبيل الجهاد يدرأ عن مصـ *** ر بنوها بمنصل ويراع

(١) محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٢) التجاني يوسف بشير، إشراقة، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٨-٨٩.

وأرى مصر والشباب حلّيفي *** مجد فرعون أو ضجيعي يفاع
 مصر دين الشباب في الحضر الرا *** فه والبدو من قرى وبقاع
 مصر أم الشعوب ماذا عرها *** واعتري الشرق من وجي وضياع?
 حذى الموت في سبيك يا مص *** ر لنشء عن الحمى دفاع
 يا صروحاً من الجهاد بناها *** من بناها لدرأة وامتناع
 رسول للشباب تتجفهم مص *** ر على فترة وفي ادague
 قيس من هدى ونور وإشعا *** ع من الحق ما له من قناع^(١)

ويواصل التجاني يوسف بشير نثر وجاذبياته وسوقه إلى مصر العزيزة لديه
 ففي قصيده التي بعنوان (ثقافة مصر)^(٢) يقول:

عادني اليوم من حديثك يا مص *** ر رئى وطوفت بي ذكرى
 وهفا باسمك الفؤاد ولجت *** بسمات على الخواطر سكري
 من أتى صخرة الوجود ففرا *** ها وأجرى منها الذي كان أجرى
 سلسبيلاً عذب المشارع ثرا *** رأ رويا جم الأواذى غمرا
 يصنع المجد من عمائ زهر *** كلما ردها قلنس حمرا

كلما مصر المسود منها زاد في مجده جلاً وكبراً
 كلما طوق الكنانة علمًا خولتنا منه روافد تترى

(١) ويختتم الشاعر قصيده (رسول الشباب في مصر):

دم مصر عن مسنتين جياع *** حطموا لكم القيد وصونوا
 قل لمصر وحيها في شباب *** صبغ من جرأة ومن إزماع
 شاد أركانها وشد ذراها *** وابتني صرح مجدها المتداعي
 من جهاد عن العقيدة صدق *** ونضال عن الحمى وقراع
 مصر يا مهبط الحضارة والنور *** ر وايا مبعث الهدى كل ساع
 كيف أصبحت بعد عهد (علي) *** طلبة للهوى وللأطماء

(٢) التجاني يوسف بشير، إشراقية، مرجع سابق، ص ١٤٢ - ١٤٤.

هو من صاغنا على حرم النبي *** لـ وشطأنه دعاء وشكرا
 فجر النيل يوم نشر في الأر *** ض ضحاتها وصاغ للناس فجرا
 قال: كن فاستجاش يقذف دفا *** عاً ويجري على الشواطئ خمرا

ربدا يدفق الحياة على الوا *** دي ويستن في الكناة مجرى
وعن النيل الذي هو شريان الحياة في مصر والسودان وبذلك تشتراك
الدولتان في الثقافة والحضارة حيث النيل شاهداً عليهما يقول التجاني في نفس
القصيدة:

إنما مصر والشقيق الأخ السو *** دان كانا لخافق النيل صدرا
حفظاً مجده القديم وشادا *** منه صيتاً ورفعا منه ذكرا
فسلوا النيل عن كرائم أوسع *** نا دراريهما احتفاظاً وقدرا
ما رغبنا عنها ولكن دهرا *** نا وأتنا صروفه كان دهرا

وعن الفكر والحضارة والعلم والعمارة ومكانتها الثقافية والأدبية والإسلامية
والعربية يقول التجاني من ذات القصيدة:

واغشموا الفكر في كهوف "العوی" *** نات" ومدوا في عصرنا منه عصرا
واستبینوا النقوش واستوضحوا الا *** ثار واستفسروا الحجارة أمرا
واسألوها فإن فيها بقايا *** خبر يوسع العلاقة نشرا
نثه الناقشون معجزة الكھ *** ف كما نثت اللطيمة عطرا
أفسنا ألغى هوى جمعتنا *** سرحة الفكر في أواصر كبرى
أفکانت إلا الأصول استقرت *** حيث كانت لنازح ما استقرا
ثابتات هناك تنسب أشبا *** ها وتنمي من العلاقة كثرا
مصر راشت وثقفت وأعدت *** منه شمساً وأطلعت منه بدرًا
هيأت فكره فأزغب فاستشن *** رى فأعيى ركضاً وأعجز طفر
ففرى الدهر خابراً وشأي الس *** لهم مضى وزاحم الريح مسرى

طبع مصر تقصيًّا ونشاطاً كيف يا *** لو دهى الصخر داهم منه أوري
 قومنا تباعد من فـ *** رين شدا وساندا البعض أزرا
 كيف قولوا بجانب النيل شطيـ *** ه ويجري على شواطئ أخرى
 كلما أنكروا ثقافة مصر *** كنت من صنعتها يرعاً وف克拉
 جئت في حدتها غراراً فحيـ الـ *** له مستودع الثقافة مصرـا
 نصر الله وجهها فهي ما تـ *** داد إلا بـعاً علىَّ وعسرا

ويواصل التجاني قصيـته (ثقافة مصر) ويختـمـها بـمـدىـ يـأسـهـ وـمـارـتـهـ التـيـ
 طـغـيـ عـلـيـهـ الحـزـنـ فيـقـولـ (١):

ما أعظم هذا الـودـ والـوـجـدـ والـشـوقـ الـوـجـدـانـيـ الـذـيـ يـحـمـلـهـ التـجـانـيـ لـمـصـرـ
 أـمـلاـ فيـ الـوـصـولـ إـلـيـهـاـ وـلـكـنـ تـحـطمـ هـذـاـ أـمـلـ وـانتـهـتـ أـمـنيـاتـهـ مـاـ اـضـطـرـهـ إـلـىـ
 الـبقاءـ فـيـ السـوـدـانـ وـهـوـ مـشـجـونـ بـهـذـهـ الـأـحـوـالـ السـيـئـةـ وـكـلـ هـذـهـ الإـسـقـاطـاتـ سـبـبـهاـ
 الـأـحـوـالـ السـائـدـةـ فـيـ الـبـلـدـيـنـ مـنـ اـسـتـعـمـارـ جـاثـمـ عـلـىـ صـدـرـ الـبـلـادـ وـالـعـبـادـ فـنـدـبـ حـظـهـ
 فـيـ قـصـيـتـهـ (الأـدـبـ الضـائـعـ) (٢) حيثـ يـقـولـ:

(١) أـمـلـ مـيـتـ عـلـىـ النـفـسـ أـلـدـ *** تـ لـهـ مـنـ كـلـاءـ اللـهـ قـبـراـ
 زـهـقـ رـوـحـهـ وـفـاضـتـ شـعـاعـ *** قـبـلـماـ يـنـفـدـ الطـفـولـةـ عـمـراـ
 كـنـتـ أـحـيـاـ عـلـىـ نـدـيـ مـنـهـ يـسـاـ *** قـطـ بـرـدـاـ عـلـىـ يـدـيـ وـعـطـراـ
 فـيـ ظـلـ مـطـلـوـلـةـ أـفـرـغـ الشـ *** عـرـ عـلـيـهـ مـنـ الـهـنـاءـ فـجـراـ
 ثـمـ أـوـدـيـ يـاـ وـيـحـهـ ضـاقـتـ الدـنـيـ *** سـأـ بـهـ جـهـدـهـ اـحـتمـلاـ وـصـبـراـ
 بـعـدـمـ نـضـرـ الـحـيـاـ بـعـيـ *** نـيـ مـضـىـ جـاهـداـ وـأـعـقـبـ أـسـراـ
 إـنـ لـقـيـنـاـ مـنـهـاـ عـلـىـ الـبـعـدـ رـيـاـ *** مـاـ لـقـيـنـاـ مـنـهـاـ شـواـطـئـ خـضـراـ
 يـاـ اـبـنـ مـصـرـ وـعـدـنـاـ لـكـ مـاـ نـأـ *** مـلـ تـبـلـيـغـهـ مـنـ الـخـيرـ مـصـرـاـ
 قـلـ لـهـ فـيـ صـرـاحـةـ الـحـقـ وـالـحـ *** سـقـ بـأـنـ يـؤـثـرـ الـطـرـفـةـ أـحـرىـ
 وـثـقـيـ مـنـ عـلـاقـ الـأـدـبـ الـبـاـ *** قـيـ وـلـاـ تـحـفـيـ بـأـشـيـاءـ أـخـرىـ
 وـقـفـيـ بـالـصـلـاتـ مـنـ حـيـثـ لـاـ تـعـرـ *** فـ إـلـاـ مـسـالـكـ الـفـكـرـ مـجـرـىـ
 كـلـ مـاـ فـيـ الـورـىـ عـدـاـ الـعـلـمـ لـاـ يـكـ *** سـبـرـ شـعـبـاـ وـلـاـ يـمـجدـ قـطـراـ

(٢) التجاني يوسف بشير، إشراقـةـ، مـرـجـعـ سـابـقـ، صـ ٧١.

رَحْمَتَا لِلأَدِيبِ أَدْرَكَهُ الْبَأْسَ وَهَامَ الْأَدِيبُ بَيْنَ قَلَاعِهِ
مَا عَسَى يَنْفَعُ الْبَيْانَ وَمَاذَا كَانَ يَجْنِي الْأَدِيبُ أَوْجَاعَهُ؟
يَا أَدِيبًا مُضِيًّا مِنْ بَنِي الدَّنْ سِيَا بَحْسَبِ الْأَدِيبِ مَحْضُ اِنْتِجَاعِهِ
أَنْتَ يَا رَائِدَ الْقَرِيسْ وَمَا أَنْتَ تَبْسُطُ الْوَرَى وَلَا مِنْ رَعَاهُ
أَنْتَ قِيَاثَةَ الْجَدِيدِ بَكَ اِسْتَظْهَرَ مِنْ فِي الْوَجُودِ سَرِّ مَتَاعِهِ
أَدْبَرَ مَلْؤِهِ الْحَيَاةَ وَشَعْرَ مَفْعُومٍ بِالسَّمْوِ فِي أَوْضَاعِهِ
ضَاعَ وَبِحِذْيَيِّ يَغَارَ عَلَى الشَّعْرِ رَوْيِحَ الْأَدِيبِ يَوْمَ ضَيَاعِهِ

وبعد هذا النضال التي تكاثرت على التجانى حتى انسحب من معركة الحياة القاسية وأصبح يعيش منعزلاً في نفسه من حيث اعتبر هذا الانعزال سلوى وعزاء له والتحرر من قيود الزمن.

وكذلك يعتقد الشاعر أنه يقاسم قومه همومهم بطريقته الخاصة ذلك كان بعد انزوائه في عالمه الخاص فهو يسهر في دنياه النفسية من أجلهم حيث يصف هذا الشعور فيقول في قصيدته (نفسي!)^(١):

هي نفسي إشراقة من سماء الـ *** لـه تحبو مع القرون وتبطي
موجة كالسماء تقلع من شط *** وترسي من الوجود بشرط
خلصت للحياة من كل قيد *** ومشت للزمان في غير شرط
كلما اهتاجها الحنين استظللت *** بحبيبين من يهود وقبط
وهبت للجمال أقدس عقد *** من أهازيجها وأكرم قرط
وأفاضت على الصبا آيا *** ت من النور في غلائل خط
صابها في الضحى مرش من الطل *** على أنف الحدائق مبطي
نصرتها يد الربيع وجالت *** في حواشبها برفق وضعف
هي نفسي من الندى قطرات *** لم تنتلها يد الزمان بخلط
هي في صفحة الشباب قوى تز *** خر بالحب أو تموج بسخط

(١) التجانى يوسف بشير، إشرافه، مرجع سابق، ص ٧٢-٧٣.

هي قسطي من السماء فما أضَ — *** — يع في العالم الترابي قسطي
 وبح نفسي تنام من دونها لأنَ — *** — فس شوطاً وما تهم بشوط^(١)
 ويوضح محمد النويهي^(٢) عن شعر التجاني (وعلى هذا لا تكون عزلته
 عزلة المتعالي على الناس المحترق لهم غير الآله بهمومهم، بل تكون عزلة القلب
 الرقيق الحساس الذي يمزقه الأسى على مصائرهم والحزن لتعاستهم ولكنه لا
 يقوى على مواجهة ما يرى من حقائق مؤلمة فيحاول الفرار من مجتمع الواقع
 البغيض إلى دنيا أحلامه الحلوة الجميلة وقد ضاعف من عذابه شكه الفكري
 وتحيره الديني حين (مشت غائلة الشك إلى فجر يقينه) كما قال. فأظلمت روحه
 بعد خلوصها وصفائها وقد صور شكه وحيرته في مقطوعات عديدة).

حيث يقول في قصيدته التي بعنوان (ودعت أمس يقيني)^(٣):

يا مظلوم الروح كم تشقي على حرق *** مما يكابد منك القلب والروح
 هدى بجنبك مذبوح يحف به *** في عالم الصدر قلب منك مذبوح
 مضى بك العقل لم تستعد به أثراً *** واعتادك الشك إذ صافت بك السوبح
 وظللت في الأرض مأخوذاً فلا ظفرت *** بك الديار ولا استولى بك اللوح
 معلقاً في يد الأيام مطهراً *** في هامش الغيب لا عيسى ولا نوح

(١) يواصل التجاني قصيده (نفسي):

أخذ النوم من يدي وأعطي ***
 أعيناً لم أزل من الصحو أعطي ***
 لها الليل في يديه بأضفي ***
 مغم يفصل البطاح ومرط ***
 واعتنى في سلطها المشت وسمطي ***
 عين في سلطها المشت وسمطي ***
 أنا والنجم ساهران نعد الص ***
 بح خيطاً من الشعاع لخيط ***
 كم صباح نسجه أنا والنجم ***
 س وأرسلت شمسه في محظي ***
 قلت سيري على أسرة قومي ***
 واستحرري على مضاجع رهطي ***
 أنا جراءهم سهرت ليستف ***
 شوا ومن أجلهم أصيبي وأخطي ***

(٢) محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، مرجع سابق، ص ٧٠.

(٣) التجاني يوسف بشير، إشرافاة، مرجع سابق، ص ٣٣.

ودعت أمس يقيني في مودأة *** غبراء تعصف في أعماقها الريح
تكسرت شمس دنيا القلب وانطفأت *** في عالم الروح نفسي المصابيح
ويحيى ووبح الهدى المقبور ليس له *** رجعى وقد أوغلت في التباریح
لا أعرفاليوم إلا أنه لغد *** باب تمر على مغلاقه يوح!
والتجانی يقول إنه فقد يقينه حين فقد صباح فهو يودعهما معاً ذلك في
قصیدته (**الصبي العابد**)^(١):

غاص إلا صباة في ثايا *** غامضات وجف إلا بقايا
 وانقضى واسترد إلا ذماء *** في قليب أو نطفة في روايا
 برد ذاك اليقين في طيب ذاك الـ *** مهد في نبله وصدق النوايا
 غاله من يدي من نازعني *** هـ يداه فلم تعني يدابا
 كنت بين الصبا نعمت بإيمان *** رضى وأين عهد صبايا؟؟
 فسلبت الهدى وعولجت في النور *** وقد كنت صادقاً في هدابا
 تاه مني الصبا وضلت سنون *** بـ بعد في منطق كثير القضايا
 ومضى "الشك" باليقين فـ الله *** الرزايا!

يا صبياً كفنته أمس مني *** آلهي الضمير عف الحنايا
 قدسي الرداء عف الجلبيب *** حنيفاً منها عن خطايا
 أمرت عهdk السماء وجادتك *** أفاويق رحمة من رضايا
 ويمضي التجاني ولا يفتأ يؤكد أنه يرم بهذا الشكل ساخط عليه ويصور
 مدى تعذيبه له ولكن لا سبيل له للعودة إلى يقينه القديم حيث يوضح ذلك في
 قصيده (يؤلمني شكي) :

ما كنت أؤثر في ديني وتوحيدني *** خوادع الآل عن زادي ومورودي
غرن بي وبحسبى أن راويتى *** ملأى أریقت على ظمای من البد!

(١) التجانی يوسف بشير، إشرافه، مرجع سابق، ص ٣٤.

^{٣٥} المرجع السابق، ص ٢)

أفرغتها وبرغمي أنها اندرت *** بيضاء كالروح في سوداء صيخود
ورحت لا أنا عن مائي بمنتهل *** ماء ولا أنا عن زادي بمسعود
أشك يؤلمني شكي وأبحث عن *** برد اليقين فيفني فيه مجهد
أشك لا عن رضا مني ويقتلني *** شكي ويدبل من وسواسه عودي
وكم ألوذ بمن لاذ الآلام به *** وابتغي الظل في تيهاء صيهود
الله لي ولصرح الدين من ريب *** مجنونة الرأي ثارت حول معبد
إن راوغتني في نسكي فكم ولجت *** بي المخاطر في ديني وتوحدي
وفي ذلك يعلق محمد النويهي^(١) عن هذا الشك (وشكه هذا مرآة صادقة لما
انتشر بين المثقفين من اضطراب فكري شديد وخصوصاً بعد فشل ثورة ١٩٢٤م،
فقد كان مجتمعهم متافقاً منقساً على نفسه فلقاً بين مختلف التيارات السياسية
والفكرية بين انهزاميين آثروا مهادنة المستعمر ومكافحين أصرروا على المعركة
غير المتكافئة ومتشبثين بالماضي العربي الإسلامي وداعين إلى حصارة الغرب
الحديثة ومحتمسين لوحدة الوادي ومتعصبين لاستقلال السودان التام ومحافظين
على جميع الأوضاع والتقاليد الموروثة ومنادين بالإصلاح والتغيير؛ وفي وسط
هذه الدوامت المصطربة وقف التجاني بذكائه الحاد وبجهوده العصامي في تنقيف
عقله وانكابه على قراءة كل ما تصل إليه يده. ولكن ظروفه لم تتح له فرصة
الدراسة المرتبة والبحث المنظم وظل حائراً مخلطاً بين ما ورثه من ترمت ديني
وما اكتسبه من آراء جديدة متحررة فلا هو استطاع أن يستفيد إيمانه على أساس
علمي جديد مقنع للعقل ولا هو استطاع أن يمضي في الشك إلى نهايته فيصل إلى
هدوء الملحد وثقته وهكذا بغي في شكل شديد الإيلام وكان من أشد ما آثار تحيره
كنه العقل نفسه).

وعن تحيره في كنه العقل يقول التجاني في قصidته (*أنبياء الحقيقة*)^(٢) :
رب هبني رضاك من أين صاغت *** كف الطسم الخفي المستر؟

(١) محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٢) التجاني يوسف بشير، إشراقية، مرجع سابق، ص ٢٤.

السمى بالعقل عندك في الا *** زال من سير الحياة وسيطر
ملك من بني الضياء وجنى *** سيل الظلام من أرض عقر
رب هبني رضاك والعقل من ذا *** عاقه أن يبين فينا ويظهر
خفيت ذاته عليه أضحي *** عرضاً في الزمان أو ظل جوهر؟
يدهش الفكر نفسه ويحار الـ *** عقل في كنهه إذا ما تحرر
صعفته من قوى بنيت الجبال الشـ *** م منها و كنت بالعقل أخبر
فتخيرته عناصر أدنا *** ها انفجار على العوالم أكبر
ثم أعميته وأرهفت أدنيه *** وأطلقته يقوم ويعثر

أيها العقل أنت يا جبرة العقـ *** ل ولما تكن بنفسك أجدر
يا قوي تهدم الحياة وتبني *** لها وتزرو الورى هباء وعشير
كم خبيء من دون فجرك أضحي *** وخفى تلقاء ضوئك أسفـ
إله في الأرض أنت أن الشـ *** طان ينهي في العالمين ويأمر؟
وجنون أم أنت عقل وموجو *** د حقيق أن أنت وهم مصور؟

المبحث الثاني التعبير عن الذات عند التجاني يوسف بشير

والتجاني نشأ في بيئة محافظة ومن الطبيعي أن يجر موقفه هذا عليه عناءً ومشقة وتعباً من الناس الذين لم يدركوا أو يستطيعوا فحصه فاتهموه بالكفر وفي ذلك يقول في قصيدته (المعهد العالي)^(١):

قالوا وأرجفت النفوس وأوجفت *** هلعاً وهاج وماج قسور غابه
كفر ابن يوسف من شقى واعتدى *** وبغي ولست بعابئ أو آبه
قالوا احرقوه بل أصلبوه بل أنسفوا *** للريح ناجس عظمه وإهابه
ولو أن فوق الموت من ملتمس *** للمرء مد إلي من أسبابه
وقد دافع التجاني عن شكه هذا بزعم أن هذا الشك هو حق في أن يستعمل
عقله الذي وهب له الله حتى يصل إلى اليقين التام وأنه لا يفعل إلا ما فعله الفلاسفة
والأنبياء أنفسهم من قبل فيقول في قصيدته (أنبياء الحقيقة)^(٢):

إله العظيم والحق أكبر *** برأ الخلق من تراب وقدر
رب نفس من عنصر الفكر سوا *** ها ونفس من ظماء الطين صور
ودماء من الحقيقة أحرا *** ها ومن صخرة المواهب فجر
شكها في هدى الحقيقة إيمان *** ن وفي ضؤتها يقين مجهر
ما بها أن تسأم في الأرض خسفا *** أو تعادي في رأيها أو تكفر
كم قبيل من الفلاسفة الأوّل *** ل وكم أشعث هناك وأغير
كتب الحق في صدورهم رمز *** ين من آية الخلود وسطر
أنبياء من الحقيقة في أي *** ديهم من مشاعل الله مجهر
في سبيلي يجاهدون ومن أج *** لى يموتون في الزمان وأنشر

(١) التجاني يوسف بشير، إشراقات، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤.

ويعلق محمد النويهي^(١) على ما سبق من الأبيات (ولكن هذه لم تكن بالحجة التي يقبلها المترمتون الذين يصررون على التسليم التام بكل عقيدة موروثة بلا مناقشة ولا اعتراض، هذه هي العوامل العامة والخاصة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي تكاثرت عليه فلم يقو - في ضعفه ورفته - على احتمالها ولم تكن لديه ثقافة كافية يستطيع تنسيقها وحلها فلجاً إلى الهرب منها ومال إلى العزلة والانطواء فانعزل في عالم ذاتي وهمي ابتدعه لنفسه ووجد فيه سعادته وتعويضه، فلننظر الآن في وصفه لهذا العالم حتى نستكشف كنهه ولقد وصفه في مقطوعات وقصائد كثيرة يغص بها ديوانه الصغير وتمتلئ بالتكرار وهي التي تثبت حقه في ميدان التجديد .

ويقول الشاعر التجاني في قصيده (قطرات)^(٣):

فهي دفق من عالم كله * قلب خ فوق ولوعة دفقة

(١) محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، مرجع سابق، ص ٧٤.

^{٣٢}) المرجع السابق، ص ٢٤.

^(٣) المرجع السابق، ص ١٢.

عالم الحسن والجمال ودنيا الـ *** حب والقلب وجده واحتياقه
 يتحدرن من مفاجع أيا *** مي وهو مدامي الرقراقة
 ويرجع في مفاتن دنياي صدّي *** يزحم الهوى أبوافقه
 في مساب الندى وبين زراعي *** زهرات الربى من الشعر طاقة
 وهو هنا يعترف مرة أخرى بأنه لاقى من المصائب في حياته الواقعه وهنا
 تظهر شاعرية التجانى ومعرفته باللغة العربية وعشقه لها يظهر ذلك في غرامه
 برص الألفاظ ذات الشجو والشجن والحنين.

ويواصل التجانى شاعر الوجدان حيث يقارن بين العالم المادى بغناه وترفه
 وبين عالمه الخاص الفقير إلا في حبه وفنه جاء ذلك في قصidته (قلب من
 ذهب)^(١) فيقول:

لَكَ قَلْبٌ مِنَ النَّضَارِ وَفِي صَدِّ رَكْ جَنَّاتُهُ وَدُنْيَا قَصُورُهُ
 وَيَجْنِي خَافِقٌ مِنْ تَرَابٍ لَيْسَ مِنْ تَبَرَّهُ وَلَا مِنْ صَخْوَرُهُ
 يَطْفَحُ الْوَجْدُ وَالْجَمَالُ بِدُنْيَا هُ وَيَغْلِي الْحَمَاسُ فِي تَامُورِهِ
 لَيِّ فِي الْفَجْرِ إِرْبُو فَوْقَ مَا تَطَّـ لَبَهُ أَنْتَ مِنْ طَوَافَحِ نُورِهِ
 لَيِّ دُنْيَا الْفَنُونَ وَالْوَحْيِ وَالْإِلـ هَمَّـ مِنْ صَدَقَهُ وَمَسْحُورَهُ
 أَيْنَا لَوْ عَدْلَتْ يَكْتَنِزُ الْعَـ لَمْـ فِي صَدْرِهِ وَفِي تَفْكِيرِهِ
 أَيْنَا يَزْحِمُ الْوَجْدُ جَنَاحِـ هـ وَتَمْشِي الْحَيَاةِ بَيْنَ ضَمِيرِهِ
 وَالْتَّجَانِي يَعْتَقِدُ أَنْ دُنْيَا أَغْنَى مِنْ دُنْيَا الْمَادَةِ وَأَكْبَرُ سَعَـ وَحْيَوَةً وَلَكِنْ يَعْتَرِفُ
 بِأَنَّ عَنَصِرَهَا مِنْهَا الصَّادِقُ وَمِنْهَا الْمَسْحُورُ أَيِّ الْوَهْمِيِّ الَّذِي يَخْتَلِفُ هُوَ فِي قَوْلُ فِي
 قصidته (في الموسي)^(٢):

هَا هَنَا الْهَوَى لَكَ مَلَكًا *** قَمْرِيًّا عَلَى عَرْوَشِ الْأَزَاهِرِ
 دُولَةٌ مِنْ مَوَابِكَ النُّورِ حَفْتَ عَالَمًا مِنْ عَرَائِسِ الشِّعْرِ زَاهِرًا
 دُولَةٌ مَا تَرَالَ مِنْ غَضْبِ الْرَّيـ هـ حَانَ تَبْنِي صَوَالِجاً وَمَنَابِرَ

(١) التجانى يوسف بشير، إشرافاة، مرجع سابق، ص .٩٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٨.

نسج البدر تاجها من أمانٍ *** وأعلى لواءها بالمفاخر
 وعقدنا لها اللواء فلا الم— *** لك يملك ولا الأمير بأمر
 وعلى الأبيات السابقة يقول محمد النويهي^(١): (هذه الأبيات الخمسة في
 وصف عالمه الوهمي الذي ابتدعه لنفسه هي من أوضح شعره دلالة على طبيعة
 هذا العالم فهو حين امتنع عليه عالم الواقع وخاب فيه سهمه وأفلت منه دولته خلق
 لنفسه دولة أخرى يستطيع أن يكون فيها ملكاً أمراً ذا تاج وعرش ومنبر ولواء
 وصولجان ولكنها دولة نورانية وملك قمري عرشه من الزهور وصولجانه ومنبره
 من قصب الريحان وتاجه من ضوء البدر وإنما اتخذ الشاعر دولته هذه من نور
 القمر لهدوئه ورقته وضعفه وملامعته لانطلاق الأحلام الوداعة والأمانى
 المسحورة).

وفي وصف بديع للصحراء على عكس مختصي المناخ في وصفهم
 للصحراء يتحدث التجاني عنها بكل ما هو جميل وشائق للناظر ضوءها وقمرها
 وإنسانها ومن شدة إعجابه بالمناظر الصحراوية الخلابة يشبهها بالأحلام حيث
 يقول في قصيته (فجر في صحراء)^(٢):

املاً الروح من سنا قدسي *** مبهم كالرؤى ودمع رضي
 قمري كأنما سكب البد *** ر عليه من فيضه القمري
 وأغمير القلب من مفاض من الفجر *** وضئ جم الندى عبكري
 يثب الحلم حول مشرعه السا *** جي ويجري مع الضحى فيأتي
 كم تظل الرؤى به شارعات *** في ينابيع من جلال ندي

يتلفون في جوانح بيضا *** ويسبحن في رداء وضي
 ويحومن باسمات *** يتخففن من هموم العشي
 ساحبات على الكنهور أصبا *** غاً رقاقاً من واضح وخفى

(١) محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٢) التجاني يوسف بشير، إشراقات، مرجع سابق، ص ٤٠.

ناشجات شفائف الأفق الزا *** هي بروداً على الصباح السنى
 ذاب في الأفق دافقاً فوق هام الـ *** بيد يهمي على ثرى بدوى
 يغسل النوم من مضاجع رعيا *** الصحاري ومضرب القروي
 عجباً للجلال والحسن ماجا *** في إطارين فاتر وقوى
 ينسجان الهوى من الفجر بردأ *** علوياً لشاعر علوى

صاح من روحه وكبر في أعمـ *** ساق دنياه صارخاً كالصبي
 أو هذا الجمال يا رب هذا السـ *** حر من أجل ذلك الآدمي؟

في قصيده التي بعنوان (لوحة شاعر)⁽¹⁾ يصور شاعرنا التجانى يوسف بشير فيها دنياه ويرسمها حيث يصفها بأنها أطيااف وظلال سحرية وفي ألوانها تشبه قوس قزح إلى هذه الدنيا ينقطع الشاعر والتتجانى هنا تجلى مقدراته في تنويع القافية ويمتلك زمام اللغة وبذلك يكون قد جعل له عالماً وجданياً لنفسه حيث يقول:
 الحسن.. يهفو بجفنه الوسن *** كل خبيء من سحره حسن
 للحسن عندي وللهوى صور *** وهي لعمري وعمرها غرر
 ذخيرة للفؤاد أو أثر *** من الجمال الحبيب يعتصر
 يرقد في حيرها فتى أثر *** يفتن في خلقها ويفتن
 سكرى لها في الحياة منحدر *** دوني وفي لوحتي لها منن

مسحورة في الدماء تضطرب *** تسمع منها دويها الأذن
 أطيااف دينا سماؤها عجب *** تتأى وتدنو أنا وتقرب
 فيها غيوم وعندها سحب *** تبرز أنا منها وتحجب
 أضيع شيء في أرضها الذهب *** يجري بعيداً عن كونها الزمن
 وتلك دنيا للسحر مضطرب *** فيها وللساحرين مرتهن

(1) التجانى يوسف بشير، إشراقة، مرجع سابق، ص ٣٦.

تحسبها في الندى إن سمرت *** أو هزها في مراجها الددن
جنا نادي ما غازلت طفت *** إلى مراقي السماء وانحدرت
وما أصابت من قبلة سكرت *** تطن كالنحل كلما ظفرت
بشاشئ للنعم ما عبرت *** إلا على مدامع به السفن
وملعب لللاح كم خطرت *** فيه ديار وكم مشت مدن^(١)

هذا هو العالم الوجданى الذى جعله التجانى لنفسه إذاً فلنறعف على طبيعة
هذه النفس التي انسحبت وانداحت إلى هذا العالم واحتمت به من أعاصير الحياة؟

حيث يشرح ذلك في قصيده (نفس)^(٢) فيقول:

نفس تطوير كالشعا *** ع وتسحيل إلى حنين
وتذوب وجداً في صبا *** يتها وتحفت كالأنين
وترف في وجه الحيا *** ة وبين طيات السنين
فكانها الأمل الذي *** ذ مشى على القلب الحزين

سبحانك اللهم *** نف س كلها عطف ولين
وتر من الناي المقد *** س من بقايا المرسلين
من قدس داجية الشعرو *** ر وظهر واضحة الجبين
من كل سحر في الوجو *** د وساحر في العالمين

(١) ويقول التجانى في نفس القصيدة:

آية دنيا هاتيك .. ظل شبح *** من يحفها فن
وكنزها العقري روح قدح *** أخي هزار أن حركته صدح
أو عابته على الدنان سبح *** ذات ظلال سحرية وملح
أكرومة الفن من أسى ومرح *** ترقد فيها القصور والدمن
لونها في الزمان قوس قزح *** ذاب فيها السرور والحزن

(٢) التجانى يوسف بشير، إشراقية، مرجع سابق، ص ٩٥.

من مهبط الروح العز *** يز وعنصر الجسم المهين
 صيغت فكانت حرة *** أبداً على مر السنين

هي تلك نفس فتى أقا *** م بها على حرم الفنون
 نفس موزعة المشا *** عر كلها أبداً عيون
 في كل رابية تنق *** ب عن سنا الأمل الدفين
 في النيل تقتحم العبا *** ب و تستشيط و تستليل^(١)

ووصف التجاني لنفسه هذه يوضح لنا بجلاء طبيعتها الوجданية فهذه النفس التي تتطاير وتثن وتذوب وجداً وتخفت وترف كما هو واضح هذا الحنين والأنين والذوبان والوجد والصباة والخفوت والرفيق والحزن والعطف واللدين ألم تكن هذه الأوصاف هي بضاعة الوجدانين المعروفة والتي استعارها الشاعر الشفيف التجاني من شعرهم الوجданى العربى وتوافق هذه الأوصاف مع طبع وجلة التجاني اللينة الوديعة مع الوضع في الاعتبار ظروف الحزن التي نشأ فيها التجاني مع نير الاستعمال الذي ساد السودان في تلك الفترة وهذه الظروف القاسية التي انسحبت على نفسه الرقيقة الوداعة حيث صاغ شعراً وجداً حزيناً يترجم به الأسى الذي حل ببلاده فالتجاني شاعر فريد ومتفرد صاغ هذا الشعر الجميل على الرغم من قصر عمره.

(١) ويختتمها بقوله:

وهناك	في	ثج	الميا	***	ه	وبين	مسرحها	الأمين
وقفت		تمتم	للا	***	ه	بما	تقديس	أو تدين
تسليهم		الأدب	القوى	***	م	وتسمع	الوحى	الرزيين
الله		أيتها	الودي	***	ع	أن	تشط بك	الظنون
الفجر		ملتهب	الجوا	***	نب	والدجى	شرس	حرون
يتراحمان		إليك	في	***	ولع	وتستيق	القرون	

ويتنقل شاعرنا في أوصافه لشعره حيث يصور لنا مثاله الفني الذي طمح لتحقيقه فيقول في قصيده (قطرات)^(١) :

قطرات من الندى رقراقة *** يصفق البشر دونها والطلاقه
 ضمنتها بهجة الورد أفوا *** ف ومن زهرة القرنفل باقة
 نثرت عقدها أصابع من نو *** ر ترسلن خفقة وأناقة
 رب وشي ن McN في صفحة الور *** د ونضرت في الربى إنماقة
 ومصابيح أسرجتها يد الشم *** س وضاء في زهرة خفقة
 يتقطرن في أنجما أكاليل *** ل من الزهر أسرجت أوراقه
 وأفاق الضحى عليها وقد رو *** ت أزاهيره وندت رواقه
 وهي براقة الصفاف ومرموقة *** بيض اللائى البراقه
 نقصتها في الدهر أجنة الأم *** لاك تلك الرفافة الصفافة
 فأصابت فيما أصابت فتى *** نقرن أوتاره وهجن اتعلقه
 إن تردت في غائر من أمان *** يه وندت من الهوى أعرافه
 واستقلت بأصغرية فكم قو *** من أضعافه وأنهضن ساقه
 شاصاً ما زال يعزف ما شا *** ء على مزهر الندى أشواقه
 كلما لج في الذهول أطbah *** المزهر الرطب في يديه فشاقه
 بعض أندائه فيوض من النو *** ر ونبع من قوة خلاقه
 لفها في الصبي وأضفى عليها *** عبري المطارف الرياقه
 فهي دفق من عالم كله *** قلب خفوق ولوعة دفاقت
 عالم الحسن والجمال ودنيا الـ *** حب والقلب وجده واشتياقه
 يتحدرن من مفاجع أيا *** مي ومهوى مدامعي الرقراقة
 ويرجعن في مفاتن دنياي صدى *** يرحم الهوى أبواقه
 في مساب الندى وبين زراعي *** زهرات الربى من الشعر طاقة

(١) التجاني يوسف بشير، إشراقه، مرجع سابق، ص ١١.

أفانت من هدى النواظر وأم *** تذرت بصمت تلفه أطراقه
 جف من حولها الأرض ونام الـ *** عطر في مهده وأخلى في مساقه
 وهي ريانة تمد قطاها *** من جني كم ذا طعمت مذاقه
 من دمي يستدرها حر أنفا *** سي لهيباً أسميتها "إشراقة"^(١)
 والقصيدة السابقة هي القصيدة الافتتاحية لديوانه (إشراقة) وفيها نجد الذي
 استولى على قلب الشاعر بما الرقة والإشراق.

وفي ذلك يقول محمد التويهي^(٢): (فكل هذه الصور المتزاحمة عن قطرات الندى، وأنواف الورد، وباقية القرنفل، وأصابع النور الخفيفة الأنique، والوشى المنمق في صفحة الورد، والزهر الخفاف، والأنجام التي تتقطر في أكاليل الزهر، والأزاهير الروية والرواق الندى والندى الدافق والخمر المراقة، والضفاف البراقة، وأجنحة الملائكة التي ترف وتصدق وتتنفس اللائى البيض البراقة، والشاعر الذى يعزف أشواق على مزهر الندى وال قطرات تتساقط على أوتار مزهره، وقد أخذه الذهول فشخص ببصره وأطرق وهو يوقع لحنه، ويحول ذلك الندى إلى فيوض من النور ويلفها في مطارات عبرية رياقة، وهذا الشاعر ذو القلب الخفوق ولوعة الدفقة والحب والوجد والاشتياق والمدامع الرقراقة والدم الذى يدر الأنفاس الحرى الملتهبة والروح الهائم الولهان الملئاع المحترق...).

(١) ويختم الشاعر قصيده التي يصور لنا فيها مثله الفني فيقول:

قطرات من الصبا والشباب *** الغض مناسبة به منساقه
 ورها من روحي الهائم *** الولهان أمكنت في الزمان وثاقه
 ظل يهفو إلى السماء ويشكو *** لوعة الروح ها هنا واحتراقه
 يتدرن من معابد أيا *** مي حنيناً أسميتها إشراقة

قطرات من التأمل حيرى *** مطرقات على الدجى مبراقه
 تسترسلن في جوانب آفا *** في شعاً أسميتها "إشراقة"

(٢) محمد التويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، مرجع سابق، ص. ٨٠.

ويلاحظ الباحث أن هذه الصور تعبّر عن الرقة والإشراق ونجد أن التجاني عاطفته الملتهبة المشحودة تتغطّش إلى إمتاع وجداً لم يجده في ظروف حياته كذلك نجد أن الحب يشغل مكاناً كبيراً في شعره خاصةً حب الطبيعة ويمكن أن نسمّيها الحب الوج다ً الذي لا يحب صاحبه فتاة معينة بذاتها وإنما هو يحب بمفهوم الحب الشامل لكل ما هو جميل ومبدع في هذه الحياة ونسبة لشدة حياته فأخذ حبه معه إلى عالمه الذاتي حيث أطلق عنان التخييل والأحلام وكان نصيبيه من الحب إلا تلك النظارات المشتقة.

وما يزال التجاني يذكر محسن العاصمة الخرطوم وناسها وجمال بنائتها وخاصة الشاحبات والبنيات حيث بعضهن في قصidته (**الخرطوم مدينة الشعر والجمال**) فيقول:

ماج بها الشام ولبنانه *** والمدن الرائحة الغادية^(١)
 وكان للتجاني متنفس آخر عبر به عن شوقه وتلهفه الوجداً هو حنينه إلى ذات الإله وسعيه إلى الامتزاج الصوفي بها. وله بعض مقطوعات تعتبر من أجمل الشعر الصوفي وأصدقه وهو يتصرّف الذات الإلهية المصدر الأمثل للنور الذي ظل طول حياته يتّشوق إليه ونجد ذلك في تقديميه لقصيدته (الله) بالآية الكريمة (**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوَّةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زَجَاجَةٍ**)^(٢) حيث يقول^(٣):

مدهش ذكره مخيف الأداء *** خير ما في الوجود من أسماء
 سر ما في الحياة من ليها الطا *** مي ولجي فجرها الوضاء
 ظما في النفوس لا رى إلا *** في ينابيعه إلى الأنبياء
 كوكب يرحم الفضاء ودر *** ي مفيض على جبين السماء
 هو لماح برقتها في مواشي اللي *** ل أو في مضارب الصحراء

(١) التجاني يوسف بشير، إشراقة، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٢) سورة النور، الآية (٣٥).

(٣) التجاني يوسف بشير، إشراقة، مرجع سابق، ص ١٦.

قيل لي عنه في الزمان وحدث *** ت في سريرة الآباء
إنه النور خافقاً في جبين الـ *** فجر والليل دافقاً في الماء
صفه رعداً مجللاً في السموات *** ت وصوتاً مدوياً في الفضاء
أو هدوء أو رقة أو هواء *** أو صدى للعواصف الهوجاء

هو إن شئت محض نار ونور *** وهو إن شئت محض برد وماء
تحت مجلبي علاه في كل دان *** من مرائي الوجود أو كل ناء
ظن أدنى الظنون في قربه منـ *** ك وأقصى ما شئت من علياء
وادن بالجاح المشط وصعد *** العداء بالخيال المسموم
وتوغل بين الظنون ونفر *** ها خيالاً واقعد على الجوزاء
تلقه في الحياة أدنى إلى نفـ *** س منها إليك في الأصغاء

قلت: زدني، فقال: يسمع ما في *** الأرض منه همسة ومن إيماء
خطرات من هاجس أو مطيفاً *** من خيال أو غامضاً من دعاء
قلت: زدني، فقال: يعلمكم عنـ *** د نديف مصعد من هباء
كل شيء لديه في مستقر الـ *** علم عدا ورقعة الأحصاء
قلت: زدني، فقال: أجهل إلا *** صوراً أوغلت علا في الخفاء

فتافت من يدي وسبـ *** ت بدئاً لأول الأشياء
أين مرقى سمائه؟ أين ملقي *** قدسي الصفات والأسماء
قال في رقة الصوامع أو لو *** عة بيض المساجد الغراء
لم تشهدها يد الفنون ولا صـ *** غت محاريبها يد البناء
كلمات مبثوثة في الفضاء الر *** حب من ساجد ومن صلاء

هي الله مخلصات وكم تعـ *** قب بـ دعاً منازع الأهواء
ها هنا مسجد مغiste على ذي الـ *** بـ يع الطهر والمسوح الوضاء
وهنا راهب من القوم ثـ *** ر لمـ جـ الـ كـ نـ يـ سـ الـ زـ هـ رـ اـءـ
كلـها فيـ الثـرـى دـوـافـعـ خـيرـ *** بـنـتـ وـهـبـ شـقـيقـةـ العـذـراءـ
قلـتـ ماـ وـهـبـ فـيـ الزـمـانـ وـماـ شـأـ *** نـ الـفـاتـيـنـ بـالـجـلـالـ المـضـاءـ

الـحـوـاءـ مـدـخـلـ فـيـ مـجـارـيـ *** صـورـ الـقـهـرـ أوـ مـجـالـيـ السـمـاءـ
بنـتـ وـهـبـ ماـذـاـ بـهـاـ فـيـ مـراـحـ الـ *** غـيـبـ أوـ مـغـتـدـىـ عـيـونـ الـقـضـاءـ
ماـ العـذـراءـ بـالـلـهـ وـمـاـ لـلـ *** قـدـسـ منـ آـدـمـ وـمـنـ حـوـاءـ
أـهـوـ اللـهـ فـيـ الـقـلـوبـ وـفـيـ الـأـتـ *** فـاسـ وـالـرـوـحـ وـالـدـجـىـ وـالـضـيـاءـ؟ـ^(١)
ويـعـلـقـ مـحـمـدـ النـوـيـهـيـ^(٢) عـلـىـ شـعـرـ التـجـانـيـ فـيـ ذـكـرـ: (عـلـىـ أـنـ التـجـانـيـ كـانـتـ
لـهـ لـحظـاتـهـ التـيـ خـرـجـ فـيـهاـ مـنـ انـزـالـهـ وـعـادـ إـلـىـ الـعـالـمـ الـوـاقـعـ يـصـفـ بـعـضـ مـنـاظـرـهـ

(١) ويختتم فقصيدته الصوفية بقوله:

أـمـ هوـ اللـهـ فـيـ الـثـرـىـ عـنـ عـذـراـ *** ئـيلـ وـقـفاـ عـلـىـ قـتـوـبـ النـسـاءـ
قـالـ: كـلتـاـ هـمـاـ مـنـ النـورـ تـفـضـيـ *** يـنبـيـ مـنـ رـحـمـةـ وـإـخـاءـ
وـالـنـبـيـ الـعـظـيمـ فـيـ الـأـرـضـ إـنـسـاـ *** نـ السـمـوـاتـ آـهـيـ الدـمـاءـ
صـلـةـ الـأـرـضـ بـالـسـمـاءـ وـصـوتـ الـ *** حـقـ فـيـهاـ وـمـسـتـهـلـ الـقـضـاءـ
يـاـ لـكـ اللـهـ مـنـ مـشـايـعـةـ الـفـكـ *** رـوـلـحـقـ مـنـ هـوـىـ الـأـرـاءـ
بـرـحـ الشـكـ بـالـفـؤـادـ فـآـمـنـ *** تـوـلـكـ فـيـ رـبـيـةـ أـوـ رـيـاءـ

ثـمـ أـيـقـنـ مـؤـمـنـاـ ثـمـ مـاـ أـدـ *** رـيـ وـكـمـ ذـاـ لـدـيـكـ مـنـ لـأـوـاءـ!!ـ
قـلـتـ: يـاـ نـورـ يـاـ مـفـيـضاـ عـلـىـ الـعـاـ *** لـمـ ذـوـبـاـ مـنـ روـحـهـ الـلـلـاءـ
أـيـهـاـ الرـعـدـ قـاصـفـاـ أـيـهـاـ الـلـيـ *** ثـمـ مـعـجـاـ مـدـومـاـ فـيـ الـعـرـاءـ
أـيـهـاـ الـبـحـرـ زـاخـرـاـ وـالـأـوـاـذـيـ *** دـافـقـاتـ فـيـ صـفـحةـ الـدـأـمـاءـ
عـلـقـتـنـيـ مـنـ ظـلـمـةـ الطـيـنـ مـاـ أـقـ *** عـدـنـيـ عـنـ رـحـابـ الـبـيـضاءـ

(٢) محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، مرجع سابق، ص. ٨٥.

ويسيطر بعض تجاربه يمدح ويرثي ويصور دنيا الفقر ويصف طفلاً يهب متناقلًا من نومه ليمضي إلى الخلوة أي الكتاب ويصف النيل ويصف الخرطوم على أن أجملها وأقدرها بالبقاء قصidته في وصف جزيرة توتي في الصباح وهي لا تخلو من بعض التعسف اللغوي الذي اضطرته إليه القافية ولكنها في مجلها جيدة العbara حلوة النعيم عظيمة النصيب من الرشاقة وبها عدد من الصور الواقعية الجيدة عن أهل هذه الجزيرة الصغيرة وحيواناتهم وحياتهم الزراعية وجهادهم لاستخراج الرزق من بطن الأرض وهي ترينا أن التجاني برغم انزعاله ظل متعاطفًا معهم مشاركاً إياهم همومهم).

الفصل الثاني

شعراً الوجودان

وفييه مبحثان:

المبحث الأول: الدعوة إلى التجديد

المبحث الثاني: التعبير عن الذات

المبحث الأول

الدعوة إلى التجديد

وننتقل الآن إلى شعراء الوجдан وبعض قصائدهم وهذا محمد عبدالوهاب القاضي^(١) يدعو إلى التجديد ونبذ التقليد والدفاع عن شعر الوجدان باعتباره مدعاه للنهضة والتقدم فيقول:

نحن قوم قد تخطانا الجمود *** وعدانا جاتباً عادي الركود
واستفينا فوجتنا جيفاً *** تنفت السر على أرض الجدود
ووجنا راماً منتهٌ تملأ الأرض بأدران الصديد
أفإن كنا حراساً للعلا *** ولنْ كنا عجالاً للجديد
يرسل البعض إلينا أسمهاً *** ردّها الله على نحر الحسود
وقدِّيماً قد سمعنا بـاللأي *** خاطروا للمجد والرأي السديد
كيف لاقوا محنَا من قومهم *** ورموا بخروج وجود
لا تلوموا النشء في خطته *** واعذروه إن أبى هذا الهمود
أرأيت لو أطعنا قولكم *** ثم رحنا في سبات وجود
وتركتنا كل أسباب العلا *** وتمسكتنا بأهدايب الخمود
كيف يغدو حالنا يا قومنا *** أترانا في هبوط أم صعود

الشاعر مكاوي يعقوب^(٢) هو شاعر تقليدي ولذلك من العجيب أن تستهويه دعوة التجديد فيذم التقليد في إحدى قصائده قائلاً:

يا لقومي دعوا النظاهر واللهو وفكوا معاذ التقليد

(١) النهضة السودانية، مجلد (٩)، العدد (١٩)، محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) جريدة الحضارة، العدد (٢)، أكتوبر ١٩٢٠م، ومذكور كذلك في تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، لهدارة، مرجع سابق، ص ١٧٤.

أرسلوا نظرة على الكون تلقوا ما يحير النهى بعجب شديد
أم تعنّي العلا وأنتم ضعتم بين سيد ومسود
ها هو الموت يا إلهي فأنشرهم وإلا فجئ بخلق جديد

وفي الدفاع عن الشعر الوجданى واحتلافه عن تيارات الشعر الأخرى يقول الأمين على مدنى^(١): (أنا شاعر والشعراء قليل في نظري، كثير في عرفهم أنا صادق فيما أدعى، وهم غير كاذبين، أنا شاعر أطير بأجنحتي الأثيرية في الفضاء أنا محلق في سماء الحرية، متزن بآنساتي الورق، منصرفة أذني عن أغنية الماضي وعن الحان المستقبل فأنا شاعر الساعة! أنا شاعر بلا قيد ولا شرط، لا أعرف الوزن ولا أجيد القافية ولا أستطيع أن أحرق عواطفني بخوراً أمام عظمة النساء وأبهة الأغنياء وتيه الوجهاء، أنا شاعر مجنون، الشعر مظهر من مظاهر النفس وأنا مجنون، فشعري جبار مع الليل، ثائر مع العواطف الهاوجاء، ظالم مع البحار، قاس مع الموت، أنا الشاعر المجنون وهم الشعراء العقلاة، لأنني أطير بأجنحة غير أجنحتهم، وأحلق في فضاء غير فضائهم، وأبتسם وهم يبكون، وأبكي حيث يرقصون ويعرفون، وألبس السواد في أفرادهم، وأقيم الماتم في أعراسهم، هم الشعراء العقلاة الذين أرقصوا العقلاة، وأطربوا العقلاة، واستمالوا قلوب العقلاة، هم الشعراء حقاً، يشعرون على مبدأ (أعزب الشعر أكذبه) هم الشعراء الذين يعطرون تلك الأندية والمجتمعات بعطر عواطفهم المستعار، وأنا شاعر مجنون أسكب ذوب شعوري أما ابتسامة الزهور، ونضارة الورد، ويرقص المجانين، ويستميل قلوب المجانين، كلانا شاعر، وأدين بأنهم شعراء ينظمون الشعر المقيد بالوزن والقافية، هم الشعراء المقيدون، أو الشعراء العقلاة، وأنا الشاعر الحر، أو الشاعر المجنون).

(١) ملامح من المجتمع السوداني، ص ٣٠١، محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ١٧٥.

وأول ما نلحظه في أوزان قصائد الشعراء الوجданين أنها ذات بحور قصيرة أو على مجزء بحور قديمة أو ذات بحور غير مركبة التفصيلات وفي ذلك يقول حمزة الملك طمبل^(١):

ملاي قد نامت عيون *** وتيقظت أيضاً عيون
 نامت عيون الخائنن *** وعيون نجمك لا تخون
 ترنو إلينا وهي ساهبة *** عن الدنيا الخؤون
 أتراءه أذهلها جلال الله *** أم مر القرون
 أم أن من فوق الشري *** لا يسمعون ولا يعيون

والشعراء الوجدانيون لهم عدة محاولات لتغيير القافية الموحدة لكسر الرتابة وفي ذلك يقول إيليا أبوماضي^(٢): (ليس الابتكار أن يبعدي الشاعر عن الروى الواحد والعروض الواحد في القصيدة إلى أكثر من روى وأكثر من عروض، كما يتوهם بعض المعاصرين خطأ، فإن هذه الطريقة قديمة، طرقها شعراء الأندلس وتوسعوا فيها، ولكنها لم تصنع من غير الشاعر شاعراً، وهذا مما يثبت أن السر في المعاني لا المبني، على أن المعنى الجميل يستلزم أن يكون مبناه جميلاً).

ولكن النقاد العرب القدماء كانوا يعتبرون تغيير القوافي في القصيدة الواحدة نوعاً من العجز وفي ذلك قال ابن رشيق^(٣): (وقد رأيت جماعة يركبون المخمسات والمسمطات ويكترون منها ولم أر متقدماً حاذقاً صنع شيئاً منها لأنها دالة على عجز الشاعر وقلة قوافيه وضيق عطنه).

ومن محاولات التجديد في القافية قصيدة (في الربيع)^(٤) لمحبى الدين فارس يقول فيها:

رب فجر تعثر النور والعطر عليه كأنه مخمور
 شرقت صفحاته بالشمس والظل يغنى نور ويرقص نور

(١) من قصيدة في جوف الليل.

(٢) محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ١٨٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٤) أحمد أبوسعد، الشعر والشعراء في السودان، دار المعارف، بيروت، ١٩٥٩م، ص ٨٠.

والأمانى في أفقه يتوازن كما خف في الربى عصفور
 والأغانى في معبر النسم الساري همس مصبغ مسحور
 إنه البعث راجفاً ينفض القيد حياة يمتد فيها الربيع
 وتندت أرض وأرعنها الخصب ابتعاثاً كأنه محموم
 زخرت بالحياة وامتلأت دفناً كما تحمل السلاف الكروم
 واستفاق تناجم الفجر فانداح حنين في صدرها مكتوم
 وسرى من فؤادها العاشق البكر حديث معطر منغوم
 إنه البعث راجفاً ينفض القيد حياة يمتد فيها الربيع

وفي الصورة الشعرية وتشبيهاتها ذات الدلالة الوجданية يقول محي الدين
 فارس^(١) في قصيته (نحن):

نسختي	روحك	السمحة	شعاً	ومُنْتَى
وشدت	بي	في	المحاريب	صلابة
ثم	ندت	أفق	الروح	جلالاً
أنت	يا	دنياي،	من	أنت؟ وآها، من
أنا	فكر	عاش	في	ظلاك فناً
أنا	طيف	رف	في	واديك معنى شاكيا
أنا	ناي	ذاب	في	قدسك لحناً شاديا
أنا	روح	طار	في	الحب فراشاً صاديا
أنا	هذا،	مرة أخرى،	فمن	أنت إذَا؟
أنت	من	تسمو	وتستعلي	على فكر الزمن
أنت	من	طهرت	محرابي	بأقباس الفتنة
أنت	من	فجرت	عودي	في سماواتك فن

(١) أحمد أبوسعد، الشعر والشعراء في السودان، مرجع سابق، ص ٨٦.

ويقول حسن عزت^(١) في قصيّته (أيها الساكن):

أيها الساكن في الديجور في دمع اليتامي
ومثير السعد والفرح على الشكوى الكلامي
قد هوينا جثنا تدمي وأشباحنا ترامي
والمنى تسكب في جنبيك فرحاً وابتساماً
أيها الراقص في الأرض على حزن المضاع
ومقيم العرس في مأتمه المر المشاع
ومدل القول في شدقيه من غير دواع
يا محبط الندب بالذل ويا مرخي الشراع

ولحسن عزت أيضاً قصيدة بعنوان (لوعة الصوفي)^(٢) يقول فيها:

وإذا شئت أن تراني تجني *** في نطاق الندى وعطر الورود
في افترار الشغور في هدأة الغدران *** في غنة الكمان السعيد
في خرير الأمواج في هزة الأغصان *** في آلة الصربيع العميد
في بكاء المحزون في أنه المجروح *** في زفقة الطريد الشرير
في الأغاني السكري يبدها الغاب *** فتفنى على ظلال البرود
أما مرضي محمد خير^(٣) "ميمان" يتصرف تصرفًا واسعًا في ترتيب القوافي
وهو بذلك يشابه ما يفعله شعراء المهجر وقد تلاحظ ووضوح جلياً بتأثر الوجданين
في السودان بأساليب المهاجرين العرب الأدباء والشعراء إلى الأمريكتين حيث
يقول ميمان في قصيدة (اغيري):

اغيري
ذنب من كان تجني

(١) أحمد أبوسعد، الشعر والشعراء في السودان، مرجع سابق، ص ١٨٩.

(٢) أحمد أبوسعد، الشعر والشعراء في السودان، مرجع سابق، ص ٨٩.

(٣) مجلة الفجر، المجلد الثالث، العدد الرابع، ١٦ أبريل ١٩٣٧م، ومحمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ١٩٠.

وأذكرى

إنه ذاك المعنى

وانظري

كم تأسى كم تمنى

أمينات كن للقلب العزاء

ها هنا

كان للحب غدوى ورواحي

ها هنا

كنت من دنياي في نعم صباح

ها هنا

كنت عبد الحب مخوض الجناح

فافترقنا ليتنا نرجو لقاء

آه يا أمسى ويا دنيا اسمعي

جئت كي تسقي ثراها أدمعي

وأناجي الأمس لو أمسى يعي

علها تعفو وتحبوني رضاء

ومن الوجدانين الذين حذوا ترتيب التفعيلات والقوافي عزيز أندراوس حيث

يقول في قصيده (نشوة)^(١):

اسقطيها

وأملئ بالحب جامي

وعيوني

أعطنيها

وارقصي حول حطامي

(١) عزيز أندراوس، الشاطئ المهجور، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م، قصيدة نشوة.

في جنون

وهيها

جمرة تفرى عظامي

في أتون

أشعلها

فهي من نار غرامي

وشجوني

وكذلك يواصل أندراوس في قصيده (صلاة الليل)^(١):

قبليني قبلما أرحل عن هذا الوجود
أقليني تائهاً ضل طریقاً للخلود
ارحمني من عد يبعث في النفس الخمود
ويثير الشك في قلب ودود
طالما استعبد ألحان اليقين
قبليني، أقليني، ارحمني

وأيضاً للشاعر محمد أحمد المحجوب محاولة للخروج عن القافية ومثال ذلك
قصيده في ذلك الوقت وهو العام ١٩٣٥م بعنوان (آدم الصغير)^(٢) وتعتبر تلك القصيدة
رائدة شكلاً ومضموناً حيث يقول:

تارة يبكي وطوراً يلعب
أما تراه لا يبالي
يتمنى، يترجى، يتدلل
يكتم الغيظ، يظهر الحب
يطلب النجم ويبكي إن فشل
ذلك الطفل الغرير

(١) عزيز أندراوس، الشاطئ المهجور، قصيدة صلاة الليل.

(٢) مجلة الفجر، العدد الأول، العدد (١٦)، أول فبراير ١٩٣٥م.

في صعود وهبوط وضجيج وهدوء
 يحكم الكون ويبني ويعيد
 يزعج القط ويلوي ذيله
 ويحاف النمل في الأرض يسير
 يا جواداً إن رضى
 وبخيلاً إن غضب
 أنت سر لست أدرى كنه
 أنت شيطان أم ملك
 أم أنت من هذا البشر
 فيك خير وشرور وحدس
 تنشر الحب لطيرك
 وتذيق الشاة أنواع الألم
 وأخوك الطفل لا ترحمه
 تزدريه وتعاني إن فرح
 ويواصل المحجوب محاولاتة في هذا المجال حيث يقول في قصيده
 (التصوص) ^(١):

هذه الدار بالجمال تمور
 وبها الخير
 والنعيم الوفير
 قد بنى مجدها وحماه
 أهلها الصيد
 شبابها والكهول

هذه الدار
 من تحكم فيها

(١) محمد أحمد المحجوب، قلب وتجارب، نشر مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤م، ص ٤٠-٤١.

سلبتها الحياة أغلى حلاها
وغداً مشردين بنوها
والغزاة المصوّص توالوا
يُحصدون الألوف دون قصاص

ويمضي المحبوب حيث يقول في قصidته (عوده الحب)^(١):

شعرك الأسود
لماع البريق
ذوبت فيه الليالي
ليالي الشتاء
وخدود
لست أدرى
ما الذي فيهن جالا
وعيون
كلما أبصرتها
خفق القلب ضلالا

ولا يزال المحبوب رافضاً للشكل التقليدي لقصيدة حيث يقول في قصidته
(بقية عطر)^(٢):

قارورة العطر حارت
بها بقية عهد
كلما أبصرتها
عادت الذكرى إليها
وأنا أنشق منها
أمس الحلو السعيدا
وليالي الخوالـي

(١) محمد أحمد المحبوب، قلب وتجارب، مرجع سابق، ص ١٠١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٩.

وأمانى الفريدة

وكذلك يقول المحجوب في قصيدة (شهيد)^(١):

لا تحزني
فالعائدون سيكتبون
قصيدة عن قصتي
 وسيذكرون
على المدى
إشراقة البطل الشهيد

وقد وضح جلياً إن الشعراء الوجانين يجدون في استخدام الألفاظ الرقيقة الخافتة الصوت، قد تتبه محمد مندور إلى هذه الظاهرة في شعر المهجر فسماه الأدب المهموس، وقد رد محمد مندور على المعارضين للأدب الوجاني وقال^(٢): (أرفض القول بأن أدب المهجر ضعيف منهوك، أين إذن نجد قوة النفس، أين نجد القدرة على الانفعال، أين نجد توثب القلب ووميض العقول، أين نجد نبض الحياة! ليست القوة مكابرة باطلة، ليست القوة حياءً كاذباً، القوة ليست نفاقاً اجتماعياً، و هوئاء القوم ليسوا ضعافاً إنهم يسمون الأشياء بأسمائها، قوم لا ترهبهم الألفاظ وليس الأدب أفالطاً، الأدب روح لا تدربي من أين تطالعك، روح لا تدركها إلا الأرواح).

والوجانيون تستمر ثورتهم في تغيير الأسلوب التقليدي من ناحية اختيار الألفاظ فهم أيضاً ابتعدوا عن الصور الفنية التقليدية فابتكرروا صوراً جديدة وفي ذلك يقول هدارة^(٣): (وأصبحوا يستخدمون في تشبيهاتهم واستعاراتهم علاقات بعيدة بين المتبه والمتبه به، والمستعار والمستعار له، ومن أمثلة تعابراتهم

(١) محمد أحمد المحجوب، قلب وتجارب، مرجع سابق ، ص ١٤٩ .

(٢) محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ١٩٥ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٩٥ .

الجديدة: سكرة الحيرة^(١)، والفجر المخمور^(٢)، والخصب المحموم^(٣)، وعيون النجوم^(٤)، وبنوب الوجوم^(٥)، وكهوف الظلام^(٦)، وصفاف الخطوب^(٧).

ويرى الباحث أن هناك تشابه بين شعراء المهجـر الذين ذهبوا إلى الأمريكتين وشعراء الوجـدان في السودان.

ونلحظ هذا التشابه في قول ميخائيل نعيمة^(٨)، عن الأدب حيث يقول:

(يجول في أخطار النفس، باحثاً عن مسالكها، مستطلاً آثارها، وما شرف الأديب إلا أنه أبداً يشاطر العالم اكتشافاته في عوالم نفسه، حتى إذا ما وجد آخرًا بعضاً من نفسه في تلك الاكتشافات كان في ذلك للأدب أطيب تعزية وأكبر ثواب؛ إذاً فالأدب الذي هو أدب ليس إلا رسولًا بين نفس الكاتب ونفس سواه، والأديب الذي يستحق أن يدعى أدبياً، هو من يزود رسوله من قلبه ولبه).

ونجد ذلك التشابه والتلاقي بين شعراء المهجـر وشعراء الوجـدان في السودان مع ما عبر عنه نعيمة نجده عند الشاعر الهادي آدم^(٩)، فيقول:

أنا في الحياة حقيقة كبرى وكـون هائل
يصحو ويرقد في فؤادي عالم متكامل
روحـي مجنة النزوع حينـها متـواصل
هي في زـمام الحـادثـات نـسـائم وـأـصـائـل

وعلى المرـوج الخـضر أمرـح كالـفـراـش المستـهـام

(١) حمزة الملك طمبـل، الامتزاج الروحي.

(٢) محـي الدين صـابر، في الـرـبيع.

(٣) المرـجـع السـابـق.

(٤) يوسف التـيـ، انتـصار الشـباب.

(٥) المرـجـع السـابـق.

(٦) عـزيـز أـنـدـراـوسـ، مـعـذـبـ فيـ الـأـرـضـ.

(٧) المرـجـع السـابـق.

(٨) الغـربـالـ، مـقـالـةـ محـورـ الأـدـبـ، مـيـخـائـيلـ نـعـيمـةـ، دـارـ صـادـرـ، بـيـرـوـتـ، ١٩٦٠ـ، صـ

(٩) الهـادـيـ آـدـمـ، كـوـخـ الأـشـواقـ.

وعلى ضفاف الحسن أصنع للورى دنيا غرامي
وإذا استخفى الحنين إلى صباباتي وجامي
عصفت بأعرaci الحياة وذاب في لحن هيامي

وهذا إدريس جماع^(١) يقول:

الشعر من نبع الحياة ووحيه *** من كل حي زاخر بوجودها
صور الحياة خميلة في شوكها *** في أغصن تمتد خلف حدودها
والوحل فيها والجدائل ثرة *** والماء يجري في نضارة عودها
وأكف أوراق يصافحها السنى *** في نشوة والشعر نفح ورودها
يحيا طليقاً والحياة طلاقة *** ورسالة الشعرا حطم قيودها
ويخاطب كامل الباقر^(٢) الشاعر حيث يرى أن مهمته التعبير وتصوير
أمانى البشر فيقول:

رحت في عالم الأماني تزجيك شجون طوراً وطوراً خواطر
سابح في علاك تسمو مع النجم وفي عالم الأغاريد طائر
وملائك يقيم في عرشه العالى ودنيا من حوله ومفاخر
في سماء النبوغ منزله الربح وبين السها وبين المنابر
همه في الحياة أن يرسل اللحن نبلاً وأن يثير المشاعر

ويقول محمد محمد علي^(٣) مسمياً الفنانين جميعاً (عبد الجمال):

حطموا كل قيود البشر *** ومشوا كالصنوبر في الوادي اليباب
فهم حرب على السجان أو *** من يصوغ القيد من خلف الحجاب
لا يلبون سوى صوت الحياة *** يتراهى من غدير أو سراب

(١) إدريس جماع، لحظات باقية، شركة دار البلد للطباعة والنشر والتوزيع، ط/٢، ١٩٩٨م، ص ٦١.

(٢) وحي القلم الفضي، ديوان للدكتور كامل الباقر، نشر المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، ١٩٧٠م، ص ٢٢.

(٣) محمد محمد علي، ألحان وأشجان، مطبعة الاعتماد بمصر، ١٩٦٠م، ص ٦٣.

والوجودانية تقوم على الفردية والشعور بالذات فهذا عبدالله عشري^(١) يقول:
 ثورة تسحق الجبال وتتأبى *** غير مرقب السماء في الكون عرشا
 لا تبني أبدراً الدهر عنها *** أم أنها ولا المنية تخشى
 ويخاطب محمد أحمد عمر^(٢) قلبه فيقول:

أي	بشرى	ستزف	* ***	أيها	المرف	القلب
عندما	تخفق	كالطائر	* ***	تهتز	وتهفو	
أي	ثقل	من	همومي	سوف	يا	قلب يخف
أي	دموع	من	جفوني	* ***	سوف	ويجف
أي	وَجَدَ	بيْنَ	أَضْلَاعِي	* ***	سيهادأ	يكف
أي	جَرَحَ	مِنْ	جَرَاحَ الْقَلْبِ	* ***	يلتام	ويغفو
هل	لَعِينِي	بَعْدَ	طُولَ السَّهَدِ	أَنْ	تَغْفِي	وتغفو
أيها	الواهم	يَا	قَلْبِي	* ***	كم	ضعف
أنت	إِذْ	تَفَرَّقَ	بِآمَالِكَ	لَا	تَأْلُو	تطفو
كم	بَهَا	يَا	قَلْبٌ	تَسْمُو	* ***	وبها تسف

ويخاطب أبوالقاسم عثمان^(٣) قلبه فيقول:

ظلمتك إذ صحتك بيد أي *** صحت بك الغواية والضلال
 رعاك الله يا قلبي فماذا *** ترجى من سراب لاح آلا
 وقد ذابت بجنبيك الأماني *** وودعت الهناء والظلال
 فعش يا قلب مغموراً فكم من *** رجال أوردوا هذا المala

(١) مجلة الفجر، المجلد الأول، العدد الأول.

(٢) مجلة الفجر، المجلد الثاني، العدد التاسع.

(٣) أبوالقاسم هاشم، ديوان في ظلال الهجير، قصيدة (كفى يا قلب)، مدرسة مار يوسف الصناعية، الخرطوم، ١٩٨٦م، ص

وأيضاً يصف محمد محمد علي^(١) قلبه فيقول:

له عزم جبار ورقة راهب *** تقلبه فوق الجحيم العواطف
إذا ما طغى يوماً آثار بمحجتي *** عواصف في آثارهن عواصف
ويستمر محمد محمد علي في وصفه لقلبه فيقول:
أقلبي أما تنفك هيeman صاديا *** إلى مورد حامت عليه المتألف
تعز فما في الأرض للحر موطن *** سوي الجمر تذكيره الرياح الزفاف
فما لك لا ترحنني وأفقك مشرق *** نصير تحليه الدمى والزخارف
وأنت طليق تعلي كل ربوة *** لديه تحبيك الرؤى والهواتف
وكامل الباقر^(٢) أيضاً يخاطب قلبه فيقول:

أيها الضارب في المهمة قد طال سراك
تائه في عالم الحسن وفي دنيا مناك
شقيت نفسي بزلفاك وناعت بتراك
ومشت روحي في عالمها تبغي ذراك

أيها المجد قد خارت من السير قواك
كم غزوت الحسن في عرس الغواني وغراك
وكسوت الشعر من سمح المعاني وكساك
وأبیت النوم يا قبلي زماناً وأباك

والشاعر عزيز أندرואس يصرح في مقدمة ديوانه بأنه (خلاصة تجارب ذاتية ومحن فردية)^(٣) ويصور ذلك فيقول:

بحث فلم أثر على روحي التي *** بعثت بها في الأفق عبر الدياجر
ترافقها الألحان في كل سبة *** وتحدوها من العطر ألوان ساحر

(١) محمد محمد علي، الألحان وأشجان، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٥.

(٢) كامل الباقر، ديوان الباقر.

(٣) مقدمة ديوان الشاطئ المهجور، لعزيز أندرؤس.

وهو مت وحدي في فضاء مسعر *** لأن جحيم الحب قد نال خاطري
 وشل أحاسيسى على غير موعد *** وأرهق وجدانى وأصمى مسامعى^(١)
 ويواصل عزيز أندراوس^(٢) الإفصاح عن وجданه عن ذكرياته في الإسكندرية

فيقول:

كم أدرت اللحون شتى عرايا *** من نفاق وصنعة وافتئات
 وشربت الكؤوس خمر جفون *** وعيون مليئة النظارات
 وهذا شاعر آخر أصابه الصمم وهو ما زال في مرحلة الشباب فصادف ذلك
 الداء نفساً وجدانية مرهفة بهذه الفجيعة حيث يقول عبدالله عبدالرحمن ود الجمل في
 ديوانه (مفرد الأمل)^(٣):

عندما تطفئ الشمس وتمشي للغروب
 ويلوح الشفق الوردي مخضوب الجنوب
 أذكر الورى من عمري فيشتد نحبي
 ومتأ فاض بي الهم وأوتني كلومي
 وحبا دمعي كالسيل وقد عز رحيمي
 رحت أعدو في رحاب الأمس أعدو من جحيمي
 والشاعر عزيز أندراوس^(٤) يكتب عن امرأة ولدت والرذيلة في روحها

فيقول:

للنور أم النار يدعو صدرك النامي
 يا روعة رقصت في جو أنغامي
 أم الجنون وقد راقته أحلامي
 فانتال فوق يحمل لبي أوهامي
 أعشى يفتش عن وحي وإلهام

(١) عزيز أندراوس، ديوان الشاطئ المهجور، قصيدة انطلاق.

(٢) عزيز أندراوس، ديوان الشاطئ المهجور، قصيدة ذكريات الإسكندرية.

(٣) مجلة الخرطوم، أول نوفمبر ١٩٦٨م، وهدارة، ص ٢٠٦.

(٤) عزيز أندراوس، ديوان الشاطئ المهجور، قصيدة (معجزة).

يزجيه نحو غرام ليله حاتا
فاد قبل طوع الفجر أسوانا

وللمحوب^(١) تجارب ذاتية في ألوان من الحب وألوان من النساء فيقول:
قد قضيت الشباب أشدو *** مع الطير طليقاً أرتل الأسجاعا
في ضحوك من الرياض أنيق *** نشر الدوح فوقهن شراعا
ويقول محمد مصطفى هدارة^(٢) عن المحذف: (وهو يتغزل بفتاة سورية
وبآخرى سويسرية اسمها ماجي، وبثالثة لبنانية، ورابعة Sudanese، ولكن هناك
كثيرات لا نعرفهن يتحدث عن تجاربه معهن دون تحديد لشخصية الحبيبة، كما
نرى في قصائده: ذكراك، نجوى غريب، دار الهوى، لا تلمني، بعد وقرب، أحلى
الحب، رق وهو يقصد رق الحب فهو يقول:

والحب رق لا تمل قيوده *** أنعم بغل الحب في الأعناق
وكذلك قصائده: حب وليد، لست أنساك، مطل، يا كثير الصدود، غيره،
إليها عودة الحب، لقاء، خفة قلب).

وللقبل في تجارب المحذف دور خاص فهو يقول:
تدلت وحطت مثل طير مروع *** على صدرى ألحاني فشب من الرقد
فقبلتها عشرأً وما زلت ظامناً *** إلى مورد عذب أذ من الشهد^(٣)
ويقول أيضاً في قصيدة (قبلة):

قبلة حرى
وآخرى مثلها
والشفاه اللعس
هل تدرى بها
فتاك الشفاه شفاه اللعين

(١) محمد أحمد المحذف، ديوان قلب وتجارب، ص ٥.

(٢) محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

(٣) المحذف، ديوان قلب وتجارب، ص ٦١.

حذقن الرياء وفـن الكذب

قبلة فيها من السحر بريق

وهي تريلق الشجن

وہی سر

أحکم الدهر عليه سادنه

فقدت كريمة الراهن

أغلق الدير عليه ومضى^(١)

وفي قصيدة (فلسفة القبل) يقول المحجوب:

قالت وقد أمعنت في تقبيلها *** ماذا بربك تنفع
أو تطفئ الشوق القديم لتبتلى *** بالسوق تلهب ناره
يا للرجال قلوبهم وعقولهم *** ذهبت بها الأهواء
فأجبتها باللثيم غير تردد *** اللثمات^(٢) سؤالها

وهنا يترك المحجوب الشفاه إلى النهود فيقول:

ومن التجارب الذاتية للشعراء الوجدانيين توجد أنواع أخرى لعدد من الشعراء تشغلهم قضائياً تختلف بين كل شاعر وآخر فمثلاً التجاني يوسف بشير يشغله الصبي العابد والفقير والصوفي المعذب وطفل الخلوة والهادي آدم مشغول بالبيئة الريفية متمثلة في قريته وإدريس جماع^(٤) تشغله نفسه وأحاسيسه المرهفة تحاه الحالة.

(١) المحجوب، ديوان قلب وتجارب، ص ٨١.

^{٨٤}) المرجع السابق، ص ٢)

(٣) المرجع السابق، ٦٨.

(٤) إدريس جماع، ديوان لحظات باقية، مرجع سابق، ص ١١٧.

ويقول جماع عن نفسه:

هين تستخفه بسمة الطفل *** قوى يصارع الأجيالا
حاسر الرأس عند كل جمال *** مستشق من كل شيء جمالا
ماجن حطم القيود وصوفي قضى *** العمر نشوة وابتهالا
حلقت طينة الأسى وغشتها *** نار وجد فأصبحت صلصالا
ثم صاح القضاء كوني فكانت *** طينة البؤس شاعراً مثلا
ومحمد محمد علي^(١) في قصidته (ثورة) يصف نوع الدراسة في المعهد
العلمي بأم درمان حيث يقول:

أفني شبابي وأجفو رغابي *** أجوب الفلاة وأجني الحطام
حطام جنان طواها الزمان *** وأسمال قوم تولوا كرام
أ OEM السراب أروم الشراب *** فسعي ضلال وريبي أوام
كرهت جلوسي أمام الشيوخ *** أودع عاماً وأسلك عام
كرهت المجاز ولغو النحاة *** وسخف الفقيه وعلم الكلام
وفيم العناء وهذا البلاء *** وقرع الصفاه وطول السقام
وما شاق نفسي وقار الفقيه *** ولا أن أرى قاضياً أو إمام
أحب الحياة وفقه الحياة *** ووجه الحبيب وكأس المدام
وفي ثورة وجدانية على ما هو سائد داخل مجتمعه هذا هو الشاعر حسن

عباس أبو زيد^(٢) ينشد المثالية في قصidته المسممة (من نافذة المجتمع) يقول:

قالوا سخطت على الحياة وما سخطت على الحياة
لكن على وحل الوضاعة مرغت فيه الجباه
وعلى كبار في الصغار لهم غطيط وانتباه
خدعوا الورى بمهرج فلهم به في الناس جاه
من كل أفك أثيم الطبع خثال سواه

(١) محمد محمد علي، ديوان ألحان وأشجان، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٢) جريدة الرأي العام، العدد ١٩٦٧/١١/١٢ م.

ومنافق يبدي الزهادة وهو ذئب خلف شاه
 وأخي رباء بالمراء له اشتغال واكتناه
 إن شاهدوه بدا الملك العف من غير اشتباه
 أو غاب عنهم فهو كالشيطان عاث على هواه
 قالوا مللت فقلت أشكال الخلاعة والسفاه
 صوراً بذئبات كثيرات تداولها الشفاه
 زحمت حياة الناس وانثالت على كل اتجاه
 حتى غدت مألوفة والمرء يألف ما يراه
 كم من فتى جم الشباب تخاله حامي شراه
 يطوي أضالعه على أخلاق غانية فتاة
 تركوه يصنع ما يشاء فما يبالي ما أتاه
 وكبير قوم قد حكى في سوء ما يأتي فتاة
 خلع العذار فليس يأبه بالذى صنعت يداه
 وكريمة الأعراق حاديهما بوادي العهر تاه
 نبذت ثياب عفافها إذ غاب ذو أمر وناه
 كل بدنياه يهيم محققاً فيها مناه
 وأخو الحصافة بينهم من كف عما شان فاه
 قالا ضجرت نعم وكدت أموت من أف وآه
 والقنوط واليأس يصيب حمزة الملك طمبل^(١) فيقول:

يا وريح نفسي منذ كانت وهي ترسف في سجون
 آمنت أن الفرد فوق الأرض أحقر ما يكون
 مولاي لو خيرتني أني لا أكون

(١) حمزة الملك طمبل، من قصيدة (في جوف الليل).

ویواصل طمبل^(۱) بأسه و احتقاره لنفسه فيقول:

سُئِمَتْ نفسي الحياة وملت *** وكذا الحر في زمانِي يسام
لا أرى أينما أقبِ وجهي *** غير قيد من النفاق تحكم
وجوه سحقاً لها من وجوه *** ورؤوس أخرى بها أن تهشم
وأناس ما بين غر جهول *** وسفيه على الكرام تهجم
وحفاة من الورى وجيع *** ليس في الناس من يرق ويرحم
طال تمثيلنا الشقاء على الأرض *** فحتى متى الرواية تحتم
وحتى تسدل ستارة الأرض بمن فوق سطحها تحطم
وفي كابة وجدانية يقول حسن عزت^(٢):

كل ما في الوجود يطوي إلى النشر ولكن متى انطواه الوجود
نحن نمشي مع الركاب على الأرض إلى ظلمة المنايا السود
نحن نجري مع الحياة إلى الموت إلى الشاطئ الغريب البعيد.

(١) حمزة المالك طمبل، من قصيدة (بأس قاتل)

(٢) حسن عزت، ديوان الشعر والشعراء في السودان، من قصيدة (لوعة صوفى).

المبحث الثاني التعبير عن الذات

وهذا إدريس محمد جماع^(١) يغني للألم متحملاً ما يحل عليه حيناً ويسمو عليه حيناً آخر فيقول:

على الخطب المريع طويت صدري *** ونحت فلم يفد صمتى وذكرى
وفي لحج الأثير يذوب صوتي *** كساكب قطرة في لج بحر
دجى ليلى وأيامي فصول *** يؤلف نظمها مأساة عمري
أشاهد مصرعي حيناً وحيناً *** تخاليني بها أشباح قبرى
وفي الكون الفسيح رهين سجن *** يلوح به الردى في كل شبر
وأحلام الخلاص تشع آناً *** ويطويها الردى في كل ستر
حياة لا حياة بها ولكن *** بقية جذوة وطعم عمر
خطوب لو جهرت بها لضاقت *** بها صور البيان وضاق شعرى
جهرت ببعضها فأضاف بي *** بها ألمًا إلى آلام غيري
كأني أسمع الأجيال بعدي *** وفي حنق تردد هول أمري
يقلبني الفراش على عذاب *** يهز أسامه كل ضمير حر
تطالعني العيون ولا ترانى *** فشخصي غيرته سنين أسر
يصم صليل هذا القيد سمعي *** وفي الأغلال وجداي وفكري
وأين الأمان مني من حياتي *** فقد فنيت وما خطبي بسر
وتسلبني الكرى إلا لماماً *** يد من حيث لا أدرى وأدرى
وأيامي تساقط من حياتي *** كأوراق ذوت الريح والريح تذري
تطاحن دوحها وهو مكباً *** وأجل عنده تيار بنهر
وهدم مؤنس الأعشاش فيه *** فلم تهتز له أنغام طير
ولست ترى حواليه رواء *** ولكن وحشة وذبول زهر

(١) إدريس جماع، ديوان لحظات باقية، مرجع سابق، ص ٨٦-٨٨.

وجماع أيضاً يعاني من الحياة ويتمنى الموت فيقول:
 فقد جعلتني ليالي العذاب *** أذ الممات على بغشه
 وما كان عيش هنئاً *** فاذكر ما كان بالأمن من غشه

والهادي آدم^(١) عن الغربة التي يشعر بها يقول:
 غدونا إلى زمن قلب *** تنافس فيه الأسود الظباء
 وتسق في حلبيه السلاحف *** إن نازعتها الجياد الفضاء
 فلا تعجبين إذا صفقوا *** لها في ضجيج يشق السماء
 كذلك أيامنا ما دريت *** أجدر بالذم أم بالرثاء
 ويواصل الهادي آدم عن الغربة وألمها فيقول:
 يا رفاقي تعجلتني الليالي *** مسرعات فجئت قبل أواني
 كنت سراً أعيي مغالبة *** الدهر وضاقت به حنايا الزمان
 فتلتفت في الحياة غريباً *** بين أهلي وجيرتي ورعاني
 ويوضح الهادي آدم بين عالم الواقع وعالم الخيال فيقول:
 عالمي لم يحن وما زلت أرجوه *** وأهفو لعالم غير فان
 ليت شعرى أذكى الكون حق *** أم خيال مضلل وأمانى^(٢)
 ويت hypersر الهادي آدم^(٣) على وهم الحياة وهو يستعيد آلامه في صمت وهو
 يلجاً إلى (كوخ الأشواق) فيقول:

من كوخ أشوابي أطل على معالم ذكرياتي
 وأظل أدن في جوانبه الكثيبة أمسياتي
 أهفو إلى الفجر الحبيس وراء لمع الترهات
 شابت على اعتابه التخل كواكب أمنياتي

(١) الهادي آدم، ديوان كوخ الأشواق، من قصيدة (دنيا الأذكياء).

(٢) الهادي آدم، ديوان كوخ الأشواق، من قصيدة (غريب).

(٣) الهادي آدم، ديوان كوخ الأشواق، من قصيدة (كوخ الأشواق).

وذرفت أيامي الحبيبة فيه من ماضٍ وآت
 ماذا جنّيت سوي السراب على ضفاف هامدات
 جاءت عليهن الحياة فعشن في وهم الحياة
 أما محمد محمد علي^(١) يحس بأن أيامه تعب بلا ثمر فيقول:

أَكْسَفَ لُونِي جَاحِمَ الْهَجِيرِ
 وَشَدِي الْمَحْرَاثَ فِي الْبَكُورِ
 وَوَقْدَةَ الْأَحْزَانَ فِي ضَمَيرِي
 دُنْيَا يَ فَقِيرَ طَامِحَ دُنْيَا يَ
 يَسْتَهْدِفَ لِلْبَرْدَ وَالْحَرَرَ
 فِي كَوْخِهِ الْمَهْدُومِ الْحَقِيرِ
 تَحْبُو دِيَاجِي لِيلِهِ الْضَّرِيرِ
 عَلَى سَرِيرِ بَلْ رَوْيِ سَرِيرِ

ويواصل محمد محمد علي^(٢) حزنه لما جناه في حياته من شقاء ففي
 قصيّته (طريقي) يقول:

عَبَثْتُ أَوْاذِي الْحَيَاةَ بِزُورْقِي *** وَالرِّيحُ زَمْجُرَ بالشَّرَاعِ الْمَوْتَقِ
 وَبَدَا السَّحَابُ كَأَنَّهُ لَيْلٌ أَتَى *** يَهُوَى عَلَى اللَّيْلِ الْكَبِيرِ الْمَطْبَقِ
 وَالشَّاطَئُ الْمَأْمُولُ بَاتُ خَرَافَهُ *** وَالْمَوْجُ أَوْشَكَ أَنْ يَطْوُقَ مَفْرَقِي
 أَيْنَ الشَّرَاعُ فَهُلْ تَمْزِقْ يَا تَرِي *** فِي عَرْبَدَاتِ الرِّيحِ شَرُّ مَمْزِقِي
 حَرْصِي عَلَى الْمَجَادِفِ أَذْهَلَنِي فَلَمْ *** أَفْطَنْ لَمَا صَنَعَ الْقَضَاءَ بِزُورْقِي
 عَجَباً لِحَرْصِي وَالْحَيَاةِ كَمَا أَرَى *** وَهُمْ كَبِيرُ فِي مَتَاعِ ضِيقِي
 يَا وَيْهَ أَمْسَى عَلَى قَمَ الرَّدَى *** كَالْطِيرِ فِي كَفِ الْعَقَابِ الْأَخْرَقِ

(١) محمد محمد علي، ديوان ألحان وأشجان، ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨.

ومحمد محمد علي^(١) يظهر تبرمه بالحياة ففي قصidته (حج وحجة) يقول:

وهل الحياة سوي الجنون لمن يعي أو يعرف
هي كالفرasha لا تني فق الحقوق ترفف
جباره تمشي على جث العباد وتنسق
مطروده لا تستقر ظلومة لا تنصف
كذابة خلابة مأفوقة تتلفف

وأبوالقاسم عثمان^(٢) يشكو من الخطوب التي ألمت به والأسى الذي لا يعرف له سبباً فيقول:

ما رد في طريقه المرتبة *** يتردى
طعنته الخطوب في قلبه الحر *** فأدامت
وطوطه الهموم يندب دنياه *** وينعي
قدر هازئ وكون عجيب *** وأمور
ها هنا الشوك ساخراً بالضحايا *** وهذا الصخر معن في الصلابة
والطريق الذي عبرت عليه *** شرد الظل والهوى والصباية
ومحمد محمد علي^(٣) في قصidته (ظما) يشكو حزنه وتشاؤمه وما يشعر به في قلبه فيقول:

أظمأتنi وتركتني في قفرة الزمن القطوب
فسكبت روحى في ظلام الليل ذي الأفق الرحيب
دمعاً تهش له الرمال البيض في سفح الكئيب
ينساب من خلل الرمال يضج من هول المغيب
كالنجم أرعشـه خيال القبر في كف الغروب

(١) محمد محمد علي، ديوان الحان وأشجان، ص ١٠٧.

(٢) أبوالقاسم عثمان، في ظلال الهجير، ص ٢٦.

(٣) محمد محمد علي، ديوان الحان وأشجان، مرجع سابق، ص ٣٨.

حتى يعود إلى ظلام الصمت في سر الغيوب

والشاعر خلف الله بابكر^(١) يحس بالعناء والصراع بين الخيال والواقع ويترنم ويدرك الموت ذلك في قصidته (أشودة الردى) فيقول:

أيها العمر يا بقية عمري *** قد زهنا أما أصابك زهد
تلك والله لو علمت حياة *** قد علقنا بذيلها ونود
لو طواها الردى وراح ورحنا *** طي ذاك الردى نخب ونعدو
ساعني منك يا حياتي أني *** كل يوم أروح فيك وأغدو

يا شريداً من الحياة وقلباً *** حوله يقعد الردى ويقوم
لست أدرى ولا أظنك تدري *** أي داء بجانبيك يحوم
يا فؤاداً تقاسمتك الزرايا *** ليت هذا الأسى عليك يدوم
أنت تحيا كما حييت وتتحميك هموم

ما لنا والحياة تبكي عليها *** نحن سرنا فسايرتنا قرون
نحن عشنا مع الزمان وعاشت *** خلف أفكارنا تحوم ظنون
فالحياة التي تصفق فيها *** مغريات من الهوى وفنون
يرقص الجاهل الغبي ويشدو مفتون متيم بهواها

زورق في الحياة زورق شعر *** عبقرى بسحره مدفوع
في خضم من الدموع وبحر *** هو بحر من الشجون مروع
зорقي زوري قطعت رجائي *** من حياة نعيمها مقطوع
هاك مجدافك الصغير وسر بي *** حيث يشفى فؤادي المفجوع

(١) مجلة الفجر، المجلد الثاني، العدد الثالث، محمد مصطفى هدارة، تiarات الشعر العربي المعاصر في السودان، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٢٢٥.

ذلك الشاطئ الذي يتراءى *** يا فؤادي هو الفناء الرقيق
فيه معنى من الخلود وفيه *** عبقي الردى وفيه رحيق
قد وصلناه يا فؤاد فهيا *** نطفو هذا الشراع هيا نفيق
ثم نمشي على الفناء نشدو *** كاب واد من الفناء سحيق
وكامل الباقر^(١) يكثر من شکواه تجاه الحياة فيقول:

عالم كالسراب مختلف الوضع ودنيا كناسها خداعه
ونفوس طفت عليها قوى الشر فراحت لغيها منصاعه
كل يوم فظائع يعلن الإنسان فيها رباءه وخداعه
صاغ في قوة الوحوش سجاياه ومن شرعة الذئاب طباعه
ويقول الباقر^(٢) أيضاً:

أيها المتعب المعني هداديك فدنياك همها متکاثر
هي دنيا يعز فيها الفتى الغر ويشقى فيها النبيل المقامر
هي دنيا قوامها الختل والمكر وعنوانها موت الضماير
ويمضي الباقر^(٣) واصفاً حزنه في الحياة ساعياً إلى الموت فيقول:

نـسـأـل	الـمـوـت	فـهـل	يـسـأـل	عـنـا
وـنـنـاجـيـه	فـهـل	يـقـرـب	مـنـا	
وـنـنـاغـيـه	فـهـل	يـدـرـك	فـنـا	
وـنـغـنـيـه	فـهـل	يـسـمـع	لـحـنـا	

وكتب عزيز أندراوس^(٤) قصيدة (خواطر عيد الميلاد) التي يعبر فيها عن ذكريات الطفولة ويصف عذابه في الحياة فيخاطب قلبه فيقول:
أي درب سلكته يا فؤادي *** في كهوف من الظلم الرهيب

(١) كامل الباقر، وهي القلم الفضي، ص ٢١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٤) عزيز أندراوس، ديوان الشاطئ المهجور، ص ٦٤.

أي صبح شهته أي ليل *** أي كأس جعلته من نصبي
 ثم ولى مع المساء فراراً *** من شقاء ووحشة ونحيب
 أي حلم رأيته أي فجر *** ثم ولى مع الصباح الرطيب
 عشت قلباً معدباً مستهاماً *** أتنوى على ضفاف الخطوب
 وحياتي أسطورة من شقاء *** سطرتها يد الليالي اللعوب
 وهنا عزيز أندراؤس^(١) شبح على جمر يتأنه ويقول:

ماذا رأت عيناك من شبح تغذيه السنون
 وتقض مضجعة الهواجس والمخاوف والظنون
 شبح تناخره العواصف والزوابع والشجون
 شبح يسير إلى الفناء بقلبه وإلى الآتون
 ينساق في فجر الحياة إلى محاريب الدجون

وعزيز أندراؤس^(٢) لا يحس بسعادة حين يقبل العيد بل ترافقه الكآبة فيقول:
 غداً أسير ولا ظل يرافقني *** ولا طيوف مني تناسب فكري
 غداً أصير زماناً ليس يرقبه *** غير المكان غداً في ظلمة القبر
 حيث السكينة سر لا يجاوبه *** رجع بقلبي سباق إلى الخير
 غداً أموت وويلي من غد يجري *** فوقى وتحتى وقادمي ومن ظهرى
 يواصل عزيز أندراؤس^(٣) ويصف نفسه بأنه لعبة في يد القدر وأنه يسوقه
 إلى مصيره المعذب فيخاطبه قائلاً:

أتعودني والقيد في قدميا *** وظلله السوداء في جنبيا
 كالأخطوب يخب في غلوائه *** عنفاً ويغرس ظفره الوحشيا
 ماذا صنعت لكي أكون مشرداً *** ماذا فعلت لكي أصير شقيا

(١) عزيز أندراؤس، ديوان الشاطئ المهجور، ص ٦٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٧١.

وعزيز أندراوس^(١) ينادي طيور الفناء ليقول لها:

أضرمي النار وانهشـي في عظامـي *** أطلقـي الدودـ من عـقالـ الحـمامـ
فالـزمانـ البـغيضـ يـعـصـرـ قـلـبـيـ *** والـمـكانـ البعـيدـ يـحـطـمـ جـامـيـ
لـسـتـ فـيـهـ سـوـيـ غـرـبـ تـرـدـيـ *** فـيـ شـعـابـ الـفـضـاءـ عـبـرـ الـظـلـامـ
كـمـ تـمـنـيـتـ أـنـ أـكـونـ حـطـاماـ *** قـبـلـماـ يـشـهـدـ الزـمـانـ حـطـاميـ
وـضـبـابـاـ مـنـ الأـسـىـ يـتـلاـشـىـ *** فـيـ هـزـيمـ الرـعـودـ خـلـفـ الـغـمـامـ
كـمـ نـجـدـ أـيـضاـ أـنـ إـدـرـيسـ مـحـمـدـ جـمـاعـ^(٢) يـحـنـ إـلـىـ عـالـمـ الطـفـولـةـ حـتـىـ يـرـتـاحـ
مـنـ الـوـاقـعـ الـذـيـ يـعـيـشـ فـيـهـ حـيـثـ يـقـولـ:

فـرـحـ الـأـطـفـالـ لـاـ يـضـنـيـ الـجـيـوبـ *** فـيـ دـمـيـ فـيـ عـبـثـ غـيرـ مشـوبـ
وـامـتـزـاجـ فـيـ الـأـسـاطـيرـ حـبـبـ *** وـصـيـاحـ وـانـدـفـاعـ وـوـثـوبـ
مـضـتـ الـأـيـامـ بـيـ حـافـلـةـ *** وـأـنـاـ الـآنـ عـلـىـ شـطـ المـشـيبـ
أـنـفـقـ الـدـخـلـ وـأـبـغـيـ غـيرـهـ *** وـحـيـاتـيـ مـحـضـ بـؤـسـ وـكـرـوبـ

أما محيي الدين صابر^(٣) فهو يلوذ بخياله من دنيا الواقع المرير الذي
يكرهه حيث يقول:

مـنـ خـانـ لـذـاتـيـ وـأـطـلـقـ مـنـ يـدـيـ لـهـوـيـ مـتـاعـيـ
وـمـنـ الـذـيـ جـفـتـ ضـلـالـتـهـ فـمـزـقـ لـيـ شـرـاعـيـ
وـأـذـلـ أـيـامـيـ وـأـطـفـاـلـ فـيـ مـتـاهـتـهاـ شـعـاعـيـ
وـأـقامـيـ حـرـماـ حـزـينـ الـظـلـ فـوـقـ غـدـ مـضـاعـ
طـوـفـ ثـمـ رـجـعـتـ وـالـذـكـرـيـ تـرـبـدـ فـيـ ضـلـوعـيـ
وـالـقـلـبـ مـخـدـورـ الـمـشـاعـرـ غالـ صـحـوـتـهـ خـشـوعـيـ
وـلـذـائـيـ انـهـرـاتـ تـولـولـ صـارـخـاتـ فـيـ دـمـوعـيـ

(١) عزيز أندراوس، ديوان الشاطئ المهجور، ص ٧٨.

(٢) إدريس محمد جماع، ديوان لحظات باقية، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٣) محي الدين صابر، الشعر والشعراء في السودان، من قصيدة (بين مصيدين).

لضم الخريف المر ما حفلت به دنيا الربع

وكذلك تعتبر الطبيعة مجالاً خصباً للشعراء الوجданين وفي ذلك يقول "الأمرتين"^(١) (ولكن الطبيعة هناك، إنها تدعوك وتحبك وإنك لواجد فيها من حسن الفهم وطيب الصحبة ما أخفقت في الحصول عليه في المجتمع). فهذا حمزة الملك طمبل^(٢) يصف شجرة هرمة فيخلع عليها كل أوصاف الإنسان وجوده ويقول:

ذهب الشاب فأطرق *** إطراق شيخ يائس
قد ودع الدنيا وما *** فيها بوجه عابس
صمت وربة صامت *** يسديك وعظ الناس

ويصف طمبل أيضاً جبلًا على الشاطئ بدنقلاء:

قائم فوق شاطئ النهر *** ذاهل من حوادث الدهر
ملقاً ليلة بلا ذعر *** ملقاً صبحه بلا بشر
مطرق إن تراه تحسبه *** يهم بالنطق وهو من صخر

ويقول محمد محمد علي^(٣) عن شعره الوجدني المذكور في تiarات الشعر العربي المعاصر: (كان الخريف يبتسם لها، فتنشر ظلالها بين ربوع قريتنا التي تربض في ضواحي رفاعة، على غدير تلتقي عنده مدارج السيول وتنعكس على صفحاته ألوان السحب فإذا به يعود في هذا العام بغير البسمة التي أفتتها منه، ويستقبلها بالعواصف الهوج، فتنذهب نضارتها أدراج الرياح، وتبقى شباحاً على الطريق).

ولهذا نرى محمد محمد علي يرثي تلك الدوحة حيث يقول:

كنت طيفاً من الجمال وضيئاً *** لابتسام الخمبلة الفيحاء
كل ركب أضاف ربفك أغضى *** من جمال الإله في الأشياء

(١) الرومانтика و معالمها في الشعر العربي الحديث، عيسى يوسف بلاكتة، نشر دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩، ص ٥٩.

(٢) حمزة الملك طمبل، من قصيدة (شيخوخة شجرة).

(٣) محمد مصطفى هدارة، تiarات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

كنت كالغادة المدللة تستجلى *** رؤى من جمالها في الماء^(١)
 وعندما صارت جباء يقول فيها:
 صرت قبراً على الطريق ولكن *** حرمتك الشفاه همس الدعاء^(٢)
 ويوازن محمد محمد علي بين حاله وحال الدوحة فيقول:
 أنت مثي وكل من بات مثي *** غارق في غيابة الأرzae
 غفني الدهر في رجائي وأهلي *** وابتهاجي بخبرة الخلاصاء
 الظلام الظلام يفعم نفسي *** وبح نفسي من وحشة الظلماء^(٣)
 والطبيعة أيضاً يفرج إليها إدريس جماع^(٤) للترويح عن نفسه من الواقع
 الذي يعيش فيه فيقول:
 في مرقد طافت به الأحلام مشرقة الصور
 للنوم قد أسلمت رأسك مطمئناً للقدر
 سال الشعاع من الغصون على جبينك وانحدر
 وغرقت في نسم تعود حمل أنفاس الزهر
 أغنامك المرحات تقفز في الروابي والحرف
 كم وقعت أقدامها في الأرض أنقام المطر
 هي كل همك في الحياة وجل مالك من فكر
 وإذا صحوت عدت للهو البسيط وللسمر
 مزمارك المسحور ينفك ما بنفسك من أثر
 وهناك موسيقا الخير ترف خالدة النبر
 فاسمع لأنقام الطبيعة ما زلت لحن البشر
 والزهرة العذراء تتنظر للتدفق في خفر

(١) محمد محمد علي، ديوان أشجان وألحان، ص ٦٩-٧١.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٩-٧١.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٩-٧١.

(٤) إدريس محمد جماع، ديوان لحظات باقية، مرجع سابق، ص ٩٨.

هو عالم من حسنه يوحى الجمال المبتكر

ويواصل إدريس جماع^(١) عشقه للطبيعة ووله بها فيمتزج بها امتزاجاً قوياً فتتعكس عليها حالات نفسه كما تتعكس في نفسه حالاتها حيث يقول:

شاركتني هذه الأكون أفرادي وحزني
في هنائي يحتسى العالم من نشوة دني
أرمق الدنيا فألقي بسمتي في كل غصن
وإذا أظلم إحساسي ونال الحزن مني
شاع من نفسي شحوب وسرى في كل لون
مثلاً تمتد للكون هناءاتي وبؤسي
يفرح الروض فتحيا فرحة منه بنفسي
ويقني فتفني بين أفراح وعرس
وحنان العش دفء في دمي يغمر حسي
وإذا هدم شاعت وحشة منه بنفسي

وفي وصفه للطبيعة يواصل إدريس جماع^(٢) فيقول:

ليس هذا الوجود عندي أشكالاً *** ولكن مشاعر ومعانٍ
والحياة الحياة أن أرمق الدنيا *** وأمشي كالجدول الشوان
تارة صاخباً وحينما أغنى *** في صفاء مسلسل جذلان
ناعم النفس دائباً في جهاد العمر *** كالنحل في ارتشاف الجمان
والهادي آدم^(٣) يمتزج مع الطبيعة أيضاً امتزاجاً قوياً ويسترجع ذكريات طفولته في قريته الهلالية فيقول:

قلب الطبيعة في جنبي خفاق *** والنهر خاف رباك الفج دفاق
للبدر في رملك التبري عربدة *** وللصباح إذا حياك أشواق

(١) إدريس محمد جماع، ديوان لحظات باقية، مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) إدريس محمد جماع، ديوان لحظات باقية، ص ١١٨.

(٣) الهادي آدم، ديوان كوخ الأشواق، من قصيدة (قربيتي).

وللنسيم إذا مرت بواكره *** على محياك بالأسحار إطراف

لفت يد النيل خصراً منك فارتعشت *** أمواجه من هيام فهو صفاق
ذكرت فيها الصبا فالقلب منفطر *** بين الضلوع ودمع العين مهراق
الماء في نهرها خمر معقة *** والخمر من غيرها صاب وغساق

والهادي آدم^(١) يصف رحلته إلى موطنها والحياة لضاجة بداخله فيقول:

وعتا يطوي بكلله الأرض حيثاً يجري على خطيه
لا يمل السرى ولا يرهب الليل ولا ينشي على عقبيه
في نجود البلاد والغور ينصب ويعلو كالسيل في حاليه
رب واد من السراب تخطاه سريعاً وجاز على قبضتيه
ودخان كعفرة الليث ضاف لبنته الرياح في صفحتيه
ثم ثار التراب كالنفع حتى شاب ذاك الدخان في عارضيه
فضحت زفراة الأسى وجده البaki ومر النحيب في شفتيه
فغدا صارخاً يجلجل كالرعد فيصمي صراغه أذنيه
كلما شطت النوى راح يدنىها ويطوي حبالها بيديه

وحسن عزت^(٢) يتسلل بالطبيعة واصفاً لحبيبته كل مشاعره خلال وصفه

لمظاهرها فهو يقول:

إن رأيت الفجر مأخوذاً بألحان المساء
ورأيت النور عربيداً الخطى عذب الضياء
ورأيت الشمس تخشاها مصابيح السماء
ورأيت الطل رقراقاً على الزهر الوضاء
ورأيت الطير سحري الصدى عذب الغناء

(١) الهادي آدم، ديوان كوخ الأسواق، من قصيدة (قطار).

(٢) حسن عزت، الشعر والشعراء في السودان، من قصيدة (السر).

ورأيت الناي لا يشدو بقدسي الرجاء
 وإذا بالوتر المحزون مخنوقي البكاء
 فأعدي لي أنشيدي وغني غائي
 واسكري في قلبي الفرحة من بعد الشقاء
 وأعدي أ ملي الموعد من دنيا الفداء
 وإذا ما أدبر الفجر وأفضى للمغيب
 ورأيت الشفق المخضوب ثوار اللهيب
 ورأيت التور مخنوقاً على أيدي الغروب
 يتلوى أحمر الصفحة مشبوب الشحوب
 ورأيت النهر رقاقاً على لحن الغيوب
 يتهدى دامي الصفحة كالقلب الكيّب
 ورأيت الطير قد أفضى إلى الوكر الحبيب
 فخذى الناي وغبني أحاديث القلوب
 أودعه السر إن شئت ولا تغشى ذنبي
 وأشيعي الفرحة السكري على قلبي الغريب

وكذلك كامل الباقر^(١) يتغنى بالطبيعة وفي قصidته (أحساس) حيث يقول

فيها:

كل ما في الروض والماء يغني *** فثغاء ثم يتلوه نقيق
 وهزار الدوح ما زال يثني *** نغماً أشهى من الماء رقيق
 هاك يا شادي الهوى فناً بفن *** وارتشف من عذب مائي والرحيق
 أترى دنيا المنى تسأل عنِي *** وأنا الملقي على الشط الغريق
 قد تعلمت مع الطير اللحون
 وتلقيت مع العود الفنون

(١) كامل الباقر، ديوان الباقر، ص ٢٣.

وتسمعت العيون أحاديث
وتحسست السكون مع الليل

ولعل أكثر الوجدانين احتفالاً بالطبيعة الشاعر محي الدين صابر^(١) حيث يصور لنا الطبيعة تصويراً بدرياً وخاصة الطبيعة الريفية بعيداً عن صخب المدينة وضوضائهما والقصيدة بعنوان (في الربيع) حيث يشبه الشاعر الربيع بأوصاف بلغة فيقول:

رف فجر تعثر النور والعطر عليه كأنه مخمور
شرقت صفحتاه والظل يغنى نور ويرقص نور
والأمانى فى أفقه يتواذن كما خف فى الربى عصفور
والأغانى فى معبر النسم السارى همس مصبغ مسحور
إنه البعث راجفاً ينفض القيد حياة يمتد فيها الربيع
وتندت أرض وأرعشها الخصب ابتعاثاً كأنه محموم
زخرت بالحياة وامتلأت دفناً كما تحمل السلاف الكروم
واستفاقت تنااغم الفجر فانداح حنين فى صدرها مكتوم
وسرى من فؤادها العاشق البكر حديث معطر منغوم
إنه البعث راجفاً ينفض القيد حياة يمتد فيها الربيع
وصحت حبة ودخلت جبينها ظلام من حولها مرطوب
فاستجاشت تستلفت النور فارفض خيال فى ذاتها مشبوب
واستطالت فى الأفق فهى حياة وظلال مصبوغة وطيبوب
بین أفنانها أهازيج منهن شفاه مخمرة وقلوب
إنه البعث راجفاً ينفض القيد حياة يمتد فيها الربيع

(١) محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ٤٣.

وزين العابدين إبراهيم^(١) ينظر إلى البابل السجين فيهتز له ويبكي لأسره
فيقول:

هذا ضمك السجن وقد *** كنت بالأمس طليقاً في ربك
ترسل اللحن شجياً ثائراً *** فوق غصن البان أو غصن الأراك
وأراك اليوم موфор الضنى *** وهموم الحبس قد هدت قواك

يا أسيراً ألهبت مرقده *** في الحشا نار وفي القلب جراح
نسجوا يا ليتهم لم ينسجوا *** حولك الأسلاك فانشل الجناح
حرموك الشمس في وقت الضحى *** وشعاع السحر عن عينيك طاح

وعن القصيدة التي لم يعرف شاعرها يوضح محمد مصطفى هدارة^(٢) (أما ذلك الشاعر "المجهول"^(٣) الذي ضمه السجن لأنّه نادى بحرية بلاده فقد ناجى الشمس باعتبارها رمزاً للانطلاق والحرية) فقال:

يا شمس أنت نجيتني *** وجنبي في المنزل
وإليك يا محبوبتي *** أهدي زهور قرنفل
وابث من مر النوائب *** في حياة المعقل
فأعلاني أحيا بجنبك *** مطلقاً كالبابل

ويعتبر الشاعر إدريس محمد جماع^(٤) من الشعراء المرهفين الذي تحدث عن الطبيعة والدعوة إلى السلام وهو من أصدق الشعراء تعبيراً عن هذه الروح الإنسانية حيث يقول:

أنت إنسان بحق وأنا *** بين قلبينا من الحب سنى

(١) مجلة الفجر، المجلد الأول، العدد السادس.

(٢) محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ٢٤٣.

(٣) رمز لنفسه بحرف (ح) وكان طالباً بالمعهد العلمي بأم درمان، هدارة، ص ٢٤٣.

(٤) إدريس محمد جماع، ديوان لحظات باقية، ص ٤٦.

كل يوم صور عبر الطريق *** ترجم النفس بها ثم تفيق
 ليس ما هزك حساً عابراً *** إنه في الصدر إحساس عميق
 هو إنسانية قد وصلت *** كل نفس بك في ربط وثيق
 إن رأيت الشيخ يرعاه السقم *** أترى في النفس شدو من نغم
 أم إلى صدرك يمتد الألم *** أنت إنسان بحق وأنا
 وإذا ما اندفع الطفل اللعوب *** لعنق الألم من بعد وثوب
 أولاً يغمرك الحس الطروب *** أنت إنسان بحق وأنا
 وإذا ما سقط الطير الجريح *** وهو مخضوب على الأرض طريح
 يضرب الأرض بريش ويصبح *** حوله زغب من الطير تنوح
 وتلمست بجنبك الجروح *** فبحق أنت إنسان وروح

وقد كثرت في أشعار الوجانين السودانيين اصطلاحات المتصوفة وأفكارهم التي تتفق في كثير من نواحها مع بعض الأفكار الفلسفية القديمة سواء العربية أم الغربية وبذلك أوجدوا للشعر الحديث مجالاً جديداً ذا غور عميق يجمع بين اللذة العقلية والإحساس العاطفي، ويتمثل ذلك في قول حمزة الملك طمبل^(١) في قصيده (في جوف الليل):

مولاي قد نامت عيون وتيقظت أيضاً عيون
 نامت عيون الخائنن وعين نجمك لا تخون
 ترنو إلينا وهي ساهية عن الدنيا الخؤون
 أتراه أذهلها جلال الله أم مر القرون
 أم أن من فوق الشرى لا يسمعون ولا يعون
 ما بالها سكت رحى حرب شهدناها زبون
 حرب يوجج نارها الناس اللئام الظالمون
 يتطاحن الغباء في ساحتها والأقربون

(١) محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ٢٤٨.

يتطاحن الصناع والتجار والمستخدمون
 يتطاحن الإخوان والآباء فيها والبنون
 يتطاحنون وأنت تعرف فيم هم يتطاحنون
 ما همهم غير البطون أهون به ملء البطون
 يا ليت من جهلوا الحقيقة بالحقيقة يحلمون
 آمنت أنا في السراب وفي الجهالة سابحون
 يا ويه نفسي منذ كانت وهي ترسف في سجون
 آمنت أن الفرد فوق الأرض أحقر ما يكون
 مولاي لو خيرتي لاخترت أني لا أكون

وغير بعيد عن نظرية الاتحاد الصوفية على إهمال الجسد والتعلق بالروح
 يوضح طمبل^(١) في قصidته التي بعنوان (الامتزاج الروحي) وهو يقصد الامتزاج
 الذي يحدث بينه وبين محبوبته فيقول:

أراها فتشتك المقلتان وتنتعش الروح بالنظرة
 ونسكر لا سكرة الشاربين ولكنما سكرة الحرة
 يترجم عن حالها طرفاها وطرف يترجم عن حالتي
 وإن لامست شفتي ثغرها رأينا العجائب في القبلة
 تقاد لشدة أشواقنا تلابس مهجتها مهجتي
 أحن إذا ابتعدت لحظة وإن غبت عن عينها حنت
 حنين النفوس إلى بعضها وليس حيناً إلى شهوة
 أطيل إلى حسنها نظرتي فتصبو إلى رشفة مقلتي
 فواعجبني كيف أن التداني يزيد على حسنها لهفتى
 وواعجبني كيف يضحي السرور مزيجاً من الوجد واللوعة
 فيا من سكرتم بخمر الدنان هنالك سكر بلا خمرة

(١) طمبل، ص ٧٤.

فهذا حسن عزت^(١) يتحدث عن (الاتحاد) مع الكائنات أو (الحلول) فيها ويتحدث عن (الثناء) في الجمال والحب وهي معانٍ فلسفية تتجسد في قصيدة لوحة صوفي) حيث يقول:

نضب الكأس يا نديمي فدعني أتملى في عالمي من جديد
أتملى في عالمي ثم أفنى بين أحناه بروحه
وإذا شئت أن تراني تجدني في نطاق الندى وعطر الورود
وافتخار التغور، في هدأة الغدران، في غنة الكلمات السعيد
في خرير الأمواج، في هزة الأغصان، في أنه الصرير العميد
في بكاء المحزون، في أنه المجروح، في زفراة الطريد الشريد
في الأغاني السكري يبدها الغاب فتفنى في ظلال البرود
صورة من غياهـ الـأـلـمـ الدـاوـيـ وـمـنـ بـهـجـةـ السـرـورـ العـمـيدـ
أـنـاـ فـيـ هـذـهـ الـحـيـاةـ نـشـيدـ مـحـكـمـ الـوـقـعـ سـاحـرـ التـرـدـيدـ
أـنـاـ تـسـبـيـحةـ مـنـ الـخـلـدـ سـكـرـىـ قدـ تـلـاثـتـ فـيـ رـقـةـ الـمـعـبـودـ
أـنـاـ فـيـضـ مـنـ الـعـفـافـ تـجـلـىـ طـاهـرـ النـورـ فـيـ ظـلـامـ الـوـجـودـ
وـضـيـاءـ مـنـ الـحـيـاةـ تـهـادـىـ فـيـ فـؤـادـ الزـمـانـ حـلـوـ النـشـيدـ

* * * *

فنيت نفسي الغريبة في الحسن وفي السحر والهوى والسجود
ومضت تسأل الغيوب عن الكون وسر الوجود في ذا الوجود
ونجد هذا الاتحاد مع الوجود مع رنة اطمئنان لا يعتريها أي شك في شعر
محمد محمد علي^(٢) إذ يقول:

سـكـرـتـ بـعـزـلـتـيـ وـهـجـرـتـ رـاحـيـ *** فـمـنـ ذـاتـيـ غـبـوـقـيـ وـاصـطـبـاحـيـ
وـفـجـرـ اللـهـ أـشـرـقـ فـيـ فـؤـادـيـ *** رـخـيـ الضـوءـ بـرـاقـ النـوـاحـيـ
فـمـاـ لـلـشـكـ ظـلـ فـيـ وـجـودـيـ *** وـمـاـ لـلـغـيـ خـطـوـ فـيـ سـرـاحـيـ

(١) أحمد أبوسعد، الشعر والشعراء في السودان، مرجع سابق، ص ٩٠-٩٨.

(٢) محمد محمد علي، ديوان ألحان وأشجان، مطبعة الاتحاد بمصر، ١٩٦٠م، ص ٩٠-١١٠.

جمال الله رفف في حياتي *** جمال الله ألمسه براحي
 أنا فوق الزمان وفوق نفسي *** وفوق الوهم والحق الصراح
 صعدت مع الصلاة إلى ذراها *** هناك عالمي وهناك ساحي
 صحت بخاطري الآباد حتى *** فلدت على مجاهلها جناحي
 ومازجت الوجود بكل شيء *** يناجيني بما يرضي طماحي
 بحسبى من حياة الناس نسكي *** وأنسى بالطبيعة وارتياحي
 نشيد الخلد جلجل في دمائي *** وصوت الله أرعد في نواحي

وهذا كامل الباقر^(١) يتحدث عن الإيمان فيقول:

عجزوا عن فهم معناك وعن إدراك كنهك
 ثم راحوا في دجى الشك يهيمون بقدسك
 عبدوا الحسن وقالوا هو إشاعة حسنك
 الجمال الفائض الراخر من عالم أمرك
 والصبح المشرق الواضح من آيات سحرك
 رب هذا الكون كم ينطق عن مكنون سرك
 هو نبع يفيض من كل أعمقى وقدس أحسه أي قدسي
 هو نور من القدسية والحكمة قد شع في جوانب نفسي
 وللشاعر توفيق أحمد البكري^(٢) أشعار تموج بالتردد بين الشك والإيمان

فيقول:

قد بكينا على هوى وأمان عالجتها الأقدار نشراً وطيا
 وأرى عالق الرجاء بكفى هباء لم أئل منه شيئاً
 آه لو تغسل الدموع جراحاً آه لو ينفع البكاء شجياً

(١) كامل الباقر، ديوان الباقر، وهي القلم الفضي، نشر المكتب الحديث للطباعة والنشر، ١٩٧٠م، ص ١٩.

(٢) نشرت هذه القصيدة في مجلة أبوابو عدد يناير ١٩٣٣م، محمد حسن هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

لها الدهر في حنادس يأس لا أرى للمنى بصيصاً مضياً
 وأمد الكفيف أحسب أنني واجد في الظلام منها خبياً
 وأحال الأشباح تجري أمامي صوراً في مناي خلقاً رزياً
 ظلمات يحجبن وهم خيالي أن يرى بينها طريقاً سوياً
 أين لا أين لليقين سبيل قد ضللت الصواب شكاً ورعاياً
 أما الهادي عثمان العمرabi^(١) فهو يعبر عن حيرته وتردداته فيقول:

أنا كافر بالله لكن مؤمن بكتابه
 أنا مؤمن بالله لكن كافر بجنباه

ومن أعمق الذين كتبوا عن الحب من شعراء الوجдан محي الدين صابر^(٢)

فيقول:

في المعبد المسحور سبحاً وغيناً هوانا
 ومشي الهوى نشوان ننسج من مفاتنه منانا
 وسعى به قلبان ينتفضان في الدنيا حناناً
 نسخ الحياة خيالنا حلماً فكانت من رؤانا
 في ظلها النعسان طافت سمحنة الإشراق نفسي
 ونهلت من ينبوعها فملأت بالإلهام كأسى
 ونسيت تحت سمائها من سكري يومي وأمسى
 فكأنني فوق الزمان وفوق أعصابي وحسي
 عمر كغفوة حالم بين المنى أو رجع لحسن
 مرت صباباتي كأوهام ونام اليوم فني
 يا موكب الأحلام في كف الردى إياك أعني

(١) هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(٢) أحمد أبوسعد، الشعر والشعراء في السودان، مرجع سابق، ص ٨٥.

ويستخدم محي الدين صابر^(١) الألفاظ نفسها الدالة على العبادة والتقدیس في قصیدته (نحن) حين يقول مرتفعاً بالحب إلى آفاق الروح وواصفاً إياه بالتطهیر:

نسختني روحك السمحاء شرعاً ومني
وشدت بي في المحاريب صلاة وغنا
ثم ندت أفق الروح جلالاً وسنا
أنت يا دنياي من أنت وآها من أنا
أنا فكر عاش في ظلك فنا ساميَا
أنا طيف رف في واديك معنى شاكيا
أنا ناي ذاب في قدسك لحنا شاديا
أنا روح طار في الحب فراشاً صاديا
أنا هذا مرة أخرى فمن أنت إذن
أنت من تسمو وتستعلي على فكر الزمن
أنت من ظهرت محابي بآقباس الفتنة
أنت من فجرت عودي في سماواتك فن
ثم من نحن جمِيعاً؟ نحن خمار وشرب
نحن مسحوران يا دنياي: عينان وقلب
نحن قديسان في المعبد: قربان ورب
نحن في الدنيا كما شئنا: صبابات وحب

أما الشاعر حسن عزت^(٢) في شعره الوجданی الأصيل يمزج بين محبوبته وبين الطبيعة مع الإحساس بعذابه في حبه يتضح ذلك في قصیدته (السر):

إن رأيت الفجر مأخوذاً بألحان المساء
ورأيت النور عربيد الخطى عذب الضياء

(١) أحمد أبوسعد، الشعر والشعراء في السودان، مرجع سابق، ص ٢٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٩١-٩٢.

ورأيت الشمس تخشاها مصابيح السماء
 ورأيت الطل رقراقاً على الزهر الوضاء
 ورأيت الطير سحري الصدى عذب الغاء
 ورأيت الناي لا يشدو بقدسي الرجاء
 وإذا بالوتر المحزون مخنوق البكاء
 فأعدي لي أناشيدي وغيني غائي
 واسكري في قلبي الفرحة من بعد الشقاء
 وأعدي أحلى الموعود من دنيا الفناء
 واذكري بشفاه شفاهنا تلاقينا عهد
 ومشينا الوشاح بأقوال الشوق نلهب
 وربطنا عراه وأوثقنا الحب عروة
 ودخلنا الإله بأنفاس حرم الحب

والشعر الوجданى لا ينسى شعراوه الالتفات إلى البيئة المحلية والتراث
 الشعبي السوداني من ذلك وصف الشاعر حمزة الملك طمبل^(١) لأحد الحواة فيقول:

رجل كالرجال جاء بما يعجز عن فعله بنو الإنسان
 يأمر بالوقف فينصاع وإن شاء لج في الجريان
 ثم يخلي من المياه إناعين إذا شاء بعد يمتئنان
 يضع الشيء في يديك فتقاه على الرغم منك في يد ثان
 ويغطي الإناء وهو خلاء ثم يأتيك منه بالثعبان

والشعراء الوجدانيون يضعون الوطن في حدقات عيونهم والاهتمام به
 فالهادى^(٢) آدم يتحدث عن شقاء القرية السودانية حيث يحترف أهل القرى الزراعة
 في قصidته (أحلام الحصاد) يصف الفلاحين حيث يقول:

الغارسون بلا أمل الحاصدون من الوعود

(١) محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ٢٧٨.

(٢) الهادى آدم، ديوان كوخ الأشواق.

ويقول:

وعلى تعاريج الوجه الخضر يرتسم الشقاء
وعلى أسارير الشفاه تموت أصوات الرجاء
والديمة الوطفاء والعشب المنصد والبلاء
وتموت أحلام الخريف الرطب: أحلام الحصاد

ويواصل الهادي آدم^(١) همومنه عن وطنه ففي قصيده (ثوري يا بلادي) يتحدث عن وضع الحكومة آنذاك التي أعقبت استقلال السودان وما يعتريها من فساد فيقول:
كان الفساد نظاماً تستبد به *** يد الفرنجة في أوطاننا حقباً
حتى إذا ذهبوا صارت مفاسدنا *** فوضى ينافس فيها رأسنا الذئباً
كم ذا شقينا بأفاقين ليس لهم *** إلا صغار نفوس تعشق اللعباً
جابو البلاد فما فاتهم بلد *** في عالم الله مرتدأ ومنقلباً
قد بوأوا الغرب من أوطاننا سكاً *** كان بينهم من أهله نسباً
لو أغلق الباب فاستعصت مغالقه *** نادوا خيراً من المكسيك منتديباً
والهادي آدم^(٢) مهموم بقضايا أمته الإسلامية والعربية والأفريقية فقد تجاوب شرعاً عندما أغرت البحرية المصرية المدمرة الإسرائيلية (إيلات) عام ١٩٦٧ فتغنى الهادي آدم بهذا العمل البطولي الرائع قائلاً:

إيلات يا شؤم البحار وطعمه الموج الغضوب
يا سخنة الأحزان طافية على ثلج الغيوب
من كان قادك للخراب وللدمار فلم تؤوبني
أحسبت أن البحر منتجع الغزاة بلا رقيب
أم أن رحلك حيث حل يحل في وطن رحيب
حتى تقاضتك الأسود بحاجة الجرح الخصيب

(١) الهادي آدم، ديوان كوخ الأسواق.

(٢) جريدة الرأي العام، العدد ٤/١١/١٩٦٧م.

وعن الوطن نجد محمد أحمد المحجوب^(١) يتالم لوجود انهزميين يشائعون
الحكام في قوله:

يا ضيعة الوطن الذي أنصاره *** قوم يرون النصر في الخذلان
 القوم يرون حياتهم في ذلهم *** ويرون كل الخير في الإذعان
 يتفاخرون بقربهم من حاكم *** وبدهم للفرد والأوطان
 هذا زمانك يا مهازل فافرحي *** قد عد كلب الصيد في الفرسان
 والممحجوب يتفاعل مع وطنه العربي الكبير وتهمه قضياءه في قصيدة
(الفردوس المفقود)^(٢) وهي قصيدة وجداً نية قالها الشاعر بعد النكسة التي حدثت
 عام ١٩٦٧ م ومشبهاً فيها احتلال فلسطين بضياع دولة الأندلس من قبل ويخاطب
 الشاعر ابن زيدون قائلاً:

أبا الوليد أعني ضاع تالدنا *** وقد تناوح أحجاراً وجدراناً
 هذى فلسطين كادت والوغى دول *** تكون أندلساً أخرى وأحزاناً
 كنا سراة تخيف الكون وحدتنا *** واليوم صرنا لأهل الشرك عبداناً
 نغدو على الذل أحزاباً مفرقة *** ونحن كنا لحزب الله فرساناً
 كما ينفعل جماع^(٣) بالعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ م تضامناً مع
 الأمة العربية والإسلامية فيقول:

لي ما بصدرك يا مصر من لهب *** وشيبة الحق والتاريخ والنسب
 على البلاد ذهول لا تحدد *** حدود أرض مشبوب من الغضب
 هذا الدم الغائر المهاج نبعثه *** ناراً ونحرق منه كل مفترض
 كما يقول جماع^(٤) أيضاً:

هذه الموجة من هذا الخضم *** فيضان زاخر بين الأمم

(١) محمد أحمد المحجوب، قلب وتجارب، ص ٢١.

(٢) جريدة الأيام، العدد ١٣/١٠/١٩٦٧ م.

(٣) محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

(٤) شعراء السودان في المعركة، نشر المركز الثقافي المصري بأم درمان، ١٩٥٧ م، ص ٨٧.

ومن الموجة فاضت لجة *** تكسح الذل وتجتاح الرحم
 بين صيحات تعالت مثلاً *** يقذف البركان أشلاء الحم
 والتقوى التيار وانساح كما *** يحضر العالم أحواه الخضم
 وإدريس جماع^(١) ينفعل بالحركة الوطنية ضد الاستعمار الإنجليزي حيث

أقوى الاستعمار على مجموعة من الشباب وأودعهم السجن فيقول:

قلوب في جوانبها ضرام *** يفوق النار وقداً واندلعا
 يظن السيف يورثنا انصياعا *** فلا والله لن يجد انصياعا
 ولا يوهى عزائمنا ولكن يزيد عزيمة الحر اندفاعا
 سنأخذ حقنا مهما تعلوا *** وإن نصبوا المدافع والقلاعا
 وإن هم كتموه فليس يخفى *** وإن هم ضيغوه فلن يضاعا
 طفى فأعد للأحرار سجنا *** وصبراً رضنا شرعاً مشاعا
 هما سجان يتفقان معنى *** ويختلفان ضيقاً واتساعا

(١) إدريس محمد جماع، ديوان لحظات باقية، ص ٢٥.

الفصل الثالث

الطبيعة في الشعر الوجداني

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ذكر الطبيعة في القرآن الكريم

والأحاديث النبوية الشريفة

المبحث الثاني: النيل ومظاهر الحياة والحنين

المبحث الأول

ذكر الطبيعة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة

اهتم شعراء الاتجاه الوج다اني بالطبيعة، وفي هذا الفصل نتعرض لبعض عناصر الطبيعة التي تطرق لها هؤلاء الشعراء، منها النيل، ومظاهر الحياة الاجتماعية، والعادات والتقاليد، والسكون، والحنين إلى الوطن، ووحدته، والمدن، ومواقعها المتميزة، والغربة والحرية، والاستقلال، وإرادة الشعوب.

و قبل أن نبدأ بالشعر نتطرق أولاً لذكر النيل في القرآن الكريم:
قال التيفاشي في كتابه سجع الهديل: (لم يسم نهر من الأنهر في القرآن الكريم سوي النيل في قوله تعالى (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّ رَادُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) ^(١).

قال: أجمع المفسرون على أن المراد باليم هنا نيل مصر ^(٢)، كما جاء في قوله تعالى (أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْتَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلَيُلْقِيَهُ الْيَمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوُّهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي) ^(٣)، ولكن بجانب هذه الآيات التي ذكر النيل فيها باسم اليم جاءت في آيات أخرى كلمة اليم لترمز إلى البحر المالح كقوله تعالى (فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِعَايَتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) ^(٤).

(١) سورة القصص، الآية (٧).

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، القاهرة ١٩٦٧م، ج ٢، ٣٤٠.

(٣) سورة طه، الآية (٣٩).

(٤) سورة الأعراف، الآية (١٣٦).

وفي سورة طه (فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِّيَهُمْ مِنْ أَلَيْمٍ مَا عَشَّيَهُمْ)^(١)، ويورد قول السامي على لسان موسى: (قَالَ فَأَذَهَبْتَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تَخْلُفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْ حَرَقَنَهُ ثُمَّ لَنْ نِسْفَنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا)^(٢).

وفي سورة الذاريات عن فرعون (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ)^(٣)، قوله جل شأنه (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)^(٤).

وفي آية أخرى لم يذكر اسم النيل صراحة ولكن من الواضح تعني النيل وذلك في قوله تعالى (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَقُولُ أَلِيَّسْ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَرُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبَصِّرُونَ)^(٥)، فالمراد بالأنهار هنا النيل وفروعه، وكلمة اليم معانٍ كثيرة ومن الممكن إطلاقها على أي نهر آخر ولكنها أصبحت وقفاً على النيل لأن القرآن الكريم أطلقها عليه^(٦).

وقد ذكر الدكتور فتح الرحمن حسن التي في كتابه (النيل في الشعر السوداني) ما يلي: (ولقد ذكر بعض المفسرين أن يوم وفاة النيل هو اليوم الذي وعد فيه فرعون موسى بالاجتماع)، إذ يقول تعالى إخباراً عن فرعون (قَالَ

(١) سورة طه، الآية (٧٨).

(٢) سورة طه، الآية (٩٧).

(٣) سورة الذاريات، الآية (٤٠).

(٤) سورة القصص، الآية (٤٠).

(٥) سورة الزخرف، الآية (٥١).

(٦) د. محمد حمدي المناوي، نهر النيل في المكتبة العربية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م)، ص ١٩.

مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الْزِيَّةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَّى)^(١)، كما أن هناك بعض الآيات يرى المفسرون والكتاب العرب إن المقصود بها النيل، فيقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَسَى شَمِخَتٍ وَأَسْقَيْنَا مَاءً فُرَاتًا)^(٢) هي أربعة أنهار سيناء وجيجان والفرات والنيل بمصر.

وفي قوله تعالى (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَرِّقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمِرْنَا مَا كَارَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)^(٣) قال الليث بن سعد: هي مصر بارك فيها بالنيل^(٤).

ويقول السيوطي إن المقصود بقوله تعالى (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُتَّصِرُّونَ)^(٥)، هي مصر ويكون المقصود بالماء النيل، والنيل يجب أن تتجه إليه بقلوبنا وعيوننا وأن النيل ميراث من الله وضعه في أيدينا، وللنيل خيرات منبثة في واديه يجب الاعتزاز بها والشكر لبارئها وعدم جحودها.

ويقول دكتور أحمد الشرباصي: (وحدثنا القرآن بأن هذا النيل هو الذي حملنبي الله موسى رضي الله عنه حين ألقته أمه داخل التابوت في اليم، فصانه تياره حتى بلغ قصر فرعون فنجا وسلم، وهذا النيل هو الذي احتوى بوادييه عيسى، وأعتر فيه يوسف، ثم سرت في نواحيه دعوة محمد، فجمعت شتاته، وأحيط

(١) سورة طه، الآية (٥٩).

(٢) سورة المرسلات، الآية (٢٧).

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٣٧).

(٤) د. محمد حمدي المناوي، نهر النيل في المكتبة العربية، مرجع سابق، ص ١٣.

(٥) سورة السجدة، الآية (٢٧).

مواته، وبقي للإسلام في هذا الوادي الممرع الخصيب صوته المسموع، ومكان المرفوع إلى اليوم وإلى ما شاء الله بإذن الله^(١).

بعد أن تعرفنا على الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر النيل ننتقل إلى الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكر فيها النيل أيضاً حيث جاء عن عمر بن عوف عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: (أربعة جبال من جبال الجنة، أربعة أنهار من أنهار الجنة، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة، قيل: فمن الجبال؟ جبل أحد يحبنا ونحبه، والطور جبل من جبال الجنة، ولبنان جبل من جبال الجنة، والجودي جبل من جبال الجنة، والأنهار: النيل والفرات وسيحان وجيجان، والملاحم: بدر وأحد والخندق وخبير)^(٢).

وعن حكيم بن معاوية عن جده النبي ﷺ قال: (إن في الجنة بحر الماء، وبحر اللبن، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تتشق الأنهر بعد ذلك)^(٣).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (سيحان وجيجان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة)^(٤)، وفي حديث الإسراء عن أنس: (إذا هو في السماء الدنيا بنهرین بطردان فقال: ما هذان يا جبريل؟ قال: النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من اللؤلؤ والزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك)^(٥).

(١) الموسوعة الشرابصية في الخطب المنيرية، تأليف د. أحمد الشرباصي، دار الجيل، بيروت، لبنان، المجلد الرابع (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

(٢) ضعيف جداً، أخرجه الطبراني في الكبير (١٧-١٨)، وابن عدي في الكامل (١٩٩٥) (٦/٥٩)، في ترجمة كثير بن عبدالله، وقال عنه: قال النسائي مترونك الحديث، وقال آخر: منكر الحديث ليس بشيء.

(٣) أخرجه الترمذى (٢٥٧١)، وابن أبي عاصم في الأحاديث المثنانية (١٤٧٥)، وعبد بن حميد (٤١٠)، وابن حبان في صحيحه (٧٤٠٩)، وابن عدي في الكامل (٦٧، ٢)، وأبونعيم في الحطية (٦/٢٠٥)، وقال أبونعيم (غريب عن الحريري تفرد به عن حكيم).

(٤) صحيح، صحيح مسلم (٢٨٣٩).

(٥) صحيح، صحيح البخاري (٧٥١٧).

والأحاديث النبوية الشريفة السابقة تؤكد أن النيل ينبع من الجنة، وأورد البخاري في صحيحه ضمن حديث الرسول ﷺ في الإسراء والمعراج قال: (ورفعت إلى سدرة المنتهى أي كشف لي عنها فإذا نبقيها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيول في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فسألت جبريل فقال: أما الباطنان فهي الجنة وأما الظاهران النيل والفرات)^(١)، وكذلك أورد البخاري في صحيحه أيضاً عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (رفعت إلى السدرة فإذا بأربعة أنهار ظاهران ونهران باطنان فأما الظاهران فهما النيل والفرات وأما الباطنان فنهران في الجنة)^(٢).

ونلاحظ أن الحديدين الشريفين اللذين أوردهما البخاري في صحيحه مت شبهاً، ونلاحظ أن هناك أحاديث ذكرت في غير كتب الحديث المعتمدة حيث يروي ابن الفقيه قال: قال النبي ﷺ: (تغور المياه كلها وتترجع إلى أماكنها إلا نهر الأردن ونيل مصر والجرات وعرفات).

وعن ابن الفقيه أيضاً: (الفرات والنيل مؤمنان ودجلة ويرهوت كافران)، وأورد المغirزي وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث: وفي حديثه عليه السلام: (نهران مؤمنان ونهران كافران، فأما المؤمنان فالنيل والفرات وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ).

وأورد ابن مماتي في قوانين الدواعين^(٣) والأفهسي^(٤) في مخطوطه عن النيل عن النبي ﷺ: (يقول الله تعالى نيل مصر خير أنهاري أسكن عليه خيرتي من عبادي فمن أرادهم بسوء كنت لهم من ورائهم).

وجاء في بعض المؤلفات العربية قال ﷺ: (إن النيل يخرج من الجنة ولو التمست فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها)^(٥).

(١) صحيح، صحيح البخاري.

(٢) صحيح، صحيح البخاري.

(٣) قوانين الدواعين، ج ١، ص ٣.

(٤) نيل مصر وأهرامها، ص ٣٥.

(٥) فريدة العجائب وفريدة الضرائب، ابن الوردي، ص ١٤٢.

وقال ﷺ: (نيل مصر سيد الأنهر)، ويقول السيوطي: (وأخرجه الديلمي في سند الفردوس)، وأورده القرطبي في التذكرة من حديث حذيفة مرفوعاً (يبدو الخراب في أطراف البلاد حتى تخرّب مصر، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرّب البصرة من الطرف وخراب مصر في جفاف النيل)^(١).

ونرى أن بعض الكتاب لم يقبلها بسهولة فالآقهسي^(٢) عند ذكره الحديث القائل بخروج النيل من سدراة المنتهى بقوله: (قال القاضي عياض هذا الحديث يدل على أن أصل سدراة المنتهى في الأرض لخروج النيل والفرات من أصلها) وهو بذلك يحاول أن يجعل الحديث متماشياً مع العقل.

ولكن يرى بعض الكتاب والعلماء أن كثيراً من هذه الأحاديث التي ذكر فيها النيل موضوعة وسوف نذكر نماذج منهم دكتور محمد حمدي المناوي حيث يقول: (إن كثيراً منها موضوعة وأن كثيراً من الأحاديث المنسوبة للرسول ﷺ قد زيفت لسبب أو لآخر، كذلك الإسرائيليات التي دخلت في الحديث نتيجة ظاهر بعض اليهود بالإسلام، كذلك إن كثيراً من الأحاديث وضعت لافتخار بالأقاليم والمدن والأنهار نتيجة للنصرة القومية التي دفعت كثيراً من الأقطار المفتوحة والتي صارت جزءاً من العالم الإسلامي أن تتسب لنفسها مجدًا يعتز به غيرها من البلدان، ونحاول ذلك داخل الإطار الإسلامي لأن الإسلام قضى على كل نعمة جاهلية)^(٣).

ويقول الكاتب أحمد بن عبدالسلام المنوفي: (أعلم أنه لا خلاف بين عامة المسلمين في أن أصل النيل يخرج من الجنة من أصل سدراة المنتهى لتصريح الأحاديث الصحيحة بذلك أما الخلاف المذكور في الكتب المصنفة في ذلك فإنما هو في تعين المكان الذي ينبع منه في الأرض بعد ضربه من الجنة).

أما الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فتقول: (نظر العرب إلى النيل نظرة غريبة ورأوا في حشد الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ من مثل (سيحان وجيجان).

(١) حسن المحاضرة، السيوطي، ج ١، ص ٦.

(٢) نيل مصر وأهرامها، ص ٣٠.

(٣) نهر النيل في المكتبة العربية، د. محمد حمدي المناوي، مرجع سابق.

المبحث الثاني النيل ومظاهر الحياة والحنين

وأبدأ برائد الوجданية الشاعر الفذ التجاني يوسف بشير في قصيده (في محراب النيل)^(١) يذكر أن أصل النيل من سلالة الفردوس وهو الذي حضنته الملائكة في جنة الخلد فيقول:

أنت يا نيل يا درة الفراديد— *** س نبيل موفق في مسابك
ملء أو فاضك الجلال فمرحى *** بالجلال المفيف من إنسابك
حضنتك الأملاك في جنة الخلد— *** د ورفت على وضئ عبابك
وأمدت عليك أجنهة خضراء *** رأ وأضفت ثيابها في رحابك
فتحدرت في الزمان وأفرغت *** ت على الشرق جنة من رضابك
بين أحضانك العراض وفي كف *** يك تاريخه وتحت ثيابك
مخرك القرون تشعر عن ساق *** ق بعيد الخطى قوي السنابك
يتوثبن في الضفاف خفافاً *** ثم يركضن في ممر شعابك
عجب أنت صاعداً في مراقي— *** ك لعمري أو هابطاً في انصبابك
مجتلى قوة ومسرح أفاها *** ر ومجلى عجيبة كل مابك
كم نبيل ب Mage ما ضيتك مأخوا *** ذ وكم ساجد على اعتابك
عفروا نمرة الجاه بيرا *** ق سنى من لؤلؤي ترابك
سجدوا ذاهلين لا روعة التما *** ج ولا زهور إمرة خلف بابك
واستفاقوا يا نيل منك لنغا *** م شجى من آلهي رببك
وصقيل في صفحة الماء فضفا *** ض منضر من إهابك
وحروف ريانة في اسمك النـ *** ل ونعمى موفورة في جنابك
فكان القلوب ما استمدت *** سكري مسحورة من شرابك

(١) التجاني يوسف بشير، ديوان إشراقة، مرجع سابق، ص ١٠٩-١١٠.

وكذلك يؤكد التجاني بأن القلوب تكن للنيل السلام والمحبة وهو يجري في عروقنا ودمائنا وأنفاسنا وأنه يمثل تاريخ أمة ومجدًا لأجيال مضت وبطولات شعب يفخر بالانتساب إليه ويعتز به فالنسب إليه عز فريقه في القصيدة نفسها^(١):
وما زلنا نمضي مع التجاني في شعره الوجданى ففي قصيده (توري في الصباح)^(٢) يصف الحياة في توري تلك الجزيرة الوادعة يصف إنسانها وحيوانها وأطيافها وطبيعتها الخلابة الجذابة فيقول:

(١) أيها النيل في القلوب سلام الـ *** خالد وقف على نضير شبابك
 أنت في مسلك الدماء وفي الأـ *** فاس تجري مدوياً في انسيابك
 إن نسبنا إليك في عزة الوا *** ثق راضين وفراة عن نصابك
 أو رفلنا في عدوتك مدلـ *** بين على أمة بما في كتابك
 أو عبدنا فيك الحال فلما *** نقض حق الزياد عن محراكك
 أو نعمنا بك الزمان فلم نـ *** ل بلاء الجدود في صوت غابك

(٢) التجانی يوسف بشير، إشرافه، مرجع سابق، ص ٦٥.

كسـ	تـلـاعـم	فـمـا	تـهـوـي	وـهـي	تـكـسـرـت
وتـخـ	تـنـي	سـ	الـرا	مـعـصـوبـة	فـتـاك
قـبـر	لـخـواـطـر	كـ	وـهـاتـيـ	مـرـضـى	وـتـلـك

يـذـر	آـنـذـاك	سـ	شـمـ	يـا	وـظـلـ
يـسـتـدـرـ	نـدـي	حـ	مـصـابـيـ	غـصـنـ	فـكـلـ

وـنـورـ	الـثـرـى	رـ	وـاحـمـ	الـطـلـ	وـنـورـ
وـذـابـ	الـرـائـبـ	جـ	فـيـ	أـوـ مـا	وـذـابـ

تـرـجـلـ	أـنـهاـ	لـ	مـاـ	الـرـيحـ	تـرـجـلـ
رـمـلـاءـ	مـنـهاـ	درـ	أـنـهاـ	رـمـلـاءـ	رـمـلـاءـ
ذـرـ	وـبـهـرـ	يـبرـقـ			
تـسـتـقـرـ	كـالـدـهـرـ	جـاتـبـيـهـاـ	فـيـ		وـالـفـاكـ
مـفـرـ	شـرـاعـ	مـكـرـ			هـذـاـ
تـمـرـ	هـنـاكـ	وـالـرـيـ			يـطـوـيـ
يـسـتـحـ	وـزـورـقـ	يـتـهـادـيـ			وـزـورـقـ
مـسـتـقـرـ		هـادـئـ	وـيـقـلـعـ		يـرـسـيـ
كـثـرـ	الـجـوـانـجـ	دـكـنـ	الـضـفـافـ		وـفـيـ
مـقـرـ	وـالـأـنـوـقـ	مـ	لـلـعـصـ		وـرـبـ
جـذـرـ	وـأـشـرـفـ	مـنـهـاـ	فـرـعـ	عـلـىـ	أـوـفـيـ
وـشـبـرـ	مـسـتـطـيلـ	نـ	عـرـقاـ	الـدـهـرـ	يـقـلـهـاـ
بـكـرـ	شـمـطـاءـ	وـهـيـ	الـشـطـ	يـلـفـظـهـاـ	يـكـادـ
جـزـرـ	وـيـجـفـلـ	مـنـهـ	مـدـ	يـقـدـمـ	وـالـنـيلـ

دـهـرـ	تـصـرـمـ	وـكـمـ	عـهـدـ	تـقـادـمـ	وـكـمـ

وتاك يأوى إليها * في * إليها يأوى المستحر^(١)

التجاني يوسف بشير^(٢) ولد عام ١٩١٢ عمل في الأدب والشعر منذ صغره متأثراً بالنهضة الأدبية التي عاصرها بين عام ١٩٢٤م وحتى وفاته وكانت له ملكة شعرية ولكن الأجل لم يمهله فمات صغيراً في سن الخامسة والعشرين في عام ١٩٣٨م له ديوان مطبوع باسم (إشراقه) يعتبر من طليعة الشعراء المعاصرين المجددين.

والشاعر محمد سعيد العباسى^(٣) الذى يعتبر من شعراء الأصالة والجزالة
وله ديوان باسمه ويعتبر العباسى أن النيل هو رمز الحرية والاستقلال والإرادة
كل ذلك في وصف وجданى بلیغ حيث يقول:

انظر إلى النيل في دفاعه أبدا *** ينساب لا بطناً ولا أمما
فإن خلا لبني (التايمز) لاحتكروا *** معينه فاشتهيتمن منه جرعة ما

(١) وختم الشاعر قصيده عن العلاقة والتشابه بين الشعبين المصري والسوداني والزراعة في البلدين فيقول:

(٢) ديوان النيل، إعداد لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والعلوم الاجتماعية، مصر، والمجلس القومي لرعاية الآداب والفنون، السودان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٣٠١.

(٣) محمد سعيد العباسى، ولد بقرية عراديب ود نور الدائم بالنيل الأبيض، فى عام ١٨٨١م، وتتعلم في الخلوة ودرس علم العروض والقوافي وفقه اللغة على يد عدد من العلماء ثم التحق بالمدرسة الحربية في ١٨٩٩م بمصر ولكنه تركها ليعمل في مجالات الشعر والأدب، من شعراء الأصالة والجزالة، له ديوان باسمه، توفي عام ١٩٦٣م.

وإن نسيتم فلا تنسواأسود شري *** تفتن الدهر في تشتيتهم رمما
سيموا العذاب وأذوا في سبلكم *** عاشوا جياعاً وماتوا بالجنوب ظما^(١)
ويواصل العباسى درره الوجданية فهو يشير إلى الثقافة المصرية والعلاقات
التي تجمع بين مصر والسودان وبحث الكتاب والأدباء والمفكرين على إثراء
الحياة الثقافية في السودان وأن النيل رمز للحرية فيقول:

خذوا بيد البلاد فتفوها *** وكونوا في حوادثها المعينا
أعينوا فحن بنو أبيكم *** لنا حق ونحن الأقربونا
لنا بالدين والفصحي ائتلاف *** وثيق ضم شعيبنا قرونا
ونيل فاض كوثره فأجرى *** بواديه الحياة لنا معينا^(٢)

ويقول العباسى أيضاً في العلاقة بين مصر والسودان:

وكفانا بالدين عروتنا الوث *** قى وبالضاد لحمة وصداقة
وبهذا النيل المبارك والنيل *** لـ جميل من يره الله ساقه^(٣)
وننتقل إلى الشاعر المجاهد المناضل صالح عبدالقادر^(٤) وفي قصidته (النيل)^(٥)

حيث يصف النيل في جريانه ومنبعه ويشبهه تشبيهات بلغة ويفاخر به، فيقول:

أيها	النيل	صاحبِي	***	أجر لا زلت صاحبِي
أجر يا ابن السماء في الـ	***	أرض ذات العجائب		
كل حسن على ضفا	***	فك أحكاك كاعب		
وخيال	***	لشاعر وابتکار لكاتب		
وأراجيز	***	عاشق وترانيم راهب		

(١) محمد سعيد العباسى، ديوان العباسى، ص ١٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٦.

(٣) ديوان النيل، ص ٥٩.

(٤) صالح عبدالقادر من شعراء السودان الذين رفعوا لؤلؤة الوطن محارباً عام ١٩٢٤ م حيث كان سكرتيراً لجمعية اللواء الأبيض وحكم عليه بالسجن مرة في اللواء الأبيض خمس سنوات ومرة عندما رفض أن يوقع للمستعمر إقراراً باعتقال السياسة، له ديوان شعر (الحياة الأولى) و(رباعيات)، ديوان النيل، ص ٣٠.

(٥) ديوان النيل، ص ٧٤-٧٥.

(١) ويختتم الشاعر قصيده بقوله:

وحقوقاً	كم شهدت	العياد	توزيع	باغ	وناهب
وشعوباً	والبلاد	تناحرت	نيل	في	والمتاعب
فأجر	ما شئت	انطوت	نيل	واختفت	المطالب
وأجر	يا	صاخباً	نيل	كنت أم غير	الغياب
ومحق	يا	غاضباً	نيل	كنت أم غير	صاحب
أجر	باق	وضاحك	نيل	ومجد	ولاعب
وسائب	أو	ومبطل	نيل	وسائل	رثائيبي

(السودان في عدسة المصور)^(١) قصيدة شدا بها الشاعر السوداني محمد فضل إسماعيل^(٢) وهي قصيدة وجداً نية يعبر فيها عن علاقته الأصيلة مع النيل ويصف حياته وذكرياته وأشجاره ونشأته فيقول:

منابع النيل طالت فيك أشجاني *** وطال للصحب في واديك تحانى
 سقينتي في صباي الحب فامتزجت *** بالحب نفسي ولم تنزع لسلوان
 وكيف أنسى ليالي التي حفلت *** بذكريات المنى ما بين أخوانى؟
 كم عشت فيك خلال الدور مغبطاً *** وكم ظفرت بأحباب وخلان
 وكم تنقلت مثل الطير من سكن *** رحب إلى سكن كالروض فينان
 حيث الجمال على الأعشاب مرتسم *** والحسن منطبع فيها بألوان
 وللنسيم دعابات محبيّة *** تمر بالنخل من آن إلى آن
 فيطعم الناس فيها ما يلذ لهم *** فلا ترى بينهم ظلاً لخصمان
 تغلغل الجود في أحياهم فجرى *** كالنيل ينساب فيهم بين قيungan
 أكرم بهم من ذوي جاه قد انتسبوا *** إلى العروبة من فهر وقطحان
 بنوا من المجد أبراجاً مشيدة *** والمجد في كل جيل خير بنيان
 هلا نزلت بهم يوماً فتعرفهم *** بكل وصف جليل الذكر والشأن؟
 منازل العز في الدنيا منازلهم *** وجارهم في حماهم آمن هانئ
 ويواصل الشاعر محمد فضل إسماعيل وصفه لأيام السودان وربوعه
 الجميلة ويذكر الجزر والمدن المطلة على النيل في وصف رائع بديع حيث يقول
 في نفس القصيدة:

مالي إذا ذكر السودان عاودني *** طيب الحياة كأني جد نشوان

(١) ديوان النيل، ص ٧٩-٨٤.

(٢) محمد فضل إسماعيل من أصل سوداني، عاش في الإسكندرية ثم السويس، وتوفي عام ١٩٦٩، وقد جمع أحمد مصطفى حافظ شعره بعد وفاته في ديوان كبير صدر عن المجلس الأعلى للفنون والآداب، ديوان النيل، ص ٣٠٤.

فكم نشرت شبابي في خمائله *** وكم نظمت به في المهد الحاني
 سل الأحبة من (حلفا) وجارتها *** وسل رفاق الهوى في (أم درمان)
 وسل (جزيرة أرقو) وهي قائمة *** في منظر من جمال النيل فتان
 وسل إذا شئت في العطمور عن سفري *** وكيف كان لدى (الخرطوم) ندماني
 دور لعمري لغير الطهر ما خلقت *** يا بارك الله في دور وسكن
 سقيت فيها رحيق الحب من صغرى *** و كنت فيها فتيأ طوع إبانى
 أجود للشاطئ الغربي آونة *** كما أتيخ على الشرقي أطعاني
 وإن نزعت بنفسي نحو (دنقلة) *** أو مر صفو لياليها بحسبان
 ذكرت فيها ملوكاً من (بني حمد) *** كانوا كأنهم أبناء غسان
 وإن أهبت بعلم دان لي هدي *** كأنتي بعد (شنقسطي) أزماتي

ويواصل الشاعر محمد فضل إسماعيل فيصف هنا شعب السودان المطل
 على النيل وحضارته فيقول:

أولئك القوم كانوا فخر أمتهم *** ولا يزال بنوهم خير فتيان
 أما تراهم وقد طابت عناصرهم *** قاموا إلى المجد لم يقعد بهم وان?
 هم للعلا (بعثة) كانت موفقة *** نادى بها المجد في سر وإعلان
 من لي بزهر الربى حمداً فائثره *** تحية دونها آيات سحبان
 فليس في طوق شعري ما يحاوله *** من التحايا إذا ما فاض شكري

ويخاطب محمد فضل إسماعيل الذاهبين إلى مصر ويقول إن مصر هي
 الموطن الثاني ويفتخر بشعب وادي النيل بدينهم وعروبتهم وحضارتهم فيقول:

يا وافدين على الأهرام ما ببرحت *** أهرام مصر لواء الوطن الثاني
 برهنتموا (لبني التاميز) أنكم *** قوم كرام ذوو جاه وسلطان
 أهلاً بمقدمكم أهلاً بعودكم *** أهلاً ببعثكم أهلاً بجيرانى

ويدعو الشاعر محمد فضل إسماعيل النيل ويخاطبه بأن يستقبل الوافدين
إلى مصر فيقول^(١):

والصور الشعرية التي تعكس حب الشعراء للنيل وتعلقهم به كثيرة ومتعددة
فها هو ذا شاعرنا ابن حلفاية الملوك محمد محمد علي^(٢) الشاعر والصحفي
والمعلم يكنى النيل (بابي الخيرات) وينقل الشاعر تحايا إلى النيل من كل الذين
شملتهم نعمته ويصف حركة الشادوف كتوقير السابقين للنيل وهم يتقربون إليه
ويشبه صوت السواقي بالغناء والشدو فيقول في قصidته (عتاب النيل)^(٣):
أبا الخير حيتاك العطاش النواهل *** وحيتك سود مجنات هواطل
وحياك روض مرق العود ناصر *** وحياك قفر من نميرك سائل

(١) يا أيها النيل هلل واصطف طرباً *** واجعل تحياك من ورد وريحان
وصف من الحمد آيات مفصلة *** تبذ ما صبغ من در ومرجان
الله أكبر كم كانت مآثرهم *** غراء لم تقصر يوماً لتبيان
عاشوا لأمته عوناً وما وهنوا *** أعظم بكل امرئ في الناس معوان
إذا نشرت كتاب الحمد أقرؤه *** وجدتهم في كتابي خير عنوان
تقى وعلم وآداب ومعرفة *** وحكمة بعثت أيام لقمان
كذلكم كان كل الصحب تعرفهم *** بما يروقك من طهر وإيمان
هم أعدوا لدين الله ما ذخرموا *** من كل غال وكانتوا خير أعون
(نسخ الحضارة) إما جئت حوزكم *** فاذكر مودتنا في كل ميدان
تحيا العروبة يحيا العرب تحرسهم *** عنابة الله في عز وإمكان

(٢) محمد محمد علي ولد بحلفاية الملوك عام ١٩٢٢م، وتلقى تعليمه الأولى بين رفاعة وحلفاية
الملوك، تخرج في معهد أم درمان العلمي عام ١٩٤٥م، حصل على ليسانس دار العلوم من القاهرة
و Diploma معهد الترجمة من جامعة عين شمس، عمل بالصحافة السودانية بين عامي ١٩٤٥ - ٦
١٩٤٦م)، ثم عمل مدرساً بالمدارس الثانوية ثم محاضراً بمعهد المعلمين العالي بأم درمان، ثم رغم
ظروفه تمكن من إحراز درجة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وكان يعد الإنجاز
درجة الدكتوراه ولكن القدر حال دون هذا الطموح وتوفي في ٢٨ ديسمبر ١٩٧٠م، ديوان النيل،
ص ٣٠٥

(٣) ديوان النيل، ص ٨٨-٨٥٠.

وحياك من أرض الجزيرة نورها *** وحياك همس أرسلته السنابل
 فمنك أصاب الري فينان مورق *** ومنك استمد العزم نشوان عامل
 وحياك وجداي وحياك خاطري *** وحياك آلامي وما أنا آمل
 وأضحي لك الشادوف يسجد خاشعاً *** كما سيحدث على ضفتيك الأوائل
 وغنت لك الدكن السوافي ملاحماً *** يعيش بها ميت ويخصب ماحل
 وناجاك مجاف السفينة بثه *** وفي زجل التوتي غناك زاجل
 ثم ينتقل الشاعر محمد محمد علي إلى معاتبة النيل في أسى وحزن
 للظروف الطبيعية التي تحدث للنيل في زمن الفيضان فتقلب نعمته إلى نعمة
 فيقول:

أبا الخير عندي من عتابك قصة *** روتها عن البيد الظماء القوافل
 عطشنا وعشنا في ربوع جديبة *** تمر بها عجلات ركب جافل
 كأنك مطرود وخلفك جحفل *** له شكة مرهوبة وغوائل
 نعيش على التأميل منك وتحني *** علينا صغاراً أمهاه نواحل
 شرقت من الدمع الحبيس وأترعت *** لهن من الدمع الغزير مناهل
 فهن لدى البأساء عثر غوابش *** وهن في الأدواء صغر ثواكل
 ويواصل الشاعر سرد المحن والآسي وانتشار الدجل والشعوذة بين الناس
 واستغلال الدجالين للبساطاء الذين يتمنون أن يكون الناس مثل السوام ليطيب لهم
 المقام ويذكر كذلك المستعمر الذي عاث فساداً فيقول:

منازلنا مثل القبور بما بها *** ضياء بجنح الليل فهي مجاهل
 على أن أحاديث المضللين بيننا *** لها في الظلام الداجيات مشاعل
 عبدناهم دون الإله فأصبحت *** لهم سرر مرفوعة ومحافل
 وقالوا لنا نجزيكم الجنة التي *** بها الخير موفور بها الحسن مائل
 فعيشووا كما تحيا السوام بأرضكم *** فما لكم مما قضى الله وائل
 فجاهلكم في عالم الغيب عالم *** وعالمكم في عالم الغيب جاهل

الأبيات السابقات توضح لنا حال الناس في ذلك الزمان من الممارسات الفاسدة المتمثلة في الدجل والشعوذة والجهل والضلال وعاث المستعمر فساداً فكيف الخلاص؟ وفي الأبيات التالية يخاطب الشاعر النيل مستغثاً له ليهديهم ويعظمهم لأنه يحمل بين جرفيه تراث هذه الأمة وأمجادهم وماضيها المشرق ويتحدث الشاعر عن البطولات والملاحم التي خاضها المجاهدون الشرفاء ضد الأتراك في شيكان والخرطوم فيقول:

أبا الخير أفتنا والحوادث جهرة *** فلا تشغلن عنا عدك الشواغل
 ظمنا إلى أمواجك الحمر إنها *** جمال وعرفان وبعث ونائل
 فهي تراث من رجال إعزه *** وهن دم منا بمحراك سائل
 حميناك بالأرواح من كل غاصب *** وظهر شطيك الأباء البواسل
 أغاروا على الترك الجفاه بضيغم *** من الشعث ناباه القنا والمناصل
 تراموا على شيكان وهي مدافع *** يضيق بأرباب الفضاء جحافل
 فما غادروا في أرض شيكان قائماً *** سوي الصقر من أرجائها يتماءل
 وكرروا على الخرطوم كرة باسل *** له من دروع الدارعين قوافل
 أبادوا السيف كل حسود *** فعاش بحد السيف شعب مناضل
 وما زال شاعرنا محمد محمد علي يلجا إلى النيل وبحكي له مأسى أهله
 وسوء حالتهم وخضوعهم للمستعمر الغاصب الذي نهب خبراتهم وثرواتهم فما أنت
 قائل لهم أيها النيل؟ فيقول:

أبا الخير إني نطقت بعض ما *** يثور بوجداني فما أنت قائل
 أراك ستصلينا من القول جامحاً *** يفيق به من نومة الذل خافل
 رضينا مقام الغاصبين بأرضنا *** فطابت لهم مما جرقنا مأكل
 لهم من دماء العالقين على الثرى *** قصور طراب عانقتها الخمائل
 خمور وأثواب رقيقة بهيجه *** وعطر وأشياء أنا بها جاهم
 نسينا إباء الذاهبين وبأسهم *** وبتنا عثاء يحتويه المسائل
 مساكننا من كارهي الضيم قفرة *** وأجداثنا منهم ملاء حوافل

ولشاعرنا محمد محمد علي أبيات رائعت بمناسبة تحرير واستقلال السودان من المستعمر الغاصب فقد تمت الحرية لأرض النيل وعادت الحياة الكريمة إلى شاطئيه وعاد إليه مجده فحركت أمواجه كأنها الألحان وتحقق أمني الشهداء وهم أحياء عند ربهم فهذا يوم عيد حيث يقول:

والليوم يجلو الغاصبون عن الديار فلا إياب
تحدوم اللعنات حيث سرت بهم موج الركاب
طهر التراب وكان فيه مقامهم دنس وعاب
سرت البشرة في الحواضر والدساكر والباب
هي فرحة أضحت تطل برأسها من كل باب
وعلى ضفاف النيل للموج رقص واصطخاب
والباسقات من النخيل تعيش كالغيد الطراب
وأرى القبور الهمadas تضطرب اضطراب
ويكاد يهتف ساكنوها الموت بعد اليوم طاب
يوم من الأمجاد والآلاء والقسم الرطب

والشاعر الناشر الخطيب القانوني المهندس السياسي والأديب محمد أحمد المحجوب^(١) فهو يصف الجزيرة التي على النيل وحركة الموج وتطويف النيل لها فشبه النيل بالعاشق والجزيرة بالمحبوبة كل ذلك في قصيدة (القديم الجديد)^(٢) حيث يقول:

(١) محمد أحمد المحجوب هو الشاعر الناشر الخطيب القانوني المهندس والذي ذاع صيته فملاً أقطار العالم العربي، تدرج في المناصب السياسية والقومية حتى وصل منصب رئيس مجلس الوزراء السوداني، من القلائل الذين شهد لهم المحافل بالوقوف على المبدأ والأصلالة في الرأي وبحبه لوطنه وعروبه، له كثير من الأعمال الأدبية والاجتماعية والصحية، وله ديواناً شعر هما (قصة قلب) و(مبختي ودني)، انتقل إلى رحاب مولاه في يونيو ١٩٧٦م، صلاح عبدالقادر، ديوان النيل، ص ٣٠٦.

(٢) ديوان قصة قلب، محمد أحمد المحجوب، طبعة دار الثقافة، بيروت، ص ٩٨.

يا لِلجزيرة أسلَتْ أهداها *** والموج يرقص حولها منسابة
 النيل طوقها وزين جيدها *** يضفي عليها سندساً وحبابا
 كالعاشق المفتون طوق إلفه *** خوف الفراق ولا يجير جوابا
 ينساب نحو الثغر متند الخطى *** لو عاد من سفر لرق وطابا
 تمضي الحياة به ويُوسعه النوى *** في لجة البحر المرير عذابا
 ويثير ثورة مارد غدت به *** دنيا الألام ففارق الأحبابا
 نو كان يعلم أن يوم لقائه *** يوم الفراق تدبر الأسبابا
 وقضى الحياة على الهضاب وفي الربي *** بل عاد في كبد السماء سحابا
 ليعود سيرته إلى الأرض التي *** خلعت عليه المجد والألقابا
 لكن سادر مائه لا ينتهي *** عن سيره أو يستطيع إبابا
 وبلجه الفضي ترقص فرحة *** وتموج أسراب تحال سرابا
 كم عاشقين تعانقوا وتدعوا *** والنيل حافظ سرهم يتغابي
 والنور من شطيه يبعث بالنهى *** ويميط عن عطل النحور نقابا
 ويمضي شاعرنا المحجوب في وصف النيل وجماله فيقول: إن الفنون
 استظللت بك وأنك متجدد، وأن الزمان قد شاب وأنك لا تزال شبابا، وأنك مسكن
 الطيور، وعلى ضفتيك أشجار النخيل الظليلة، وأشجار الفاكهة الجميلة، وأنك
 مصدر للفنون جميعها حيث يقول:

يا نيل قد شهدت جمالك أعصر *** وتفياً منك الفنون رحابا
 متجدد في كل ومرة خاطر *** شاب الزمان ولا تزال شبابا
 بكرت تغريك الطيور كأنها *** رهبان دير يرعبون حسابا
 وتمايل النخل الطروب كأنه *** أيد تلوح ترقب الأحبابا
 وتعانقت فيك الظلائل كأنها *** بسط تهئ للندى شرابا
 وافترا ثغر الزهر يلثم برعمها *** ويفوح عطرًا فاتنا خلابا
 وضحكـت في شفة الصفاف فأينـعت *** مهجـ الحياة زنابقاً ورغابـا

وسكبت في سمع الزمان ملاحماً *** تروي فيسلب سحرها الألبابا
 فاعصر كرومك للظماء تدافعوا *** مثل الفراش تتبع أسرابا
 ما طاب يوم مثل ورتك منهل *** لا زلت أنت المانح الوهابا
 وترعرعت فيك الفنون جميلة *** وكستك من نور السماء ثيابا^(١)
 ومن الشعراة الوجدانين ذوي الذوق الرفيع مع انتقاء الكلمة نجد الشاعر
 إدريس محمد جماع^(٢) وهو شاعر مرهف رائع في قصيته (النيل)^(٣) التي نحن
 بصددها يصف النيل بأنه جنة الله في الأرض ويسترسل في وصف النيل وطبيعته
 فيقول:

واد من السحر أم ماء وشطآن *** أم جنة زفها للناس رضوان
 كل الحياة ربىء مشرق نضر *** في جانبيه وكل العمر ريعان
 تمشي الأصائل في واديء حالمه *** يحفها موكب بالعطر ريان

(١) ويمضي المحجوب في قصيته فيقول:

محراب فن لا يلوذ بقدسه *** إلا الذين تعشقوا المحرابا
 شادوا دعائمه بفيض قلوبهم *** وتناولوا من دنه الأكوابا
 عباد شمس لا يغيب نهارهم *** ذاقوا الحياة رحيقها والصابا
 ي يكون للوتر المرنح خشاً *** ويرون في عن特 الحياة ثوابا
 تصفو مشاربهم ويرقص روحهم *** والفن يجمع شملهم أنسابا
 يا نيل لا تحزن فحالك عامر *** والشاربون تبادلوا الأخابا
 نهباوا ملذات الحياة وأقسموا *** أن يحتسوه مع الصبور شرابا
 يا نيل حبك خالد متجدد *** ماضيك يلهمنا الجديد كتابا
 صفحاتك انتظمت قديم عهودنا *** وجديدها والحاضر الوثابا

(٢) إدريس محمد جماع ولد في حلية الملوك عام ١٩٢٢م، لم يتمكن من مواصلة دراسته فعين
 مدرساً بالمدارس الأولية، ولكن طموحه قاده إلى السفر إلى القاهرة حيث تنقل في مختلف مؤسساتها
 العلمية متوجاً هذا التصميم ببلوم معهد التربية العالي للمعلمين، بعد تخرجه في دار العلوم عمل
 مدرساً بوزارة التربية والتعليم بالسودان، يعتبر من الشعراة ذوي الذوق الرفيع مع انتقاء الكلمة،
 ديوان النيل، ص ٣٠٩.

(٣) ديوان النيل، ص ١١٩-١٢٢.

وللطبيعة شدو في جوانبه *** له صدى في رحاب النفس رنان
 إذا العنادل حيا النيل صادها *** والليل ساج فصمت الليل آذان
 حتى إذا ابتسم الفجر النصير لها *** وباكتره أهازيج وألحان
 تحدى النور من آفاقه طربا *** واستقبلته الروابي وهو نشوان
 أقبلت من ربوة فيحاء ضاحكة *** في كل مغنى بها للسحر إيوان
 وسرت تخطر مأنوساً بمعشبة *** حياك من نبتها زهر وريحان
 ويمضي إدريس جماع في وصف الطبيعة على النيل ففي مشاهد بد菊花 ينقل لنا
 صورة جبل الرجاف في جنوب السودان حيث صارت اليوم (جمهورية جنوب السودان)
 بعد انفالها من السودان ٢٠١٠م:

وفي حمى جبل الرجاف مختلف *** للناظرین وللأهول ميدان
 إذا صحا الجبل المرهوب ريع له *** قلب الثرى وبدت للذعر ألوان
 فالوحش ما بين مذهول يصفده *** بأس وآخر يعدو وهو حيران
 ماذا دها جبل الرجاف فااصرعت *** في جوفه حرق وارتجم صوان؟
 هل ضاق حين رأى قيداً يكبله *** على الثرى فتمشت فيه نيران؟
 وإدريس جماع هنا يصف حركة النيل من الجنوب إلى الشمال ماراً بالمدن
 والأرياف حتى الخرطوم حيث مقرن النيلين وينطلق شماليًّا حيث تعترضه الجنادل
 والشلالات ويخترق الأراضي المصرية وهو محب ومشتاق لها:

والنيل مندفع كالحن أرسله *** من المزامير إحساس وجودان
 حتى إذا أبصر الخرطوم مشرقة *** وخالجته اهتزازات وأشجان
 بدأ له الأزرق الصفاق وامتزجت *** روحهما فكلا النيلين ولهان
 وردد الموج في الشطين أغنية *** طلقة ما لها بحر وأوزان
 تحدى النيل في البداء يدفعه *** قلب بمصر شديد الخفق هيمان
 إذا الجنادل قامت دون مسربه *** أرغى وأزيد فيها وهو غضبان
 ونشر الهول في الآفاق مندفعا *** جم الهياج كان الماء برkan
 وحول الصخر ذراً في مدارجه *** فبات وهو على الشطين كثبان

عزيمة النيل تفني الصخر حدتها *** فكيف إن مسه بالضم إنسان؟
مشى على الصخر موصول الخطى مرحًا *** حتى انجلت من ستار الأفق أسوان
فانساب يحلم في واد يظلله *** نخل تهدل بالشطين فينان؟
بادي المهابة شماخ بمفرقه *** كائنا هو للغياه عنوان

وشاعرنا الهدى آدم^(١) يقول في قصيته التي بعنوان (النيل)^(٢):

يا لابس الليل أشجاناً ومتشحاً *** من الضحى ريق الأفباء نشوانا
ماذا يكفيك من نعيم عمرت بها *** وجه الثرى صوراً شتى وألوانا
كم ذا كسوت الفيافي سندساً خضراً *** وبت مما نمت كفاك عريانا
وكم وفيت فما لكت يداك ولا *** أمسكت عن طالب الإحسان إحسانا
وصنت خلقك لا كر الغدأة ولا *** مر العشي بمبد منه نقصانا
تمسي وتصبح جياش الخطى زبداً *** تجتاز خضراء أو تعتم صوانا
في كل ناضرة في الدوح عارفةً *** قامت على يدك الزهراء برهانا
حتم مسراك من سهل إلى جبل *** مصوباً مره أو مصعداً آنا
تطوي الليالي فكم من أعصر سلفت *** ما غيرت منك لا كأساً ولا حانا
ويواصل الهدى آدم ويقول إن النيل سطر طبيعة تسر الناظرين وفي الآذان
لحناً وشدواً وغناءً:

كم منظر عجب شقت العيون به *** أو مسمع ربن في الآذان أحانا
وكم شدوت بنا في ليلة رقدت *** إلا نوعيرها شوقاً وتحنانا
من كل والهة ثكلى وما عرفت *** ثكلاً ولا علقت في الليل أحزانا

(١) الهدى آدم ولد بقرية الهمالية بالجزيرة عام ١٩٢٧م، تلقى تعليمه الأولى بمدرسة الهمالية ثم التحق بمعهد أم درمان العلمي، وأرسل في بعثة دراسية لمصر حصل فيها على لسانس دار العلوم بجامعة القاهرة الأم، كما حصل على دبلوم في التربية وعلم النفس في معهد التربية العالي بجامعة عين شمس، وعمل معلماً ومديراً بالمدارس الثانوية العليا بوزارة التربية السودانية، ومن مؤلفاته المسرحية الشعرية (سعاد) وديوان (كوخ الأسواق)، وقد غنت له كوكب الشرق أم كلثوم (أغداً أفالك)، ديوان النيل، ص ٣١٠.

(٢) ديوان النيل، ص ١٢٨ - ١٣٠.

تدریي مداعها من غير ما شجن *** كالطفل يبكي لفطر الدل أحيانا
يا نيل كم هرم عنت أفت وكم *** شيدت من قصب الريحان بنيانا
والشاعر هنا ينبعه بجمال النيل وطبيعته الساحرة وهو معشوقه ويقول إن
النيل لوحة جمالية متكاملة:

يا نيل هبنا عيوناً غير قاصرةَ *** كي نجتليك وغير الأدنِ أذاناً
إن يعشقوك نبيلاً في تدفقه *** فقد عشقتك رساماً وفناناً
صنعت حولك دنيا زنت بهجتها *** سحراً يموج بها دوماً وكتابنا
ما لظلال وقد جن الأصيل بها *** ألقـت إليك مقاليداً وأرساناً
كم جنة للهوى باتت أعلىـها *** تبدو أسافل للرائين أحياناً
قلدت باسقها عقداً تتيه به *** وقد اتخذت الحصا دراً ومرجاناً
خذ من فؤادي ومن قيثاري نغماً *** لعل لي فيه إما جئت قرباناً
أترعـت كأسـك لي يا نيل صافيةً *** زهراء لكنـي ما زلت ظمانـاً

الشاعر بابكر أحمد موسى^(١) وفي القصيدة التي نحن بصددها التي نال بها الجائزـة وهو ما زال طالباً، وكانت بعنوان (خطاب إلى النيل)^(٢) حيث يوجه الشاعـر خطابـه للنـيل بأن يزيل الذي يحسـ به من وحـشـة فيـ الفـؤـادـ، كما أصبحـت الأرضـ القـاحـلةـ بـفـضـلـهـ خـضـراءـ زـاهـيةـ وـأنـ ذـهـابـهـ للـنـيلـ هوـ بـمـثـابةـ الدـوـاءـ الـذـيـ يتـناـولـهـ لـلـشـفـاءـ مـنـ الـأـمـرـاـضـ وـأـنـهـ يـعـتـبرـ أنـ النـيلـ سـفـرـ لـلـتـارـيخـ الـذـيـ يـحـكـيـ عـنـ مـاضـ تـلـيدـ فـيـقـولـ:

عدوة النيل اذهبى حر ما بي *** إنما كل طارق للذهب
أذهبى وحشة الفؤاد كما أذ هب *** ذا النيل وحشة بالباب

(١) بابكر أحمد موسى عالم وأديب ومؤرخ وشاعر ومعلم، تخرج على يديه عدد كبير من بناء النهضة الفكرية في السودان، ولد بمدينة أم درمان عام ١٩٢٤م، وفيها شب وبدأ دراسته ثم التحق بكلية غوردون التذكارية في الخرطوم وظهر نبوغه اللغوي والشعري لأسانته، وكان ملتقى الأنظار إعجاباً به، وقد نال الجائزة الأولى في مسابقة الشعر بالكلية، وهو في السنة الأولى، وكانت القصيدة الفائزة هي هذه القصيدة (خطاب إلى النيل)، له ديوان باسم (في الظلال)، ديوان النيل، ص ٣١٠-٣١١.

(٢) ديوان النيل، ص ١٣٤-١٣٦.

أنا ما زلت في الحياة غريباً
جئت للنيل في خشوع وصمت
ما شفائي كأس دهاق من الكو
ما شفائي النعيم في ضفتيه
ما شفائي لين الحياة وخفض الع
جئت استكنه الخلود وما الني
أنبني ما مصير غر الفراعي
أودعوا ماءك القراب من الإجـ
إذ رأوا فيك روعة وجلاً
كنت فيهم ولم تزل بيننا اليـ
ما الليالي عليك جائرة كـ
كم يقولون إن مأتاك عنـ
كم يقولن ماؤك العذب فيـ
إنما الشهد يستساغ ويحلـ
ظنك الأولون رباً كفى فـ
كيف لا يصدون من كان يـ
ويختتم بابكر أحمد موسى قصيـتـه بأن النيل هو مصدر الخير والرزق
والكرم ويوجه عتاباً لشعب النيل قائلاً^(١).

وصديق مدثر أبو القاسم^(١) شاعر ومعلم من مواليد حي الموردة بأم درمان يدعى إلى الكفاح المشترك لشعب وادي النيل ويذكر بأن النيل هو الذي يوحد بيننا في قصidته المسماة **(الكفاح المشترك)**^(٢):

(١) صديق مدثر أبوالقاسم من مواليد ١٩٢٩م بأم درمان حي الموردة، خريج المدرسة الأهلية الثانوية أم درمان، وكلية المعلمين الوسطى بخت الرضا، له ديوان (وهج الشاعر) وأعمال أخرى في مجال الأدب والمسرح، ديوان النيل، ص ٣١٣.

(٢) ديوان النيل، ص ١٥٩-١٦٠.

بِحَقِّ الْجَوَارِ بَنْيَلِ الْوَفَاءِ
وَبِالنَّيلِ بِالْوَاهِبِ الْمُنْعَمِ
بِثُورَةِ خَيْرٍ تَرْسُومُ الْبَنَاءِ
بِرَانِدَهَا الْقَائِدُ الْأَعْظَمُ

وننتقل إلى الأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب المجنوب^(۱) أما بخصوص شعر النيل عنده فهو من فرط حبه للنيل له ديوان شعر اسمه (أصداء النيل) في قصidته (ذكرى النيل)^(۲) التي ألقاها وهو بعيد عن وطنه في عاصمة

(۱) عبدالله الطيب المجنوب، ولد بغرب الدامر في قرية التميراب في ۲۵ رمضان ۱۳۳۹هـ الموافق ۷ يونيو ۱۹۲۱م، والداه الطيب عبدالله وعائشة جلال الدين الطيب وهو ابن محمد بن أحمد بن محمد المجنوب، تعلم بمدرسة كسلا والدامر وبربر وكلية غوردون بالخرطوم والمدارس العليا ومعهد التربية ببخت الرضا وجامعة لندن بكلية التربية ومعهد الدراسات الشرقية والأفريقية، الدكتوراه من جامعة لندن (SOAS) سنة ۱۹۵۳م، عمل بالتدريس بأم درمان الأهلية وكلية غوردون وبخت الرضا وكلية الخرطوم الجامعية وجامعة الخرطوم وغيرها، تولى عمادة كلية الآداب بجامعة الخرطوم (۱۹۶۱م - ۱۹۷۴م)، كان مديرًا لجامعة الخرطوم (۱۹۷۵-۱۹۷۴م)، أول مدير لجامعة جوبا (۱۹۷۵م - ۱۹۷۶م)، أسس كلية بايرو بكنو بنجيريا وهي الآن جامعة مكتملة، عمل أستاذًا للغربية بالمغرب في كلية الآداب بجامعة سيدى محمد بن عبدالله بفاس، عُين أستاذًا مدى الحياة بروفيسور وأمير قسم (Professor Emeritus) بجامعة الخرطوم ۱۹۷۶م، له عدة مؤلفات منها: المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها، والأحاجي السودانية، ونافذة القطار، له عدة دواوين شعرية مثل: أصداء النيل وبنات رامي وأغاني الأصيل وزواج السمر، عضو عامل بمجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ مارس ۱۹۶۱م، أول رئيس لمجمع اللغة العربية بالخرطوم، منح الدكتوراه الفخرية من جامعة الخرطوم سنة ۱۹۸۱م، ومن جامعة بايرو بكنو بنجيريا ۱۹۸۸م، ومن جامعة الجزيرة بالسودان ۱۹۸۹م، شارك في عدة مؤتمرات في السودان وفي خارجه، له مساهمة في الصحفة والإذاعة والتلفزيون، فسر القرآن الكريم كله من إذاعة أم درمان (۱۹۷۵م - ۱۹۹۶م) مع ثلاثة الشيخ صديق أحمد حمدون رحمة الله تعالى رحمة واسعة، انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الخميس ۱۹ ربى الثاني ۱۴۲۴هـ الموافق ۱۹ يونيو ۲۰۰۳م رحمة الله (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج ۴، القسم الثاني، الطبعة الأولى، الكويت ۱۹۹۰م، الطبعة الثانية، الخرطوم ۱۹۹۳م، دار جامعة الخرطوم للنشر، صفحة الغلاف).

(۲) عبدالله الطيب أصداء النيل، الدار السودانية، الطبعة الثالثة، بيروت، ۱۹۶۹م، ص ۳۷.

الضباب لندن التي يحن فيها إلى وطنه وخاصة النيل والطبيعة من حوله حيث يشتق إلى أهله وأصحابه فيقول:

بلندن ما لي من أنيس ولا مال *** وبالنيل أمسى عاذري وعدالي
ذكرت التقاء الأزرقين كما دنا *** أخو غزل من خدر عذراء مكسال
ينازعني كيما تجود وتنثني *** وقد كاد محبوراً مؤانس آمال
إذا الأبيض الزخار هاج عباه *** له زجل من بين جال إلى جال
ترافقه من فوقه قزع الطخا *** فتحسبهن الطير تهفو لأوشال
ويا حبذا تلك السواقي وقد غدت *** بالحان عبرى ثرة العين مثال
ونخل إذا ما البدر أشرق خلفه *** أطل على الرائين كالعنق الحالى
وشوك السيال يلمع النور فوقه *** طرائق مثل الذر يلمع في الآل
ألا ليت شعري هل أبىتن ليلة *** بكثبان داري والأحبة أحوالى
وهل أسمعت الدهر تغريد طائر *** وبالفجر ترجيع المؤذن والتالى
للشاعر عبدالله الطيب أبيات بعنوان (ماء النيل) يقول فيها:

يا ليت أن النيل عندي ماؤه *** فأجعله وهناً مزاج مدامى
هناك تحسيت الصبا وعقيبه *** وإن كان شاب الحسو جرع سمام
وأهل سور العيش ثم وأنه *** يحم به إما هلكت حمامى^(١)

ولعبد الله الطيب أبيات رائعت تتحدث عن النهر يقول فيها:

ألا حبذا نهر تقاد غياضه *** لما أشرفت من جانبيه تلام
توثب فيه كل ذات مسافة *** من الحسن فيها أجد وتهائم
تراهن فيه سباحات وقد حنا *** عليهن صدر منه ريان رائم
وهيئات منك النيل فالنيل طامح *** يجيش به التماسح أسمهم ساهم
وسمراء عند النيل جاذب خطوها *** تكسرها في مشيها والنسائم

(١) عبدالله الطيب، ديوان أصداء النيل، ص ١٥.

وَكَذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ الطَّيِّبُ:

ولقد ذكرتك والأصيل مرنق *** والشمس مثل الحائر المجال
والنيل ساج كالحزين وكللت حزينة *** شطيه كل مثقال
فوددت لو أن الزمان مساعفي *** بـك سعيه يا غاية الأمال^(١)

وللأديب عبدالله الطيب قصيدة بعنوان (النيل عيش الريف)^(٢) وعيش الريف هو الذرة الشامي ففي القصيدة يذكر أنه ومعه أصحابه وذهبهم للنهر وقضاء يوم جميل في شوي عيش الريف على الجمر فيقول:

الجمل	على	الجمل	على	النصر	السنبل	شوينا
تبرى		حمل	فيها	خضراء	حلة	عليه
تسري		أطراfe	وفي	أعلاه	النار	تذيب
الذعر		من	تنشق	السمرا	الحبة	وتلك
قطر	بذى	ليس	برق	ع	جانبيها	ويغشى
ستر		والآخر	ف	يکش	جانب	ويلفى
البكر		خجل	أرانا	سلبناه	نحن	إذا
تغرى	أو	تلقط	ننا	أسنا	بينه	وراحت
للنشر		يصلح	هـ	من	رفاتاً	وغادرنا
نهر		العيش	الخصيب	النيل	حذا	يا
الفجر		نفس	فيه	الراعش	السنبل	وذاك
ندرى		ولا	مسوقين	العيش	شقة	وتتطوى

(١) عبدالله الطيب، ديوان أصداء النيل، ص ٥٠.

^{٢)} المرجع السابق، ص ٦٣.

ويواصل عبدالله الطيب وصفه للمركب النهري:

ذكرت	المركب	المطرو	*** ح	عند	الدندن	البالي
وجاء	الرئيس	الباء	*** س	يسعى	بين	أسماك
وقد	لاحت	على	الأفق	حمير	رثة	الحال
وماء	النيل	ذو	القدر	ة	من	طين
عليه	البرم	الأصف	*** ر	والشوك	لدى	الجال
وما	تبغى	من	العيش	سوى	هم	أو جال
وقد	أبكاك	بالدمع	*** العصي	الغائر	(١)	الغالى

ويحن عبدالله الطيب إلى النيل فيذكر هيجانه ويصف النخل الذي على شاطئيه والطيور التي تغزو حوله ويصف الجزيرة التي بالنهر وكذلك يصف المركب النهري ويرسل تحياته إلى قومه في وطنه كل ذلك في قصidته (حنيني إلى النيل) ^(٢) يقول:

أيا طاب ورد النيل إذ هاج هادراً *** وجاش على الأفاق باللحج الحمر
 وعلى شاطئيه النخل والليل شامل *** ومن فوقه الخضراء تزهر بالبدر
 يذكرني قمرية مترنما *** بلبل روسي صادح غلس الفجر
 ترنم حتى رن في القلب لحنه *** وحتى دموع الصب من طرب تجري
 وخيل للعينين سجع ضالة *** تجمعن من ورق عليها ومن كدر
 وهيات منى بالجزيرة نوح *** على الطلح يملأن المسامع بالشعر
 وجارية من عهد نوح صناعها *** مصدعة الألواح صادئة الدسر
 عليها معiron الزمان رقابهم *** يظنون أن الموت يطرق عن قدر
 مجاديفها أغchan سقط ثقيلة *** فلم يحدث البخار فيها سوي القشر
 وتلقي حميرًا مهطعات وأنفاساً *** لأن ضمها في جوفها موقف الحشر

(١) عبدالله الطيب، ديوان أصداء النيل، ص ٦٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣١ - ١٣٢.

ويزيد موج النيل قد خلت أنه *** بتiarه الفوار يصخب في صدري
ألم ترني ضاعت حياتي كلها *** وأفنيت روق العمر في بلد الكفر
واطركني ظلم لو أن شباته *** على الصخر أو هن كيدها جلد الصخر^(١)

وللأديب عبدالله الطيب قصيدة بعنوان (صخر أسوان)^(٢) يتحدث فيها عن
منطقة أسوان ونيلها وأناسها ويشير في مطلع القصيدة إلى خبر فرعون وهامان:
يا صخر أسوان إن القلب أسوان *** وانت من خمرة خراء نشوان
تلوح فيك وجوه ما أبينها *** وبمهما من الذكرى وأشجان
كان فرعون ذا الأوتاد ماكره *** من الثنية ذات الزيد هامان
وخلتني أبلغ الأسباب مرتقباً *** وأن سراً من الأسرار عريان
وشاهد اللب إيمان الآلي عبرت *** تربهم منك أنصاب وأوثان
وكاد يهفو الفؤاد الصب منك إلى *** حب أتى دونه نأي وهجران
دان على بعد والقربى أضن به *** على السلو وطول الصبر سلوان
مرنق الشوق همامس الشباب إلى *** إذن الهوى حين طرف الرأي يقظان

ويواصل عبدالله الطيب وصفه للطبيعة وحبه لها فيقول:

مرشح بسمات يستهل بها *** لهن في الحدق المحبور ألوان
وما للغرام يذيب الصدر لاعجه *** والدمع منك على الخدين هتان
أمن معتقة صرف لها ألق *** تمازجت فيه أصوات وألحان

(١) يواصل الشاعر قصيته:

ومن دون أولطاني فجاج عميقة *** وبحر دجوجي يقود إلى بحر
مسافة يم الروم والريف من مصر *** وعرض أوروبا كلها ثم بعده
لها عركي من ذوي اللم الصفر *** وماخرة يرغو خضارة حولها
أحب إلينا من معتقة بكر *** فيما ليت أن النيل يدنو فماوه
تفاوح من أثوابها بنة العطر *** ومن كاعب حسناء لذ حديثها
 فمن مبلغ قومي السلام تحية *** فقلبي لا ينك منهم على ذكر

(٢) عبدالله الطيب، ديوان أصداء النيل، ص ١٨١-١٨٤.

تحتها مفرداً في جوف منصلت *** يستن بالريف فيه الأتن والبان
وربما اقتربت شماء مشرفة *** تقاد تنقص أو صماء ميدان
ويوضح شاعرنا عبدالله الطيب ويقول: (كانت الصخرة ضخمة متصلة
بالماء لها ظل عليه، وهنا إشارة إلى قوله تعالى في سورة النمل (قِيلَ لَهَا أَدْخُلِي
الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيَّهَا...)).^(١)

والخطاب بلقيس وذلك أن الجن قال لسليمان إن بساقها شعراً كثيراً، وإن
رجلها كحافر حمار ليكرهوه فيها فلا يتزوجها فاتخذ صرحاً من الزجاج، وأجرى
فيه الماء فحسبته لجة.

قال الزمخشري: (واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا
هي أحسن الناس ساقاً وقدمًا لا لأنها شعراء ثم صرف بصره وناداها)^(٢)، وتزعم
الحبشة أن سليمان تزوجها وأنجبت له ملك وفي ذلك يقول عبدالله الطيب مشبها
ما يلي:

كأن لجة بلقيس تجاذبها *** فضل الإزار فنادها سليمان
فاذكر سليمان إذ نادى ولاح له *** حيا تilih من بلقيس ريان
يا حبذا النيل أنا كان منسراً *** وحبا ثيج منه وكتبان
يا حبذا شاطئاه والنخيل ونبي *** سران القرى ومعيز الحي والضأن
وحبذا وقفه بالنيل إذ دلكت *** بعد المقيل ورام الري رعيان
والواردات ضفاف النيل أزقلة *** يرحسن ثم وما يرحسن خلقان
وسيرك الليل بين الطاح معتساً *** إذ أشرأب أمام العير ثعبان
يا صخر أسوان قد أضفت صبابتنا *** أسى عليك فأنت الآن أسوان
بل مات منك هوى الأحباب واضطربت *** نفسك واشتمل الأشجان كتمان

(١) سورة النمل، الآية (٤٤).

(٢) الكشاف، الجزء الثالث، ص ١٤٥.

ويصف عبدالله الطيب انسياپ النيل وي تعرض لحبه لمصر والنيل وصخر أسوان فيقول:

والنيل تحتك مناسب مرفرقة *** عليه من عذبات السنط أغصان
أحب مصرًا لحب النيل مغتربًا *** بهاولي منه كاسان وندمان
والنيل يه jes في أعمق أنفسنا *** مذ نحن في سباحات المهد ولدان
وقد رئمت الجرار الناهضات بها *** مجاهدات لهن الصبر أخدان
من مبلغ صخر أسوان وقد شخطت *** لولا أدركك عن معناك أسوان

ويواصل عبدالله الطيب شعره في صخر أسوان ويقول إنه حفظ له عهداً لا ينكث وهذا العهد يتمثل بحمايته وقولنا الشعر فيه ويخبرنا عن مدینته الدامر بلد المجاذيب والأولياء وفيها يتلى القرآن فيقول:

أنا حفظنا له عهداً إذا نكث *** عهد المودة بعد الناي خلان
صغنا له تبر ساعات نكالها *** من الكرى حين لجت فيه أجفان
صفناه شعراً عصياً لا يطيع إذا *** لم ترتبطه أعاريض وأوزان
شعراً يشع على الأكون بارقه *** ورده في الدم الجياش رنان
فليس يحبسه لين الفراش ولا *** من المدامنة ذات البأس إدمان
ولا مسامرة الإخوان خامرها *** طيب المزاج وهل للمرء إخوان
كأنما الدامر الغراء صورها *** من صمتك النازح المزور صوان
تلوح أقربها شعث الحجارة قد *** حفت بهن مودات وأضغان
يكلم الله منها كل مفترش *** ترى الضريح له بالليل قرآن

ويختتم الشاعر والأديب عبدالله الطيب بتشبيه حاله بحال امرئ القيس وبكاوه على الديار والأطلال حيث يقول امرؤ القيس:
قف نبك من ذكري حبيب وعرفان *** ورسم عفت آياته منذ آzman

وفي هذا يقول عبدالله الطيب^(١):

(من محارب حبي)^(٢) قصيدة للشاعر السوداني عزيز التوم منصور وهو خريج كلية غردون التذكارية عام ١٩٤١م وهذه القصيدة التي نحن بصددها من ملحمة كرري يخاطب فيها الشاعر تمثال كتشنر الذي كان بطل على النيل فيقول:

تُرْجَل فهذا الجَوَاد الأَصِيل *** يُود الصَّهْيل وَلَا يَصْهَل
فَلَيْسَ عَلَى ظَهْرِه فَارِس *** مِن النَّيل فِي درَعَة مَثْقَل
أَنَّا خَلَقْنَا لِلْجَام عَلَى فَكِه *** وَنَادَ بِمَا يَجِد الْكَلْكَل
فَلَا أَنْت رَاكِبُه فِي الزَّحَام *** وَلَا أَنْت فَارِسُه الْمُفْضَل
تُرْجَل وَسْرَ فِي زَحَامِ الْعَبِيد *** إِلَى سَاحَةِ عَنْهَا تَفْتَل
وَالشَّاعِرُ هُنَا يَسْتَقِرُ وَجُودُ التَّمَاثُل عَلَى النَّيل فَيَوجِه إِلَيْهِ أَسْئِلَةً اسْتِكَارِيَّةً
لِوُجُودِه فِي هَذَا الْمَوْقِع فَيَطْلُبُ مِنْهُ التُّرْجَل مِنْ هَذَا الْمَكَان وَيَصِفُ النَّيل بِالْكَبْرِيَاءِ
وَبِأَنَّهُ فِيْلِسُوفٌ:

تُطَلُّ عَلَى النَّيل فِي جَرَأَة *** كَأَنَّكَ مَرْسُلُه
كَأَنَّكَ فَجَرْتَ يَنْبُوعَه *** أَوْ أَنَّكَ حَارِسُه الْقِيم
تُرْجَل وَإِلَّا جَرَى مَحْنَقاً *** وَسَالَ عَلَى شَاطِئِه الدَّم

(١) بكى أمرؤ القيس من ذكرى أحبته *** وللأحبة في جنبيك عرفان
ولو بكيت لفاض الدموع واشتعلت *** من الأسى في معين الدمع نيران
صبراً على الدهر إن نابتكم نائبة *** ومض نفسك عدونا وخذلان
وما أفتت بصبر غير مسغبة *** إلى الحياة وطعم العيش خطبان
تخادع الناس عن نجوى ضمائركنا *** وفي قراراتها جهر وعصيان
ينبغى السلامة هيئات السلامة والـ *** أحشاء ظائمة والقلب غرثان
ولا سبيل إلى السلوى وأنفسنا *** من التقى ونزاع الغي برkan
يا صخر أسوان هل سلوى نلوذ بها *** بل ما نلوذ به صمت ونسيان
والنيل حوك قد دفت غواربه *** والريف قد رف فيه الأثن والبان
يا صخر أسوان إن القلب إسوان *** وأنت عن خمرة خرساء نشوان

(٢) ديوان النيل، ص ١٩٤-١٩٥.

فما أَلْفَ الذِّلْ عَبْرَ الدَّهُورِ *** وَلَا هَزَهُ الْأَرْقَمُ الْمَعْلُمُ
وَلَكِنَّهُ فَيْلُسُوفُ الزَّمَانِ *** إِذَا غَيَطَ فِي عَرَهٖ يَكْظُمُ
وَيَذْكُرُ الشَّاعِرُ عَزِيزُ التَّوْمَ بِمَاضِي النَّيلِ بِأَنَّ الْفَرَاعِينَ أَقَامُوا عَلَيْهِ آلَهَةً
يَعْدُونَهَا وَيَتَعَرَّضُ لِقَصَّةِ عَرْوَسِ النَّيلِ :

أَقَامَ الْفَرَاعِينَ فِي شَطْهِ *** هِيَكْلٌ فِيهَا إِلَهًا
وَزَفَتْ لَهُ فِي رَبِيعِ الْحَيَاةِ *** عَرَائِسُ مَجْلُوَّةٍ فَاحْتَوَاهَا
يَرْدَدُ بِالْمَوْجِ تَرْتِيلَهُ *** تَرْحِكُ الشَّفَاهَا
كَانَ الْفَرَادِيسُ مِنْ حَوْلِهِ *** تَبَاهِي وَقْدَ بَلَغَ مَنْتَهَا
تَوَاشِحُ مِنْ شَاعِرٍ عَبْرِيِّ *** رَوَاهَا عَلَى مَنْبُرٍ مِنْ رَوَاهَا

وَالنَّيلُ عِنْدَ الشَّعْرَاءِ السُّودَانِيِّينَ هُوَ رَمْزُ الْوَحْدَةِ بَيْنَ مِصْرَ وَالسُّودَانِ وَمَا
ذَكَرَتِ الْوَحْدَةُ وَلَا ذَكْرُ التَّكَامُلِ بَيْنَ الشَّعْبَيْنِ إِلَّا ذَكَرَ النَّيلَ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْمَ وَشَائِحَ
الْقَرْبَى وَالتَّكَامُلِ وَالْوَحْدَةِ.

وَأَدِيبُنَا الرَّاحِلُ فَرَاجُ الطَّيْبُ الشَّاعِرُ وَالْمَعْلُمُ الْمُعْرُوفُ صَاحِبُ وَمَقْدِيمُ
(بِرَنَامِج) لِسَانِ الْعَرَبِ الشَّهِيرِ فَهُوَ يَكْتُبُ الشِّعْرَ عَلَى النَّمْطِ الْعَرَبِيِّ الْأَصِيلِ كَمَا
يَكْتُبُهُ عَلَى النَّمْطِ الْحَدِيثِ وَهُوَ يَحْمِلُ حَبًّا دَافِقًا وَكَبِيرًا لِمِصْرَ وَيَقُولُ أَبْيَاتًا رَائِعَاتٍ
تَرْمِزُ لِلْوَحْدَةِ بَيْنَ الشَّعْبَيْنِ :

مِنْ السُّودَانَ أَحْمَلَ حَبَّ شَعْبٍ *** يَسَاقِي الْحَبَّ صَفْوًا لَا يَشُوبُ
يَصُونُ لَكَ الْمَوْدَةَ صُونَ حَرَّ *** وَيَرْعِي الْعَهْدَ إِنَّ الْعَذْرَ حَوْبَ
كَلَانَا شَعْبٌ وَادِي النَّيلِ مَهْمَا *** تَخْرُصُ وَافْتَرِي وَاشْ هَرِيبَ
أَلَيْسَ النَّيلُ وَالْفَصْحَى رِبَاطًا *** يَوْشِحُ مَا لِلشَّمَالِ وَمَا الْجَنُوبُ؟
سَيِّرِعِي اللَّهُ وَهَدَنَا وَتَبَقَّى *** بَقَاءُ النَّيلِ لَيْسَ لَهُ ذَهُوبٌ

ونمضي قدماً مع الشعر الوجданى السودانى ويطيب لنا لمقام هنا أن يطل علينا الشاعر العالم الدكتور كامل الباقر^(١) ففي قصidته (النيل المقدس)^(٢) يقول إنه ارتوى من ماء النيل العذب ومن جمال النيل صاغ شعره وهو يتزه على شاطئيه وأنه يجاهد من أجل النيل ويتمنى أن يقبر بجواره:

أنا يا نيل من نميرك رو—— *** — ت وقد صفت من جمالك شعري
وتخلصت من قيودي وأوها *** مي وشيدت في ضفافك وكري
رحت في شاطئك أفض باما *** لي فقضيت تسعة بعد عشر
فليكن في سبيل مجدك يا نيء — ل جهادي وفي جوارك قبري
ويتحدث كامل الباقر عن السابقين الذين قدسوا النيل حيث يعبر ذلك إثماً

فيقول:

وقدماً ضل الآلي عبدوا في *** — ضك حتى جاءوا بأعظم وزر
أسرفوا حين قدسوك إلهًا *** ثم أولوك كل حمد وشكر
وأتوا في سبيل مرضاتك الإله *** — م وقالوا زلفى وفاء وبر
ويذكر كامل الباقر بأن شعره اقتبسه من النيل فيقول:

وتدفقت كالألغاني تنسا *** ب رقيقة وكالألماني تجري
هو شعري قبسته في معانٍ *** — ك وقدمته قلائد در
فتطاول على المجرة مختا *** لا وباه العلا فخرك فخري

(١) كامل الباقر ولد بمدينة الخرطوم عام ١٩١٨م، من أسرة دينية معروفة، وتلقى تعليمه الأولي في خلوة القرآن وفي مدرسة الهدایة الأولى بأم درمان، ثم التحق بالمعهد العلمي وحصل على الشهادة الثانوية منه، ثم رحل إلى مصر والتحق بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ثم معهد التربية العالي، ثم سافر إلى إنجلترا وحصل على درجة الدكتوراه، شغل عدة مناصب بوزارة التربية والتعليم بالقاهرة ورسيفتها بالخرطوم، ثم نائباً لمدير مصلحة الشؤون الدينية ثم مديرًا لها، عُين أستاذًا للتربية ورئيساً للقسم بجامعة الرياض ١٩٧٠م، وعضوًا بالمجلس الأعلى للجامعات الإسلامية بالمدينة المنورة، وعضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد (مكة المكرمة) وهياته التأسيسية، له عدة مؤلفات باللغتين الإنجليزية والعربية وعدة بحوث في التعليم والثقافة والقضايا الإسلامية، وعمل مديرًا لجامعة أم درمان الإسلامية، ديوان النيل، ص ٣١٧.

(٢) ديوان النيل، ص ٣١٨.

وأجر سهلاً عذباً وما زال أبنا *** وكـ بين رغـد وخير
 ويقف الدكتور كامل الباقي مع النيل ويقر بـ إخلاصه له وأنه ينتشـي ويهـيم
 بالنـيل وأن النـيل طـبيعتـه تعـج بالـزـهر والـريـحان:
 وـقـفت يا نـيل استـوحـيك الحـانـي *** وقد وـهـبتـك إـخلاصـي وإـيمـانـي
 وـرـحتـ يا نـيلـ فيـ وـادـيكـ منـتـشـيا *** كالـطـيرـ أـسـكـ آـهـاتـيـ وـتـحـنـاتـيـ
 أـهـيمـ يا نـيلـ فيـ وـادـ جـريـتـ به *** سـحـراًـ وـوـشـيـتهـ منـ كـلـ الـوـانـ
 وـادـ منـ الـذـهـبـ الـغـالـيـ مـنـابـتـه *** تـعـجـ بالـطـيـبـ منـ زـهـرـ وـرـيـحانـ
 إـذـاـ تـغـرـدـ فـيـ الـخـرـطـومـ طـائـرـه *** سـمعـتـ ذـاكـ الصـدـىـ فـيـ أـفـقـ حـلـوانـ
 وـيـفـتـخـرـ كـامـلـ الـبـاقـرـ هـنـاـ بـقـوـمـهـ بـأـنـهـمـ عـربـ نـجـبـ وـأـنـ يـأـخـذـواـ حـقـوقـهـمـ وـلـاـ
 يـسـكـينـواـ وـلـاـ بـيـئـسـواـ لـظـلـمـ وـأـنـ يـعـتـمـدـواـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ وـلـاـ يـطـلـبـواـ العـونـ مـنـ أحـدـ:
 قـومـيـ الـكـرـامـ وـمـاـ قـومـيـ سـوـيـ نـجـبـ *** مـنـ آلـ يـعـربـ أوـ مـنـ آلـ غـسـانـ
 خـذـواـ حـقـوقـكـمـ لـاـ تـيـئـسـواـ أـبـداـ *** ظـلـمـ بـظـلـمـ وـطـغـيـانـاـ بـطـغـيـانـ
 فـحـنـ مـهـماـ وـشـىـ وـاـشـ يـفـرقـنـا *** فـيـ الـهـمـ وـالـجـرـحـ وـالـآـلـامـ سـيـانـ
 وـلـاـ تـطـلـبـواـ العـونـ مـنـ ذـئـبـ يـخـادـعـكـ *** فـلـيـسـ ذـئـبـ الـفـلـاـ يـوـمـاـ بـمـعـونـ
 وـلـكـامـلـ الـبـاقـرـ قـصـيـدةـ أـخـرىـ وـجـانـيـةـ بـعـنـوانـ (ـحـلـ المـقـنـ) (١)ـ وـهـيـ قـيـلتـ
 بـمـنـاسـبـةـ زـيـارـةـ الـأـسـتـاذـ عـبـاسـ مـحـمـودـ الـعـقـادـ لـمـدـيـنـةـ الـخـرـطـومـ فـهـوـ يـتـحدـثـ عـنـ سـحـرـ
 الـطـبـيـعـةـ عـنـ التـقـاءـ الـنـيلـينـ الـأـزـرـقـ وـالـأـبـيـضـ عـنـ مـدـيـنـةـ الـخـرـطـومـ:
 وـيـاـ مـنـ رـأـيـ سـحـرـ الطـبـيـ *** عـةـ فـيـ جـمـالـ المـقـنـ
 وـأـثـارـهـ الـنـيلـ الـمـرـقـ *** رـقـ مـعـرـبـاـ لـمـ يـلـحنـ
 يـنـسـابـ كـالـأـمـلـ الـجـمـيـ *** لـ فـلـ يـكـدـ وـلـاـ يـنـيـ
 نـيـلـ نـشـيدـ بـشـطـهـ صـرـحـ الـنـهـوـضـ وـنـبـتـيـ
 أـنـزـلـ بـهـ فـهـوـ الـحـفـيـ *** وـمـأـمـنـ الـمـسـتـأـمـنـ
 أـنـزـلـ فـمـنـزـلـكـ الـقـلـوـ *** بـ وـفـيـ سـوـادـ الـأـعـيـنـ
 يـاـ مـنـ رـأـيـ فـيـ دـوـحةـ الـ *** خـرـطـومـ أـحـنـيـ مـسـكـنـ

(١) دـيـوانـ الـنـيلـ، صـ ٣١٩ـ.

أبعث بـشعرك فهو كالـ *** سـوتر
 رود نـشيد النـبل وـانـ *** سـحـرة
 جـاوب بـلـابـله وـغـر *** دـ في حـمـاه وـلـحن

مبـارـك المـغـربـي^(١) شـاعـر وجـاذـني مـرهـف وـعاـشـق لـلـطـبـيـعـة وـلا غـزوـفـي ذـلـك فـهـو
 من سـاكـنـي حـي المـورـدـة وـمـنـزـلـه بـالـقـرـبـ من النـيل، وـمـبـارـك المـغـربـي شـأنـه شـأنـه
 الشـعـرـاءـ الـذـين يـمـجـدونـ النـيلـ فـفـي قـصـيـدـتـه (ـلـقاءـ الشـقـيقـ)^(٢) حـيـث يـخـاطـبـ إـخـوةـ
 النـيلـ وـعـبـرـهـ يـخـاطـبـ النـيلـ فـهـوـ يـعـتـبـرـهـ الأـصـلـ فـيـ العـلـاقـةـ بـيـنـ مـصـرـ وـالـسـوـدـانـ
 فـوـحدـتـنـاـ تـبـقـىـ ماـ بـقـىـ النـيلـ وـتـكـونـ الـوـشـائـجـ كـاـخـضـرـارـ الرـوـابـيـ وـيـحـثـ بـنـيـ النـيلـ
 عـلـىـ النـضـالـ وـبـالـطـبـعـ يـقـصـدـ الـقـضـيـةـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ وـحـقـ الـعـرـبـ الـمـسـلـوـبـ وـيـخـتـمـ
 بـأـمـنـيـاتـهـ لـأـمـةـ الـعـرـبـ وـأـنـ تـعـيـشـ فـيـ عـزـةـ وـكـرـامـةـ وـأـنـ يـعـيـشـ فـيـ قـمـةـ الـعـلـيـاـ شـعـبـ
 وـادـيـ النـيلـ:

يـاـ أـخـوـةـ النـيلـ يـاـ أـغـلـىـ أـمـانـيـنـاـ *** طـبـتـ وـطـابـتـ بـكـ أـمـجـادـ وـادـيـناـ
 أـهـلـاـ بـكـ فـيـ الـحـنـايـاـ فـيـ جـواـ *** نـبـاـ يـاـ حـبـنـاـ يـاـ لـقاءـ بـيـنـ أـهـلـيـنـاـ
 أـوـاصـرـ الـوـدـ مـاـ زـالـتـ تـقـرـبـنـاـ *** رـغـمـ العـدـاـ وـدـمـ الـقـرـبـىـ يـنـادـيـنـاـ
 إـنـاـ وـقـدـ كـذـبـ الـوـاـشـونـ لـاـ نـحـنـ *** تـقـوـىـ عـلـيـنـاـ وـلـاـ الـأـهـوـالـ تـتـنـشـيـنـاـ
 إـلـفـانـ صـنـوـانـ أـعـدـنـاـ لـأـمـتـنـاـ *** جـيـلـاـ جـديـداـ صـنـعـاهـ بـأـيـدـيـنـاـ
 إـنـاـ لـكـ وـلـنـاـ أـنـتـمـ فـلـاـ انـقـطـعـتـ *** مـنـ الـوـشـائـجـ مـاـ أـخـضـرـتـ روـابـيـنـاـ

(١) مـبـارـكـ المـغـربـيـ مـنـ مـوـالـيـدـ أـمـ درـمانـ، تـلقـىـ تـعـلـيمـهـ فـيـ المـراـحلـ الـأـولـىـ بـهـاـ، تـخـرـجـ مـنـ كـلـيـةـ
 السـجـونـ فـيـ عـامـ ١٩٥١ـ مـضـابـطـاـ فـيـ الـقـوـاتـ الـنـظـامـيـةـ وـتـخـصـصـ فـيـ الشـؤـونـ وـالـأـحـدـاثـ لـلـجـانـحـينـ، تـلقـىـ
 جـزـءـاـ مـنـ دـرـاسـاتـهـ الـعـلـمـيـةـ بـكـلـ مـنـ إـنـجـلـنـتراـ وـمـصـرـ، عـمـلـ لـفـرـقـةـ قـاضـيـاـ مـنـ الـدـرـجـةـ الـأـوـلـىـ فـيـ الـهـيـئةـ
 الـقـضـائـيـةـ، اـشـتـرـكـ فـيـ مؤـتـمـرـ الـعـلـامـةـ إـقـبـالـ الـعـالـمـيـ بـلـاهـورـ عـامـ ١٩٧٧ـ مـ باـعـتـبـارـهـ مـنـ دـارـسـيـ الـشـاعـرـ
 الـفـلـيـسـوـفـ، تـقـلـدـ الـعـدـيـدـ مـنـ الـمـنـاصـبـ الـسـيـاسـيـةـ وـالـقـومـيـةـ وـالـأـدـبـيـةـ مـنـ ضـمـنـهـ الـأـمـيـنـ الـعـامـ لـلـمـجـلـسـ
 الـقـومـيـ لـرـعـيـةـ الـآـدـابـ وـالـفـنـونـ، حـصـلـ عـلـىـ الـوـسـامـ الـذـهـبـيـ فـيـ التـرـيـةـ وـالـآـدـابـ وـالـعـلـومـ الـفـنـونـ، لـهـ
 عـشـرـةـ مـؤـلـفـاتـ فـيـ الـشـعـرـ وـالـآـدـبـ وـالـاجـتمـاعـ وـمـاـ يـقـارـبـهـ مـنـ الـمـخـطـوـطـاتـ فـيـ ذـاتـ الـمـيـادـينـ، دـيـوانـ
 النـيلـ، صـ ٣١٣ـ.

(٢) دـيـوانـ النـيلـ، صـ ٢٢٨ـ-٢٢٩ـ.

وَمَا جَرِيَ نِيلًا العَلْقَ منْهُدًا
فِي رُؤْيَا
يَا حِيرَةَ الْقَلْبِ مَادَمَ الْهَوَى فِي نَا
أَعْدَيْنَا
لَنْ يَسْتَرِحَ بَالْنَا وَمَا فَتَّتَ
هَانَ الْقَصَاصَ فَمَا مَعْنَى تَحْسِنَا
لَا يَرْهَبُ الْهَوْلَ مُشْتَاقٌ لِمَرْكَبِهِ
إِنَّا عَزَمْنَا وَمَلَءَ الْأَرْضَ غَضْبَتِنَا
وَأَنْ نَعِدَ لَهَا لِلشَّرْقِ عَزْتَهِ
يَا أَهْلَنَا يَا أَمَانَا مِنْ عَوَادِنَا
عَاشَتْ أَخْوَتَنَا تَحْمِي عَرَوَتَنَا
وَيَمْضِي مَبَارِكُ الْمَغْرِبِيِّ فِي وَصْفِهِ الْوَجْدَانِيِّ حِيثُ يَنْقُلُ لَنَا صُورَةَ رَائِعَةً
مُتَكَامِلَةً جَذَابَةً عَنِ الطَّبِيعَةِ عَلَى شَاطِئِ النَّيلِ فَيَقُولُ إِنَّهَا جَنَّةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ
فَيَصِفُّ الْأَزْهَارَ وَأَنِينَ صَوْتِ السَّوْاقِيِّ وَالْطَّيْورِ وَلَوْنَ الْخَضْرَةِ وَيَصِفُّ انْعَكَاسَ
الشَّعَاعِ عَلَى الْمَاءِ وَيَذَكُرُ شَجَرَ النَّخْلِ الشَّامِخَ كَشْمُوكَ وَعَزَّةَ أَهْلِهِ وَيَخْتَتِمُ قَصِيدَتِهِ
بِتَحْيَةِ النَّيلِ وَيَعْتَبِرُهُ شَرِيَانَ الْحَيَاةِ وَنَبْرَاسَ الْمَعْرِفَةِ وَسَوْفَ يَظْلِمُ شَعْبَ وَادِيِ النَّيلِ
وَفِيَّا لَنِيلِهِ وَيَفْتَخِرُ الشَّاعِرُ بِعَزَّهُ وَمَجْدِهِ كُلَّ ذَلِكَ يَتَجَسَّدُ فِي قَصِيدَتِهِ (الْطَّبِيعَةُ عَلَى
شَاطِئِ النَّيلِ) (١):

ليس هي رؤى ولا تلك ماء *** شاطئ النيل جنة فيفاء
إنه الساحر يستميل هوى النف *** س ويقرى القلوب كيف يشاء
فيه من روعة الخيال صنوف *** فيه من فتنة الجمال بهاء
أرأيت الأزهار في الضفة الخضر *** راء تعلو أديمها الأداء
أو سمعت الآلين عند السوقى *** حيث لا ضجة ولا ضوضاء
غير لحن الطيور في الأفق السا *** جي تغ فيه روضة غناء
ذبتي إليه والحسن عندي *** من لياليه ليلة قمراء

(١) دیو ان النیل، ص ٣٣٠-٣٣١.

شاقنا منه سحره ومجالـ * *** يـه ونـفـح النـسـيم وـالـإـغـراء
 الـهـوـى وـالـخـيـال وـالـمـزـهـر الرـ *** نـان وـالـرـوـض وـالـسـنـى وـالـسـنـاء
 وـاـخـضـارـ الـأـدـيم وـالـزـورـق الـ *** مـنـسـاب لـيـلـ وـالـغـادـةـ الـحـسـنـاءـ
 وـاـنـعـكـاسـ الشـعـاعـ فـيـ صـفـحةـ الـ *** مـاءـ لـجـينـ يـحـفـهـ الـلـائـاءـ
 وـحـفـيفـ الـغـصـونـ فـيـ هـدـأـةـ الـ *** لـلـيلـ وـلـلـيلـ فـتـنـةـ وـرـوـاءـ
 يـاـ لـسـحـرـ النـخـيلـ حـيـنـ تـرـاهـ *** شـامـخـ الـأـنـفـ مـاـ بـهـ اـسـتـحـيـاءـ
 شـاطـئـ النـيـلـ جـنـةـ اللهـ فـيـ الـ *** أـرـضـ يـقـنـيـ جـمـالـهـ الشـعـرـاءـ
 أـبـهـاـ الـنـيـلـ الـحـبـبـ سـلـامـاـ *** لـكـ مـاـ مـنـاـ إـلـكـارـ وـالـإـعلـاءـ
 أـنـتـ شـرـيـاتـناـ وـرـمـزـ تـآـخـيـ *** نـاـ وـنـبـرـاسـ هـدـيـنـاـ الـوضـاءـ
 إـنـ تـدـفـقـتـ فـيـ الـجـنـوبـ سـخـيـ *** فـكـمـ أـنـتـ لـلـشـمـالـ رـخـاءـ
 لـكـ مـنـاـ عـلـىـ الدـوـامـ وـفـاءـ *** وـلـنـاـ الـمـجـدـ باـقـيـاـ وـالـعـلـاءـ

ولـشـاعـرـنـاـ مـحـمـدـ الـمـهـدـيـ الـمـجـذـوبـ^(١) أـبـيـاتـ رـائـعـاتـ فـيـ قـصـيـدـتـهـ (أـمـ
 صـابـرـ)^(٢) وـهـيـ مـنـ شـهـادـاءـ مـعـارـكـ قـنـاةـ السـوـيـسـ فـيـقـولـ:

إـلـىـ الـلـيـلـ عـدـ بـيـ أـيـهاـ الـقـلـبـ وـأـنـتـظـرـ * *** صـبـاحـكـ وـاسـمعـ طـرـقـهـ فـيـ الـدـيـاجـرـ
 فـيـاـ حـلـمـاـ وـلـىـ مـعـ الـدـهـرـ زـيـفـهـ * *** وـإـنـ عـلـقـتـ أـشـبـاحـهـ بـالـخـواـطـرـ
 نـجـوتـ فـإـمـاـ عـدـتـ فـاـشـهـدـ حـقـيقـتـيـ * *** مـعـ الـمـوـتـ مـاـ مـاتـتـ بـهـ أـمـ صـابـرـ
 حـدـوـنـاـ سـفـينـ الـشـمـسـ وـالـنـيـلـ تـحـتـهـاـ * *** هـوـ الـنـيـلـ فـيـ سـحـبـ الـخـنـودـ الـهـوـامـرـ

(١) محمد المهدي المجنوب من مواليد الدامر عام ١٩١٩م، تلقى تعليمه الأولى بمدارس القرآن وانتقل منها إلى الخرطوم حيث واصل تعليمه حتى كلية غوردون التذكارية وتخرج في قسم المحاسبين عام ١٩٣٨م، شغل منصب رئيس اتحاد أدباء السودان، له عدة مؤلفات في الشعر منها (نار المجاذيب)، والشرفية والهجرة وديوان البشرة والقربان والخروج، وله مخطوطة هي (منابر) (وتنك الأشياء) (وشحاذ من الخرطوم)، ديوان النيل، ص ٣١٧.

(٢) ديوان النيل، ص ٢٥٤.

الشاعر محي الدين صابر^(١) يعتد بوطنه ويستيق إلية بعد أن تغرب ثلاثة عقود منه فيعتقد تلك الطبيعة الجميلة على النيل فيقول في قصيده (سوق واعتدال)^(٢):

ماذا لقينا؟ صبناها ثلاثينا *** تتوح كالجرح في الدنيا أمانينا
فأين بين الضفاف الخضر سامerna *** وأين بين القناني الحمر ماقيينا
وأين فوق جبين النهر (غنوتنا) *** وأين بين حنين الغالي شادينا
وأين تحت ظلال النخل رفقتنا *** وأين فوق تلال الصخر ماضينا

ويمضي الشاعر ويتذكر النيل وهو في الغربة:
ليس فيك من الوادي ملامحه *** وفيك من أصوات النيل ما فينا

ويواصل محي الدين صابر:

أما الهوى فهو حيث النهر منسرب *** يجيش حيناً ويستأنى أحابينا
وحيث تفرق في النجوى جزائره *** حط ويرقدن في ظل الهوى غينا
وحيث والليل أعطار ووسوسة *** تدور في الحقل كالذكرى سوaciينا

ويتعذر محي الدين صابر بشوقه لوطنه:

لا ينكر الناس من شوف نطوف به *** كالطير شادين أو كالثور سارينا
فما عشقنا على الوادي سلاسله *** وما دعانا الهوى للمستكينا
لكنه الوطن الباقي نقدسه *** يادين عنه تعديه مقيمينا

(١) محي الدين صابر من مواليد منطقة المحس، تلقى تعليمه بالسودان وأتمه بمصر وباريس ونال درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، أسهم في الحركات الأدبية والوطنية في السودان بفكرة وشعره، وأصبح وزيراً لل التربية والتعليم عام ١٩٦٩م وعلى يده أدخل نظام السلم التعليمي السوداني، شاعر مرموق وله مكانة أدبية واجتماعية بارزة في العالم العربي، ديوان النيل، ص ٣١٧-٣١٨.

(٢) ديوان النيل، ص ٢٥٨-٢٦٣.

ويختتم محي الدين صابر قصيده بأنه يلبي نداء الوطن متى ما طلب منه ويبذل فيه كل ما يملك وأن هذا النهر العظيم هو نهر الوطن والأبطال^(١):

وما زلنا مع الشعر الوجданى السودانى وإيداعات الشعراء وننتقل إلى الشاعر محي الدين فارس^(٢) وفي قصيده (النيل ملاح الزمان)^(٣) حيث يتعرض في مطلع القصيدة إلى الخضراء التي تكسو ضفاف النيل ويذكر فيضان النيل بل ويعتبر محي الدين فارس أن النيل هو ملاح الزمان فيقول في القصيدة:

لبس الضفاف نصارة وشبابا *** وسقى الظماء رحique السكابا
وطوى جدار الليل فهو خرافه *** وانقض سامرها وآب إياها
أرأيت شعبي في زهي نسيانه *** أسمعت ذاك المائج الصخابا؟
خاض الحياة كريمة لا ينتشي *** عن عزمه متربداً غلابا
والنيل إن جد الكفاح تجمعت *** حلقاته يتسرعون الغابا
يستقبلون الليل قبل قدومه *** للشاطئين ويعلقون البابا
لا تحسبوه مسالماً ولو أنه *** أغضى وأدمى صمته أحقاها
يرغى ويزبد في ضمير عباه *** فإذا ظلت فقد أراك النابا

(١)

لبيك يا وطناً تغلقى الجراح به *** وما يفجره الهادي براكينا
لأنت أعتى من الطغيان منتصراً *** وأنت أخذ من يوم المغيرينا
وأنت أبقى وفي واديك ناشئة *** تقوم دونك في الجلى قرابينا
لا جف نهرك للأبطال منتهلاً *** ولم تزل تلد الحمس المقدينا

(٢) محي الدين فارس ولد بجزيرة أرقو بالشمالية عام ١٩٣٦م، وقد رحلت أسرته إلى مدينة الإسكندرية في أواخر الأربعينيات، ودرس المراحل الأولى بالإسكندرية، أكمل تعليمه الجامعي بالقاهرة، ونشر في مجلات الرسالة والثقافة والأهرام والأداب والأديب وغيرها، له ديوانان الأول (الطين والأظافر) والثاني (نقوش على وجه المفارزة) والملحات والأسماك الملونة والموجة الزرقاء وكتاب شعراء الشباب وقد ترجمت أشعاره مع بعض زملائه الشعراء إلى الإنجليزية والألمانية والروسية والفرنسية، اشتغل بالصحافة ثم التحق بالتربية والتوجيه والمجلس القومي للآداب والفنون، ديوان النيل، ص ٣٢٠.

(٣) ديوان النيل، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

فالنيل ملامح الزمان مفاحر *** عبر القرون وذوب الأحقاب
ويختتم محى الدين فارس قصيده بأن النيل هو رمز للتضحيات
والبطولات^(١).

الشاعر منير صاح عبد القادر^(٢) في قصيده (المارد الثائر)^(٣) يتحدث عن النيل فيقول:

جمعتنا	الذكريات	الغالية *** فهي شعر وقوب	وافية
ودها	النيل إلينا	شايراً *** عبرياً ذا معان	سامية
طائر	غرد في	أفريقيا *** حرك الأيل وهز	الرابية
وسرى	منطلاقاً	قيثارة *** تتهادى بحور	القافية
في الداجية	ذا خفة	أشرقت منه النفوس	
كافعارات	الهوى	راخراة *** كانطلاقات نسيم	البادية
والرؤى	الفجر الذي	ترتوى منه القلوب	الصادية
كلمات	الورى	وهي كانت همسات	خافية
توقف	النيل	وفي ينبوغه حلم من رغبات	ظامية
تطلب	ليلها	ثورة الغاب أسوداً	ضاربة
تحطم	لليدي	للعدا مخالباً وكتفاً	عاتية

(١)

فسلوه كم من زائد عن حوضه *** حي وإن سكن التراب تراباً
لا تملأ الأكواب من أمواجه *** إن خنته وتأمل الأكوابا
ليست مياها ما شربت وإنما *** طعم الردى فلقد شربت الصابا
فارحل فليس بما جد من ينتمي *** للنيل وهو يلوث الاعتبا

(٢) منير صالح عبد القادر من مواليد الخرطوم، تلقى مراحله التعليمية بها وانخرط في الأعمال الحرة وفي الدور الحكومية مدة غير يسيرة، عمل لفترة بمصلحة الثقافة ومديراً للنشر، وهو من الرعيل الذي قامت عليه النهضة الأدبية، ويعتبر مدرسة متقدمة في الأدب الإسلامي، له ديوان شعر عنوانه (أشتات من أشتات)، ديوان النيل، ص ٣٢١.

(٣) ديوان النيل، ص ٢٩٢-٢٩٣.

ويشبه الشاعر هنا النيل بالمارد الذي انتقض وكذلك يشبهه بالثائر الذي يدافع عن الطغيان فهو لا يستسلم ولا يركن ويتحدث كذلك عن أفريقيا وبالطبع كل الدول التي يمر بها النيل هي أفريقية:

مارد ضاق به قممه *** فتمطى يسترد العافية
 ثائراً يمحق من عالمه *** ما تبقى من نفوذ الطاغية
 لم يعد مضطرباً مستسلماً *** لم يدر في نسق كالساقية
 علمته قسوة القيد إذا *** نكاً القيد الجراح الدامية
 عاد لا يترك من أعدائه *** غير ذكرى رهن قبر ثاوية
 الآلي قد أوسعونا قسوة *** وطروا علينا الحياة الراقية
 والردي يخلق من أفريقيا صورة فيها الماسي الدامية
 يستقلون مناباً أهلها لمناهم في الرياض الحالية
 الخرافات عليها ابتكروا *** فسفات ودعوى باعية
 يا صاحبي وضح الحق وما *** خدعتنا الواشية الكلمات
 واستحالت يقظة الشعب إلى *** أنجم حول سرانا هادية
 تطلب السلم وهذا مطلب *** عز حتى صار حرباً دامية
 إن الغرب وكم مد لنا *** في ظلال الذل كفأ جانية
 وختم الشاعر منير قصيده بمصر ونهضتها وفضلها على السودان
 وفادئها للنيل وحفظ السودانيين لفضل مصر وشعبها^(١).

الشاعر مهدي محمد سعيد في شعر وجداً يصف النيل بالقدم وأنه السبب في تحمل الحياة على شاطئيه ويصفه بالكرم فهو يوجد على ساكنيه بالخيرات وفي جريانه

(١) نهضت مصر وعادت حرة *** واستقلت فهي مصر البارية
 التي قامت تفدي نيلها *** وتقينا من رياح قاسية
 التي قدمت العلم لنا *** مثل القطوف الدانية
 والتي كان لها الفضل وكم *** حفظ لها سودانية

يُشبه السيف في اندفاعه وسرعته، والنيل حول الأرض الجباء إلى خضراء وأن الأقدمين قدسوه وقدموا له الهبات كل ذلك في قصيده التي بعنوان (النيل يجري) :

من قديم تزين وجه الحياة *** يا كريماً في كل ماضٍ وآت
 ملء جنبيك ثورة وانطلق *** ومضاء كالسيف وأري الشباء
 بشرت بالبقاء آياتك الغر *** وأحييت كل جدب موات
 في ترانيمك الطراب جلاء *** لصدى الروح من عذاب الحياة
 سجد الأقدمون شakra وزلفي *** ولكم قربوا نفيس الهبات
 وكأن الزمان شيخ تقى *** عند شطريك قائم للصلة
 أنت دير تمثل الحسن فيه *** قديساً وموئك للعفة

ويعتبر مهدي محمد سعيد أن النيل عالم بدقة الأمور والسحر والحب وأن النيل مصدر وموهي وملهم الفن في الحياة ويتحدث عن أبناء النيل فيصفهم بالقوة والاعتزاز ويختم الشاعر قصيده بقوله إن النفوس تهفو وتشتاق للنيل فهو الذي يمنح العز وفيه أنيل الغaiات:

أنت يا واهب الأمان الحيارى *** في عطاء يجيش بالمكرمات
 صحو أجيالك الحماة تجلى *** دعوة الكيد وافتئات العادة
 وغدا العزم منهم لا يجارى *** في مراقي الحجا وقهر الطغاة
 يا شباباً وقوه واعتزازاً *** وعاتداً يعد للحادثات
 لك تهفو النفوس يا مانح *** العز صعوداً لأنبل الغaiات
 ومن الذين صاغوا شرعاً وجداً في النيل مصطفى طيب الأسماء^(١) فهو يتحدث عن النيل بلسان (النيل يتحدث إلى توأميه) وكذلك يصف انسيابه ويعتبر أن النيل مصدر للخير^(٢):

ضممتكم برأً وما ضفت ساعةً *** بأمر ولا ضنت يدائي بنائل

(١) مصطفى طيب الأسماء من مواليد عام ١٩٢٤م تلقى تعليمه الثانوي بالمعهد العلمي بأم درمان والجامعي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة الأم له ديوان باسم (لحن وقلب)، ديوان النيل ص ٣٢١-٣٢٢.

(٢) ديوان النيل، ص ٢٨٦-٢٨٢.

و لا جف مني متزع في انسابه *** حفى دفوق الخير ليس بباخل
شققت صخوراً أعيت الدهر همة *** وجزت الفيافي فاحلاً بعد ماحل
بهمة موار العزيمة شامخ *** ووثبة مقدم أغرا الشمائل
وما عاقني بأس الزمان وفتنه *** ولا ارتد خطوي من صروف النوازل
ولم يثنني طول السرى ومطاله *** ومر الليالي والضحى والأصائل
وما كان همي غير جمعي أرومته *** سعيت لها منذ القرون الأوائل
فارويتها نبعي ففاض وفاؤها *** كفيضي ولم تخدع بهمسة عاذل
ونمت بنيتها في رياضي فأورقوا *** على خير ما ينمو سليل الأمائل
إخاء على مر الزمان وألفة *** تحدوا بها كيد العدو المعاول
ويواصل الشاعر ويتحدث عن علاقة النيل بتوأميه ويصفها بأنها حمية

ليست بها خصام وأن هذه العلاقة كانت سامية ولا تشوبها أي ضغينة:

وما اشتجروا يوماً بسامي ضغينة *** ولا حسدوا بعضاً لودي ونائي
ولكن تساموا للعلا وتواشوا *** خفافاً إلى ساح الندى والفواضل
وكانوا لدى الدنيا منارة عزها *** وكانوا هدى الساري وضوء المشاعل
وصلوا الحمى غراً على غير ريبة *** وقد حفظوا عهدي وضموا قبائلي
مالكم لا تذكران أرومة *** تحدرتما منها وقربى الأوصال

ويواصل مصطفى طيب الأسماء ويتحدث عن السودان بلسان النيل:

فما أنت يا سودان إلا ذخيرتي *** ودرعي إذا رام الزمان موائي
وفيك صبا عهدي وعهد شبيبتي *** وذكرى فؤاد بالسماحة حافل

ويتحدث عن مصر:

ولي فيك يا مصر العزيزة مربع *** ولې في ربك الخضر خير المناهل
وفيك حضاراتي وجري سوابقي *** ومجد فعل في الذرا غير خامل
ويتحدث عن مصر والسودان معاً:

وما أنتما إلا شقيقان كنتما *** رضيعي لبنان من صفاء المناهل
ألا فاحذروا كيد العداة فإتهم *** يقيمون أشراك الردى والغوائل

ويواصل الشاعر ويتحدث بلسان النيل فيقول:

يودون لو أني جفت ولم تكن *** ترفف في شطي خضر الخمايل
ليهلك روادي سواهم وينعموا *** بخيري فلا ألقى معزي وكافلي
ألا فاذكر عهداً تخلد مجده *** وسارت به الأيام بين المحافل
ورتله التاريخ في كل آية *** وسجله الماضي لآخر قابل
ألا فاذكروا أني رعيت ثراكماء *** وأمرعته بالخير ثم الجداول
فلا تطويها صدراً على الشر إبني *** أرى في اكتنان الشر كبرى التوابل
ولا تجهالاً في الخلف رأياً فإنما *** سبيل اختلاف الرأي قسم الكواهل
وكونا على دفق من الأمر محكم *** يرد لأهل الحق صفو المناهل
يisan به عهد الإباء وترتوى *** به رحم حرى وتشفي غلائي
وكذلك الشاعر بلسان النيل يوصي ويتمنى^(١).

وبما أن النيل يحتل حيزاً ومكاناً كبيراً في نفوس شعب وادي النيل عاماً
والشعراء الوجدانين بوجه خاص فإن الغربة عن الوطن تعد فرacaً عن النيل والأهل
والديار مما يلهب شعور الشاعر المغترب بما يحسه من وحدة، وهذا هو شاعرنا
مصطفى عوض الكريم^(٢) يتجرع حنظل الغربية وقصيدته وجданية مفعمة بصدق
العاطفة والشعور وبها ذكريات جميلة، والشاعر في حبه لنيله ووطنه نجده يكرر لفظ
(أرجعني) فالنكرار يدل على الإصرار والإلحاح بالعودة إلى الوطن:

(١)

ويهنا في أرضي بني وأمرهم *** جميع على رأي من البر شامل
يعهم خيري ويروي ثراهم *** يفيض بالسماحة هاطل
وتعمر أرضي من بني فلا أرى *** سوي الإلة المثلثة تجوس منازلي
ويبراً سقمي من شتات وإحنة *** ويدفع عن أرضي هوى كل خاتل
أفيقاً أفيقاً بارك الله فيكما *** ورداً عن الأسماع لحن التقاتل
وشيداً منار الود بين مرابعي عوادي
وتحيا بشاشاتي ويشرق خاطري *** ليحزن حсадي وتتفنى عوادي
أفيقاً أفيقاً بارك الله فيكما *** على نغم عذب من الصفو كامل
فقد عجمت مني القرون تجاري *** ولا تجعل نصحي كقالة جاهل
فلم تلف إلا حكمتي وتكامي

(٢) السفير، مصطفى عوض الكريم، ص ٣٤.

أرجعني قد سئمت العيش في ظل الفراق
أرجعني طال شوقي وحنيني للتلاقي
أرجوني لحبيبي ولأهلني والرفاق
إن طعم العيش في الغربة مذموم المذاق
أرجوني أنا يومي هنا طويلاً
أرجوني فمقامي دون أحبابي ثقيل
أرجوني لحبيبي ووادي الجميل
أرجوني يا صاحب واهتفوا يحيا الرحيل
يا صاحبي قد هفا قلبي لتلك الربوع
واغترابي عند ذكري بلادي ما يروع
فاملأوا الكأس مداماً وامزجوها بالدموع
واذكروا الوادي المفدي واشربوا نخب الرجوع
أرجوني لبلادي قد تمادي اليوم حزني
فأنا الصادي لماء النيل أين النيل مني
وأنا المشتاق للوادي الذي قد غاب عنِي^(١)

(١) وبختتم قصيده بقوله:

فأرجوني رب يوم لا يجدي فيه التمني
فأرجوني كل يوم هنا يمضي هدر
أرجوني قبل أن يأتي على عمري كدر
ما لقلبي من مياه في سوي النيل وطر
فخذوني لحبيبي قبل أن يأتي القدر
أرجوني مر عishi واستحال العمر كداً
أرجوني لرفافي في ربا النيل المفدي
أرجوني لحبيبي واجعلوا الأيام سعداً
قبل أن تبني منياتنا على الآمال سداً

ولا يزال الشعراء الوجدانيون يتبارون بهذا شاعرنا الناصر قريب الله
يصف لنا جزيرة توتي وموقعها الفريد حيث يحيط بها النيل ويزينها لنا في لوحة
شعرية رائعة من حيث جمال توتي الساحر الأخاذ وجمال الأرض وحبه للوطن،
ويصف سماءها ونيلها وأطيارها وأشجارها ويبدع الشاعر في وصف توتي
بصورة من الخيال تطابق الواقع تماماً.

ويواصل الشاعر فيصف حياة أهل توتي وسبل كسب عيشهم كما يوضح
الشاعر أن النيل هو رمز الأمجاد والماضي العريق ويعبر الشاعر عن ارتباط أهل
توتي بجزيرتهم وهم لا ينونون فراقها برغم الظروف الطبيعية التي تعرضت لها
الجزيرة خاصة الفيضانات فالقصيدة وجدانية وفي حب الوطن الصغير (توتي)
الذي هو حب السودان الوطن الكبير فيقول الناصر قريب الله^(١):

هي في الماء من صميم الشعاع *** جنة للنھى ودنيا متع
مسرح للھو البرئ إذا جاش *** ومرعى الشجون في الأضلاع
حاطها النيل ذو الفدى بذراعيه *** فصاب الحياة كل ذراع
حاطها والسماء ترنو إليه *** بعيون من الضياء المشاع
كالمحب الھيف مد يديه *** لعناق الحبيب يوم وداع
وهو غاد موفق الخطى أیما *** جرى نعمة على الأصداع
صنع السحر كف هاروت فيه *** فتحدى أيادي الصناع
لم يدع للسماء ميّزتها العليا *** ولا للنجوم سحر الشعاع
كم لذات البروج في صور في *** وجهه عقرية الأوضاع
عاد فيه الضياء تبراً مذاياً *** في هبوط لموجه وارتفاع
موقف أجي العواطف ناراً *** فهي والعقل في عنيف صراع
إذ تمام العواصف النكب حيري *** ثم تصد نسائم بعد ساع

(١) الناصريات، ناصر قريب الله، ص ١٤

ووفود الطير تسعى نشوى *** بصدر ذات الشدو للشدو ذات اتساع
 غاديات مع النسيم دعاها *** للتغنى من الصباية داع
 نبرات تخلجهن الأماني *** مشتهاة ترن في الأسماع
 طربت تحتها الغصون وماست *** والأغاني يلن أقصى الطباع
 ومياه النيل الكريم يرجعن *** صداتها بكل قلب داع
 لم تماثل ساعة بوجه أخرى *** فهي ما بين لبسة وانتزاع
 لهذا صنع الفنون لها النيل *** يتلو مثاني الإبداع
 ويعيد الشباب فيها فتياً *** ناهض الأمنيات بعد انصداع
 يا عروس النيلين إن فؤادي *** من قضاء الهوى وشيخ الضياع
 لم تكن منيتي فراقك لما *** حملتني إليك ذات الشرع
 تترامى لدى العباب وتلقى *** عزم تياره بصدر الشجاع
 في مياه تعلم الطير منها *** رقة الشدو وطيبات السماع
 قربتني إليك في إبطاء *** ونأت بي كالسهم في إسراع
 قربتني وبين جنبي قلب *** ونأت بي وقد جفا أصلاعي
 وإلى جنبي الصديق الذي يشبهه *** قلبي فؤاده في التباع
 نتساقى الذكرى سلافاً ونجني *** نظرة الحسن من جماع بقاع
 آه لو تعقب الزيارة أخرى *** بعد أن نعي الوصال ناع
 مشهد الحسن ما تمك قلباً *** فتلاشت أحزانه بدفاع
 ما جنى الحسن لامرئ ما جناه *** لفؤادي المضاعف الأوجاع
 أوردتني الجحيم قبل الغواني *** وأنا اليوم في سعير بقاع
 وحرام أن ينقض القلب حباً *** آنسه الضلوع منذ الرضاع
 فإذا نبه الإاصلاح الأزهر *** ورن النسيم بعد اضطجاج
 وقوى في الظلام أديم الأرض *** والنور ذاب فوق القلاع^(١)

(١) ويواصل الشاعر قصيده عن جزيرة توتى وحبه لها:

وفي الاغتراب والمشاق والآلام وسخرية القوم من سمرة لونه يقول شاعرنا
 مصطفى عوض الكريم دفاعاً وفخراً وشوقاً وحنيناً إلى وطنه ونيله:
 معاشر مثما شاءت طبيعة أرضهم زهر
 ولكن بين أضلעם قلوب دونها الصخر
 تراقبني عيونهم لأن عندم سر
 وأعجبهم سواد اللون في جسمي فلم يدروا
 فمنهم قائل: شخص يغطي جسمه الحبر
 ومنهم قائل: بل ساحر غيبه السحر
 ومنه قائل: بل أبيض حرقه الجمر
 فقلت لهم: من السودان إنسان ولا فخر
 وقالوا لي: ما السودان؟ فقلت إنه قطر
 وخط الاستواء جنوبه وشماله مصر
 وفيه النيل لم يعرف بمثل بهائه نهر
 فقالوا: إنه يهدى؟ فما النيل وما مصر؟
 وخط الاستواء كذلك؟ أو قاله نكر^(١)

وأديبنا الشاعر дبلوماسي الصحافي صلاح أحمد إبراهيم وهو في الغربة
 يحن إلى وطنه ونيله وأهله وعشيرته:

وكأن الرمل حل العذاري *** حين أسرفت عن سود قناع
 لامعات كائنا طل الفجر *** أعلى جبينها اللامع
 وتناحت بك العصافير نشوى *** بالصبا والغضون نشوى سماع
 وتمشي القطيع يتلمس الرزق *** حيثاً إلى خصيب المراعي
 واغتدى القوم للحقول بعزم *** لا يرى منقذاً إليه التداعي
 يبنون الحياة للناس لا عن *** أثره النفس أو هوى الأطماء
 فاذكري زورتي وحبي وفؤادي *** إنه طائر لحسنك ساع

(١) السفير، مصطفى عوض الكريم، ص ٢٨.

أسبوع مر وأسبوع عان
جو عان ولا قلب يأبه
عطشان وصنوا بالشربة
والنيل بعيد
النيل بعيد
الناس عليهم كل جديد
وأنا وحدي
متكسر الخاطر يوم العيد
تستهزئ بي أنوار الزينة والضوضاء
تستهزئ بي أفكاري المضطربة
وأنا وحدي
في عزلة منبوز هندي
أتمثل أمي إخوانى
وال التالي نصف الليل طوال القرآن
في بلدي
في بلد أصحابي الثنائي
الأعصم خلف البحر وخلف الصحراء
في بلدي
حيث يعز غريب الدار يحب الضيف
ويخص بآخر جرعة ماء عز الصيف
يعشا الأطفال
ليل، البشر، والإيناس، إذا مارق الحال
وأخذت أغني في شجو ألمي ظاهر
يا طير الهجرة يا طائر
يا طيراً وجهته بلادي
خذني بالله أنا والله على أهبة
قصت أقدار أجنبتي

وأنا في زاوية أتوسد أمتعتي
ينحصر الظل فأمض للظل الآخر^(١)

وللشاعر الزين عباس عمارة أبيات رائعت صاغها وهو في الغربة
وبالاخص في لندن يحن فيها إلى وطنه ونيله فيقول:

فاسلمي	بلادي	يا	درك	الله
المنحنى	الخرطوم	عند	أجمل	ما
قصيدة	العظيم		النيل	أتأمل
ملاحنا	النجوم	ضوء	في	تنساب
لينجلي	الطوويل	الليل	أرهاب	لن
مؤذنا	الجديد	الصبح	أرقب	أو
خطوها	كأن	بنا	الحياة	تعشي
آمناً	رزقاً	في	الف	مقروءة
تخالهم	الكاف	عيش	في	والناس
آمناً	لصوفي	قلباً	ترعة	في
خلواتهم				يستقبلون
الممكنا	المستحيل			ويقدمون
أحبتي	السودان	دار	أروع	ما
(٢) مواطننا	الديار	إلى	أعود	فمتى

(١) قصيدة في الغربة، صلاح أحمد إبراهيم.

(٢) قصائد من بريطانيا، د. الزين عباس عمارة، مطبع نبتكو، ص ٢٥.

يتضح من كل ما سبق في هذا الباب بأن الوجданية في السودان مرت بمراحل، وفي ذلك تأثير واضح وتشابه بين بمراحل الوجدانة في الشعر العربي الحديث، مع الاختلاف بعوامل منها:

- البيئة السودانية وجغرافيتها وتاريخها وحضارتها، ولذلك اشتمل هذا

الباب على مرحلة الانطلاق الوجданى ورائدہ هو الشاعر التجانى يوسف بشير.

- أما في الفصل الثاني وهي المرحلة التي ظهرت فيها الدعوة إلى التجديد عند شعراء الوجدان.

- واختتمنا هذا الباب بالطبيعة في الشعر الوجدانى باعتباره مرآة عاكسة لطبيعة السودان، منها النيل، والمجتمع، والمناطق، والسياسة، وغيرها.

الباب الثالث

دراسة تطبيقية على بعض شعراء الوجدان في السودان

أما بالنسبة لهذا الباب وهو الأخير لهذه الأطروحة فقد رأى الباحث أن تختتم هذه الدراسة بإجراء تطبيقات على بعض شعراء الوجدان وقد اختارت ثلاثة شعراء يمثلون أغلب حقب القرن العشرين ولهم بصمات واضحة في مجال الأدب العربي عامه والسودان خاصة وهم بالترتيب:

الفصل الأول: الشاعر يوسف مصطفى التني (١٩٠٧ - ١٩٦٩م).

الفصل الثاني: سعد الدين إسماعيل فوزي (١٩٢١ - ١٩٥٩م).

الفصل الثالث: حسن عباس صبحي (١٩٢٨ - ١٩٨٩م).

الفصل الأول

الشاعر يوسف مصطفى التني

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صدى الحب للإنسانية والوطن

المبحث الثاني: الطبيعة والأسى واللوعة

المبحث الثالث: الرثاء والحرية والجمال

تمهيد:

ونبدأ بالشاعر يوسف مصطفى التي تخرج في كلية غردون مهندساً وعمل في أماكن مختلفة ويعتبر واحداً من الرعيل الأول الذين ناضلوا وكافحوا ضد فترة الاستعمار البغيض الذي خيم على وطننا الحبيب بقوة الغزو بكل عدته وعتاده في أواخر القرن التاسع عشر إثر حملة كتشنر الباطشة التي قضت على الحكم الوطني متمثلاً في الثورة والدولة المهدية.

وقد كتب يوسف التي في جريدة النهضة ثم جريدة الفجر وقد شغل في عام ١٩٤٥م رئيس تحرير جريدة الأمة الناطقة باسم حزب الأمة ولكن الشاعر لقوميته ووطنيته ترك العمل في الصحافة الحزبية ثم التحق بمصلحة العمل حتى أصبح مديرأً لها، ثم عمل سفيراً في وزارة الخارجية، وقد سلك طريق الصوفية وتأثر بشعرهم ونسج شعراً صوفياً رائعاً ساحراً باللغة الفصحى والعامية. لقد عرف يوسف التي كشاعر ولم يعرف ككاتب ولكنه كان كاتباً ناقداً سجل آراءه في جريديتي النهضة والفجر ويعتبر التي شاعراً وجداً.

ويقول محمد أحمد المحجوب^(١) في مقدمته لـديوان (الصدى الأول) (والصدى الأول) أصدق اسم لهذه المجموعة من شعر يوسف فنغمات السرور وأنات الأسى ودموع الحزن وقوة الدعاء إلى العمل الوطني تلك التي تسمعها وتلمسها في كل قصائد الشاعر ما هي إلا صدى حبه الناجح ومحالس أنسه المرحة، وصدى غرامه الفاشل وحبه الهاجر، وصدى ذكرياته وقد (فطم من كل فن قبل وقت الفطام) وصدى شعوره القومي الصادق ورغبتة الملحة في أن يرى وطنه في الذروة بين الأوطان، أجل ما تلك إلا صدى كل هذه مجتمعة بعد أن تجاوب في نفسه الصافية وصهرته عاطفته القوية الملتهبة وإنه لشاعر بأن أفكاره وعواطفه صدى صادق لما يتراوّب في نفسه من عوامل السرور والأسى واللوعة ولهذا فهو يستعمل لفظة (صدى) و(أصداء) في كثير من قصائد الـديوان وليس ثمة

(١) ديوان الصدى الأول والسرائر، يوسف مصطفى التي، شركة دار البلد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م، المقدمة، ص ٩-٨.

من اسم أصلح لهذه المجموعة إلا إذا وسمت باسم (المرأة) لأنها تشف عن صورة صادقة لنفس الشاعر وحياته).

وقد نشر ديوان (الصدى) عام ١٩٣٨م. أما المجموعة الثانية التي قدمها يوسف مصطفى التي هي بعنوان (السرائر) في العام ١٩٥٥م. هذا ويعتبر شعر (الصدى الأول) في مرحلة الشباب للشاعر وأما (السرائر) فهو في مرحلة الكهولة. وفي مقدمته (للسرائر) التي كتبها الشاعر بنفسه مقارناً بين (الصدى الأول) و(السرائر) يقول: (أن (الصدى الأول) هو أصداe الحياة في ريعان الشباب لشاعر كل تجربته آنذاك أن كان مهندساً موظفاً، أما (السرائر) فأصداe حياة متقلبة تجاوزت فيها العقد الثالث من عمره وتأثرت بحياة ضابط بقوة دفاع السودان إبان الحرب العالمية الثانية ثم مارست الصحافة مكافحاً في سبيل الدعوة الاستقلالية هجوماً ودفاعاً ثم تحملت عبء العمل الشاق ومرارة الخسائر في الأعمال الحرة ثم انتهت أخيراً حيث بدأت موظفاً بالحكومة أمارس مهنة جديدة غير الهندسة^(١)). ويرى الباحث أن هذه التقلبات في حياة الشاعر هي المؤهل لهذا الشعر الوج다ني.

○ سيرة الشاعر يوسف مصطفى التقى (١٣٢٥ - ١٤٨٩هـ = ١٩٠٧ - ١٩٦٩م):

- ولد في مدينة أم درمان وفيها توفي.
- عاش في السودان - وحمله عمله سفيراً لبلاده إلى عدة عواصم.
- تلقى مراحله التعليمية في أم درمان، ثم التحق بكلية غردون ليتخرج فيها مهندساً عام ١٩٣٠م.
- عمل مهندساً حتى عام ١٩٤٢م وفي العام نفسه التحق بالجيش ضابطاً حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م، ثم عاد إلى عمله مهندساً في الأشغال ليلتحق بعد ذلك بوزارة الخارجية سفيراً كما عمل سكرتيراً لمجلة (الفجر) ثم رئيساً لتحرير جريدة الأمة (لسان حال حزب الأمة) ثم التحق بمصلحة العمل وظل بها حتى أصبح مديرًا لها ليعود مرة أخرى إلى وزارة

(١) ديوان الصدى الأول والسرائر، يوسف مصطفى التقى، مرجع سابق، ص ٨١-٨٢.

الخارجية، وكان عضواً بحزب الأمة، وعضو الهيئة الستينية لمؤتمر
الخريجين.

○ الإنتاج الشعري:

له ديوان النتي الذي يضم (الصدى الأول) الخرطوم ١٩٣٨م و(السرائر)
القاهرة ١٩٥٥م حيث يضم ديوان النتي الديوانين معاً.

المبحث الأول

صدى الحب للإنسانية والوطن

انشغل شعره بعذابات الوطن وقضايا التحررية التي تتمثل لديه في جفاء أبنائه وذوي الأهواء، دعا إلى وحدة وادي النيل، وله شعر في الغزل وفي المدح والإشادة والتهاني، سعى في شعره إلى ن Sheldon الكمال ومقاربة المحال وملتزمًا في شعره بوحدة الوزن والقافية في بناء القصيدة.

ويقول محمد النويهي^(١) عن الشاعر التي (هذا سوداني صميم ملتهب الوطنية يحب بلاده حباً جارفاً ويأسى لما تعانيه من ضعف وحظة ويشيط غضباً وغيظاً لما أصابها من العدو المستعمر وما أوقعها فيه من التناحر وتفرق الشمل وما بني من زعامات كاذبة مخداعة أذلت الرقاب واستعبدت العقول وما دخل السودان من ركابه من دخلاء استترزوا خيراته وامتصوا دماءه).

حيث يقول التي في قصيده (وطني)^(٢) ذاكراً أحوال وطنه السودان، وهنا نجد أول الموضوعات التي اهتم بها شعراً الوجдан وهو الشعر الوطني، وهي قصيدة من بحر الكامل:

وطني شقيت بشبيه وشبابه *** زمن سقاكم السم من أ��وابه
قد أسلموك إلى الخراب ضحية *** واليوم هل طربوا لصوت غرابه؟
وطني تنازعه التحزب والهوى *** هذا يكيد له وذاك طفى به
ولقد يعاني من جفا أبنائه *** فوق الذي عاناه من أغرايه
بالأمس كانوا وحدة فتفرت *** فسطاط المغير بظفره وبنابه
واليوم هم شيع تنافس بعضها *** في رقها لمسود أو نابه
حتى الذي نزف الدماء مسخراً *** كالطير حفوا خشعأ برکابه
كم أوهم الدهماء فيه فأملوا *** في العالم الثاني جزيل ثوابه

(١) محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، مرجع سابق، ص .٨٩.

(٢) يوسف مصطفى النبي، ديوان الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص .٢٩.

ومشت ذرافات الحجيج لبابه *** فكأنما البيت الحرام ببابه
وطني يعيث به العدو ولا ترى *** من دافع عن حوضه ورحابه
وإذا انبرى ليذود عن سودانه *** البارع المقادام من كتابه
لم يعدم الشر الدخيل جماعة *** لترتل الأمداح في محرابه
وطني أصيб عشر أواهمو *** وأظلهم فسعوا ليوم خرابه
لو ظهر السودان من دخلاته *** لهفى على السودان من أحزابه؟
ويرى الباحث أن الشاعر يوسف مصطفى التي في قصidته هذه قد قدم
وصفاً كاملاً للعلة التي شكي منها وطنه مما يلاقيه من بنية وما وقع عليه من
استعمار نهب خيرات البلد وأذل شعبه.

والشاعر يوسف مصطفى التي يهمه أمر الأمة الإسلامية وتاريخها
والعربية جماء ويحب وطنه السودان، فهو يحزن لحزنها ويفرح لفرحها بل نجده
يفاخر بماضي الأمة الإسلامية التليد والحضارة الراقية، ويقول النويهي عن وطنية
التي^(١): (حرارة الوطنية أظهر من أن تحتاج إلى تدليل، بل هو يحزن للشرق كله
وما صار إليه من انحدار وهو ان بعد سابق عزه ومدينته وثقافته).

ويرى الباحث بأن الشاعر التي يحدث عن تاريخ صادق بأن الأمة
الإسلامية أمة متحضره وأنها كانت تمد أوروبا بالعلم والاكتشافات والاختراعات
في عهد كانت تعيش فيه أوروبا ما يعرف بالعصور المظلمة، نجد كل ذلك
الشرح والتوضيح في قصidته (الشرق جنة الله)^(٢) حيث يقول فيها:
يا صاحبي مال دنيانا التي بسمت *** بالأمس، عاودها شح وتقير?
وجنة الله، حيا الله جنته *** ما بالها لا تواليها المقادير?
في الفجر من عمر هذا الدهر نسقها *** فحدث عن أياديها البواكير
 وأنزل الحكمة العليا ترجعها *** شرعاً على مسمع الدنيا الشخارير

(١) محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، مرجع سابق، ص ٩٠.

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٢٥.

تدفق النور من شماء قبتها *** وأنينعت في روابيها الأزاهير
 وفجر الله فيها كل دافقة *** بها من الإثم والعدوان تطهير
 فأشرقت (البيت) في بطحاء (مكتها) *** كما تلألاً في (أقداسها) (الطور)
 وأبلغ الدهر (عيساها) (وأحمدها) *** رسالة الله فأنجابت دياجير
 منارة الحق من (فرقاتها) سور *** ومن فلاسفة الإسلام تفكير
 قد أرسلت نحو أهل الغرب ومضتها *** والغرب في جهله المضروب مغمور
 رفته بالنور حتى شد واهنه *** أليس يرقى باي الله مسحور؟
 واليوم أقبل هذا الغرب يكلوه *** حظ في ضمير الغيب مسطور
 سطا على جنة الرحمن ينهبها *** كما تحط على الزرع العصافير^(١)

فالقصيدة مليئة بالمجد والتفاخر بأن الأرض العربية هي مهد الديانات
 والحضارات التي أشraq نورها على البشرية بل تحدث عن حضارة الإسلام حيث
 أن أسس وأصول الحضارة الإسلامية عمادها الدين الإسلامي والعرب واللغة
 العربية.

وكذلك نجد أن الشاعر دعا الحكام العرب بالحفظ على هذا الإرث والمجد
 بالتمسك بقيم وأصول الحضارة الإسلامية حتى نحافظ على هذا العز.

والشاعر التي يسخط على العالم الغربي الذي يرى أنه أشعل الحروب من
 أجل مصالحه فأهلك شباب آسيا وأفريقيا وشيوخها وأطفالها لأن الحرب عندما
 تقوم فإنها لا تفرز بين الناس وهي تؤدي إلى الخراب ودمار الحرف والنسل، وفي

(١) ويكمel الشاعر قصidته فيقول:

فما بها لترانيم الطيور صدى *** ولا حكمتها فيض وتفجير
 إني لأسأل هذا الدهر في ألم *** ما بالها لا تواتيها المقاير؟
 فلا مجيب سوي (صوت) توقعه *** على هشيم روابيها الأعاصير
 خميلة الله لا زالت بها رقم *** وما سها الله بل نام التواطير
 لو أصلاح الشرق نقصاً في زعامته *** لعاد للشرق مجد منه مقصور

قصيدته يظهر اليأس وفقدان الأمل ولكنه يتدارك؛ فهذه طبيعة الشعراء الوجданين الذين لا ينسون الصبر والأمل، فيقول التي في القصيدة التي يأسى في الحرب التي يشنها الغرب على شعوب آسيا وأفريقيا وهي بعنوان (رحي الحرب)^(١):

ألا قل لهذي الرحي وقفي *** تجاوزت في الطحن أن تسرفي!
هصرت الشباب قبيل الأوان *** ولم تبق من ظله المورف
وأعمارنا قد تساوت لد *** يك، أباً لطفل والشيخ لم ترأفي?

ولكنها صخرة من صوان *** وهل لك في صخرة عاطفه؟!
تدور تدور ونحن الطحين *** لتلقمنا الحفرة اللاقه
إذا قوة الشر دارت بها *** فقد أزفت بالورى أزفه!

ل العاصفها سدرة المنهى *** تمايل من شدة العاصفه
فتخطف الريح أوراقها *** وناهيك من ززع خائقه
وما كل أوراقها ذابلات *** ولا كل ناسفه

ولكن بربك من أين هبت *** رياح شرور بنا حائفه؟
وأي يد أقفت نومها *** وأزت لوافحها الدافقه
أهبت من الأرض أم أمطرتها كالصاعقه؟

هناك في الغرب جاشت صدور *** بها حبس الجن، مثل القماقم
وقد أطلقت جنّها للورى *** فعاث بهم واستباح المحارم

(١) يوسف مصطفى النتي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٠٥ - ١٠٦.

وساق إلى الحرب فتيانهم *** على البر والبحر أو كالقشاعم^(١)

والتي في قصيده (ثورة شاعر)^(٢) يرد بها على قصيدين للشيخ عبدالله عبد الرحمن عنوانهما (أريد) و (لا أريد) والتي في هذه القصيدة يظهر عليه اليأس حيث لا يرى فائدة في محاولة استهاض الهم وبعث الشعب من نومه وذله ورضاه بحاضره الذي ينعدم فيه الخير ويكثر فيه الشر فيقول:

أيها المفلق الحكيم الرشيد عزّ ما قد (ترید) أو (لا ترید)
 عزّ ما تبتغيه فالشعب غافٍ بليد
 أمة للخراب تسعى حيثاً وعنه والكمال تحيد

(١) ويختتم الشاعر قصيده بقوله:

همو أضرموها فثار اللهيب *** ولم يبق غرباً ولا مشرقاً
 وما كان باللهب المستضاء *** به ولا كان باللهب المتنقى
 يجر على الأرض أذياله *** ونحو السماء له مرتقى

أحس بوقته كل حي *** قعيد الديار وشакي السلاح
إذا سلمت منه روح امرئ *** فلم ينج من قوته ما يتابعه
يطالعه الموت في كل ليل *** فإن مر طارده في الصباح

إلهي! لقد ضاق ذرع الورى * * *
فأين وأين الغد المشرق؟
لئن علق الإثم أرواحهم * * *
فقد طهرواها لدن أحرقوا
فهب عالم الأرض برد السلا * * *
تحفق ليباركه م وقل *

لقد عربد الشر حتى استفاض *** ولطخ بالدم وجه الحياة
ولم يبق من أمل في غد *** يسر به القلب إلا محاه
فإن لم تكن نفحة من رضاك *** فقد لا يكون غد أو نراه

(٢) يوسف مصطفى الظبي، *ديوان التي الصدى الأول والسرائر*، مرجع سابق، ص ٢٧-٢٨.

أيفيد النشيد شعباً قنوعاً *** وله الجن والبوار نشيد؟
كما دعا قبلنا الدعاة إلى الحق *** وكم أخفى الدعاة وصيدوا
صادهم صائد الأانية الحمقاء *** والخبث والنقود!
إلها أمة تصييع بناتها *** ولكن كاد للأبي عبيد
يعلم القوم في الظلام خفافاً *** وبنو القطر في الضياء هجود
فشلت أمة ينوم بنوها *** عبد النفس سعدها وسعيد
هام بالجاه والثراء كبيراً *** وارتضى الذل والهوان وليد
قطع الشعب بالكافر ركوداً *** وممات الشعوب هذا الركود
لا طماح إلى العلاء أكيد *** لا نزوع إلى النجاة حميد
أمة خيم الجمود عليها *** وعداها النهوض والتجديد
أنمسها قاتم وأقتم منه *** يومها والغد الغد المنكود
لا قديم من المحامد يوحى *** ولا جليل من الفخار جديد

ويختتم التي بالشكوى من حالة الوطن وبنيه، وما هم فيه من ضعف
ويغضب لذلك، فيقول^(١):

وفي تعليقه على القصيدة يقول النويهي^(٢): (غضب مؤقتة من شاعر ملتهب
الوطنية شديد السخط على ناقص قومه الراهنة).

وفي قصيده (تهنئة)^(٣) وهي موجهة إلى السيد/ خلف الله خالد بمناسبة
تقلاه منصب وزير الدفاع لجمهورية السودان حيث يصفه بالشجاعة والصدق
وعلو الهمة وحسن التدبر في معالجة الأمور ويتحدث عن المجد والماضي الثيد
لآباء السيد/ خلف الله خالد ويتوافق وصفه له بأنه تقي في تعامله وحسن الثبات

(١)

آه يا موطنى العزيز عزاء *** من دموع إذا الدموع تفيض
آه يا موطنى عزاؤك شعري *** إن يكن أحسن العزاء قصيد

(٢) محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، مرجع سابق، ص ٩١.

(٣) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٢٣-١٢٥.

وأنه دافع وناضل من أجل وطنه وكذلك يصف الشعب السوداني في فترة الاستعمار وما لاقاه من ذل وهو ان ويشبه تلك الفترة بالغفوة ويتحدث عن ماضي شجاعة السودانيين في كل العهود وقوتهم الضاربة وتاريخهم الناصع الموصوف بالإقدام فهم يذكون أعداءهم بالتكبير والتهليل قبل المعركة حتى ترزل قلوب الأعداء فهم في هجومهم تدعى لهم الحصون وتنتاثر جث الأعداء وشعارهم دائماً إما النصر أو الشهادة وبعد تمجيد شعبه وتهنئة صديقه على الاختيار الذي صادف أهله ونقاشه المطلقة فيه يرجع الشاعر يوسف مصطفى التني إلى الدعوة لاستقلال السودان مناهضاً الدعوة التي تدعو إلى الاتحاد مع مصر مطالباً أن يكون للسودان كينونته الكاملة المستقلة حيث يقول التني:

إذا صرخوا صرخة زلزلت *** قلوب العدى الصرخة الداودية
 وإن هجموا تنداعى الحصون *** وتلقى العدى جثثاً ذاودية
 لهم رغبتان متى استنفروا *** هما النصر والميادة الدامدة
 ومن طلب الموت نال الحياة *** وكل بالنصر والعافية
 وزيرهم اليوم نعم الوزير *** فتى الحرب والفطن البداء
 فخرت به ل الكريم الخصا *** ل وإنى فخور بآبائيه
 ويعجبني فيه حسن الجمي *** ل فكل يد عنده عاريه
 ترد مضاعفة دون من *** دون انتظار يد ثانية
 وما كان عرفانه للصنيع لينس *** العانيه أمته يه ***
 فإن هب قوم يعینونها *** لإرجاع حرية غاليه
 فليس جزاوهم أن تؤل *** إلى من أغان على الطاغيه^(١)
 فما عتق العبد أن صار *** مدللة لکف عبداً حانيه

(١) ويواصل الشاعر قصيدته:

أمن عنده فرصة الانطلاق *** يفضل قياداً بلا داعيه؟
 هبوا أنها ضيعة ضخمة *** مساحتها مثل إفريقيه
 يشار لكم ملكها بالشيء *** سوع شريك بحصته الواهيه
 أنتهون في تلك أو تأمرو *** ن بغیر شريككم الدهايمه
 ستغدو مصالحكم طوعه *** وطوع مطامحه النابيه!
 فلسنا على أرضنا سادة *** إذا لم نك السلطة العاليه
 وقولتنا، في إطار الحدو *** د وخارجها القولة الماضيه
 ترى العبد في بيته سيداً *** وخارجه يدفع الساقيه!
 وليس انفرادك بالحق يعني *** انفصام عرى القربة الدانيه
 وليس الإخاء كوننا تبعاً *** وليس لنا في الورى ذاتيه!

 أبا خالد تلك بعض الشجو *** ن وجئت أبتك أشجانيه
 فليس يداوي جراح القلو *** ب سوي كفك البرة الآسيه

وإما تقاضى أخي أجره *** على نجدة ضد أعدائيه
 وقاسمي بعد خوض الوغى *** غائمها وهي أسلابيه
 فما كان للرحم ما قدمت *** يداه وما فضل إخوانيه؟!
 ولو كان منفناً من متأ *** ع لهانت به القسمة الراضيه
 ولكن حرية إن تشارك *** بها لم تعد أبداً ماهيه!
 وهل يشرك المرء في أهله *** وتبؤى الشراكة في غانيه!

والتي بأسالته في شعره الوجданى يعترف بعون مصر لبلاده وهو يحمل
 إليها إخاءً وقربى والعرى الوثيقة التي لا تنفص لكنه يفيض وجданه الرقيق
 بالحزن والأسى حين تجرح كرامة السودانيين وعزّة نفوسهم أو حين يرى سلط
 الاستعمار على وطنه الحبيب فيلجاً إلى عالمه الوجدانى الذي يتغنى بحبه البائس
 الحزين حيث ينظم أشعاره التي تصف الحبيب بالمتبعاد والقاسي وحبه كله ضياع
 وجوى كل ذلك يعبر عنه في قصidته (عواطف)^(١):

حبيبي، حبيب النفس، هلا تلطف؟ *** محبك ضافته المساء المخاوف
 فديتك يا مولاي قدر عواطفني *** وهل أنا يا مولاي إلا عواطف؟
 وإلا فإني ضائع مضمته الجوى *** ولني كبد حرى وقلب واجف
 تنازعني الأشجان عيشي ضلاله *** ومنها بقلبي كل ليله زاحف
 وكم في سواد الليل أبني من المنى *** وكم في سواد الليل قد سال جارف
 يطول وجومي حين ذكراك حيثما *** أكون ولني منها مريح وناسف
 وإن سمعت أذناي صوتك قادماً *** فؤادي قبل العين مني يشارف!
 وإنما التقينا بعد أيام فرقه *** أقام بقلبينا من البشر طائف
 وإنما اختلينا والحديث جرى بنا *** جهلت من الأشياء ما أنا عارف!
 ويفقدني حسي تناج محبب *** ومن بسمات التغر تلك الخواطف

(١) يوسف مصطفى التتى، ديوان التتى الصدى الأول السرائر، مرجع سابق، ص ٤٢-٤٣.

كأنى في تلك السويعة ميت *** ومن لي بموت مثل هذا يكانت^(١)

والتي يرى مدى إيهام عواطفه وغموضها ويصف جبه بأنه نوع غريب
حتى أن القصيدة نفسها بعنوان (الشعور المبهم)^(٢) التي يعبر عن عواطفه الحزينة
تجاه المحبوب وحنينه إلى مثل عليا، حيث يقول:

أبهمت في عواطفي وبعثتها *** مثل الدمى خرساء ليس تُبَيَّن
طوراً كأطياف المنام وتارة *** جهماء كالشك البهيم ترين
أو أنها صور الظلام تناثرت *** تبدو على متن الدجى وتُبَيَّن

أبهمت في عواطفي فجهلتها *** أو ليس يُلغى في حماك يقين؟
لا الشوق عندي مثل ما كابدته *** في السالفات ولا الحنين حنين
لا أنت في همي ولا أنا زاهد *** في ما تسارق من سناك عيون
وأظل أقطع بين حبك والقلبي *** ببداء فيها حيرة وظنون
ببداء كالسحر المقيد صبحها *** أبطي وما دام المساء الجون

ببداء كم عبثت بنا أشباحها *** وتقاذفتني صحوة وجنون

أبهمت في عواطفي فترحقت *** نفس عليها الجهل ليس يهون

(١) ويمضي الشاعر في قصيده:

وودتك لو تبقي لنفسي وحدها *** وليس لها فيك الشريك المناصف
حسدت يمين الله حتى أحبتني *** عليك بما حبي يدانيه واصف
إذا ظفر السمار منك ببسملة *** تثور بصدّ أنت فيه عواصف
لقيت من الخيرات والسعاد غامراً *** إذا دمت لي وحدي حبيباً تلاطف
كفاني من الأيام في عالم الهوى *** وفاؤك لي هذا تليد وطارف

(٢) يوسف مصطفى التني، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٣٥.

أله حب ولد ناشئ *** كالطفل يبعث ما يشاء ويمين
 أم أنه حب قوي عاصف *** في تيهه العقل الرصين سجين
 ويقول محمد النويهي: (وقد نستطيع نحن أن نجيب على سؤال الشاعر
 وحيرته، بأن شوقه وحنينه هذين ليسا إلى امرأة من دم ولحم وإن ظن هو ذلك
 وتوهمه، وإنما هما شوق وحنين إلى عالمه المثالي المبهم الذي يحتمي به من عالم
 الواقع بآلامه وظلمته وحرمانه^(١)).

والتي شاعر مثالي ومتسامي واتخذ لعالمه أمني ورؤى وأحلاماً يعيش في
 طيفها ويساعده هذا الأمل والتفاؤل في الانتصار على آلامه بهذا الأمل الرفيع وهو
 مشرئب إلى المستقبل نجد الشاعر يصور كل ذلك في قصيده (أمل الغد)^(٢):
 أمل الغد الزاهي بأي وسيلة *** أرقى إليك بعرشك المتسامي
 فللت كالأجرام تسبح مبعداً *** من لي بنيل مدارة الأجرام؟
 أترعن عيني بالضياء ولم تزل *** عيني تقلب في الضياء الطامي
 وغمرت نفسي بالجلال ولم تعد *** أبداً تفك في الفؤاد الظامي

أمل الغد الزاهي، بعدت فهأنا *** أبداً أعيش مع الغد المترامي
 يومي وأمسى لا أبالي ما هما *** ويهمني الآتي من الأيام
 استبطئ الأيام وهي طواهر *** فكأني مستبطئ لحمامي

أمل الغد الزاهي نسجت عوالم *** وتحذت لحمها من الأوهام
 وهتك أسداف الزمان بخاطري *** فوجدت أرواح الغد البسام
 وأصببت قربك في الأماني والرؤى *** فأنا أعيش اليوم في أحلامي
 أحيا مع الأطياف في أجوائها *** فأبيت منتصراً على آلامي

(١) محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٢) يوسف مصطفى النبي، ديوان النبي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٥١.

دنياي كم جادت على أبنائها *** بمرامهم وأبى بعض مرامي
ومن الحقائق حظهم وحطامهم *** ومن الصدى والآل كان حطامي
وبرغم ما كاد الزمان ففي غد *** سأفوز بالأمل البعيد السامي
ولسوف أتخذ الصعب مطية *** إن الصعب مطية المقدام
ويواصل التي شعره الوجданى ويتحدث عن الحبيب المبعد المتجمنى
الساخر الجافي وبعد هذا الحزن على الفراق لكنه يصفه بالبدر وهو ضحوك ذو
شباب وصباً ناعم كل ذلك في قصidته (الأشودة الحزينة) (١):

ذهب البشـر اللعوب وحـلـا *** الحـزـن الرهـيب
فأعذرونـي يا يـا صـاحـبـي لـم *** نـأـي عـنـي حـبـبـي

يُثبِّت	لا	ص ***	شخ	في الناعم	والصبا
الخلوب	البرق	سلخ ***	ينـ	عنـ مثـلـما	غـابـ
كروبـ	تدانـيـها	لا ***	كروبـ	نهـبـ	وـأـنـا
يـجيـبـ	لا	رـفـادـا ***	يسـأـلـ	ولـوـ القـلـبـ	يـطـمـعـ

(١) يوسف مصطفى النتى، ديوان التى الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٣٢-٣٣.

10

وَمَا زَالَ الشَّاعِرُ التِّيْ مَعَ حَبِيبِهِ الْمُتَجَنِّي الَّذِي تَرَكَهُ غَرِيبًاً وَهُوَ يَتَوَقَّ إِلَيْهِ وَلَا
يُسْتَطِعُ تَحْصِيلَهُ وَهُوَ يَسْعَى بِاجْتِهَادٍ هَذِهِ الْحَالَةُ الَّتِي يَعْكِسُهَا لَنَا فِي قَصِيدَتِهِ الْمُسْمَاءِ
(بَيْنَ السُّخْطِ وَالرَّضَا)^(۲) وَبِهَا بَعْضُ التَّجَلِيَاتِ الصَّوْفِيَّةِ كَحَالِ كَثِيرٍ مِنَ الْوَجَدَانِيِّينَ
الْمُتَقْلِبَةِ أَفْكَارُهُمْ وَظُنُونُهُمْ (قَلْقَ رُوحِيٍّ) فَيَقُولُ:

الضر	سوسي	تجلب	لم	***	الأرواح	عبادة	سُئمت
سري	وفي	علني	في	***	بالأشباح	أهيم	وعدت
العسر	واضح	حالاً	محلاً	***	الأعلى"	"المثل	الليس
عمرى	بـه	همت	إذا	***	عقلـي	فـاتـهـمـوا	إـذـا
الدرى	الـكـوـكـبـ		منـالـ	***	يـبغـيـ	الـذـىـ	أـتـهـمـ

(١) ويُكمل الشاعر قصيّدته بقوله:

وحبيب	لم	نزل	لي	***	في	تجنيه	خطوب
طار	للنور	وخلاتي	نور	***	على	النور	أذوب
ساكن	النجم	أمالي	نجم	***	في	النجم	وثوب؟
ساكن	النجم	أغثني	نجم	***	في	الأرض	غريب
وفؤادي	صن	فؤادي	نور	***	في	الركب	قريب
طار	للنور	وخلاتي	نور	***	على	النور	أذوب

أيها	المنكر	حزني	رأي	***	فأتك	الرأي	المصيب
ذاك	ترياق	فؤاد	عنه	***	كم	رأي	حبيب

(٢) يوسف مصطفى، ديوان النبي الصدي الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٩.

الضر	سوسي	تجلب	*** لم	الأشباح	عبادة	سُئمت
سري	في	عني	وفي	بالأرواح	أهيم	وَعْدَتْ
حر	الفتى	مني	*** مني	الأعلى"	"المثل	أليس
يسري	أحلامنا	في	الذهبي	طيفه	كفاني	كفاني
الأثر	على	*** أحسوه	الروحى	الظما		

* * *

فكري	يضلني	السابغ	*** كاد	عفوك	إلهي
كالكفر	السخط	الأعلى"	*** وهذا	"المثل	أَلْسَتْ

والتي يريد أن يكون في حالة دائمة من اللوعة والتحسر والأنين فكأنه يحب الألم حيث يجد فيه حلاوة ولذة ولا تكتمل سعادته إلا حينما يكون حزيناً مشجوناً، وهذه العاطفة التي عذبت الشاعر هل يمكن أن يتخلص منها أو يريد، لكننا نجده مرحباً بهذا العذاب، ويعبر عن لذته بالألم (حال نفسية) ولا يريد الفكاك منه وشاعرنا يفسر هذا الواقع في قصidته (أسير)^(١)، وهي من بحر الرمل، حيث يقول:

أيها الصائد لا شلت يداك *** أنت من أحكم لي هذي الشباك!
 أحكم القيد، فإني (طائر) *** هام - دنياه - بمنصب الشراك
 أحكم القيد، وهل قيدي سوى *** ما تجلى أو تخفي من سناك
 إنه نشوة روح هائم *** إنه السحر فدعني من رراك
 إن أندى نغم في خلدي *** هو إنذارك: هيئات الفكاك!

* * *

نازعتنى النفس فى أشواقها *** مثلاً نازعتنى أمس حلاك
 وحذا الحب فجئنا نلتقي *** في ربى الحب وما أسمى ربك
 عجاً، آخرنى يوم اللقاء *** أي سحر أي سر في لفاك؟

(١) يوسف مصطفى التتى، ديوان التتى الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٤٦-٤٧.

فأنا المدره في صحبى إذا *** أخرس القوم ذهول وارتباك
آه لو ردت بياني بسمة *** عذبة تفتر عنها شفتاك
وأعدنا من ليالينا التي *** أيمن الله سراها وسراك
ليلة الوصل، وقد أرخي الدجى *** ستراً حول هوانا وهواك^(١)
والنقي يريد أن يكون قلبه على الدوام حاراً بالحب فهو لا يحب السكوت
والفتور ويشبه حالة الحب التي تعترىء عندما نقل بحال الشعلة التي أخذمت ثم
أوقدت ثانية ففي قصيده (أرجي)^(٢)، وهي مشاعر ملتهبة بالحب، يصف حاله
فيقول:

أرجي شعلة الفؤاد وجوري *** فقد طال في الهدوء دثوري
طال عهدي بذا السكون وما تز *** هو حياتي بمثل هذا الفتور
فخذيني لعالم الحب والش *** عر خذيني إلى النعيم الأثير

أرجي أرجي فما ثم أذكي *** للهبي من باسمات التغور
من ثانيا يرف منها بريق *** كرجاء الخلاص عند الأسير

(١) ويواصل الشاعر في نفس القصيدة فيقول:

ليل لم تخش رقباً دانياً *** أو بعيداً يتقصى من خطاك
فسربنا من أفوايق الهوى *** سكر روحينا وما أحلى طلاق
أيها الماطل وعدى حردا *** أترى أجفوك من أجل جفاك؟
كيف أسلوك فاني طائر *** ما عرفت الخلد إلا في ذراك
(طائر) ميزته في سربه *** أنه يحيا لترجيع غناك
سرني أسرك إباي فما *** أحسد الطير وقد جاز السماك
ما الذي أطلب في الأفق فما *** وهج البدر بأشهى من ضياك
ما الذي أنسد في هام الربى *** أربع الحسن منشور هناك؟
إنه هنا لدينا قائم *** حدثت قلبي عنه وجنتاك
فلتدعني أمنع النفس به *** ثم بشبني بهيات الفاك

(٢) يوسف مصطفى النقي، ديوان النقي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٥٢-٥٣.

أو من النظرة الحبيبة تتصـ بـ انصباباً على خفايا الشعور

نـ حـنـ فـيـ خـلـوـةـ الـغـرـامـ وـمـاـ نـخـ
وـتـبـرـجـتـ كـالـرـبـيعـ عـلـىـ السـهـ
فـلـنـقـمـ دـوـلـةـ الشـبـابـ وـمـاـ مـثـلـ
وـاسـمـعـيـنـيـ صـدـىـ فـوـادـكـ أـسـمـعـكـ صـدـىـ حـائـرـ كـيـبـ كـسـيرـ
إـنـ لـلـعـمـرـ وـالـصـدـورـ حـقـوقـاـ وـعـلـيـنـاـ قـضـاؤـهـاـ لـلـصـدـورـ
نـحـنـ فـيـ خـلـوـةـ لـنـمـتـعـ نـفـسـيـنـاـ *ـ بـمـاـ هـيـأـ الـهـوـيـ مـنـ أـمـوـرـ^(١)
وـفـيـ طـلـبـ غـرـيـبـ لـلـتـيـ يـدـاعـبـ مـحـبـوـبـهـ وـيـدـعـوـهـ لـمـعـاـكـسـتـهـ وـيـطـالـبـ الـحـبـيـبـ
أـنـ يـصـدـ عـنـهـ وـيـعـبـسـ لـهـ وـيـدـعـوـ عـلـيـهـ كـمـاـ جـاءـ فـيـ قـصـيـدـتـهـ (ـعـبـوـسـ)^(٢):

اعـبـسـيـ لـيـ، فـفـيـ الـعـبـوـسـ اـبـتسـامـ ***ـ لـجـمـالـ مـنـوـعـ
وـاـدـفـعـيـنـيـ، فـفـيـ الـصـدـودـ اـقـتـرـابـ ***ـ مـنـ مـعـانـيـ جـمـالـكـ الـأـشـتـاتـ
أـبـهـ وـادـعـيـ عـلـيـّـ دـوـنـ حـنـانـ ***ـ فـدـعـاءـ عـلـيـّـ مـنـكـ يـوـاتـيـ

أـعـزـوـفـاـ عـنـ جـنـانـ لـأـنـيـ لـأـنـيـ لـأـنـيـ لـأـنـيـ دونـ تـقاـةـ؟ـ
أـغـنـاءـ عـنـ خـلـوـدـ أـكـيـداـ أـكـيـداـ أـكـيـداـ أـكـيـداـ مـمـاتـيـ؟ـ
أـعـافـ النـعـيمـ لـوـ يـتـبـدـيـ فـيـ لـبـوـسـ النـحـوـسـ وـالـحـسـرـاتـ

قدـ عـهـدـ الـجـمـالـ أـنـذـ سـحـراـ ***ـ وـهـوـ سـرـ عـنـهـ الشـفـوفـ تـشـفـ

(١) ويختتم التي قصيده:

أـتـمـالـكـ مـاـ أـشـاءـ وـقـلـبـيـ ***ـ مـنـكـ كـالـرـوـضـ آـهـلـ بـالـزـهـورـ
ثـمـ لـاـ أـكـتـفـيـ وـمـاـ أـنـتـ حـظـيـ ***ـ أـنـتـ حـظـ لـآـخـرـ مـهـجـورـ
فـبـوـدـيـ لـوـ أـحـتـويـكـ بـصـدـريـ ***ـ حـيـثـ لـاـ تـجـتـلـيـكـ عـيـنـ بـصـيرـ
وـبـوـدـيـ وـالـلـهـ مـاـ لـسـتـ أـدـرـيـ ***ـ رـحـمـ اللـهـ كـلـ صـبـ غـيـورـ

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٦.

شوق الناس للبدر غياب *** وغمام على الضياء يرف
 والورود الورود مطعم نفسي *** وهي بالشانك الأثير تحف
 مرحباً بالعبوس فهو ضياء *** قد جلا لي محاسن القسمات
 مرحباً بالدعا تشابه فيه *** آنة العود رنة الكلمات
 أنا أعطى لكي أنا كثيراً *** وأصفي من الأسى فرحتي

فاعبسي لي، ففي العbos ابتسام *** لجمال منوع
 وادفعيني، ففي الصدود اقتراب *** من معاني جمالك
 أبه وادعي على دون حنان *** فداء على منك يوati
 والشاعر يوسف مصطفى التي بنفسه الوجданية يخرج لنا أنسودة حزينة
 يظهر فيها اليأس الذي يحس به في مفردات تعبّر عن تلك الحال مثل الظلمة،
 والوله، النأي، الشر، اليأس، الخيبة، كل ذلك نجده في قصidته (انتصار
 الشباب)^(١)، وهو في ذلك يعبر عن حزنه ويأسه، وهي قصيدة من بحر المديد:
 يا ملاكي الحبيب كبني اللي *** ل ولا زلت قابعاً في إساره
 فمتى يسعد الزمان بصبح *** يتلاشى الظلام في أنواره؟

ظلمة بعد ظلمة تتغشى *** وإنها نهباها فمن ينجيني؟
 وأشد الظلم ما قام في النف *** س وأنهى على ضياء اليقين

قلبي والله الذي راقص النو *** ر شعاعاً على عيون النجوم
 أصبح اليوم يا حبيب أبادي *** ل تراها على نيوب الوجوم

أنت ناء فمن يكون نصيري *** يا حبيب على البلايا المغيره؟

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٢٣-٢٤.

فكثير يا متعة النفس والعيـ *** من مشتاق ثم اشتياق وغيره
 رقص الشر يا حبيبي لما *** أبصر الشر حالي المنكوده
 وازدهى اليأس ما يشاء ونادى من قرار الجحيم نادى جنوده

ومضت خيبة الرجاء لتدعو *** من كهوف الغنا السحيق الخرابا
 فاستوت نفسي الكبيرة غضبي *** يلهم الغيط جنبها إلهابا^(١)
 والأفكار الفلسفية عند يوسف مصطفى التي نجدها في قصidته (صلة
 الفيلسوف)^(٢)، ومن المعروف أن كلمة فيلسوف أصلها يونانية ومعناها محب
 الحكمة حيث يقول عن أفكاره الفلسفية ما يلي:

كيف أشفي بالله منك غليلي *** فاض حبي وحار فيك دليلي!
 حكمة أنت ما ترشفت منها *** رشفة لم تزد جموح ميولي
 أو تمليت من سناك جديدا *** لم يحبب في المبهم المجهول
 فتراني وإن غنمتك جزيلا *** منك لا اكتفي ولو بجزيل
 وتراني أرى خطير ولوعي *** بك يا آسري أقل قليل
 أو تعمقت في هواك بعيدا *** خلت مثواي في الهوى بضليل
 إنما أنت منتهى تفكيري *** ومدار السهوم والتخييل

(١) ويمضي التي في القصيدة بقوله:

نفسى الحرقة الأبية ثارت ***
 ها هي استعادت الشباب فلبا

فمنيت يا حبيبي لو كنت ***
 دحر اليأس والخنوع تولى

فأنا أرجيك من غير يأس *** لا أبالى بما الهوى أو صعابه
 أي شيء يهاب قلب فتي *** تخذ اليوم درعه من شبابه؟

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٥.

وعزائي إذا نشدت عزاء *** وهنائي وفرحتي وشمولي
وحبيبي الذي يهذب نفسي *** وإلى الله والسماء دليلي

أنا أهواك لأجل ذاتك عفا *** عن حرام وراء ذاك ذليل
وأضحي لأجل ذاتك روفي *** وأنا غير طامع ببديل
إن موتاً لأجل ذاتك خل *** أوراء الخلد من مأمول؟!
وفي قصيده (الإنسانية)^(١)، وهي من بحر الكامل، نرى التي يجعل الحب
سبيلاً إلى تطهير النفس من أدران الواقع ووسيلة للسعادة الحقيقة وأظنه كما
نلاحظ في سياق القصيدة بأن الإنسانية لها معنى ثان عند الشعراء ويدخلها هنا
كلقب على محبوبه الذي يصفه بالرقة المفرطة والإنسانية حيث يقول:

وافي الرجاء اليوم إنسانيتي *** فاكم نشدتك في الحياة بلهفة
لك في الفؤاد رحاب أمن فأمني *** ما مهجة ظمائي إليك كمهجتي
كل العفاء على الجهاد، فما أرى *** من بعد عطفك في الورى من غاية
ومتى استطعت عبادة وتفانيا *** أديت في هذا الوجود رسالتني
ما غير الإنسانية السمحاء من *** شيء أحق بذلك وضراعتي
أو غير هذى الأعين الغيداء من *** عين أحق بخاطري وبراعتي
نشرت على بحر الحياة أشعة *** فتبدلت بك في الحياة وجنتي
وتبدل اليأس المقيد خاطري *** ونشرت آفاق الصواب لنظرتي
سحر لعينك ما عهدت نظيره *** أبداً بغير بريق هذى البسمة
كم ظهرت قلباً سوي قلبي من الـ *** حقد الدفين ومن بذور القسوة
وتشربت روحى الضياء بما أرى *** هذى الحياة سوي هوى ومسرة
أحنوا على المحروم في الدنيا ولا *** بخل عليه برحمتي ومودتي
فإذا عثرت بدوحة قد جردت *** فبدموعي أشفى غليل الدوحة

(١) يوسف مصطفى التني، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٢١-٢٢.

وإذا الحمام بكى وحن للفه *** آسيته بقصادي وبأنتي
 وإذا الشباب قضى قبيل أوانه *** أفيت في باكي الرثاء براعتي^(١)
 والتنبي في قصيده (تسبيح الجمال)^(٢) التي يصف فيها جمال محبوبته الذي
 هو نعمة من الله سبحانه وتعالى بأن هذا الجمال يبعث في النفس السرور وبأنها
 هيفاء وفرعاء كالغزاله ورشاقة الحمام و بأن هذا الجمال هو جمال للوجود الذي
 يبهج الحياة وهو جمال أصيل وليس مصنوعاً، ويقول:

إن هذا المساء جد سعيد *** كل ما فيه كان بيت قصيد
 من صنوف الجمال تبعث في النفس *** جمالاً ونفحة من خلود
 يسرح القلب في مسارحه الغناء *** ما بين طارف وتليد
 بين هيفاء كالملاك إذا طا *** فكس الأرض حلقة من سعود
 بين فرعاء كالغزاله جيداً *** وعيوناً في سحرها المنشود
 وصغر مثل الحمام يسبحن *** ببحر من الرضى الممدوذ
 طافرات مثل الظباء أو الأملاك *** حول (الرسول) يوم الولود

(١) وختمها بقوله:

ذخري لأهل الجور فتكه أروع *** ودمار سلطان ووقدة ثورة
 وإذا عطفت فإن ذلك مثما *** أحنو على أعمى يسير لحفرة
 ولعي بأيام الربيع لأنها *** أيام أحياء ومصدر نشوة
 للزهر للأطياف في بناتها *** للأس للامال، بل للرغبة
 تيهى بحسنك أنه المثل الذي *** ترسم الدنيا بكل جميلة
 يحدو إلى باب السماء غرامه *** ويزين القلب الجبان بجرأة
 يوحى إلى الفنان ما يضفي به *** معنى الخلود على الجمال الميت
 هو غدر من عبده في الماضي وهل *** رب يماز بغیر تلك القدرة؟

ما أقدر الحسن الفريد إذا ارتدى *** ثوب الشباب ولم يهن بخطيئة!
 ما أشبه الحسن الفريد - مطهراً *** أرواح من زلوا - بالإنسانية!

(٢) يوسف مصطفى التنبى، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٤٩ - ٥٠.

تجلى رشاقة الحسن لما يتراشقن بيننا بالورود ***

بارعي الله في صفوف العذارى *** ذات كالدان الأملود
مطعم العين والجوانح والحس *** ورمز النهوض والتجديد
فاح نشر (الورود) لما تجلت *** تتهادى في ناصعات البرود
وتولى الجميع ميل شرود *** نحو حسن تعطوه له كل جيد
ذي اعتداد بعزة وجلال *** قد جثا عنده رشاد الرشيد
وملاك يتلو عليهم كتاباً *** كان في متنه شفاء الكميد
قيل: قد سبحت إله النصارى *** قلت: سبحت باسمها في قصيدي
إله الحسن ليس يعرف ديناً *** أو لساناً أو غيرها من قيود
 فهو حسن يلين كل عنيد *** وهو حسن يسبى بكل صعيد^(١)
وفي قصيده (حب وسلام)^(٢) حيث يغير في نظام القصيدة، التي يمجده فيها
الحب رمزاً للجمال، وبها كثير من المعانى الجميلة النبيلة وهي قصيدة وجداوية

(١) ويكللها بقوله:

ليلة الحسن سوف تبقى بنفسى *** وللليالي مصيرها للمبيد
فلقد فضت بالحياة وأوفيت *** فتونا على مقام التنديد
قد تسالت للكوامن من نفسى *** وشعرى عليك بعض شهودي
إبه يا ليلة الصباية والأنس *** ويا ليلة المسرات عودي
 وأنعشى بالحياة عنصرها — *** أسمى وجودي لنا بسعد جديد
أنعشى الحب في النفوس جمياً *** ذكرى الناس بالهوى والعهود
أنا أهوى الجمال والحب مادا *** ما وسيطاً يُرى جمال الوجود
يسكر الصب بالحياة كمالاً *** صياغة الله رحمة للعبد
لا قشوراً رتبة وعقيماً *** كالمي صاغها خيال البليد
يهب النفس ألف عين مداها *** فوق حكم المدى وحكم الحدود

(٢) يوسف مصطفى التني، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٣٥-١٣٧.

فهو يمجد فيها الحب الذي يعتبره رمز الجمال في الكون ويزيل البغضاء والشر بين البشر وينصر الضعيف أمام جبروت القوي حيث يقول النبي:

على شرك الباسم المستثير
تحوم كالطير بيض الأماني
ومن قلبي الجاحد
على صدرك الناهد
تنام عديدات أحلام حبي
فهل حفلت بأمانى الهوى شفتاك الرفيقة؟
ونهداك هل مدتـا لأحلام قلبـي المهدـا الرقيقة؟

* * * * *

وفي مقلة كعيون المها
بها يرقد الليل بصدر النهار
بها فيض خمر
وينبوع سحر
وما لست أدرى !
رأى فؤادي رأى العيان
بها طافياً كحباب الدنان
يا ليت شعري هل درى الطرف الجميل
لما رنا أن الفؤاد به يجول
آخرى بعينك أن ترى ما في عيوني من ذهول
يهفو الفؤاد إليك موصول الحنين
أحلام يقظته لفاك
ورؤاه ما عرضت لخاطره سواك
دقاته التسبيح باسمك في القيام وفي القعود
أو ما سمعت لها صدى ؟
أم كان قلبك موصداً !

يا ليتني أدرى لعلى أستريح
 بالسعادة في جنات ودى
 أو بالموت من العذاب بنار صدك
 ليضيق هذا الكون عن فرحي بما الحب الجديد
 أو في الحنایا اللاحبات أعد قبراً للوليد
 ما ذاك في قلبي الوحد من جروح^(١).

والشاعر يوسف مصطفى التني يسمو بحبه ويعتبره إسعاداً لشخصه وأن
 الحياة تزداد رونقاً وبهاءً به، وأنه صادق في حبه وهو حب عذري للمحوب مقام
 سام ولكنه يصف محبوبته بجمالها وأنه يحترمها وأن الحب يبعث فيه روح
 الشجاعة والبطولة ويعتبر الحب عزاءً لنفسه وأنه لا يأبه كثيراً بالمحب والأحن
 طالما أنه عاشق فإنه ناعم البال كل ذلك يجسد لينا الشاعر في قصيده (فكرة في
 الحب)^(٢)، وهي من بحر البسيط، حيث يقول:

إن كنت تطلب مني صحة الحال *** فبغية النفس ذاك العاطل الحالي
 ذاك الملك الذي بالأمس قد شخصت *** له العيون بياكلار وإجلال

(١) وبوائلها بقوله:

لا لن يموت ولن يموت
 ولسوف يحيا ما حبيت
 كي أشرب الحب ملايين القلوب
 وبه أذيب من الفوارق كل صلب لا يذوب
 لا تجفل البيضاء من حب يضج به فؤاد الأسود
 أو تستحيل كرامة الضعفاء نهباً للقوى الأيد
 بادليني الحب كي تبني معي
 عالماً في أضلعي
 كل ما فيه وئام وهيات
 نبع حب يستقرّي منه الأيام
 فإذا العيش وداد وإخاء وسلم

(٢) يوسف مصطفى التني، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٧.

أو كنت تحسب أني قد سلوت هوی *** ذاك الحبيب فإتي لست بالسال
إني لأرجو لامال شقيت بها *** نجحا يخدني أجیال أجیال
ولست أجهل أن الحب يلهمنا *** حقا ويبعث فينا روح أبطال
إن الحبيب عزاء النفس لو فشلت *** فلن تلين لخفاق وإفشل
يحدو المحب إلى العلياء فاتهه *** فكيف ينجح في الدنيا فتى خالي؟
إذا أصبت رضى حبي فإن نزلت *** بي الخطوب، تجدني ناعم البال
وأي خطب تحس النفس صدمته *** والنفس تمرح في ظل الرضى الوالى؟!
غداً سيدفعني حبي بنشوته *** غداً سينصرني حبي وأعمالي
وفي ثلاثة أبيات رائعات يدعو التي للحفاظ على العرض والتمسك بالقيم
الفاصلة وإتباع الشريعة الإسلامية في التعامل بين الرجل والمرأة حتى تستقيم
الحياة وتصبح العروض مصانة؛ ولكن ملاحظة الباحث على الأبيات الثلاث هي
كل القصيدة المسماة (عرضك)^(١) أن التي لم يستثنى أحداً من الناس في الائتمان
فكل الناس عنده ذئاب وهذا الوصف مبالغ فيه، فيقول:

ما على العرض	ائتمان *** فاحذر	الناس
جميعاً		
أعرف الإنسان	ذئباً *** وأعرف	الشهوة
جوعاً		
لو بعض الذئب	جوع *** فتك	الذئب
ذريعاً		

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٨.

المبحث الثاني الطبيعة والأسى والملوعة

وفي بيته رأى عينَيْهِ أَيْضًا يَتَحَدَّثُ فِيهِما النَّتِيَّةُ عَنِ الْأَطْلَالِ الَّتِي يَهْبِيْهَا السُّكُونُ وَالجُمُودُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي حَرْكَةٍ وَنَشَاطٍ بِسَاكِنِيهَا فَهِيَ قَدْ أَصْبَحَتْ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنِهِ، وَيَرِيْدُ الْبَاحِثُ أَنْ يُمْكِنَ أَنْ تَكُونَ الْأَطْلَالُ عِنْدَ الشَّاعِرِ هِيَ الْذَّكْرِيَّاتُ فَكَمَا الْأَطْلَالُ يَحْسُسُ صَاحِبُهَا عِنْدَ رَؤْيَتِهَا بِالْوَحْشَةِ فَكَذَلِكَ الذَّكْرِيَّاتُ وَالْمَاضِيُّ لِلنَّاسِ فَإِنَّهُ يَحْسُسُ بِالْأَلَمِ عِنْدَ الرَّجُوعِ إِلَى الْمَاضِيِّ لِلْأَشْيَاءِ الْعَزِيزَةِ الَّتِي فَقَدَهَا، وَيَقُولُ الَّتِي فِي مَقْطُوْعَتِهِ ذَاتُ الْبَيْتَيْنِ مِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ (الْأَطْلَالِ) ^(١):

مَالِيْ ولِلْأَطْلَالِ إِنْ سَكُونُهَا *** يَوْحِي لِنَفْسِي وَحْشَةً وَسَكُونًا
بِالْأَمْسِ كَانَتْ لِلْسَّرُورِ فَأَصْبَحَتْ *** لِلَّهِمَ الْأَلَمُ الْمُمْضِ وَكُونًا
الصَّدَاقَةُ تَسْعُدُ الْإِنْسَانَ فِي حَيَاتِهِ وَالشَّاعِرُ النَّتِيَّةُ يَصِفُ صَدِيقَهُ بِأَنَّهُ سَعَادَةً
لِقَلْبِهِ حِينَ يَشْقَى وَيَكْتُبُ فِيهَا الصَّدِيقُ يَجِدُهُ سَاعَةً الْضَّيقِ وَالْكَرْبِ وَكُلَّ مَا يَتَعَرَّضُ
لَهُ مِنْ مَحْنٍ وَإِنْ فَهُوَ يُشارِكُهُ السَّرَّاءَ وَالضَّرَاءَ كُلُّ هَذَا الْوَصْفُ فِي قَصِيدَتِهِ (إِلَى)
صَدِيقِ ^(٢) الَّتِي جَاءَ فِيهَا:

عَهْدَتِكَ سَلْوَةَ الْقَلْبِ الْكَئِيبِ *** حَمِيمِيَّ فِي الرِّزَايَا وَالْكَرُوبِ
تَعْلُلَ إِنْ تَحْطَمَ الْأَمَانِيَّ *** وَتَعْطُفُ عَطْفَ أَمْ لَا قَرِيبَ
إِذَا اسْتَاءَ تَقْلُقَ لَاسْتِيائِيَّ *** وَتَسْأَلُ: مَا دَهَانِي؟ مَا الَّذِي بِي؟
وَتَحْنُو كَيْ تَبَدِّدَ مَا بِنَفْسِي *** كَمَا يَحْنُو الْحَبِيبُ عَلَى الْحَبِيبِ
فَهُلْ يَجِدِي وَقْدَ حَانَ التَّنَائِي *** بِكَائِي الْمَرِّ هَلْ يَجِدِي نَحِيبِي؟
سَأْلَبِي بِاَشْتِيَاقِ وَاغْتِرَابِ *** وَمَا أَدْرَاكَ مَا شَوْقُ الْغَرِيبِ!
لِلْطَّبِيعَةِ سَحْرُ وَجْمَالُ وَبَهَاءُ وَمَدِينَةُ (جَبِيت) بِشَرْقِ السُّودَانِ تَسْرُ النَّاظِرِينَ
وَشَاعِرُنَا يُوسُفُ مُصْطَفَى النَّتِيَّةُ فِي وَصْفِ مَعْبَرِ عَنِ الطَّبِيعَةِ فِي (جَبِيت) حِيثُ

(١) يُوسُفُ مُصْطَفَى النَّتِيَّةُ، دِيوَانُ النَّتِيَّةِ الصَّدِيقِ الْأَوَّلِ وَالسَّرَّائِرِ، مَرْجَعُ سَابِقٍ، ص ١٨.

(٢) المَرْجَعُ السَّابِقُ، ص ٥٣.

الأشجار والأطيار والجو الخالب ففي قصيده (الطبيعة تصحو)^(١)، وهي من مجزوء بحر الكامل، حيث يبدع التي في تصوير (جبيت) ورسمها بالكلمات يقول:

صحت الطبيعة فانتبه *** ما بال عينك ناعسة
هذي "جبيت" وقد بدت *** في فتنة متاجنة
فهنا الأراك وعنه *** قصص الغرام الدراسة
وهناك المغما *** على الرواسي جائسة
وخط الضباب منها *** فباتت عابسة
كالمقلة الوطفاء بالدموع *** الحبس
وطلائع الفجر تسابقت *** الجميل
جفت الطيور وكورها *** وغضونها المتمايسة
صحت الطبيعة فانتبه *** ما بال عينك ناعسة

وقد كانت القصيدة ضمن مقرر اللغة العربية في التعلم العام.

وشعر التي الوجданى طرق كل الاتجاهات وفي قصيده (نداء الجبل)^(٢) التي نظمها لتكون نشيداً قومياً وقد روعي في نظمها أن تناسب كل فئات المجتمع وفيها يحي الشاعر إلى رفع الروح الوطنية لتمجيد الوطن على مر الزمان وأن يكون كل شخص فداء لوطنه السودان وأن نداء الوطن واجب على الكل وأن الإنسان إلى زوال فينبغي عليه أن يدافع عن وطنه بالمهج والأرواح، ويدعو الشاعر إلى الاتحاد بين أبناء الوطن في الاتحاد قوة والاختلاف تفرق ونحن أمة واحدة وكل ما اتفقنا سوف نبني وطننا وأن نكون متمسken بعقيدتنا الإسلامية التي لا تعرف بين الناس، وأن يتمتع كل شخص بحقوقه وأن نكون مخلصين في عملنا، ويحي الشاعر الشباب وهم أمل الأمة فيدعوهم للدفاع عن وطنهم من المتربصين به وأن يكون سلاحهم الكفاح بالعلم والإنتاج والجهاد.

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٦١.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠-٣١.

وقد كانت هذه القصيدة ضمن مقررات الأدب في التعليم العام ويفصل الشاعر كل ذلك في قصيده التي يرى الباحث أنها تخاطب كل الأجيال المتعاقبة، وهي نشيد وطني، فيقول:

الجيل	نداء	هذا	للوطن	المجد
دليل	العلا	إلى	الزمن	يبقى
للوطن	المجد	***	للوطن	المجد

بالفداء		نبنيه	للوطن	المجد
النداء	أغفل	من	فتى	لا
للوطن	وال景德	والندا	للفاء	فداك
		***		***
البعيدة	آمالنا	***	بالاتلاف	ندي
في	الجنس	***	الخلاف	لا
للوطن	وال景德	***	للإله	فالدين

والقطيعة	الحب	***	صالح	في
الوضيعة	وال المادة	***	الأفراد	لا في
للوطن	وال景德	***	العفاء	الهوى على

الأمل	موضع	يا	شباب	حييت
بالعمل	فاحموها	***	الغاب	أنتم
للوطن	وال景德	***	المهاب	وابنوا

والفنون	بالعلم	***	بالكافح	احموها
المغيوبون	والعامل	***	ال فلاج	وأنقذوا

فنحن

للحجـاد * * * والمـجد

لـلـوطـن

وفي قصيـته (الـصفـحة الـبـاقـية)^(١) وهي من بـحـرـ الـكـاملـ، يـجـتـرـ الشـاعـرـ
يـوسـفـ مـصـطـفـىـ التـنـيـ الذـكـرـيـاتـ المـاضـيـةـ التـيـ عـاـشـهاـ مـعـ مـنـ يـحـبـ وـيـذـكـرـ أـنـهـ لـأـ
يـنسـىـ تـلـكـ الـأـيـامـ التـيـ قـضـاـهـاـ وـهـوـ لـاـ يـنـسـاـهـاـ وـفـيـ وـصـفـ بـدـيـعـ لـمـحـبـوـتـهـ مـشـبـهـاـ
لـونـهـاـ بـلـوـنـ الـذـهـبـ وـنـغـمـاتـهاـ كـالـأـوتـارـ فـهـوـ يـقـولـ:

زـعـمـواـ بـأـنـيـ مـاـ وـفـيـتـ لـعـهـدـهـاـ * * * لـمـاـ خـلـتـ مـنـ ذـكـراـهـاـ أـشـعـارـيـ
ظـلـمـواـ وـهـلـ أـنـسـىـ التـيـ فـيـ حـبـهـاـ * * * قـدـ خـانـيـ كـبـرـيـ وـخـفـ وـقـارـيـ
وـأـجـبـتـ دـاعـيـ حـبـهـاـ لـمـاـ دـعـاـ * * * فـأـثـمـتـ فـيـ حـقـ النـهـيـ وـشـعـارـيـ
ذـهـبـيـةـ الـأـوـصـافـ فـيـ وـجـنـاتـهـاـ * * * وـهـجـ يـضـاحـكـ صـفـحةـ الـدـيـنـارـ
وـتـرـيـةـ الـنـغـمـاتـ فـيـ غـنـاتـهـاـ * * * رـجـعـ حـكـتـهـ نـوـاطـقـ الـأـوتـارـ
خـمـرـيـةـ الـأـلـفـاظـ فـيـ كـلـمـاتـهـاـ * * * طـربـ الـقـلـوبـ وـنـشـوـةـ السـمـارـ
هـيـ صـفـحةـ فـيـ الـعـمـرـ لـاـ تـمـحـيـ يـمـحـيـ الـذـيـ رـقـمـتـ يـدـ الـأـقـدارـ؟ـ

* * *

إـنـ الـذـينـ تـقـواـ فـيـ عـذـلـهـمـ * * * جـهـلـواـ الـذـيـ أـطـوـيـهـ مـنـ أـعـذـارـ
الـحـبـ وـالـقـدـرـ الـمـسـيرـ وـالـصـباـ * * * ثـارـتـ عـلـىـ حـزمـيـ فـكـانـ عـثـارـيـ
وـبـرـغـمـ مـاـ عـذـلـواـ فـإـنـ لـذـكـراـهـاـ * * * أـرـجـأـ كـنـشـرـ الرـوـضـةـ الـمعـطـارـ!
وـعـنـ الزـهـورـ وـالـوـرـودـ وـالـفـلـ وـرـائـةـ الـطـيـبـ وـالـشـذـىـ الـفـواـحـ وـالـإـحسـاسـ
الـطـيـبـ بـالـمـنـاظـرـ الـخـلـابـ يـقـولـ يـوسـفـ مـصـطـفـىـ التـنـيـ فـيـ قـصـيـتـهـ (الـفـلـةـ الـأـوـلـيـ)^(٢):

ذـيـ أـوـلـ الـإـنـتـاجـ * * * وـأـفـضـلـ الـخـرـاجـ

مـنـعـشـةـ الـمـهـتـاجـ * * * بـمـكـسـرـ الـعـبـيرـ

* * *

تـرـوـيـ فـؤـادـ الـظـامـيـ * * * إـلـىـ الـجـمـالـ السـامـيـ

يـاـ مـصـدرـ الـإـلـهـامـ * * * لـلـشـعـرـ وـالـتـصـوـيرـ

(١) يـوسـفـ مـصـطـفـىـ التـنـيـ، دـيـوـانـ التـنـيـ الصـدـىـ الـأـوـلـ وـالـسـرـائـرـ، مـرـجـعـ سـابـقـ، صـ5ـ4ـ.

(٢) المـرـجـعـ السـابـقـ، صـ6ـ2ـ.

 شذاك للعليل كنفحة ***
 من فاتن جميل *** لعاشق
 التقبيل أسير يا راحة الضمير

إن أقسى ما يواجهه الإنسان هي غربته عن وطنه الذي ولد وترعرع فيه ولكن الإنسان في كده في هذه الحياة الدنيا قد تدعوه الظروف في الهجرة خارج بلاده للعمل أو الدراسة أو أي أسباب أخرى، ولكن الغربة تختلف من بلد لآخر فحينما يسافر الشخص إلى بلد عربي أو إسلامي فقد تتشابه كثير من العادات والتقاليد لأن هناك روابط مشتركة وخاصة رابطة العقيدة واللغة والمصير والوجودان ففي هذه يكون الإنسان قد انتقل من وطنه الأول إلى وطنه الثاني ولكن تكون الغربة قاسية عندما ينتقل الإنسان من وطنه العربي إلى بلد غير عربي وغير إسلامي كما هو حال شاعرنا يوسف مصطفى التني الذي يصف لنا الغربة في بريطانيا، ويضع مقارنة بينها والسودان وذكر بعض الأماكن فيه التي يحنون إليها وحاله في الغربة ففي قصidته (*غريب في بريطانيا*)^(١)، وهي من بحر الرمل، يتحدث عن شوقه لوطنه وناقلاً بعض المشاهد والأمكنة فهو يقول:

هل رأى العالم أولى من غريب *** برحيم العطف من أهل القلوب?
 نازح الدار الذي أعزه *** من يشارك في سرور أو نحيب
 لا يرى في صبحه مستبشرًا *** أو يرى في ليله غير كئيب
 شبح يسعى وطارت روحه *** تلثم الترب بواديه الخصيب
 ودع الأهل وما ودعهم *** عجبًا لنازح النائي القريب
 كلما أبصر ظلامًا أو سنى *** عاد بالخاطر للوطن الحبيب
 إن رأت عيناه رملاً خاله *** جانب "العمور" يدنو من قريب
 والتفاف الدوح أيان رأى *** مشهد من بعض غابات الجنوب
 والرواسي حيثما تبدو له *** صور أخرى (سرغام) المهيوب

(١) يوسف مصطفى التني، ديوان التني الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٢٧-١٢٨.

رنقت وحدته في عينه *** بهجة الأيام والعيش الرطيب
فإذا ارتاد المغاني طالباً *** عنها بعض عزاء لطروب
زادت البلوى بما قد خالها *** براء من يشكو حنيناً بالجنوب^(١).

وفي قصيده (ذكرى وحنين)^(٢)، وهي من بحر المجثث، يتحدث الشاعر يوسف مصطفى التبي عن أيام الصفاء وذكرياته وأنه بذلك يجد غراماً وعهداً سعيداً لتلك الأيام الزاهيات فيقول:

جدت عهد	غرامي *** لما	مثبت	أمامي	في
جدت عهداً	كالثريا *** وقامة	كالحسام	أشدو	طلعة
أيام	هديل *** معي	الحمام	ويشدو	الأيام
وأنت	كائزه *** في	الأكمام	وتزهو	مضى مع
من لي	في *** ووقدة	عظيمي	سعداً	عهداً
فما	فؤادي *** يحييا	غرام	جددت	عهداً

ويواصل التي حديثه عن تلك الليالي فيقول:

(١) ويمضي الشاعر فيقول:

ذكرته أمسيات سلفت *** عند شط النيل من بعد المغيب
ردد العود بها لحن الهوى *** من فم الشادي وصوت العندليب
يا ذكرى أزعجت أحلامه *** وبها استشعر وحشات الغريب
وحشة لم تمح من آثارها *** زحمة الساعين في كل الدروب
إنه ينكر من أحوالهم *** عجمة اللفظ وتقديس الصليب
وخلافاً غير ما يعهد *** وجموداً بارداً جد عجيب
مثلاً قد أنكروا من لونه *** سمرة كالخال في خد حبيب
ضاق بالدنيا وضاقت عنده *** رقعة العالم والكون الرحيب
لم تفده صور أبدعها *** هرباً من واقع الحال الرهيب
فارحموا غربته عودوا به *** قد كفاه ما يلاقى من لغوب

(٢) يوسف مصطفى التبي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٣٦-٣٧.

فطمت من كل فن *** قبيل وقت
 أخرجت من دار عزّي *** إخراج ذي الأجرام
 وما ذهبت عندي زمامي
 هي الليالي كأدتها
 ويشتاق الشاعر لتلك الأيام ويتنى عودتها حيث الطبيعة بنيلها وشواطئها
 فيقول:

متى أعود إليها *** مسارح الأرام?
 حيث الطبيعة وانسجام تبدو في رقة
 حيث الشواطئ تزهو بكل فن سامي
 ترى الشوادي عليها خطارة الأنغام
 كأنما هي حور تسترت بالظلم
 أو الملائكة جاءت تروي نشيد السلام

ويرجو أن يلتقي بمن يحبه في أي مكان سواء كان كوهاً أو طريقاً أو أي
 وسيلة أخرى فيقول:

متى أروي فؤادي *** من السنى البسام
 بلقاك في كل فج *** في الكوخ في الآطام
 وفي حنايا الحواري *** وفوق كل "ترام"

ويختتم الشاعر قصidته بأن العودة واللقاء تعود إليه بشبابه وبشعره فيقول^(١):
 وفي رقة ووجد وسوق كتب الشاعر يوسف مصطفى التي قصidته
 (ظماء)^(٢) التي تدل على الشوق الشديد وبعد الوصال بينه ومن يحبه وأن الذي

(١)

إن عدت عاد شبابي *** منضر الأيام
 وعاد شعري مثيرا *** كأنه خمر جام
 لو توج الشعر يوما *** لكان ملك الكلام

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٤١.

يحس به قد هد أركانه وأن هذا الحبيب يتوجّل حتّى في زيارته وأن الشاعر يسهر
الليالي شوقاً ووصف قلبه بالظامي وأنه يحتاج إلى التلاقي الذي بمثابة الرّي
فيفقول:

شاقه	زهر	القرنفل	* * *	يأسى	فمضى	ويحف	*
تارة	بيكي	على	الما	* * *	ضي	وطوراً	يتغزل
سادر	ألهي	عما	عما	* * *	هـ	أركاني	وزلزل
ظما	أرمض	قلبي	* * *	فبماذا	ـ	ـ	أتعل؟
أبوصل	لا	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
وإذا	أسأله	المكت	* * *	ـ	ـ	ـ	ـ
وادعي	ليس	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
قال:	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
سهر	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
ومضى	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ

فُذَا حَظْكَ رِي وَهُوَ مِنْهُ الرَّى أَمْتَلْ **قَلْبِي الظَّامِنُ لَا تَيِّنْ** *** * * أَسْ تَمَهُلْ وَتَجْمَلْ**

وفي أسى وحزن يصف يوسف مصطفى التي ما حلّ بحبيبه التي غيرها
الزمان وأصبحت أثراً بعد عين في قصيدة بعنوان (الطلل)^(١)، وهي من بحر
الكامل، حيث لم يعد الوجه متھلاً وغابت الطراوة وأن الشاعر يقاسمها هذا الذي
حلّ بها ولكنه يطمئنها بالماضي المجيد فكم أسرت القلوب وزينت الليالي حسناً
وقيلت فيك الأشعار فيقول:

ما بال وجهك ليس بالمتهل
أذكرت أيام الشباب بالهوى
أذكرت أيام الطراوة والصبا
أذكرت أيام تسرخ بالهوى
أني أقسامك المصيبة والأسى
وأعد صدري للنصيب الأثقل

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٤٤.

أصبحت كالطلل القديم جلاله *** في أنه ذكرى جلال أول
أثراً على عين فيا لهفي على *** عين تلاشى في الزمان المنحل
يكفيك ماضيك المجيد فإنه *** يغريك عن مجد الزمان المقبل
فلكم خلعت على النيلالي حسنها *** ولكم أسرت وكم أصبت بمقتل
ولكم نصبك الفنون جميعها *** ودعتك بالمثل الرفيع الأمثل
كم أفصح الظرفاء عن حب بما *** يهبون من ورد وزهر قرنفل
وتسابق الشعراء كل مرسل *** لحناً يسيل على حفيف الجدول
والعود سل أوتاره من صادح *** جذل ومن باك ومن متعطل
تبئك كم هفت بحسنك كلها *** في المقرمات على ضفاف السلسل
هون عليك فلست أول من دهى *** الدهس الأثير ولست آخر من بلى
إن عدت في دنياك معرض عبرة *** كم كنت معرض وشيها المتهلل
وفي نظم رمزي يصف الشاعر يوسف مصطفى التي زهراً في قصيده
المسماة (قصيدة الزهر)^(١) من بحر البسيط، ولعل هذا الوصف يرمز له بعيداً في
من يهواه حيث يصف الزهور بآية الفن وهي ساحرة جذابة وهي منسقة الألوان
للنظر وهي نعمة في الحياة تدعو إلى التفكير والتدبر والتأمل في مخلوقات الله
سبحانه وتعالى وقد وصف الفل والورد والزهر فيقول:

يا آية الفن في سحر وإتقان *** لا زالت في غبطة تُرعى وترعاني
وما الرعاية في أسمى مظاهرها *** إلا الأزاهير تهديها لأسوان
ثالثوك الغض ما أحلى تناسقه *** وما أحيلاه من رمز وألوان
فما أقدر تقدير منتفع *** لكن أقدر تقدير فنان
لقد أثار بصدري كل مبهج *** من الشعور وأحيى اليوم وجداي
وأفى الصباح وقد أرضى الطماح وعن *** مضفر الغار والتيجان أغناي
يا لطفها طاقة فيحاء قد سعدت *** منكم بلحظة تنميق وإمعان

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٦٣.

هذى قصيدة زهر أنت ناظمها *** فهى البريئة من عيب ونقصان
 فالفل والورد في لونيه قد نظمت *** نظم الشوارد في أطواء الحان
 والشاعر الفذ من كانت قصائده *** ما ألف الوحي من أزهار بستان
 وفي قصيدة (إباء)^(١) من بحر الطويل، يشكو الشاعر يوسف مصطفى التي
 مما لاقاه من ظلم بعد أن أخلص في هواه من حبيبه ويقول له أتحسب أنني لا أجد
 بديلاً لك؟ ويوضح أنه في حبه له لم يجن إلا الذهول والسهر وإنه سوف يعود
 لرشده فيقول:

أرسلت شعري شاكياً لتصولاً *** وأخلصت جهدي في الهوى لتحولاً?
 أتحسب إني لن أعود مظفراً *** إذا رحت أبقى في سواك بديلاً?

تجسمت فيك الحب والحب نشوة *** إلى أن غدا بي جنة وذهولاً
 وأغنىت عيني بالشهد عن الكرى *** وشابهت ورقاء الرياض هديلاً
 فما كان حظي منك ما يذهب الجوى *** ولا كان حظي أن شفيت غليلاً
 وإنني لأخشى أن يثوب لرشده *** فؤاد تأسى في هواك طويلاً
 وصابر حتى أصبح الصبر ذلة *** وأنت تغالي في الدلال مطيلاً
 لحال الله هذا الحب إن كان لا يرى *** وفائي إلا أن أعيش ذليلًا
 وفي وصف لتعامله مع الآخرين من صدقة وغيرها يوضح الشاعر يوسف
 مصطفى التي طريقة الصدقة عنده والعداء، فهو مقدس للصدقة ولكن إذا استبد
 هذا الصديق فإنه يثور على هذا الغرور ثورة ضاربة غاضبة، وهو بذلك يحاسب
 الخائنين فيقول في قصidته (أفي وأنور)^(٢):

أقدس من صادقت حباً كأتنى *** له عابد جم التقاة صبور
 وكم أتقاضى للحبيب إذا هفا *** ولكنني إما استبد أثور
 أثور إذا ما صد عنِي تكبراً *** وإما بدأ للنفس من غرور

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٧١.

وويل لمن مسَتْ حواشيه ثورتي *** فتاك لها شم الجبال تمور

تحاسب نفسي خائناها تشفياً *** وعندِي حساب الخائنين عسير
ومن ثم أولي بالحساب سوي الذي يُغير على قلب الفتى ويجر
ومن غير حق يستحل شعوره *** وأثمن ما في العالمين شعور
تضم لصوص الحاجيات سجونهم قبور *** فهلا تضم الخائنين
فإن كنت توفي للصحاب فآخني *** تجد مثلاً بين الرجال يسير
ولا تله بي خلاً لتأمين ثورة *** تبين بها لغافلين أمور
ولابد مكنون الخداع سينجي *** وإن كان من دون الخداع ستور
وفي عتابه للغرور كتب الشاعر يوسف مصطفى التي قصيدة (تحية
وحساب)^(١) من بحر مجزوء الكامل، يبدأها بوصفه لشخصية المختال المغرور
فيقول:

يختال مغوراً ولا يرتاب *** في كونه حسناً يجل يهاب
أو أنه قمر يشع على الماء *** عباده الطلاب والأحباب
فتراه فيما بيننا متذلاً *** والدل لو تدرى له أضراب
ويواصل الشاعر ويوجه للمغرور بعض الظنون ويقسم بأن هذا المغرور
هو كالحية فيقول:

أتظن أنه متعة نرتادها *** يا غرّ أنك لو علمت مصاب
أتظن أنه في الحياة حياتنا *** تالله أنه في الحياة عقاب
تالله إنك حية غدارة *** في ذم خلّك ما تأتي تناسب
وإذا دنا فهو الحبيب المرتضى *** وهو المنى والمؤنس الجذاب
ويواصل الشاعر ذمه للمغرور ويدركه بماضيه فيقول:

لسنا كزعمك معشاً قد هزّهم *** داعي جمال نادر فأجابوا

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٧٤.

أَيْهُزْ حَسْنَ نَالَ مِنْهُ الْمُشْتَرِي *** وَالْمُشْتَرُونَ أَرْذَالْ وَكَلَابْ
 أَيْهُزْ حَسْنَ نَصْفَهُ لِلصَّيْلِي *** أَعْلَى ذَرَاهُ الْمَظْهَرُ الْكَذَابْ
 لَا تَنْسِ مَاضِيكَ الْمَذْلُ فَإِنَّهُ *** فِي الذَّلِّ وَالْخَلْقِ الْوَضِيعِ كِتَابْ
 هَذِي صَحَافَهُ عَلَى طَولِ الْمَدِي *** لِلْبَاحِثِينَ عَنِ الْفَجُورِ مَآبْ
 أَنَا مَا قَصَدْتُ إِلَى الْهَجَاءِ وَإِنَّمَا *** هَذَا الْقَرِيسْ تَحْيَةٌ وَحْسَابْ
 وَفِي قَصِيدَةٍ هَجَائِيَّةٍ بِعِنْوَانِ (الْخَادِمُ الْمَخْدُومُ)^(١) يَصِفُ فِيهَا الشَّاعِرُ يُوسُفُ
 مُصْطَفَى التَّنِي شَخْصًا بِأَفْدَعِ الْأَلْفَاظِ مِنْ تَشْبِيهٍ وَوَصْفٍ قَبِيْحَيْنَ وَغَيْرَهَا مِنِ الْأَلْفَاظِ
 الَّتِي تَحْطُّ قَدْرَهُ وَتَنْقُصُ كِرامَتَهُ فَيَقُولُ:

مَغْرِي الْكَلَابِ بَنَا عَلَيْكَ تَحْيَةً *** مَنْ تَلِيقَ بِقَدْرِكِ الْمَعْلُومُ
 قَدْرُ أَذْلِ مِنِ التَّرَابِ وَضَاعَةً *** وَأَحْطَ مِنْ قَدْرِ الْفَتَىِ الْمَتَهُومُ
 أَوْ أَنْتَ تَغْرِي مِنْ تَشَاءُ بِمَعْشِرِ *** عَافُوا الْوَرَودَ بُورْدَكَ الْمَشْؤُومُ
 فَانْظُرْ لِحَيْتِ وَقَدْ أَثْرَتْ سَكُونَهُمْ *** مَاذَا بَدَا مِنْ عَرْضِكِ الْمَثْلُومُ
 لَمْ يَشْتَهِمْ خَوفَ التَّامِرِ إِنْهُمْ *** مَوْتُ الْعُدوِ وَكِيدُ كُلِّ غَرِيمٍ
 كَشَفُوا الْقَنَاعَ عَنِ الْمَطَامِعِ كُلُّهَا *** وَتَحَدُّثُوا عَنْ سَرَكِ الْمَكْتُومِ
 حَمَلُوا عَلَى دُعْوَاكِ حَمْلَةً وَاثِقُ *** هَزَتْ قَوَائِمُ مَجْدِكِ الْمَزْعُومِ
 قَوْمٌ تَحْدُوُ الْدَّهْرَ أَنْ يَبْدِي لَهُمْ *** عَيْبًا فَعَادَ بَذْلَةُ الْمَهْزُومِ
 أَفْلَا تَحْدِيثُ الزَّمَانِ لَكِي تَرَى *** مَا قَوْلُهُ فِي الْخَادِمِ الْمَخْدُومِ
 ذَيْلُ تَكَاثُرِ بِالْذِيْوَلِ وَإِنَّهُ *** لَأَخْسَ ما هَزَتْ كَلَابُ الرُّومِ
 وَفِي وَصْفِ لِلْقِيَاهِ لِحَبِيبَتِهِ وَمَا يَحْسُبُ بِهِ مِنْ فَرْحَهُ وَسُرُورٌ كُلُّ ذَلِكَ يُؤْكِدُهُ

يُوسُفُ مُصْطَفَى التَّنِي فِي قَصِيدَتِهِ (إِغْرَاءُ)^(٢) حَيْثُ يَقُولُ:

الْأَلْقِي فِيَكِ مِنْ فَرْحَهُ عُمْرِي مَا يَجْدِدُهُ
 وَمِنْ أَنْغَامِ أَحَلَامِي مَشْبُوبًا أَرْدِدُهُ
 وَيَهْنَأُ عُودِي الصَّادِي بِأَنْدَاءِ تُورِدُهُ

(١) يُوسُفُ مُصْطَفَى التَّنِي، دِيوَانُ التَّنِي الصَّدِيُّ الْأَوَّلُ وَالسَّرَّائِرُ، مَرْجَعُ سَابِقٍ، ص٧٥.

(٢) المَرْجَعُ السَّابِقُ، ص٨٤-٨٥.

فهل تلقين ما ألقى وهل تجدين ما أجده؟
ويوضح حاله عن الالتقاء بحبيبه فيقول:

إذا ابتسمت لنا شفتاك راجع حكمة القدر
فلا هم نعانية ولا يأس ولا كدر
وتشرق ظلمة الدنيا وظل اليأس ينحر

ويواصل التي لوصفه لحظات اللقاء فيذكر:

الآ آه ليلاً قضيناها على الكوثر
ونلتا من مني الروح أمانها التي تضرر
فلم نأبه لدنياهن وما تهوى وما تذخر

ويمضي في الوصف وذكرياته فيقول:

وهل أحلا من الكوثر إن أبطأ أو عجل؟
تضاحك فوقه الأجم وهو يهزها جذلاً
ومفتون نسائمها يداعب زهره غزلاً
وهل تنسين إذ طافت بنا الحور ذرافات؟
فغارت منك من حور وأوصاف عديدات
ومن ألف يناجيك وقد كن وحيدات؟

ويوضح الشاعر بأن الليل والفجر والبدر يتتساءلون عنك وأن الروض
حملني سلامه إليك عطراً فيقول:

لقد ساعل عنك الليل والأقمار والبدر
وحملني لك الروض سلاماً كله عطر
فلا زال لليلاتنا في ألفافها ذكر

ويخاطبه ويسأله عن اشتياقه إلى الكوثر والورد فيقول:

أما اشتقت إلى الكوثر والجنت والورد؟
اما عاود جبينك حنين لربى الخلد؟
اما ضقت بدنيا الناس من قيد إلى قيد؟

وهنا يعاتب الشاعر حبيبته فيقول:

إذن مالك لا تسعن لقيا كما أسعى؟
أاصفيت إلى واس فأصفيت إلى أفعى؟
لئن تكن التقاليد فحصى الفرع والجذعا
ويذكر كل الأسباب للذي يحس به فيقول^(١).

وبمناسبة استقبال الشاعر يوسف مصطفى التني بنادي جوبا عند عودته إليها عام ١٩٤٣م وقد حيا المستقبليين له في البلد والمنتدى ويحيي كل من خف إلى الترحيب به وأوضح بأنه له ذكريات خاصة لجوبا فيقول في قصidته (شكر وتحية)^(٢):

سلام على البلد الزاهر *** وأهليه العامر
سلام على كل من خف نحوِي *** يربِّي بالمدْمِ الباكر
حفظت لبلدكم ذكريات *** تطوف مدى العمر في خاطري
شقيت بها يوم شط المزا *** ر وأسعدني القرب في حاضري
ويمضي الشاعر في شكره لأصدقائه بجوبا ويصفهم بأنهم شباب طموح وسابقون إلى عمل الخير وتعلو فيهم روح الوطنية ويرجى منهم في رفعة وطنهم فيقول:

ترامت إلى السمع أنباؤكم *** بذكر لكم في الورى عاطر
فيما لكم من شباب طموح *** هم بهجة السمع والناظر
تواصوا على الخير في جمعهم *** وبالعمل المثمر الفاخر
يريدون للوطن المفتدى *** إقالة طالعه العاشر
فخرنا بما صنع الأولون *** وقد كان مفخراً الغابر

(١)

هو الحب فلا ترضي لقىـد أن يقـيدـه
وإن طاف بـجـنـته دـخـيل فـابـتـري يـدـه
عـبرـنا أـمسـه عـطـرا نـديـا فـأـطـلقـي غـدـه
لـكـي تـلـقـيـنـ ما أـلـقـىـ وـكـيـ تـجـدـيـنـ ما أـجـدـه

(٢) يوسف مصطفى التني، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٠٣ - ١٠٤.

وفي مثلكم يستقيم الرجاء *** لتأتوا الآخر بمخررة
 ويصف الشاعر إخوانه وأصدقاءه بأنهم مجاهدين وأنه عاشق للجهاد ويعبر
 عن فرحته باللقاء ويتمى لجمعهم الرعاية والعناية من الله سبحانه وتعالى وأن
 تحيا ديارهم فيقول:

أرى لكم عزمه في الجهاد *** غدت مضرب المثل السائر
 وإنني امرؤ يستنذن الجهاد *** وقف له الروح عن خاطر
 فلا غرو أن استعيد القرىص *** وقد كان فيما مضى هاجري
 أعبر عن فرحتي باللقاء *** وأسمعكم مدحه الشاكر
 فلو كان نثري زهر الرياض *** فنممت ممتنع الناثر
 ولو كان شعري نظم الدرا *** رأي لا كلما من لهي شاعر
 لأقصر فني دون المدى *** فعذراً لفصاحي القاصر
 رعى الله جمعكم من رفاق *** وحببت يا دار من سامر
 وهذا يصف الشاعر يوسف مصطفى التي العمل الوظيفي رقاً ذلك في
 قصيده (زيف الوظيفة)^(١) وقد نظمها الشاعر يصف خواطره حين كان يفكر في
 الاستقالة من خدمة الحكومة للاشتغال بالصحافة كما فعل عام ١٩٤٥ جاء فيها:
 من ترى شقق الحياة دروباً *** وأبى للدروب أن تتجانس؟
 وأبى للأنام نهجاً مشاعاً *** مصخراً للجميع أو غير شامس
 تتساوى به الحظوظ فإما *** كلهم ناعم أو الكل ناعس؟
 وفي نظرة تشاؤمية للعمل الوظيفي الذي لا يرجى منه لا في أوله ولا آخره
 حيث يقول:

من ترى العابر الذي أدمت *** صفة الطريق من أقدامه؟
 لا يرى للرجل نوراً مشعاً *** يتلألأ من خلفه أو أمامه
 قد أتى أول الطريق على جهل *** بما يختفي له في ختامه
 ويصف الشاعر الوظيفة باليأس وهي مقيدة للشخص فيقول:

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٠٨-١٠٩.

لَا تصفه فقد عرفناه باليأ *** س وسيما الشحوب فوق خدوده
قيادته مطالب العيش للعيش *** فلا زال راسغاً في قيوده
كلما ناق الخطى أعترته *** صخرة بل مؤمل من جدوده
ويذكر الشاعر بأن العامل في الوظيفة قد باع نفسه بدرارهم معدودة حيث
يعيش عيشة ضنكه فيقول:

مسترق قد باع كل مجال *** للتسامي بدرهم ممدود
حبس الرزق وارتضى ذلة *** الحبس لرزق مقتضى محدود
ذاك من باع للوظيفة *** دنياه هوانا فعاش كالمؤود
ويمضي في وصفه للعامل في الوظيفة بالمشهد وهي مهنة لا تلبى متطلبات
الحياة فيقول:

يا له من مشهد كل حين *** مستشار الأسى بين جديد
يتشهى قرب الديار وبسما *** ت بنياته وظفر الوليد
واصطحاب الصحاب في السمر العف *** وما حظه سوي التسهيد
ويصف الشاعر العاملين بالوظيفة يعيشون على الفتات وأجورهم ضعيفة فيقول:

وإذا ما دعا النفير: "هلموا *** وطن يستجير هل من مجير؟"
أحجم الرق لا فراراً من المو *** ت ولا أبطره سكنى القصور
هي بقياً على الفتات وأوها *** ق أجير تعليق بالأجير

ويقول الشاعر بأن العمل بالوظيفة يفقد الحرية والإرادة:

أين منه إرادة حرة تفعل *** (م) ما قد ت يريد أو تستطيب
وعليه في كل ما يأتيه *** أو ما يقول همساً رقيب؟
أين منه السراح وقد كا *** د على خطوه يقوم حسيب

وعن الفقر الذي يعاني منه الموظف فيقول:

أثقل الفقر كاهلاً منه بأروا *** ح حياتها من شقائه
إن يخاطر بها يخاطر لا *** حوبائيه وحدها ولا بذمائه
 فهو ما بين براها وأمانيه *** طوال الحياة حيران تائه

وعن عمر الموظف الذي يقضيه عاملاً في الوظيفة يقول:

ينقضي العمر وهو مدى العمر *** (م) بحرب تعج بين الضلوع
إن دعته إلى الرضى لقمة العي *** ش رأى في الرضاء معنى الخنوع
واستشار الطموح فيه شباباً *** لا يهاب الوعى بدون دروع
ويختم الشاعر بدعوته الله سبحانه وتعالى أن يفك قيد الموظف وأن يفتح عليه
فتحاً مباركاً وينقذه من الظلمة إلى النور فيقول^(١):

وعن شعوره بالعطف والحب كتب الشاعر يوسف مصطفى التبي قصيدة (عطف
وهوى)^(٢) من مجزوء بحر الكامل، يصف فيها مشاعره الجياشة بالحنين فيقول:
أهواك يا نور العيون *** يا مبعث الهوى والحنين
وأحار هل أهوى جما *** لك وهو مقطوع القرین
أم عطفك البادي الرح *** يم تقاد تلمحه العيون
ويصف حبه بالطاهر المتبادل بينهما الذي لا تحوم حوله الظنون وأن عهدها
كان صافياً وسعيداً فقال:

عطف ملكت به الهوى *** فأنا بما تهوى رهين
عطف أعف من الطها *** رة لا تحوم به الظنون
بادلتني فكنت أنب *** ل من يحب فلا يخون
ساقيني حتى اتش *** يت وما صحوت ولات حين
هات اسقني ودع الندا *** مى جانبأ يتلهفون
وأضيعه العمر الذي ولى *** ولم يعرفك من قل سنين
واليقين والرفاهة *** دة السعا أحلام فاتته

(١)

ربi قد ضاقي بالقيود فهل تأ *** ذن يوماً بفك هذi القيود
هbe نوراً يربه أي السبيل *** ن جدير بعمره المجهود
هbe نوراً كيلا يجن من الظلمة *** في وھدة العذاب الشديد

(٢) يوسف مصطفى التبي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١١٢.

الفتون لا تنا (م) وكل أنواع

ويختم الشاعر قصيده بأنه أسيير هذا الحب وسوف يكون صادقاً وفيماً فقال:

يا ليتني وأنا الأسير *** أفي بدين الآسرين
دين تعقد بالرقاب *** وكلمة عطف ولين
سائل ما دامت حياتي *** بل وساعة لا أكون
أهواك يا نور العيو *** ن وفرحة القلب الحزين

وفي تحذير لمن يهوى نظم الشاعر يوسف مصطفى التي قصيدة (حذار)^(١) من بحر الطويل، يوضح فيها خوفه من الآخرين لحبه حيث يصفهم بالنسور وأن ودادهم نحوك زور وابتسماتهم فجور ولعل هذا يؤكد الغيرة الشديدة من الشاعر نحو حبيبته فقال:

حناك بي إني بذاك جدير *** وأنت على بذل الحنان قدير
حناك بي وأرس جمالك إني *** من الأعين الظمائي عليك غيور
إذا حومت من حوله خلت أنها *** نسور تنوش القلب حين تدور
أترمي بالحظ جياع سقيمة *** تلاحق فيك الحسن حيث يسيرا
وأنت على جهل وحسن طوية *** تسر وأخرى أن أراك تثور؟
ترد على كل ابتسام بمثله *** وفانتك أغراض لهم وأمور
حذار ولا تغرك منهم وداده *** فكل وداد من أولئك زور
وبعض صداقات الأئم حبائل *** وبعض ابتسامات الشفاه فجور
رأيت بعيري الفخاخ معدة *** لحسنك فاحذر والحكيم حذور
وإلا لھال الناس أنك عالم *** وراض بما ينونه وقرير
وعن الحب وكتمانه له بالرغم من التعبير الذي يبدو واضحاً عن هذه
الأسواق والاتهام له بالجنون بسبب هذا الهوى مبدياً إعجابه بها واصفاً محسنهما
ويؤكد عشقه كل ذلك في قصيدة الشاعر يوسف مصطفى التي (إصرار)^(٢) من
بحر الكامل، التي قال فيها:

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٦.

مالي أكتم فيك حبي جاهداً *** ونوازع الأشواق عنه تعب
 قالوا جنت وعدت مشبوب الهوى *** هيئات مثلي بالمحاسن يكفر
 لام العواذل في هواك فأكثروا *** سيان عندي إن لحوا أو أقصروا
 نو أبصروا فيك الذي أبصرته *** صدعوا بأمر الحب مما أبصروا
 أناس يلبى إن دعا داعي الهوى *** "كوييد" يخطب والنهد المنبر
 تيهي كما شاء الدلال فلست من *** يثنية عنك تدلل وتكبر
 وفي مقطعته (*العاشرة*)^(١) من بحر الكامل التي تتكون من ثلاثة أبيات فقط

يذكر الشاعر بعثها بالقلوب وصدودها فيقول يوسف مصطفى التي:

بعثت بحبات القلوب خلية *** عبشي - وقد دانت - بحب عقودها
 تحنو لو شاعت عتواً في الهوى *** جادت على سقر بقلب مریدها
 لأن أطبق الجحيم يجرها *** شيء يسير من مرير صدودها
 وفي وصف ليلة من ليالي الصيف في خط الاستواء والشاعر يوسف مصطفى

التي تهيجه الذكريات كما وصفها في قصidته (*ذكرى*)^(٢) حيث يقول مطلعها:

ضحك البدر في السماء رضياً *** والنسيم الرفيف رف رخيا
 قمر ضاحك الضياء مدل *** أسكرته من الضياء حميأ
 فتنته من حسه ومضات *** تتحدى الغمام شيئاً فشيئاً
 سادر فرض الوجود فمالي *** لا أرى في الوجود إلا دجيا

والشاعر يصف النسيم العليل والجو البديع ورياح الصبا فقال:

وأبت فتنة النسائم أن لا *** تتجلى كما تجلى عليا
 ما النسيم الرخاء هب علياً *** خفراً كالحسانلينا حييا
 لأن الصبا تزف إلينا *** نشر وادي الخلود حلواً نديا
 أسعدت بالروح كل خلي *** كيف سعدي أنا ولست خليا

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق ، ص ١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠١-١٠٢.

ويصف المشاهد المكونة لهذه اللوحة من أرض وجبل وسفوح وشقق
وغروب وهي مشاهد فاتنة فيقول:

وأرى في مشارق الأرض ناراً *** سعروها على الجبال عشيا
لبيت من لهبها القن الشما *** أبهى مطارف وحليا
ألبستها على السفح أذيا (م) لا وفي النهر لؤلؤاً عندميا
عكست لونها السماء فردت *** شفق المغرب الحزين بهيا
كسلاح الوعى يقعع منها *** لهب يملأ الفضاء دويا
أو كما زمم الخميس إذا ما *** راح ينزو على الهشيم جريا
مشهد كله فتون وسحر *** كيف أمسيت بالفتون شجيا

وكل هذه المناظر الطبيعية تثير كوامن الشاعر وهواد وذكرياته فيفصح كل ذلك في قوله:

إيه يا ليل ما فتونك هذا *** أتراه يفيد قلبي ريا؟
إن تكن مشرق المطالع بسا *** ما فما زلت عندنا نابغيا
أين من يصدق البصائر حتى *** لترى فيك سحرك القمر يا
أين من تحمل النسائم ريا *** ه قريباً فتسكر القلب ريا
أين من ألهب الجوانح بالحب (م) فكان الضرام طهراً سنينا
لن تراني أسر منك بحسن *** غير يوم نراك فيه سويا

ويختتم الشاعر التي بالإفصاح أكثر عن مشاعر حبه فيقول^(١):

(١)

أين يا من أحب طلعتك الزهاء *** أين الجن قريباً شهياً؟
أين بسماتك العذاب وبشر *** تتلقى به الأليف حفيما
قذفت بي النوى القذوف فمالي *** غير ذكري ألاك فيها مليا
هي زادي حتى أراك فعلي *** بك عنها غداً أبیت غنيا

المبحث الثالث الرثاء والحرية والجمال

وفي كلمات ملؤها الحزن نظم الشاعر يوسف مصطفى التتى قصيدة في رثاء والده سماها (أبى الفقید)^(١) من بحر الكامل، يقول الله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَآءِيقَةُ الْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) ^(٢)، حيث يبدأ قصيده بالحزن الشديد الذي ألم به بعد موت والده وأنه يحس بالأسى ودمعات حرى وأنه قد ترك فقد والده فراغاً وأنه يتذكر والده في كل اللحظات وأنه لا ينسى عطفه وكل الصفات الكريمة التي كان يتمتع بها فقال:

لا الصبر دام ولا التصبر داما *** فلافت فيك الحزن والأسقاما
قلب يمزقه الأسى وجوانح *** حرى عليك وأدمع تتهامي
أنا لو صبرت لعق قلبي ربه *** وعقت فيك أبوة وذماما
أبتابه ما هذا الفراغ تركته *** أتراه يبقى ما نأيت دواما
أنا لا أصدق أن وجهك لن يرى *** في الدار يملؤها رضى ووئاما
أنا لا أصدق أن عطفك قد مضى *** أبداً وأنا في الغداة يتامى
هيسن الجناح على بنيك تضمها *** ضم الحنان رعاية وعصاما
وتمد فوق المستجير روافه *** فبقى الضعيف تكالباً وزحاما
فبكا بنوك وناح طالب حاجة *** ألفي لديك الرفد والأنعاما
كم كنت تدني مثله وتبره *** من غير ما من يذل إلهاما
وتؤاكل الطرق والخدم عن *** طبع تواضع فاعتلى وتسامي
إذا عذنا قلت غير مكابر *** كان "النبي" يؤاكل الخداما
أغرمت بالسنن الشريفة كلها *** أقضيت نحبك بالكمال غراما؟

(١) يوسف مصطفى التتى، ديوان التتى الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٩٦-٩٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية (٥٧).

ويمضي الشاعر في ذكر مناقب والده وأعمال الخير التي كان يفعلها وكرمه الفياض وأمواله التي أنفقها في سبيل الله والأعمال الصالحة فقال:

فاسوا ندك على جذاك فليتهم *** عرفوا الذي أقرى الفقير وصاما
كم من غني لم يجد بفضوله *** وشركت في المال القليل أيامِي
أنفقت ما أورثته وكسبته *** حتى لأوربك الندى الإعداما
لكن فخرك أن مالك لم يضع *** في صدر غانية وكأسى ندامى
أهدرت في عمل المكارم حرها *** فغدا لك الذكر الجميل حطاما
وعن صلاح والده وتدينه وتهجده وقيامه يقول الشاعر:

أبي لقد آن الهزيع ولا أرى *** لك تخذ في الهزيع تهجاً وقياما
أتراك قمت مع الملائكة قانتا *** لما تخذت من الجنان مقاما
أنسيه" الصلوات هل ردتها *** تترى إلى خير الأئم سلاماً؟
لن ينتهي عن ذكره الروح الذي *** للذكر خف وبالعبادة هاما
وعن بلاغة وفصاحة والدة ومحالسه المشهودة في العلم والحديث يقول

النبي :

أبتابه أين مجالس مشهودة *** فيها تدير البابلي كلاما
متحدث لبق يدير حديثه *** في كل فن مبدعاً بساما
لا يسام السمار لطف حديثه *** حتى وإن سئم النديم الجاما
أعطيته ناصية الكلام بلاغة *** فطرية قد ألهمت إلهاما
ويمضي في ذكر ما كان يتمتع به والده من شعر ومعنى ولفظاً وأنه كان صحيفياً ينشر أخبار السودان في كل المحاور للعالم فيقول:

أثبت "بالدوبيت" دولة شاعر *** عزت لغير الملهمين مراما
جاريت في ألفاظه لا روحه *** فهم العوام فكنت فيه إماما
والشعر بالمعنى وأما لفظه *** لم يع مدعياً ولا نظاما
ما عاب جوهره اختلاف لغاته *** حتى وإن كانت عليه قاتاما
كالتبر فهو التبر أين وضعه *** لا يستحيل مع الرغام رغاما

وصحافة السودان كنت رسولها *** فأذعتها بين الورى أعلاما
 أعلام هدى قد ركزت دعامتها *** لما جمعت لها النضار دعاما
 عانيت فيها مثل ما كتابها *** عانوا وإن لم تحمل الأقلاما
 فشركتها في الفضل لما أيقظت *** روح البلاد وغرت الأفهاما
 ويعتبر التي أن والده هو قدوته الحسنة في الفضيلة ومكارم الأخلاق وأنك
 كنت تنشد الكمال في كل الصفات الحميدة فقال:

أبتي ورثنا عنك كل فضيلة *** فيما غدت يوم الفخار وساما
 إن كان فيما ما يدم فكسينا *** حاشى خلاك أن تورث ذاما
 سلحتنا لزماتنا أفلأ ترى *** كلا ينازل دهره مقداما؟
 وسلاح معترك الحياة خلائق *** ما ضرها إلا تكون حساما
 أحسنت في دنياك إحسان امرئ *** لا يرضي غير الكمال تماما
 ويختم الشاعر يوسف مصطفى التي قصidته بالدعاء والرجاء لوالده
 بالرحمة ويدعو الله سبحانه وتعالى أن يدخله الجنة فيقول^(١):

وفي الحب غير المعلن وكان سراً وقد أوضح الشاعر يوسف مصطفى
 التي بأن هذه القصيدة موجهة إلى التي لا تعلم وقد يسرها أن تعلم وقد أصبح كتم
 هذا الحب عيناً عليه وشمل هذا الكتم الأذن والنفس ولكن بعد أن ضاق الصدر بهذا
 الحب باح الشاعر به شعراً فقال ذلك في قصidته (إعلان حب)^(٢):

هواك سر عليه القلب منطبق *** وبعض حراسه الإلراج والقلق
 فما له اليوم أوهى كتمه جلدي *** وكاد من حجب الظلماء ينبعث؟
 حملت قلبي عيناً فوق طاقته *** من التكم وهو الماجن النزق

(١)

رباه هب لأبى من الرحمات ما *** يجزي كريماً قانتاً قواما
 وادفع إلى الجدث الكريم سحائباً *** تسقىه من ماء السماء سجاما
 وأنزله من جنات خلتك منزاً *** كات له نعمى رضاك لزاما

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٣٣.

أجن سري أعواماً فما نبست *** به الشفاه ولا نمت به الحدق
لم تسمع الأذن من أصدائه أثراً *** وهو الذي مثل موج البحر يصطف
ولم أناج به نفسي بخلوتها *** وفي أحاسيسها من عطرها عبق
أخشى عليه عيون الناس تلمحه *** طوراً وأخشى على جنبي تحرق
وكم تعسفت في حبك من نهج *** عجب سينكره سمع الآلى عشقوا
فكم تحاشيت أن ألقاك خشية أن *** تشي البوادر والمكون ينطلق
ولم أحدثك عن حب أحس به *** أثاره المقريان: الظرف والأفق^(١)
وقد بعث الشاعر يوسف مصطفى التي بقصيدة عبارة عن رسالة من جوبا
أرسلها عام ١٩٣٩ م يصف فيها الشاعر الفراغ الفكري بتلك المدينة آنذاك وقد
سمى القصيدة (إلى محجوب)^(٢).

أما عن محمد أحمد المحجوب فيقول عنه محمود أبوالعزائم^(٣): (سبحان
الذي جعل الكل في واحد وكان ذلك الواحد الذي جعل الله فيه الكل هو الأستاذ/
محمد أحمد المحجوب خريج قسم المهندسين من كلية غردون التذكارية ثم خريج
مدرسة الحقوق بالمدارس العليا، الأديب الشاعر الذي عمل بالقضاء أيام الإدارة
البريطانية وترك بصمة خالدة تدرس في الجامعات حين فصل في قضية من
قضايا الجزر المتحركة في النيل).

(١) ويكللها بقوله:

والليوم! ضاق به صدري فباح به *** شعرى وردده الإصباح والغسق
فحديثك الليالي كيف عذبني *** أيام بعده عنى الشوق والأرق
وحديثك بكورى كيف أنكرها *** ما غير طلعتك الزهراء لي فلق
فليرهق الدهر آذاناً لأسمعه *** بث الهوى بقصيد كاد يأتلق
نفني ويبقى على الأيام ملحمة *** نشوى ترجعها الأزمان والأفق

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسائل، مرجع سابق، ص ٨٩.

(٣) محمود أبوالعزائم، كنت قريباً منهم، الجزء الأول، الناشر دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م، ص ٤٤.

ويقول أيضاً محمود أبوالعزائم^(١) بعد اعتزاله القضاء: (اعتزل المحجوب بعد ذلك مهنة القضاء واشتغل بالمحاماة ثم عمل بالوظيفة والسياسة فكان أحد أمه نجومها، ثم شغل منصب وزير الخارجية ثم أصبح رئيساً للوزراء، واكتسب شهرة عالمية، وهو رجل شريف ومقاتل بالكلمة ومصارع بالمنطق لا يشق له فيها غبار، شهدت له المحافل الدولية في أواخر الخمسينيات صولات تصدى فيها لأعْتَى السياسيين الغربيين).

وعندما كان الشاعر بجوبا بعث بهذه القصيدة يصف فيها حال المدينة فكريأً وثقافياً وبيدها بالإشادة بالمحجوب وتلك الليالي العامرة بالفكرة والعلم ووصفه بزین الرجال وكان يرمي للمحجوب بكتبه (أبوسامي) ويتحدث عن وحدة السودان بكل اتجاهاته فيقول:

أفترت بعده والله الليالي *** يا "أبا سامي" يا زين الرجال
 أفترت من كل ما أنت له *** نبعة تدخل بالذنب الذلال
 تنقصني الأقمار لا جد ولا *** هزل كان يسرّي في النضال
 بعثرت وحدتنا في أوجها *** ذات غرب وجنوب وشمال
 بعثونا ثم عز الملتقى *** هكذا الأيام حال بعد حال
 ما حيتي؟ وحياتي أصبحت *** مثلاً يحيا غير القلب خالي؟!
 لا فؤادي واحد بهجهة تنسيه سوءات الليالي
 لا ولا فكري في يقظته *** تلك ما تبعث صولات الجدال
 وبأسى وحزن يصف الشاعر حال بلاده ويدركُ التي بأنه يحيا ويعمل
 ويدافع لوطنه وقومه لا لنفسه ويصفبني شعبه بالمجاهدين وهم شامخون كالجبال
 ويرجو أن يكون الوطن السودان في المعالي فيقول:

لا أراني صابراً محتسباً *** مثلاً تعهد في حر خصالي
 ضفت ذرعاً بوجودي ولقد *** ضاقت الدنيا لدن ضاق مجالي
 إني أحيا لقومي كلهم *** أنا لا أحيا لنفسي أو لالي

(١) محمود أبوالعزائم، كنت قريباً منهم، مرجع سابق، ص ٤٥.

فمتى يخرجني الله إلى حيث يجني القوم أثمار فعالی؟
حيث صحب أوقفوا أرواحهم *** لنضال وجهاد متوالي
لم يبالوا ما يلقون وإن هد ما يلقون عزمات الجبال
هم أصيحا بي فمن لي بهم *** نور (السودان) أعراف المعالي
كذلك بعث الشاعر يوسف مصطفى التّي برسالة من جوبا إلى الدكتور / عبد الحليم محمد عبد الحليم والرسالة عبارة عن قصيدة بعنوان (سلام)^(١).

أما عن الدكتور / عبدالحليم محمد عبدالحليم فهو الطبيب المشهور والأديب الرائد تولى رئاسة تحرير جريدة مؤتمر الخريجين وشغل منصب عضو مجلس السيادة في حكومة أكتوبر وتولى رئاسة الاتحاد السوداني لكرة القدم وكان من المؤسسين للاتحاد الإفريقي لكرة القدم واشترك مع المهندس والقانوني والسياسي والأديب محمد أحمد المحجوب تأليف كتاب (موت دنيا) وكلاهما من نجوم جمعية الهاشميين الأدبية.

وفي القصيدة يبدأ التي بتحية عبدالحليم الذي يسكن الحي الشرقي بالخرطوم وبعد السلام يذكره بأيام اللقاء الذي كان بينهما وفي طرفة يقول التي لعبدالحليم بأن حالك كالزئبق قمرة تثور وأخرى تصفى يتذكر الشاعر جمع الصحاب مع عبدالحليم فحينها كنت ترأر وتضحك ويذكره بأيام هواه وشبابه مع الحسان ووصله بهن فقال في كل ذلك:

سلام على ساكن المشرق *** صديقي الذي لم يخن موثقي
 سلام أرجيه من حر قلبي (م) المشوق إلى أنسك الشيق
 إذا ما تذكرت عهد اللقاء *** أسائل دهري: متى نلتقي؟
 أجن لقربك في كل حال *** وإن كان حال كالزئبق
 فطوراً تكشر عن ناب شر *** وتعبس كالثائر المحنق
 وأخرى يشيع بريق الصفاء *** ابتساماً على وجهك المشرق
 وأن أنسى ولا أنس جمع الصحاب *** وقد عبثوا بك في مأزق

(١) يوسف مصطفى النتى، ديوان النتى الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٨٨.

تثور وترأر مثل الأسو *** د فترسلها ضحكة المشيق
 حناناً على صاحب أنحاته (م) مبادل في الحب لا تتقى
 مبادل ليست تضير الشبا *** ب وأنت من العمر في ريق
 وما ذقت من كيد غادتها *** سوى قبلة العطف في المفرق
 تصدنا وصلك من قبل أن *** تحن إلى وصلهن النقى
 وما حظ غيرك إلا الصدود *** برغم الهوى والجوى الأصدق
 ليهنك يا صاحبي عطهن *** وقد أقبل العيد في رونق
 سعدت بقرب الصبايا الملاح *** وصحب الجهاد فعش وأعشق
 وخل الهموم لهذا القريب (م) الذي ليس يدرى متى نلتقي
 أقدس رباط في هذه الحياة رباط الزواج يقول الله تعالى (وَمِنْ إِيمَانِهِ أَنَّ
 خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ^(١)).

والشاعر التي يحيى ذكرى زواجه الذي يوافق من كل عام يوم ٢٩ أكتوبر
 ويعتبر هذا التاريخ هو يوم عيد سعيد فيقول في مطلع القصيدة التي عنونها بهذا
 التاريخ الميمون (٢٩ أكتوبر)^(٢) ما يلي:

عدت يا ميمون يا يومي السعيد *** أنت لو تعلم في عمرى عيد
 كل عام نتلاقى لك تجديد العهود *** أبلت الدنيا شبابي إنما أنت جديد
 جدة تبقى على مر الليالي لا تبدي *** جدة نضرها حبي والله شهيد
 ويتحدث عن هذا الرابط الإسلامي الشرعي المقدس فيقول:

فيك يا يوم ارتبطنا بالرباط القدسي *** وتعاطينا كؤوساً لم يذقاها كل حي
 غير قلبين يفيضان بحب أبي *** فانتشينا نشوة تبقى على كر العشي
 كلما لاح صباح زيد في النشوة شيء *** ما ترى فعل الليالي بوفي ووفي

(١) سورة الروم، الآية (٢١).

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٩٩-١٠٠.

ويوضح الشاعر أن حبه كان صادقاً لم تدنسه الأيام فيقول:

كان حباً لخصال وجمال وابتسام *** لم تدنسه على الأيام زلات الغرام
 كلنا هام وما أفسح عن ذاك الهيام *** عقد العرف لساني ودعاهما الاحتشام
 وما زال التي يصف حبه بالطاهر وأن شريكه تبادله الوفاء والوئام فيقول:
 أعجب أن حبي غالب الدهر ودام *** ذاك حب مذہ الطهر بأسباب الدوام
 وداعي الحب لازالت على عهد التمام *** ورعاه ما ألاقي من وفاء ووئام
 ويتحسر الشاعر على الأيام التي سبقت ارتباطه بشريكه حياته حيث كانت
 تلك الأيام كلها بلاء ولكن بعد الارتباط بالزواج تحولت حياته إلى السعادة فيقول:
 لم أدق من قبله غير أفنين البلاء *** كنت إن ساقيت كأساً صدني طعم الرياء
 أو تبادرت بحب لم أجده فيه وفاء *** ثم شاء الله أن أحيا حياة السعادة
 فارتبطنا فيك يا يوم ارتباط الشركاء *** فنعمنا وحلمنا وسعدنا كيف شاء
 ويختتم الشاعر التي قصidته بتحيته لهذه الذكرى وهي الخامسة على زواجه
 الميمون فيقول^(١).

وقد نظم الشاعر يوسف مصطفى التي قصيدة سماها (البعث)^(٢) من بحر المدید، يوضح فيها على لسان صديقه عند زيارته لمستشفى وهناك كان اللقاء مع من بعث فيه الحب من جديد بعد أن ظن أن الحب قد زال أو غفى عن قلبه لكن عندما رأى الحسن والجمال الذي زلزل فؤاده فإنه انصاع له وفي علاقته مع هذا الحبيب يعتبرها مثل علاقة قيس بليلاه وفاءً بل أشد وعندما باعد الزمان بينهما ولكنه يرجو اللقاء ويتمنى ذلك حتى تكون حياته حباً وبهجة فقال التي في كل ذلك على لسان صديقه:

من لحب بعثته من جديد *** يوم اللقاء بالمستشفى

(١)

هذه خمس دوراتك يا عيد فأهلاً *** كلما درت ستلقاني كما تعهد قبلاً
 كلما أكملت حولاً زدت هذا الحب حولاً *** ربما يليلي شبابي وغرامي ليس يليلي
 ما ملناه ولا الروح الذي أهواه ملا *** هل يمل القلب حباً كل يوم هو أحلى

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١١٧-١١٨.

وفؤادي أيقظته مستهاماً *** بعدها خلته عن الحب أغفى
 لا تراعي مما أقول فإني *** قد كتمت الهيام بالأمس خوفاً
 هو خوف الدلال ألبسته درعاً *** وثوباً مجرر الذيل مضفي
 ليس خوف الرقيب أو خوف واشِ *** أو عذول أما لحاني أوفى
 قد كتمت الهوى زماناً ولكن *** فاض حتى ما عاد والله يخفي
 وفؤادي هذا يزلزله الحسن *** إذا ما رفعت للحسن طرفاً
 وممتنى هزني الجمال جرى شعري *** في مسمعيك سحراً وعزفاً
 يفضح الشعر ما أكتم من حبي *** وشعري حب مقى مقفى
 ما نسي القلب عهدك الريان *** عهد هو الرحيق المصفى
 قيل قيس وفي ليلاه حتى الموت *** لكن وجدت قلبي أوفى
 أنت تتبعين في حياتك إلهاً *** وأنا ابتغى لقلبي إلهاً
 وكلانا على الزمان فتى *** نتحدى الزمان حسناً وظرفاً
 لا على حسنك الفريد ولا *** يوماً على حبي المخلد عفى
 باعد الدهر بيننا زماناً طا *** ل وعمراً مضى إلا نتشفى؟
 فمتى نلتقي؟ وكيف؟ عسانى *** مبرد شوقي الذي ليس يطغى
 لفظة منك تبعث الأمل *** المدفون حياً وتملاً الكون عرفاً
 وعن العبر والعظات في مسار التاريخ وخاصة أنظمة الحكم في العالم
 العربي نظم الشاعر يوسف مصطفى التي قصيدة بعنوان (عبرة فاروق)^(١) في
 إشارة لفترة الحكم الملكي في مصر في عهد الملك فاروق بن فؤاد الذي انتهى
 حكمه بقيام حركة يوليو ١٩٥٢م ونهاية الحكم الملكي في مصر.

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٢١-١٢٢.

قال تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزَعُ الْمُلْكَ
مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْحَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ^(١)).

ويسأل الشاعر في بداية القصيدة عن فاروق وملكه وواجهه وصولجانه وهيلمانه والمواكب والديبان وكل تلك ذهبت مع الملك الذي سماه الشاعر بالفوضى الذي أنكرت فيه حق الشعب وإهانته وهزأت بالدستور، ويمضي الشاعر يوصف حكم الملك فاروق بالظالم الذي اتخذ فيه البرلمان ألعوبة حتى أتاكم التغيير بغتة وخرجت مدحوراً ذمياً وهجاك كل الناس حتى مادحوك الذين كذبوا عليك بالتأييد سابقاً وأصابك الهوان فيقول:

فاروق! أين الملك، أين التاج، أين الصولجان?
فاروق! أين العرش، عرش الجور، أين الهيلمان؟
أين المواكب والبنود، وأين أين الديبان؟
ذهبت! مع الملك العضود فلا أعادكما الزمان!
أنكرت حق الشعب ظناً أن شعباً قد يهان
وهزأت بالدستور تحسبه مضاعفاً لا يصان
وتخذته ألعوبة النزوات سكري، البرلمان
فأنتك غاشية الصباح ولم يكن منها أمان
وخرجت مدحوراً ذمياً ليس يمدحه لسان
وهجاك حتى مادحوك ومن على التاريخ ماتوا
بالأمس صاحبك الجلال وصار صاحبك الهوان

ويمضي الشاعر التي في نبذ النظام الملكي واعتبر زوال حكم الملك فاروق عبرة للحكام الآخرين الظالمين ويوضح الشاعر بأن الزمن والعصر لا يناسبان الحكم الملكي الذي وصفه بنظام الطغاة وينتشر فيه الظلم والفساد فيقول:

(١) سورة آل عمران، الآية (٢٦).

فاروق! عزلك عبرة يا ليت يدركها (فلان)
 ما عاد في الزمن الأخير حكم ذي تاج مكان
 قد جرب الناس الملوك وحكمهم من يوم كانوا
 فإذا هم بئس الطغاة وقلة عدنا ولا نوا
 وهم الفساد يحوطه قلم المنافق والسنان
 هذا يصور بغيهم تقوى لصاحبها الجنان
 والموت للأحرار غدرًا والرضى لمن استكانوا

ويختتم الشاعر التي بالتركيز على فساد النظام الملكي في الحكم ويؤكد بأن زوال ملك فاروق موعدة عبرة لغيره من الحكام ويوجه رسالة لبني وطنه السودان للاستفادة مما حاصل بالملك فاروق.

كذلك يوضح الشاعر بأن الشعوب الحرة لا ترضى بالحكم القائم على الوراثة وأن الحكم هو الذي يختاره الشعب ولم يعد الزمان لحكم ملكي فيقول الشاعر^(١).

(١)

فاروق موعدة الملوك ومن لهم بالسمع داتوا
 يا ليت يدركها بنو السودان حتى لا يعانونوا
 ويكون في حكم الملوك لهم تجارب وامتحان
 شعب يولي أمره مل كاً هو الشعب المهاجر
 تملئ الوراثة أمرها فيسوده يوماً جبان
 إن الوراثة قد تروغ، وكم تروغ هي الرهان
 يوماً تجيئك بالمعين وكم تجيء بمن يعاني
 إن الولاية للجدير الكفاء يملؤه الحنان
 يختاره الجمهور لا فرض هناك ولا امتحان
 ما عاد في الزمن الأخير لحكم ذي تاج مكان

وفي وصف بلينغ ودقيق يصف الشاعر يوسف مصطفى التني في قصيدة
(طيف)^(١) من مجموعه الوافر، يطوف بذكريات وموافق فيسأل هل هذا الوجه
الوضاح الجميل أهوا وجهك؟ وكذلك الطرف والثغر وكل هذه التداعيات هي
أطياف في الكري ينادي بها الشاعر محبوبته.

وفي هذا الطيف الذي مرّ به يذكر أيام البين على الجبل المعروف بجبل
الصحابة بوادي حفا تلك اللقيا التي بمثابة هطول الغيث على الظماً فيقول:

أهذا وجهك الوضاح في حلو تجليه?
وهذا طرفك اللماح في سحر ماقيه?
وهذا ثغرك البسام يغريني وأغريه?
أهذي أنت يا هدي قدمت لنازح التيه?
أجل.... لكنه طيف وإن كنت أناجيه?
تمثل في الكري رفقاً بقلب جاء يحببه
غريب حطه البين بواد غير واديه
لقاوك كل ما يرجو وحبك كل ما فيه
لقد خف بنا البين وقد ألقى مراسيه
على جبل من الوادي أغاديه أماسيه
عقيم قد جفا النبت حزينات روابيه
عبوس تتشعر النفس من ربد أثاقيه
به ظماً دهور الله ينشره ويطويه
أبى الغيث مدى الأيام يغشاه فيرويه
يلقى مثل ما ألقى يعاني ما أعانيه
فبى ظماً إلى اللقيا وما طل أرجيه
وبى حرقة محروم وبى حيرة مشدوه

(١) يوسف مصطفى التني، ديوان التني الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٩٢-٩١.

أعتني الوحشة الكبرى وشوقاً لاأداريه
 إلى أن جاعني طيفك في أنسى مرائيه
 وأبرد حرّ أشجاني بميمون غوادييه
 ولكن شد ما ألقاه من لكن هاتيه
 لقد ألهب تحناني وشوفي لمغانيه
 لقربك والرضى الوالي وود كنت تضفيه
 لعطف غير ما من مدى العمر نواليه
 ووجه كلما أظلمت الدنيا لعيدي أو افيه
 فألقي النور من عينيه والتشجيع من فيه
 ويعتبر التي هذا الطيف منه ألهبت مشاعره شرعاً فيقول:

لطيفك منه أخرى وهل تحصي أياديه
 أثار الشعر في نفسي وقد ضجت قوافيه
 وكانت أظنه ولني فقد ولت دواعيه
 سواك! فلم تعد تهتز للغير مثانيه

ويختتم التي قصيده بالسلام والتحية لحبيبه الذي لم يفصح عن اسمه ويعتبره
 مقرباً إليه وأنه لهذا الوفاء يناجيه ويزجي له السلام من على بعد فيقول^(١).

ويوسف مصطفى التي في قصيده (لياليها)^(٢) وفيها بنوع في القوافي
 وينظم على طريقة الدوبيت، كل بيتين يكونان متحدين القافية، وهي مهاداة إلى اسم
 يرمز له بحروف (ع. ع. ح) وفي أول القصيدة يذكر تلك الليالي التي وصفها
 بلiali الها والشعر والحب فقال:

(١)

سلام الله يا هذى على بعد أزجيـه
 لأوفى من أناجيـه وأولى من أحـيـه
 لروحـ هو من روحيـ ولكنـ لاـ أسمـيـه

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٣٤.

لياليك تلك ليالي هنا *** أتاح بها السعد أقصى المني
 شباب يعود وحمر وعود وحب ودود حبيبي أنا
 ويدرك الشاعر بأن حبه قد تجدد بعد أن نسيه في غمار السنين حيث أنبت
 الحب وأزهر فقال:

نسيت الهوى في غمار السنين *** فجددت لقلب أشواقه
 وقد يبس العود عود الصبا *** فأنت بالحب أوراقه
 ويصف التي تلك الليالي حسنها وجمالها فقال:

لياليك يا حسنها من ليالي *** ليالي الهوى ولiali الجمال
 شرابي بها كان خمر اللمى *** وجامي ثغر فريد المثال
 ويوضح الشاعر بأن هذه العلاقة تعرف على سعادة الحب الذي يعتبره
 نعيمًا عليه فقال:

عرفت بها الحب سعدًا ونعمى *** لدن كنت أنت الحبيب الوصولا
 فإن قيل لي في جنان الخلود *** تمن تمنيت ليات "لولا"
 ويصف محسن لولا وطبيعتها فيقول:

وهل مثل لولي حور الجنان *** ولولا جمال وسحر وظرف?
 وقلب نقى وخلق رضي *** وخفة روح وأنس ولطف
 ويصف الشاعر تلك الليالي ووقفها في نفسه فيقول:

لياليك تلك ليالي النعيم *** لها في فؤادي ذكر مقيم
 إذا طاف طائفها بالكري *** صحوت وفي القلب بشر عظيم
 ويختتم الشاعر قصيدته بالرجاء أن تعود تلك الليالي فقال^(١).

وفي نجمه لقصيدة (السحر المطسم)^(٢) وهي من مجزوء الكامل، يفيض
 الشاعر يوسف مصطفى التي مثاعراً بوصف لجمال ساحر أي كأنه طلاسم أو

(١) لياليك تلك الليالي الخلود *** فيها ليتها كل حين تعود
 ساذكرها دائمًا فاذكري *** حفيظاً على موئقات العهود

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١١٠-١١١.

لغز هذا الجمال الذي حطم قلبه وحاول الشاعر أن يهرب من هذا الجمال الأخاذ حيث يعتقد بأن في ذلك سلامه له وقد شبه الشاعر حبيته بأوصاف بليغة فهـي سحر مطلسم وطليقة المـحـيا وهي كالـزـهـر وهي فـرـحة دائمـاً كالـطـفـلـ الـذـي لا تـقـارـقـهـ الـابـسـامـةـ أـبـدـاًـ ولـهـ حـيـاءـ فـيـ حـدـيـثـهاـ حتـىـ يـخـيـلـ لـلـسـامـعـ أـنـهـ تـتـلـعـتمـ فـقـالـ التـتـيـ :

(١) ويواصلها بقوله:

والشاعر يوسف مصطفى التني يرثي الشرييف الهندي في قصيدة من بحر الوافر بعنوان (**المرحوم الشريف يوسف الهندي**)^(١)، وسيرته الذاتية تقول: هو الشريف بن محمد الأمين الهندي علق بـ لقب الهندي من مرضعة جده السادس محمد بينما وفد من مكة وقد كانت هندية الأصل وهو أول من دخل من أجداده السودان ويتصل نسبه بالنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد عرف والده الشريف محمد الأمين بتدريس القرآن الكريم والتخصص في تجويده ووالدة الشريف يوسف هي السيدة شموم كريمة الأرباب أحمد الزين من منطقة السروراب وقد أنجبته بحلة الشريف يعقوب في نصف شعبان عام ١٢٨٨هـ الموافق ١٨٦٩م وللشريف علاقة تاريخية بالإمام المهدى ورحل الشريف يوسف إلى الخرطوم بأمر الحكومة الإنجليزية وساهم الشريف يوسف في الحركة الوطنية منذ اندلاعها. وقد أسس الكثير من القرى على نهر الدندر والرهد والجزيرة والنيل الأزرق وشرق السودان ووسطه.

وأسس طريقته الدينية التي تعرف بالطريقة الهندية وله مؤلفات كثيرة دينية وأدبية وتاريخية نثراً وشعراً. والجدير بالذكر أن الشريف يوسف الهندي هو والد الزعيمين السياسيين الشريف حسين يوسف الهندي والشريف زين العابدين الهندي رحمهم الله.

وأما عن القصيدة فتحدث فيها الشاعر التي عن فقد الذي ألم بالأمة السودانية بموت الشريف يوسف الهندي والصفات الكريمة التي يتميز بها وأنه هو رجل مثالي وقدوة لآخرين وله إسهامات في الحركة السياسية السودانية وهو عالم إسلامي تتلمذ على يده الكثير من المسلمين في تحفيظهم القرآن الكريم وعلومه فيقول التي عن الشريف يوسف الهندي ما يلي:

لقد ناحت بمانك المعالي *** وكانت من نواديك الليالي
وهل عجب بكاء الدهر يوماً *** على من كان مثالك في الخلال
فإنك فخر ذا الزمن المواتي *** يتيه به على العصر الخوالي

(١) يوسف مصطفى التني، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٣٢.

وأنت مساك حجته إذا ما *** أعايه بغير في الرجال
 وأنت بمدمع العلية جدير *** وكل العجب إن هي لم تبال
 فعشاق العلا نفر قليل *** وأنت بأفها "الرجل المثالي"
 يمتلك يقتدي ديناً ودنيا *** تركت المقتدين بشر حال
 وفي وفاء وإخلاص نظم الشاعر يوسف مصطفى التبي قصيدة بعنوان
 (على قبر عرفات)^(١) عرفاً لإسهاماته السياسية والفكرية والثقافية، وقد ولد
 عرفات محمد عبدالله عام ١٨٩٩ وتوفي في العام ١٩٣٦م، وكان من مؤسسي
 جمعية اللواء الأبيض ضد الاستعمار البريطاني وعمل موظفاً بقسم المستخدمين
 بإدارة البريد والبرق بالخرطوم وكان يجيد اللغتين الإنجليزية والعربية، وهو
 صاحب مجلة الفجر التي صدرت في أول يونيو ١٩٣٤م بتضافر عدد من المثقفين
 السودانيين واستمرت حتى أواخر الثلاثينيات برئاسة أحمد يوسف هاشم بعد وفاة
 مؤسسها عرفات.

أما في القصيدة فيصف التبي بأن عرفات هو رمز للوفاء والرشد الذي فقده
 الوطن فيقول:

عهتك رمز الوفاء والرشد *** وملء الزمان الذي لا يجد
 فلا غرو إن غمرتك الدمو *** ع وإن لم يطق فيك صبراً أحد
 ويعتبر الشاعر التبي أن عرفات هو فقيد العلم والأدب وبفقدانه فقدت البلاد
 واحداً من أبنائها المخلصين ويعتبره شهيداً لما قدمه لوطنه من جهاد نبيل، وكانت
 آمالك ومبادئك نبراساً لآخرين ومجلة الفجر كانت فجراً رشيداً وأن ذراك ستظل
 باقية يذكرها الناس بالخير فقال:

فقيد النبوع الذي لا يعب *** ومن ما عرفناه له الدهر ند!
 وحقك فقد فقد البلاد *** وواحدب القطر من فقد!
 فلو كان مثلك بين الرجال *** كثيراً تغير حال البلد
 تغير حتى لكان المثال *** وساد على السيد المستبد

(١) يوسف مصطفى التبي، ديوان التبي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٦٧.

ذهب شهيد الجهاد النبيل *** ويشهد دهرك فيمن شهد
 وخلفت بعده آمال شعب *** عليك لدى الروع أمس اعتمد
 مبادوك النور للعالمين *** و"فجرك" للناس فجر الرشد
 وذرك نبراس هذا الشباب *** فلا خمد الذكر حتى الأبد
 وفي تشبيه لحبيبه بـ(فينوس)^(١) حيث تقول الأسطورة أن فينوس هي آلهة
 الحب والجمال لدى الرومان وأسمها في اليونانية (الآلهة أفروديت) حيث اعتقد
 الرومان أنها ولدت في البحر وجاءت إلى شواطئ قبرص في محارة.

ويصف الشاعر بأن هذا الجمال لحبيبه هو مثل فينوس حيث ذكر بأنها
 مليحة وأنها أجمل ما رأى في زمانه وأنه سعيد بلقائها فقال يوسف مصطفى التني:
 فينوس! من ساق الجما *** ل مصوراً في زي غادة؟
 يضو ي على قسماتها *** نور الملاحة والفصادة
 فينوس أنت وما سوا *** ك سوي تقاطيع معادة
 فتقابلي قلبي الجريح *** وروضيه على العادة
 ذهب الزمان وما رأت *** عيناي من زمني سداده
 حتى لقيتك موهناً *** ففقيت في الدنيا السعادة

ويوضح الشاعر الجمال الفاتن ويصفها فيقول:

مثال قالبك الفريد له التفوق والسيادة
 وهب العناية كلها وتوخى في الفن الإجاده
 فأتيت محكمة الضوامر والمشارف والملادة
 قد فصلت آيات حس——نك مثل حبات القلادة

ويواصل الشاعر إظهار مشاعره وعواطفه وتوافقه مع حبيبه فقال:
 روحي وروحك قد كشفت *** اليوم بينهما الندادة
 نزلاً من الأزل القصي *** على جناح من وداده

(١) يوسف مصطفى التني، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٩٤-٩٥.

قد كنت أحلمي التي *** أفت من السعي اجتهادة
والاليوم زفت السعود *** إلى في دنيا الشهادة
ويختم التي القصيدة بسعادة بهذه العلاقة وأن شبابه قد رُدّ إليه بسبب هذا
الود فيقول^(١):

يمضي عمر الإنسان مسرعاً ومطلوب من المسلم أن يعرف عمره فيما أفناه
يقول تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)^(٢). والشاعر يوسف مصطفى
التي له قصيدة من بحر الرمل بعنوان (على قمة الأربعين)^(٣) وهي بداية مرحلة
الكهولة. يصف في الجزء الأول من القصيدة سرعة مرور الأيام وذكرياتها التي
مرت به في مرحلة بواكيره وشبابه وأن الإنسان إلى زوال وأن الإنسان بعد بلوغه
الأربعين يظهر الشيب على رأسه ولكن الشاعر يذكر بأن قلبه وعزمها لا يشيبان
فيقول:

ذهبت مسرعة تلك الليالي *** وانتهى عهد شبابي باكتهالي
ذهبت لم يبق إلا رجعواها *** ذكريات تتراءى في خيالي
احتواها الأبد الباقي كما *** يحتوي الأجيال من ماض وتالي
من معيد لي يفاعي محسناً *** وصبابات ليالي الخوالي؟
أنذرتي أرعوني أبني *** موشك عما قريب بزوال
وزوال الشاعر الفنان أن *** لا يرف القلب منه لجمال
أو إذا إحساسه لم يستجب *** لنداءات الدراري الغولي
أو إذا ما أعرضت عنه قلبي *** ملهمات الفن ربات الجمال

(١)

ليلتنا عند العراء *** وهل لنا منها زيادة؟
ردت شبابي من جديد *** فابتهرت بالاستعادة
يا من بعثت الروح في *** أعد إلى قلبي رشاده

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٣) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٣٠.

عرب الشيب برأسِي وغداً حائلاً دون وداد ووصل
 لم يشب قلبي ولا عزمي وهي لا ولا رثت مع الشيب حبالي
 وفي الجزء الثاني من قصidته (على قمة الأربعين)^(١) الشاعر يوسف
 مصطفى التي يذكر ويصف حاله بعد سن الأربعين بعد أن أصبح كهلاً ويرجو
 من الله المغفرة والرحمة لما كان عليه في بوادر عمره وخاصة مرحلة الشباب
 والآن قد كبلته السنون حيث أثرت على صحته وأيضاً صار له رقباء يتالبون
 هفواته بعد أن كان حراً واستقر فؤاده وأن الحسان قد فرن منه بعد أن شاب
 رأسه وأنه يعيش حياته على ما مضى من ذكريات فيقول في كل ذلك:

رحم الله يا أخي صبواتي *** وشباباً موفق الغزوات
 صرت كهلاً وحل الشيب رأسِي *** ثم عاد الزمان في قسماتي
 كبلتني السنون بالقيود *** عدها أربعون في خطواتي
 أثقلت خطوي الخيف وعفت *** يا رفيق الصبا على نزواتي
 كنت حراً فصار لي رقباء *** يرصدون اليسير من هفواتي
 واستقر الفؤاد من بعد خفق *** أين ولئ توارد الخفات؟
 صبني الكأس عن الساقِي *** وكان الدنان من كاساتي
 واجتوتني الحسان يا رحم الله *** تداعى الحسان في جنباتي
 لم يجدن المجنون في كلماتي *** أو يجدن الإغراء في نظراتي
 لم يعد لي من "حاضر" في زماتي *** احتفي فيه بالهوى والذات
 أو يعد لي "غد" فأرجوه مزهوأ *** كما يزدهي الشباب بآتي
 فأنا عايش بأمسى أجتر *** القديم الحبيب من ذكرياتي
 رحم الله يا أخي صبواتي *** وشباباً موفق الغزوات

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١٣١.

وفي رثائه لخليل فرح كتب الشاعر يوسف مصطفى التني قصيدة (الفنان الفقيد)^(١) قال تعالى (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ...).^(٢) وخليل فرح ولد بقرية دبروسة مركز حلفا عام ١٨٩٤م ونشأ وترعرع فيها وكانت حلفا معبراً لدخول العلماء والمهندسين وجميع المهن المختلفة وكان يقف عند مدخلها آنذاك خليل فرح ويشاهد بعيني رأسه تلك الحشود الوافدة من المثقفين فنال من كل نبع قطرة وأخذ من الثقافات المختلفة التي كانت معيناً له مستقبلاً وهاجر إلى أم درمان ودخل كلية غردون التذكارية وهو شاعر وصاحب قصيدة (عزة) المشهورة وتوفي في ٣٠ يونيو ١٩٣٢م ويبداً التي القصيدة بفقد خليل فيقول:

أيعترى الموت حتى أقدس الحرم *** ألا يهاب جلال الفن والقدم؟
إن كان في وسعة التبديد دون حجي *** فالفن في وسعه الأحياء من عدم
وإن تطاول يوماً يدعى قدماً *** فالفن للكون بعض غير منفص

ويذكر الشاعر ما قدمه خليل لوطنه فقال:

أيسلب الموت روحًا كم نضن بها *** روح الخليل فقيد الطرس والقلم
مثل الحياة ومن أوفى نماذجها *** فيها التجارب للأفراح والسمق
لم توح يوماً قصيداً ولا تهز به *** أكان نفح الأماني أم صدى الألم
ولم يغن خليل من قصائده *** لحناً فما حرك الصوان بالأكم
فنفسه لنفوس الشعب أجمعها *** لسانها الناطق النضاج بالحكم
أغراضها مجمع الأغراض يرسلها *** لحناً فتنحصر الأباب بالنغم
ويواصل التي ذكر فضائل خليل فرح ومكانته لدىبني وطني والزهد
الذي عاش فيه فيقول:

إن كان أول من أرتبه في زمني *** فذاك أجر من يرثي بكل فم

(١) يوسف مصطفى التني، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٦٨-٦٩.

(٢) سورة النساء، الآية (٧٨).

إِنِي لَأُعْجَبُ بِالْفَكِيرِ الْبَصِيرِ وَبِالرُّوحِ *** الْكَبِيرِ وَحْبِ الْقَطْرِ وَالشَّمْ
 قَدْ كَانَ لِلْحَسْنَ مِنْ عَبَادٍ سُطُوتَه *** وَكَانَ لِلْفَنِ دَوْمًا أَطْوَعُ الْخَدْمَ
 مَا ذَاقَ فِي الدَّهْرِ مِنْ لَذَاتِه طَعْمًا *** وَكَانَ لِلْدَّهْرِ غَنْمًا سَائِغُ الطَّعْمِ
 فَكَانَ مِنْ دَمْعَه السَّكَابِ فِي غَرْقٍ *** وَكَانَ مِنْ حَبَّه الْوَقَادِ فِي ضَرْمَ
 وَمَا مَحَا بِالْبَؤْسِ شَيْئًا سَجِيَتْه *** وَلَا مَحَا حَبَّ وَادِي النَّيلِ وَالْهَرَمَ
 وَمَا زَالَتِي ذَاكِرًا أَمْجَادَ وَأَفْضَالَ خَلِيلِ فَرْحَةٍ وَمَا قَدَمَهُ مِنْ نَضَالٍ وَجَهَادٍ
 لِوَطْنِهِ وَأَنَّهُ غَرَسَ الْوَطْنِيَّةَ لِشَعْبِهِ مَمْثَلًا ذَلِكَ فِي قَصِيدَةِ (عَزَّة) فَقَالَتِي:
 خَلِيلٌ نَعَمْ مَطْمَئِنْ الْقَلْبُ عَنْ وَطْنٍ *** غَذِيَتْهُ بِغَذَاءِ الرُّوحِ وَالْفَهْمِ
 أَهَابَ بِالشَّعْبِ مَا أَرْسَلْتَ مِنْ نَعَمْ *** وَهُلْ يَظْلِمُ عَلَى الْأَيَامِ فِي صَمْ
 هَذِبَتْ نَظَرَتَهُ لِلْحَسْنِ فَارْتَفَعَتْ *** وَأَصْبَحَ الْحُبُّ لِلتَّقْدِيسِ لَا لِلنَّهِمِ
 عَلِمْتَهُ كَيْفَ يَهُوَ الْمَرْءُ عَزْتَهُ *** وَكَيْفَ يَشْرِي الْذِي تَبْقِي وَلَوْ بَدَمْ
 عَشْقَتْهَا فِي الضَّوَاحِي فِي الظَّبَاءِ وَفِي *** حَسَنِ الطَّبِيعَةِ وَالْأَغْوَارِ وَالْقَمَمِ
 زَجَيْتَ تَمْجيَدَهَا إِذْ كُنْتَ تَنْفَثُهُ *** وَرَوَحَكَ الغَضُّ فِي الْأَنْغَامِ وَالْكَلْمِ
 فَانْبَثَ رَوَحُكَ بَيْنَ الْقَوْمِ بِرْشَدِهِمْ *** كَالْبَدْرِ يَرْشِدُ سَارِيَ اللَّيلِ فِي الظُّلْمِ
 وَيَخْتِمُ التِّيَّ قَصِيدَتِهِ بِالْدَّعَاءِ وَالْمَغْفِرَةِ لِخَلِيلٍ وَأَنْ يَتَقْبِلَهُ اللَّهُ قَبْوَلًا حَسَنًا
 وَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ فَقَالَ (١):

وَفِي قَصِيدَتِهِ (أَحَدُ النَّاسِ.. وَبَعْضُ النَّاسِ) (٢) وَهِيَ مُوجَهَةٌ إِلَى صَدِيقِهِ
 السَّيِّد / زَيْنُ الْعَابِدِينَ صَالِحُ أَبُوقَاضِي يَذَكُرُ الشَّاعِرُ يُوسُفُ مُصْطَفَى التِّيَّ دُورِ
 الصَّدَاقَةِ وَأَنَّهَا كَنْزٌ لَا يَفْنِي فَيُوضَحُ فَضْلُ صَدِيقِهِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ مِنْ عَطَاءِ

(١)

خَلِيلٌ نَعَمْ مَطْمَئِنْ عَنْ بَلْدِ *** قَدْ جَدَ فِيهِ شَبَابٌ سَامِيَ الْهَمِ
 فَقَدْرُوكَ عَظِيمًا بَيْنَ أَظَهَرِهِمْ *** وَأَبْنَوْكَ فَقِيَادًا عَالِيَ الْقِيمِ
 وَأَنْزَلَ جَنَانًا مِنَ الْفَرَدَوْسِ مَا خَلَقَتْ *** إِلَّا لَيَنْزَلَهَا الْأَفْدَازُ فِي الْأَمَمِ
 وَلَتَهْبِطَ الرَّحْمَةُ الْعُلِيَا عَلَى جَدَثٍ *** قَدْ ضَمَنَوْهُ فَقِيدٌ جَدَ محْتَرَمٌ

(٢) يُوسُفُ مُصْطَفَى التِّيَّ، دِيَوَانُ التِّيَّ الصَّدِيَّ الْأَوَّلُ وَالسَّرَّائِرُ، مَرْجَعُ سَابِقٍ، ص ١٢٩.

قدمه إليه وليس يرجو من ذلك شكر ولا ثناء وأنه زين العابدين كان مخلصاً في عطائه والإخاء عنده متصل في إيمانه يقول تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...)^(١).

ويمضي الشاعر في ذكره لمحاسن صديقه زين العابدين موضحاً أنه لا يتفاخر بما يقدمه ولا يرجى معروفاً وأن هذا الصديق نادر جداً في زمانه ويرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجزيه خيراً ويكشف الشاعر هديته كما في القصيدة وهي عبارة عن كسراء زاده بهاً فيقول:

هأنا أرفل في أبهى كسراء *** معلناً للناس فضل الأصدقاء
شاكراً للزین ما أسدی وكم *** غمر الزین بموفور العطاء
معطياً عن كريم أورثه *** ليس يبغى الشكر أو حسن الثناء
كلما هم بخير حثه *** دافع الإخلاص نحو الخلصاء
والإخاء الحق في إيمانه *** نجدة الإخوان في وقت البلاء
لا كبعض الناس أقصى ودهم *** ضحكة اللاهي ومدخل الرثاء
لا كمن يقدر أن يحمي أخاً *** ثم لا ينشط إلا للعزاء
لا كمن إن بذل القرش أدعى *** أنه في الكرم المشهود "طائي"
لا كمن لا يرجي معروفة *** غير من يستطيع إجزال الجزاء
فالمهادأة اتجار عندهم *** بل مرابة فخيط برداء
إن زيناً من نسيج وحده *** نادر في زمن نزد الوفاء
فليبق الرحمن زيناً إنه قد وفى جسمى من برد الشتاء
وللصداقه مكانة وقدر للشاعر يوسف مصطفى التي ففي قصيدته (الذكرى
صديق)^(٢) وهي في رثاء المرحوم حسن نورين الذي توفي قتيلاً، يقول الله تعالى
(...وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)^(٣).

(١) سورة الحجرات، الآية (١٠).

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٧٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٥١).

ففي رثائه يحزن الشاعر ويتحسر لفقد صديق عزيز ولكنه يؤمن بالقضاء والقدر، ويدرك الشاعر بأنه تلقى النبأ ذات صباح بخبر الفاجعة بقتل صديقه حسن ويمضي الشاعر في وصفه للفقيد بأنه كان طموحاً وقدوة للخير، وبكاه الشاعر جرعاً ويوضح بأن البكاء يجدد اللوعة والحزن.

ويمضي الشاعر التي بأنه فقد صديقه الذي شبهه بالروض وأن الزهور دائمًا تمضي نحو الفناء فيقول التي:

سخر القضاء بفطنة المتذير *** ومشى الحمام على الرجاء الأكبر
بالأمس: قلنا: ما البقاء لناقص *** إن البقاء لذي التمام الأجر
قد شاء ربك بالحياة كمالها *** حتى تنزه عن سفاه المزدرى
فتراه ينفي كل ما تبدو به *** في ثوب ذي عوج وزي الأبت
هي قوله سارت وما هي أخطأت *** سمعاً لمنتعج الربى والمغور
حتى إذا كادت يغر بريقها *** وتنال منزلة اليقين النير
وحسبت أنني جئت قاعدة الردى *** سخر القضاء بفتنة المتذير
إذا صباح أكدر وإذا أخي "حسن" تضرج في الذكي العنبرى
ومضى صديق كان بين رفاقه *** رمز الطموح وقدوة المتخير
فبكىته جرعاً وما أجدى البكا *** إلا تجدد لوعتي وتحسري^(١)
والشاعر يوسف مصطفى التي يذرف دمعة محزون على المرحوم التجانى
محمد القاضى بعنوان (شباب ذوى)^(٢) والموت حق وعلى المسلم الصبر والإيمان فيما

(١) ويمضي بقوله:

أنا إن بكى وإن جزعت فإنما *** أبكي على مثل الشباب المثمر
أبكي على الروض الذى ما فنت *** زهراته إلا لريح صرصر
تمضي الزهور إلى الفناء حثيثة *** والشوك يرفل في خطى المتعثر
وتعمى الأيام سقط متاعها *** وبودع الممتاز غير معمر
فاختر لنفسك أن تعيش رزئه *** أو ينتقيك الموت غير مخير

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٦٦.

يواجهه من بلاء. يقول تعالى (وَلَنَبُوَّنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٌ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَدَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ^(١).

والشاعر التي يحزن لفقده للتجاني فيقول:

أتسألني قيم انعافي على الأسى *** وفيه ذهولي والبكى والتبايعيا
وأي مصاب حمله آد مهجتي *** كفاني مصاباً أن فقدت "التجانيا"
والتي هنا يذكر محسن صديقه الذي رحل إلى الدار الآخرة فيقول:

"تجاني" فقدت اليوم خير مناصر *** فقدت الوفاء الحق والعطف دانيا
وما أنا من تل فيه بعدك ناسيًا *** إخاءك حاشى أن أبيتين ناسيا
فإن أنا لا أوفيك حقك من رثا *** ومن مدمع دام فلا عشت هانيا
والشاعر التي في فجيئته يرجو من الله الصبر وأن فدك هو فقد لكل أصدقائك
الذين بفقدك فقدوا التفاني والإخلاص وقول الحق وسيظلون يذكرونك ويترحمون عليك
فيقول:

لي الله قد شاء الزمان نكايتي *** فعز اقترابي من سريرك حانيا
وأحرمت أن ألقاك والموت مقبل *** أحرم حتى أكون مواريا
لكم كنت أرجو أن أقوم مبشرًا *** بعودك في يمن فأصبحت ناعيا
وكم كنت أرجو لو يحييك معجزي *** وأوفيتك تكريماً فكان المراثيا
وكم أتمنى لو دعيت إلى الفدا *** فقدمت روحني في الصبا الغض راضيا
وما أنا وحدي من يرحب بالفدا *** فكم من صديق ودَّ لو كان فاديا
وما أنا بالمرزوء فيك بمفردي *** فكم من حميم قام يرثيك باكيما
لقد فقدوا فيك التفاني لأجلهم *** وبعض الذي توليه كان التفانيا

(١) سورة البقرة، الآيات (١٥٥-١٥٧).

ومن عهدوا للحق خير مؤيد *** ومن عهدوا في الحق جبار طاغيا
 فلا فقدوا فيك المقدس قبره *** ولا فقدوا مجدًا لذكراك باقيا
 وفي وصف بديع لشعر امرأة في قصيدة من بحر الكامل اسمها (الشعر
 المسحور)^(١) حيث يبدأ القصيدة بالألوان المتعددة لهذا الشعر:

دعني أقبل شعرك الزاهي فلي *** ولع به لم أكتنه ألوانه
 غزلوا من الليل البهيم خيوطه *** ومن الضحي نسجوا لنا لمعانه
 ويفصل التبي الشاعر بأنه كالموسم فقال:

صفقته يد الصناع وقد بدا *** كالموسم مغلوبًا على جريانه
 فسها كما تسهو النواذير للرؤى *** والخاطر المفجوع في فناه
 ويمضي التي في وصف الشعر مع النسيم فقال:

ليت النسائم داعبته وحطمت *** أغلال هذا السحر عن شعراته
 ليت الطلاقة عاودته فإنه *** أدنى لقلبي وهو في رقصاته
 ويختم القصيدة بأصالة صاحبته فقال:

إني أحن إليه وهو منح *** فقد أسرته نفاسة في أصله
 فأطلقه للأحلام تمرح حوله *** وارحم فغل مسرتي من غله
 وللشاعر يوسف مصطفى التي قصيدة بعنوان (وساوس)^(٢) وجاء في
 المنجد^(٣) ما يلي: (وساوس: وساوس: شيطان وهو ما يخطر بالقلب من شر أو ما
 لا يخرج منه في صور وأفكار. وساوس الشيطان فكرة ثابتة تتسلط على النفس
 فتشغلها عن كل شيء وتجعل الإرادة عاجزة عن مقاومتها، هاجس: استسلم
 لوساوسي).

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٣) المنجد في اللغة العربية، طبعة ثانية، دار المشرق، بيروت ٢٠٠١، ص ١٥٢٩-١٥٣٠.

يقول تعالى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْنَّاسِ ۝ مَلِكِ الْنَّاسِ ۝ إِلَهِ الْنَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ
الْوَسَوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) ^(١).

وفي القصيدة يشعر الشاعر وهو منظر لحبيبه بقلق يحس به، فقال من
جزوء الكامل:

أَسْهَدْتِي وَتَرَكْنِي *** هَلْ أَنْتَ مُثْلِي الْآنَ سَاهِدْ
أَمْ رَحْتَ تَسْعِدْ مِنْ تَشَا *** وَأَنَا أَجَاهِدْ مَا أَجَاهِدْ
أَسْهَدْتِي وَتَرَكْنِي *** أَقْضِي مَسَائِي فِي انتظارِكْ
وَتَثِيرْ فِي صَدْرِ الْوَسَا *** وَسْ مَا تَشِيرُ مِنْ مَعَارِكْ

والشاعر يحس بالوساؤس والظنون فقال:

أَسْهَدْتِي وَتَرَكْنِي *** نَهْبَ الْظَّنُونَ الْجَاهِرَةَ
وَتَرَكْتِي مَهْجِتي الْلَّهِيفَةَ *** فِي ارْتِقَابِكَ حَاهِرَةَ
وَيُشَكُّو الشاعر في زهد حبيبته عنه فقال:
أَزْهَدْتِ فِي وَفِي الْوَدَا *** دَهْ وَالْتَّدَانِي وَالْتَّعَاطِفِ؟
إِنْ كَانَ هَذَا مَا تَرِيدْ *** فَكِمْ مَشِيتْ عَلَى الْعَوَاطِفِ

ويختتم الشاعر قصيدته بعودة قلبه للصفاء ويرحب بوصاله وإذا لم ير غب
حبيبه في ذلك فوداعاً فقال في ذلك:

كَمْ عَادَ قَلْبِي كَالصَّفَا *** مِنْ بَعْدِ مَا ذَابَ التَّيَاعُونُ
فِإِذَا وَصَلْتَ فَمَرْحَبًا *** وَإِذَا تَقَاطَعَ فَلَوْدَاعًا

وفي قصيدة (نجوى غريب) ^(٢) يحن الشاعر يوسف مصطفى التي لوطنه
الذي فارقه بالقربة وهو في ذلك يسهر الليلالي حتى طلوع نجمة الصباح ويفتخر
التي بوطنه ويصفه بأنه مطلع الشموس والحرية وأنه الآن يعيش في وطن كل

(١) سورة الناس الآيات ٦-١.

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٤٨.

شيء فيه مقيّد وأن الشاعر يشعر بالهم والغم في هذه الغربة التي فقد فيها كل شيء من جمال وأنشيد وغناء وأنه في الغربة محروم من كل ما هو جميل فقال:

شط بياليوم عن حمال المزار *** وشجاني الحنين والتذكار
 إيه يا نجمة الصباح أطلي *** فقد طال بي إيك انتظار
 طال حتى ملته في ديار *** قد بلاني بشرها المقدار
 وطني مطلع الشموس وهذا *** وطن فيه للشموس سرار
 كل شيء مقيّد فيه حتى *** ما نجت من قيوده الأفكار
 طال بالهم فيه ليلي وعهدي *** في ليالي بالسرور قصار
 كم تافت للجمال فلم ألف جميلا *** تزوده الأنظار
 وتسمعت للغناء فلم ألق رحيمأ *** به الشجون تشار
 عز أن يطرب الغراب لما *** كان يشدو لمسمعيه الهزار
 حرمت نشوة التعجب نفس *** لم يفتها الإعجاب والإكثار
 نشوة خمرها الكمالات ولمجد *** وهنا القصور والإقصار
 ضعف في هذه الديار كما ضا *** عت بافاق سوحها الأقمار
 والشاعر يوسف مصطفى التي ضد الكدر والعبوس ولذلك نجده نظم
 قصيدة (تبسم)^(١) يدعو فيها إلى الابتسام لأن في البسمة نور الحياة وتدعوا إلى
 الجمال وأن البسمة تشرح الصدر وتسر الناظر فقال:

تبسم فإن ابتسامك عذب *** يزيل الهموم وينفي الكدر
 تبسم تبسم لكهما أحار *** وكيماء أغار فلا استقر
 تبسم لتنشر نور الحياة *** فذاك بين الثنایا الغر
 تبسم ليضحك هذا الجمال *** على وجهك الناصر المزدهر
 وتبسم في العين آمالها *** ويومض فيها بريق البطر
 وللعين أي ابتسام تراه *** إذا ما تبلور فيك الحور

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٥٥-٥٦.

ألا لا تقم دونه حاجزاً *** وإن شف عما به يستتر
 وخل العيون تاجي العيون *** وتروي إليها صريح الخبر
 وأهداها، يا لأهداها *** إذا وفت شرعاً للنظر
 يحذك الليل عما جنته *** أما علمت ناظري السهر
 ويمضي الشاعر في الدعوة للابتسام لظهور الجمال ويطرد الفؤاد وأن
 البسمة تقوى الهوى فقال:

تبسم لتضحك هذى الخود *** "بنوناتها" عندما تنضر
 فيطرب هذا الفؤاد وينزو *** إلى شفتي الطعام الحذر
 تطل الرغائب من مقاتي *** ولا أستطيع قضاء الوطر
 فأقع في ذلة المستضم *** وفي لهفة السائل المنتظر
 أهزهز فيك شعور الحنان *** ونفسك نشوى بهذا الظرف
 فتشفي فؤادي بأدواره *** وتبسم لي بسمة المنتصر
 ألا إنها بسمة لو علمت *** تقوى الهوى وتذيب الحجر
 وأعذب من قبلات الظلم *** وأوقع من خلوات الحجر
 فأرسلها ضحكة للسماء *** لتسخر من كبراء القدر

ويواصل التي بأن ما ذكره سابقاً هو إضاعة للظلم فيقول^(١):

وفي الحب والهجرات وطلب الصفح كتب الشاعر يوسف مصطفى التي
 قصيدة (حب وغفران)^(٢) يفصح فيها الشاعر عن وده وحبه وشوقه وأشجانه وبعد
 كل هذه العاطفة يعترف الشاعر بأنه قد أخطأ مع من يحبه ولذلك يطلب منه
 التسامح على ما بدر منه فقال:

(١)

فصول نكرها ما نشاء *** نضى بها ظلمات الدهر
 فلا عدتك العيون الظماء *** ولا عدتك ليالي السمر
 تدبر الكؤوس وتحي النقوس *** وتحي إلى عاشقيك الدرر

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٥٧.

بالنفس مني دقيق الخلق فتنان *** له على النفس والأفكار سلطان
 بالنفس مني وقد أدي يسائلني *** والوجه منه بماء الحسن ريان
 طفت على القلب أشواق وأشجان *** فهل يغيب حبيباً منك إحسان
 قد كان بالأمس حظي زورة ورضى *** فما لي اليوم حظي منك هجران؟
 بالله قل لي فإنني جازع قلق *** هل أنت يا زينة الأيام غضبان؟
 إن كنت أخطأت فأغفر لي بما أنا من *** يقسى عليه فإن الحب غفران
 ويذكر الشاعر محبوبه بأن الحب صفح وغفران وأن تعود حياتهما سعيدة

بأحاديث الهوى فقال:

غفران غفران إن الحب غفران *** وهل يكون لشرع الحب عصيان
 هيا إلى، إلى صدري وحافقه *** صدر بحبك والغفران ملان
 ليلتقي عندنا حب ومغفرة *** بل يلتقي عندنا دين وإيمان
 كلما التقى في سماء الحب أنفسنا *** أو التقى من مسيل الدموع خدران
 وأسرد على أحاديث الهوى جذلاً *** ورتل الشعر إن الشعر فرقان
 إن أنصت الغير للأطياف تطربهم *** ها أنت طيري وكلى الآن آذان

وفي قصيده التي بعنوان (سلمت)^(١) يوضح الشاعر يوسف مصطفى التني
 يصف حبيبه بالجمال الخلاب هذا ما جعله يغير عليه ويجعل فداءه العيون
 والإنسان والhor ويصفه بالفضيلة فقال:

فدتك	العيون	وإنسانها ***	وحور	الجنان	وولدانها
عهـتك	زينة	دنيا الأئمـ ***	فكيف	تمسك	نـيرانها؟
أـلا	أـلـيـنـ	كـانـتـ دـمـوعـ الـغـنـاهـ ***	ليـحـمـيـ	جمـالـكـ	هـتـانـهـاـ
أـلا	أـلـيـنـ	كـانـتـ دـمـوعـ الـقـلـوبـ ***	أـغـارـتـ	بـصـرـكـ	خـدرـانـهـاـ
سلـمت	أـيـاـ	قـدـمـاـ لـاـ تـفـكـ ***	لـغـيـرـ	الـفـضـيـلـهـ	أـرسـانـهـاـ

(١) يوسف مصطفى التني، ديوان التني الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٥٨.

ويمضي الشاعر وصفه البديع لحبيته بما أنعم الله عليها بجمال أخذ وبهذا الجمال افتقنت به كثير من القلوب فقال:

أرى قدماً خلقت آية *** ليعجز ما شاء فانها
 ويلثم صفحتها المعجبون *** فلا كانت النار ما شأنها؟
 ألا إنها غيرة من سناك تضرم في النار برkanها
 فقد أبصرت كم قلوب كبار يفيض بحبك *** إيمانها
 وقد خشيت أن تراك "المجوس" *** نورك ديانها
 ويزهد في طهرها الزاهدون *** باسمك اوثانها
 ألا فاعذرها على غيرة *** يُجن غيرانها
 وبعد أن طوّف الشاعر يوسف مصطفى التي في دنيا الغرام والهوى بقلبه
 ومشاعره وعواطفه يترك كل ذلك ويعود إلى حياته العادية دون هوى يؤرقه جاء ذلك في قصidته من بحر الكامل (التوحيد)^(١) التي يذكر في مقدمتها تطاويف في دنيا الحب فقال:

عددت في دين الغرام مذاهبي *** من بعد ما عدلت من أربابي
 طوفت في آفاقه لم أطرح *** أفقاً له أو استلم بجانب
 واليوم أقفل والندامة لم تجد *** سبباً تناول به كريم مآبى
 ويواصل الشاعر التي حديثه عن تطاويفه في دنيا الغرام في كل مناحيه وما
 تعرض له من سرور ونعم وشقاء وبلاء ولكن بعد كل ذلك قفل راجعاً بصوت
 ضميره إلى حياته الطبيعية فقال:

طوفت في "آفاقه" فعرفتها *** من مشرق بهيج وآخر خابي
 وبلوت من نعماتها وبلايتها *** أنوار أقمار نار شهاب
 وسبحت ثم سبحت ما شاء الهوى *** حتى انتهيت إلى القصي النابي
 فإذا مرادي فوق أعراف الدجى *** ورسيت من زحل على الأبواب
 ولقيت أكرم ما أعد العاشق *** نحو التسامي بالهوى وثاب

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٥٩-٦٠.

لكن صوتاً في ضميري داوياً *** أبداً يحث على الرحيل ركابي
وما زال التي يفصل مراحل الهوى التي مرّ بها وذاق فيها من جمال
وبهاء ولكنه ترجل عن ذلك كما يفصح شرعاً في الآتي:

طوفت في آفاقه فعرفتها *** ونزلت من "جناه" برحاب
وقطفت من ألفافه ورياضه *** زهراً تضوع في ربيع شبابي
أوحى من الآيات، آيات النهى *** شعراً يخلدني على الأحقيات
وحببت منأتربها وكتعبها *** عطاً آثار حفيظة الأتراب
ووردت كوثرها وكان سلافة *** في الثغر تنسي خمرة الأعتاب
لكن صوتاً في ضميري داوياً *** أبداً يحث على الرحيل ركابي
وما زلنا نمضي قدماً في تفاصيل مسيرة الشاعر التي في دنيا الهوى
والغرام وترجله عنها ووصفه لمسيرتها بين آفاقه وبحره الصخاب وظفره بالدرر
ولكن اليوم يودع تلك الأيام واللحظات ويؤوب بتوديع نزوات الشباب وطشه
ويكون بذلك فقد ختم طوافه في الهوى بالعودة والإياب فقال:

طوفت في آفاقه و"جناه" *** وسیرت قاع "حضاره" الصخاب
فظفرت من دراته بفريدة *** عزت نظائرها على الطلاب
والليوم.. أغلق هائلاً مستبشرًا *** فرحاً بما أودعته بوطابي
أودعته حلمي الجميل فلم يعد *** قلبي يرفرف خلف كل سراب
حلمي الذي وحدت فيه عبادتي *** للحسن أصبح مبدئي وما بي
أفعمت منه جوانحي حتى غدت *** ولها لدى جلة المحراب
وملأت منه محاجراً لم تنتبه *** من بعده للبارق الخلاب
ودعت نزوات الشباب وطشه *** وبسمت للغد باسمة الترhab
وختمت تطوافي فأية بغية *** من بعده تهوى وأي طلب؟
وقد وصف القرآن الكريم الشعراء في قوله تعالى (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمْ
الْغَاوُونَ) ﴿١٧﴾ ألم تر أنهم في كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا

يَفْعُلُونَ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىًّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ)١(.

الريف جميل زروعه خضراء زروعه نامية يصفو فيه الجو ويعلم الهدوء والنسيم العليل والنخيل الذي على شاطئ النيل تلك اللوحة الجميلة يصورها لنا الشاعر يوسف مصطفى التني في قصidته (الوردة البيضاء)^٢ وقد أوحت هذه القصيدة رواية الوردة البيضاء السينمائية وقد ورد اسم (رجاء) وهي البطلة و(جلال) اسم البطل، ويبدا الشاعر قصidته حائراً بهذا الجو الجميل حيث يصفه بقوله:

هي حيرة غلت على حوبائي *** غمرت بأطيااف النعيم مسائي
وتبسם القلب الجريح لنشوة *** فيها تشبه نشوة الصهباء
وهفا لسطوتها عليه كما هفا *** شوقاً لتلك الأعين السوداء
ونسائم الريف الجميل مرفة *** ظل النخيل على نمير الماء
ويشرح الشاعر حيرته وسبر غوره متمثلاً في الوردة البيضاء ويصف
الحقول والزهور والورود ويقارن ذلك برواية الوردة البيضاء دور بطيئها رجاء
وجلال وهو بذلك يصف الريف وجماله ويصور امرأة جميلة، فيقول:
هي حيرة حاولت سبر قرارها *** فأبى وطاول خبرتي وذكائي
 وجهدت أدرك كنهها فإذا بها *** في سر تلك الوردة البيضاء
تلك التي في الحقل زين نظائر *** تحكي نجوم القبة الزرقاء
عرفت إلى قلبي السبيل فنبهت *** شيطان شعري وهو في إغفاء
 كانت رسول الحب وهي جميلة *** بالسحر تنفسه بنان "رجاء"
 ولتلك أغلى من يتيمة عقدها *** مالي وللمثقوبة الخرساء؟
 هي كالحياة عواطف مبثوثة *** ولها الفنون الغر كالأصداء

(١) سورة الشعراء، الآيات (٢٢٤-٢٢٧).

(٢) يوسف مصطفى التني، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مصدر سابق، ص ٦٤-٦٥.

بعثت "جلالاً" للفناء وأنطقت *** أوتار تلك الآلة الصماء
والاليوم تزهي من براعة شاعر *** بيتيمة خطاره عصماء
ويختم الشاعر قصيدته بتلية داعية الشباب إلى الهوى والتضحية ويوضح
طريق العشق فقال^(١):

وفي علاقة عاطفية سماها الشاعر يوسف مصطفى التي (موقع غرام)^(٢)
من بحر المديد، يوضح فيها الشاعر مشاعره مع هذا الحب الذي استسلم كلياً له
قال:

لَكَ أَسْلَمْتُ يَا حَبِيبَ قَلْاعِي *** وَحَصُونِي وَعَدْنِي لِلدِّفاع
لَكَ أَسْلَمْتُ دُونَ قِيدٍ وَشَرْطٍ *** لَمْ تَعْدْ لِي قُوَّى لِهَذَا الْجَرَاع
أَنْتَ بَدَدْتَهَا فَلَمْ يَبْقَ دَرْعٌ *** أَوْ مَحْنَ لِقَلْبِي الْمُلْتَاع
قَاوِمَ الْقَلْبَ مَا اسْتَطَاعَ وَلَكِنْ *** لَيْسَ دَفْعَ الْجَمَالِ بِالْمُسْتَطَاع

والشاعر هنا يصف جمال حبيبته وصفاً دقيقاً ويوضح بأنها أجمية أي
غير عربية فقال:

كُلُّ مَا فِيهِ آسِرٌ وَمُثِيرٌ *** نَسْقُوهُ فِي أَسْحَرِ الْأَوْضَاعِ
حُمْرَةُ الْخَدِ أَشْعَلَتْ فِي فَوَادِي *** نَارُ حُبِّهَا فِي اِنْدَلَاعِ
كَلْمَا دَغْدَعَتْ تَرِيدُ اَحْمَرَارًا *** فَهِيَ كَالْدَرُ بَعْدِ صَقْلِ الصَّنَاعِ

(١)

لَبِيكَ دَاعِيَةُ الشَّابِ إِلَى الْهُوَى ***	وَالْتَّضْحِيَاتِ وَلِكَمَالِ النَّائِي ***
قَدْ كُنْتَ نَبْرَاسَ النَّجَاحِ بِعَاشِقٍ ***	مَثْنَى رَمَاهُ الدَّهْرَ بِالْبَأْسَاءِ ***
وَكَشْفَ لِلْمَلَأِ الْجَحُودِ نَبْوَغَهُ ***	فَعْدَا نَزِيلَ مَاقَصِرِ الْجُوزَاءِ ***
بِالْأَمْسِ فِي الدَّهَمَاءِ لَا يَعْنِي بِهِ ***	وَالْيَوْمَ فَخْرَ صَدَاقَةِ الْأَمْرَاءِ ***
أَبْسَتَهُ ثَوْبَ الْخَلُودِ فَهَلْ تَرَى وَرَوَاءً؟ ***	أَبْسَتَهُ ذَا بَهْجَةَ ذَا بَهْجَةَ ***
أَمْ قَدْ عَدَا لَيْلَ الذِّبُولِ فَلَبِيسَتِ الظُّلْمَاءِ ***	تَلَكَ الْلَّفَائِفَ حَلَةَ الظُّلْمَاءِ ***
لَا أَخْضُرُ الْأُورَاقَ حَوْلَ بِيَاضِهَا ***	بَهْجَ وَلَا هِيَ مَبْعُثُ الأَصْوَاءِ ***

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٨٦-٨٧.

محمل نسجه عقيق وورد *** فهو زهر الربا وجوهر قاع
 وحديث هو الأسر للروح *** ونعم المتع كل المتع
 هو والله لو علمت كلن *** من سماء الخلود في الأسماع
 أشتهي عجمة الرطانة فيه *** كتشهي الفطيم حلو الرضاع
 ودعا نهك الأشم فلبي *** شاعر لا يرد دعوة داع
 قمم روعة شياطينه الجن *** وقد زلزلت فؤاد الشجاع
 أنت أطلقها فطار فؤادي *** وارتدى عند سفحه غير واع
 إن في شعرك المذهب معنى *** عسجياً وفيه ذوب شعاع
 هو أحبوة القلوب فلم يُبِق *** لسادة أو فؤاداً
 يا لقلبي من الشفاه التي رقت *** ودقتك عليك دون اتساع
 قد طلبنا رحيقها بابلياً *** وقد تخيب المساعي
 أنا قبلتها وهل قبل الزهرة *** غيري على البسيطة ساعي
 قبلة طعمها على الفم باق *** كبقاء الحنين في أصلاعي
 والتقوى عندها مع الغرب شرق *** بشرى الغرام والأطماء
 نضد الحسن شوكه فتهادى *** في لباس المسلح المطواع
 كلما تأمين أمرأ له *** انصعت سعيداً بطاعتي وانصياعي

ويمضي الشاعر وي Finch عن حبيبته ويدرك أنها من سويسرا ويدرك أفضال
 حبيبته وبلدها عليه وجمالها فقال:

قلت: من أبدع المفاتن هذى؟ *** فأجابت في ضحكة وتداعي
 أبدعتها أم الجمال سويسرا *** وسويسرا عظيم الإبداع
 أنيتني كزرة في رباها *** وكستني من ثلتها اللامع
 فأنا ماؤها بعطفى وبذلى *** ورباها بغيرتي وامتناعي
 قلت: أهواك يا حبيبة؟ قالت: *** ومقيم الهوى ذات القناع؟

كلما جاء ذكرها تتنى أن عبر *** المحيط
 ذراع قيد لست أنساك يا حبيب *** وإن كنت ستتني محبتي واندفعي
 فبكينا وقد بكت لهاها *** وبكت مهجتي لوشك الوداع
 يالقلب مقسم بين حبين *** يراعي على النوى ما يراعي
 فهو يحن على حبيب مشيب *** وهو يأسى على حبيب يفاع

وفي مناسبة في مكان ما يصف الشاعر يوسف مصطفى التي امرأة
 وتفيض مشاعره نحوها كل ذلك في قصيده (حب عابر)^(١) وفيها ينوع في القوافي
 وينظم على طريقة الدوبيت كل بيتين بقافية، وقد نظمها ارجالاً فيما رأه فوصفها
 أولاً بقوله:

ضياؤك ألم ذاك ضوء القمر *** أفضى ففضض هذا المساء
 أهاب بقلبي لما بهر *** قلبي فؤادي حلو النداء
 والشاعر عندما رأه تحت ظل الشجر قال فيها:

أقمت على حيد للطريق *** وكنت تحت ظلال الشجر
 فلم يخف حسن القوم الرشيق *** ولا حاد عنك طماع النظر

وعن قلبه وممارسته العشق يقول:
 لقلبي سابقة في الجهاد *** جهاد المتيم في حبه
 فلا غرو أن همت في كل واد *** أسير مع الحسن في دربه

وعن فراقه لها يقول:
 رحلت ولكن بغير وداع *** فأين السلام؟ وأين النظر؟
 ألم يبق ثمة بعض المتابع *** من العطف للشاعر المنتظر

(١) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٩٠.

وعن أمله في اللقاء يقول النبي^(١):

وفي رسالته إلى محمد أحمد المحجوب الأديب والقانوني السياسي والمهندس ورئيس الوزراء لفترة من فترات الحكم الوطني في هذه الرسالة يبشر الشاعر يوسف مصطفى النبي بقرب لقائهما بمدينة الأبيض عاصمة شمال كردفان ذات الطبيعة الساحرة الخلابة الجذابة والرسالة عبارة عن قصيدة بعنوان (حداء القافلة)^(٢) وفي مقدمة القصيدة يخبره بنبيه في اللقاء وشعوره بذلك فقال:

إني مزمع إليك الرحيل *** بعد بين به شقيت طويلا
أتراي غداً ملائقك يا خبر *** (م) صديق وأبلغ الكل قيلا؟
لو يعيد الزمان سالف أيا *** مي أريت الزمان حظي الجميلاء
ونظمت القريض فيه ثناء *** سوف يبقى لرأسه إكلا
وعند فرحته باللقاء ووصفه بالعلاقة بأنها علاقة زمانة وجihad لبناء الأمة

والوطن وتحريرها من الاستعمار وأن السودان يفدي بالنفوس فقال:

فرحتي باللقاء فرحة قرم *** سيلافي عما قريب زميلا
وزميل الجهاد أدنى إلى القلب *** من الآل معشراً وقبيلا
نحن في ميعة الشباب ضربنا *** مثلاً للشباب حراً نبيلاء
كلما ضمنا مكان أخذنا *** نبني أمة ونشئ جيلا
كم لقينا من أجل موطننا الغالي (م) وكنا على الثبات دليلا
لا وعيد الغريب فيما *** فابتغينا عن السراط بدليلا
أو جحود القريب هدّ قوانا *** فرمينا سلاحنا مصقولا
هو سوداننا المقدس نديه (م) بأرواحنا وعزت مثيلا

(١)

خليبي بالله فيم اللقاء *** وقد سلكت جهة "المشرق"؟
ولكن... كفانا كفانا العزاء *** بأننا غداً ها هنا نلتقي

(٢) يوسف مصطفى النبي، ديوان النبي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ٩٣.

وفي قصيدة (راقصة)^(١) من بحر الرمل يصف الشاعر يوسف مصطفى التي حركات الرقص لامرأة في حفل حيث يصف تلك المشاهد في هذه الأبيات:

أين يا أنت لعبني الكليلة؟ *** أين شادي ونفحات جميلة؟
 كلما يهدل بالحنّ مرتا *** رجع الليل مع العود هديله
 فتجليت على الحلبة مثل البدر جلواء صقيله
 وتثنت منك للعود على الإيقاع أعطاف تمثيله
 وتدافعت كموج البحر أو سال مسيله
 وترجرجت إلى أن زلزلة القوم أفتدة
 كم شهدنا لك في الكر وفي الفر أتعجّب أفانيين أصيلة
 لم تدع للنهر الريان غير الرف والخلجان
 فإذا ما شده الناس ترفقت فأسبلت ماقيك الكحيلة
 وتراجعت إلى الصدر وقد كلّك الإعجاب بالغار خجولة
 وعن انطباع تلك الصورة في ذهنه تلك الذكريات يقول:

صور منك طبعناها على القلب وصفحات المخيلة
 كلما يعرضها الحرمان صنا *** أين يا أنت لعبني الكليلة؟
 أين شادي ونادي ولين *** العطر والستر لآهاتي الطويلة
 والشاعر يوسف مصطفى التي نظم قصيدة (حورية الملهم)^(٢) ارتجالاً
 والخطاب لصديق طبيب كان معه بالمكان ويببدأ القصيدة بذكر المحسن والجمال
 التي كانت داخل حلبة الرقص مشبهاً لها بالغزال تارة والبدر تارة أخرى فقال:
 يا طبيب العيون داو عيوني *** خلب الحسن نورها المتلاي
 خلب اللب شادن يرقص *** رقص الغزال فوق التلال
 يتدانى فيشبع العين منه *** ويمني نفوسنا بالوصال
 ثم ينأى عن العيون بعيداً *** يتراءى لنا تراءي الآل

(١) المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٢) يوسف مصطفى التي، ديوان التي الصدى الأول والسرائر، مرجع سابق، ص ١١٦.

وترانا ما بين مد وجذر *** نحن صرعي الرنان صرعي خبال
وهو في قربه وفي البعد سيا *** ن وكالبدر منعة في المنال
أترانا نفوز منها بوصل *** ذات يوم ألم ذاك بعض المحال
ويواصل الشاعر وصفه لها بالحسن والظرف والجمال فقال:

يا لها آية من الحسن والظرف *** ومن فاتن عديم المثال
أراد الإله إذ أبدع ما أبدع *** ع منها تحدى المثال
راهب الدير لو رآها لما فرق ما بين نظرة وابتھال
إن تقدیسک الجمال کتسبیحك *** الله لأعلى مراتب الامتثال

الفصل الثاني
سعد الدين فوزي

(١٣٤٠ - ١٣٧٩ هـ = ١٩٢١ - ١٩٥٩ م)

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث

المبحث الأول: ملامح المجتمع وحسن الطبيعة

المبحث الثاني: الفضيلة والجمال والعفاف

المبحث الثالث: في الحب للإنسانية والوطن ونبذ الحرب

تمهيد:

سيرة الشاعر:

- ولد في مدينة الخرطوم بحري، وتوفي في لندن ودفن في الخرطوم.
 - عاش في السودان، وبريطانيا، وهولندا.
 - تخرج في كلية الآداب، كلية الخرطوم الجامعية العليا عام ١٩٤٢م.
 - التحق بكلية لندن للدراسات الاقتصادية بجامعة لندن، حيث حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٥٥م.
 - كان عضو الجمعية الفلسفية السودانية ورئيساً لاتحاد الاقتصاديين، كان مستشاراً وخبيراً بمكتب العمل الدولي.
 - له ديوان (من وادي عبقر) دار الريحاني - بيروت ١٩٦١م.
- ويقول عنه إحسان عباس^(١) في تقادمه لديوانه: (لم أتحدث عن مآثر سعد وعن نبل نفسه في حياته لأن الناس جمِيعاً كانوا يعرفون عنه ذلك النبل وكريم المآثر، بل لأننا لم نكن نحتاج فيما بيننا إلى كلمة ثناء ترجي، أو لمحَة إطراء توُمض بها العين، وأن سعداً كان يستقل ما يبذلَه من كثير الجهد في سبيل جامعته ووطنه وأمته، بل كان سعد أمة وحده في قوة الشخصية وسداد الرأي، والنصفة في الحكم على الناس والأشياء، وعرفان الحق في جانب الصديق وغير الصديق، على المبدأ ثباتاً يلحق بصلابة العناد. ولذلك لم يكن سعد محبوباً لدى من يسهرُون الليلَي في سبيل مصالحهم الذاتية أو من يبنون أحکامهم على العاطفة المتقلبة المتسرعة، وأشهد أن طموحه كان يجرُّ عليه المتاعب ولكنه طموح الرجل الذكي الأريب الذي يُعرف في نفسه مواطن القوة ويدرك مواطئ قدميه ويستبين غياته القريبة والبعيدة. وقد عرفت سعداً في الحياة العامة مضطلاً من المسؤوليات بقسط يحير الضعفاء ويربك أوساط الناس، وعرفت سعداً في الجامعة ورأيه هو الرأي وكلمته هي التي تحسم أسباب الخلاف، وفكره هو الذي ينير الطريق، لا أعني بذلك مظهراً من الاستبداد وحب التسلط وإنما أعني مظهراً من مظاهر قوة الشخصية في براعة المنطق ونحو الحجة والمعية الفكر، ولست أغالي إن قلت:

(١) إحسان عباس، مقدمة ديوان من وادي عبقر، دار ريحان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦١م.

إن جامعة الخرطوم قد أحست فقده إحساس من تملك عليه المفاجأة أمر الفكر والخاطر - مدة غير قصيرة من الزمن - ولكن تلك المفاجأة لم تستطع أن تحبس الدموع على ذلك الشموخ الفكري والسموق النفسي الذين قل أن يوجد بمثلهما (الزمان).

أما عن ديوان الشاعر فيحدثنا محمد إبراهيم الشوش^(١): (قصة هذا الديوان الذي اضطلع بتحقيقه ونشره وكتابه مقدمته المؤثرة الرائعة الدكتور إحسان عباس الأستاذ المشارك بالجامعة الأمريكية في بيروت وصديق الشاعر وزميله قبل ذلك في جامعة الخرطوم، تبدأ قبل أشهر قليلة من وفاة الشاعر حين قدم الشاعر للدكتور إحسان دفترين من شعره وطلب إليه أن يستخرج منهما مجموعة مختارة صالحة للنشر، وبقيت مسودات هذا الشعر في حوزة الدكتور إحسان وشغل عنها الشاعر بمسؤولياته حتى أدركه المنية، ووفاءً لذكراه تكونت لجنة من أصدقاء الشاعر لنشر ما ظل مطويًا من تراثه وقد عهدت هذه اللجنة للدكتور إحسان عباس بترتيب هذه الأشعار ونشرها.

ويحدثنا المحقق أنه أبقى ترتيب القصائد حسبما تركها صاحبها، أما تسمية الديوان (من وادي عقر) فلأن الشاعر كان ينشر قصائده في الصحف السودانية تحت هذا العنوان فاستعاره الناشر لـ(ديوانه).

(١) محمد إبراهيم الشوش، أدب وأدباء، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، الطبعة الأولى ١٩٧٣م، ص ٦٠-٦١.

المبحث الأول

ملامح المجتمع وحسن الطبيعة

ويفتتح لنا الشاعر سعد الدين فوزي ديوانه بقصidته (حثالة الناس)^(١) ومنها يستخف بالمتعة الزائلة في هذه الحياة وبأنه كل ما وقع في النشوة أو صفو الحياة أو كل الأماني فإنها إلى ضياع.

ويخاطب الشاعر المزهويين المبهجين ببديع في الطبيعة في صفوتها وخاصة فصل الربيع ويصف كل ذلك بأنه خيال يمر سريعاً وتعقبه الدموع والعذاب.

ويخاطب كذلك الولهان بالحسن والجمال بأن هذا العمر كالسراب السريع.
ويوجه سؤاله إلى العاشقين ويقر لهم بأن الوصل خداع.

ويتحدث عن الطامعين في الدنيا لجمع المال والعيش الهني وبأن هذه الدنيا التي يقضي فيها الإنسان عمراً قصيراً لا تستحق هذه اللهفة وهذا الطمع فيقول للجميع الذين يحبون هذه الدنيا في كل ما يشتهون أو ما يطلبون بأن الإنسان يأخذ كفايته فقط في كل شيء فكأنه يرجو منه أن يوازن بين العقل والعاطفة والقصيدة بها روح إيمانية ونفور من الشهوات والغرائز والشاعر يؤرخ لهذه القصيدة وهي من بحر الرمل بتاريخ يوليو ١٩٤٠ حيث يقول:

أيها النشوان في صفو الحياة *** أيها السكران في خمر الصفاء
هل أقام العيش، هل دامت مناه *** وأجابت الأماني في ازدهاء

إنما العيش متعة
فانتهب ما تستطيع

أيها المزهو في دنيا الربيع *** بالهوى العذري والحسن البديع

أيها الهيمان في وادي الجمال *** تعشق الحسن وتهوى كل رود

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، دار ريحان للطباعة والنشر بيروت ١٩٦١م، ص ١-٢.

هل سبّاك الحسن في ذاك الدلال * * * ودهاڭ الهم في ذاك الوجود؟

أيها الولهان بالظبي الغرير كالغصن وبداك القد بالظبي الولهان
وبداك الوجه كالبدر المنير وبحسن عبرقي سراب العمر انما

قبل أن يخبو سنا تلك الشموع *** ويولي العيش كاللامح السريع ***

إنما خداع الوصل إنما

ليـس فـيه غـير إـخلاص وـضـيع *** دـنـبـوي وـوـفـاء لـا فـانـتـهـب مـا تـسـتـطـع

أيها اللهان للعيش الهنيء *** شط ما ترجوه في هذه الديار
كيف يصفو العيش في المرعى الوبيء *** أو يبدو النجم في ضوء النهار؟

أيها المزهو في دنيا الربيع *** يا لهوى العذري والحسن البديع
إِنَّمَا فَانْتَهِبْ مَا تُسْتَطِعْ كَذَابُ الْكَوْنِ

والشاعر سعد الدين فوزي شفيف النفس عفيف في كل شيء حتى مفرداته وخاصة في قصائده الغزلية فيقول عنه محمد إبراهيم الشوش^(١): (والشاعر في هذه القصائد لا يصف لنا حبيبة من لحم ودم ولا يحدثنا عن تجارب غرامية محددة ولكنه يستبطن لنا دخيلة نفسه ويكشف لنا شعوره الداخلي ولهفته إلى الحب والحنان).

ويتجلى ذلك في قصidته (نجوى المотор)^(٢) التي ألفها في يوليو ١٩٤٠ حيث الأوصاف الوجданية البديعة مثل النجم والورود واللالي والعبقري والنور والأشراق وكل تلك الأوصاف هي رموز وينوع القوافي ويكتب في شكل المخمسات كل خمس شطرات تمثل وحدة عروضية مع اتحاد القافية في الشطر الخامس مع التناوب مع اللام والدال في باقي الأسطر وهو يتحدث عن محبوب متسامي (غزل صوفي) حيث يقول في نجواه:

اذكر العابد يا رب الجمال

پا اُنیس الصب فی سود الیالی

أترك الهجر وزر تأك المجلاني

حيث ينمو الحب مشبوب الخيال

وتنادي الطير: هيأ للغرام

أنت نجم قد تعالي في الصعود

وتجانی مثل هاتیک الورود

بِهِجَةِ الْنَّفْسِ وَالْقَابِ الْعَمِيدِ

وأنما الموتور من خد وجيد

مرسل الزفة مشبوب الغرام

خمرة للحب تجلي كلاسي

تنعش الروح وتجلو من خيالي

(١) محمد إبراهيم الشوش، أدب وأدباء، مرجع سابق، ص ٦٤.

^(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٣-٢.

فَيُعِيشُ الْقَلْبُ فِي جَهَنَّمْ وَمَثَلِي
غَارِقًا فِي الْحُبِّ مَكْفُولُ السَّلَامِ
أَيْنَ مَنِي ذَلِكَ الْحَسْنَةِ الْفَرِيدِ
أَيْنَ مَنِي ذَلِكَ الْمَاضِي السَّعِيدِ
قَدْ تَوَلَّ مِنْ زَمَانٍ هَلْ يَعْلَمُ وَدِ؟
وَيَنْالُ الْوَصْلَ صَبَبَ مَسْتَزِيدِ
يَحْتَسِي الْهَجْرَ كَؤُوسًا وَالْهَيَامِ
يَا جَمِيلًا جَاءَ مِنْ وَادِي الْخَيَالِ
عَبْرِي السَّمْطَ مَسْحُورُ الْجَمَالِ
رَائِعُ الْمَسْطَحَةِ مَعْسُولُ الْمَهَالِ
زَانَهُ اللَّهُ وَلَكِنْ هَلْ يَبْلُو إِلَيَّ
بِالذِّي قَدْ نَامَهُ سَحْرُ ابْتِسَامِ
أَنْتَ نَجَمٌ فِي سَمَوَاتِ الْخَالِدِ
فَابْعَثْ النُّورَ إِلَى قَلْبِ الْوَجُودِ
وَأَحْطِمْ الْقَيْدَ فَسَحْقًا لِّلْقَيْدِ وَدِ
عَلَنَا نَحْنُ أَبِإِشْ رَاقِ جَدِيدِ
قَدْ مَلَّنَا العِيشُ فِي دُنْيَا الظَّلَامِ

ونجد عند شاعرنا سعد الدين فوزي روح تشاومية في بعض أشعاره ولعل مصدر هذا التشاوم أن هذا الشعر قد قيل والسودان واقع تحت نير الاستعمار والعالم يموج بالحرب العالمية الثانية ويتجسد هذا التشاوم في قصidته (ماذا تريd)^(١) من مجزوء الرمل، التي ألفها في العام ١٩٤٠ م فيها يقول:

أيتها الإنسان قل لي ماذا تريد
هل عرفت السر من هذا الوجود
ورشقت الشهد أو ذقت البرود
في رباء أو مداد؟

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٣-٤.

أنت ضليل أعافته القيود
 ثم أقصته عن المرمى بعيد
 فأعادته إلى عصر الحديد
 أنت مخدوع ولكن بالسلاح
 تعيش المجد ولكن في الكفاح
 بل وتحيي شرعة الموت الصراح
 وتبيح اليوم ما لا يستباح
 كيف يهوى السلم من يهوى الرماح
 يملأ الأرض جنوداً فالبطاح

عن مناه	فازدها
في صباه	والقتال
والنضال	والنkal
من خلل	وتبيح
والنبل	كيف يهوى
كالتلال	يملأ

كيف تنمو العبريات العظام
 كيف يزهو فيبني الدنيا السلام؟
 ودعاة الحرب تدعوا للحمام
 ثم ترجي النار والموت الزؤام
 وجيوش الموت تسعي في احتدام
 ضاعت الأيام في ذاك الصدام

في بباب؟

كالسراب	والخراب
كالضباب	للقاب
والشباب	

وعن الطبيعة وأهلها نجد شاعرنا يمتدح كردفان ذات الطبيعة الجذابة
 الخلابة ففي قصidته (*عروس الرمال كردفان*)^(١) فهو يشبه منطقة كردفان بالغادة
 الحسناء المشرقية ومتصرفه بالجمال الأخاذ حيث يشبهها في مشيتها وتماليها
 بالجدول الذي ينساب فيه الماء وكانت تلك القادة تعاتبه على ترك محبته وبالطبع
 الحبيبة المقصودة هي كردفان ويسترسل في وصف كردفان في أهلها الشجعان
 والأكارم الأوفقاء ويشبه كردفان ثانية بالزهرة وبالطبيعة الساحرة وجمال ناسها
 وعقربيتهم كل ذلك في وصف بديع حيث يقول في القصيدة الكردفانية يلتزم فيها بالقافية
 والبحر، وهي من مجموعه الكامل، التي نظمها في العام ١٩٤٠م:

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٤-٥.

هي خادة حسناء رو	*** د	من بنات المشرق
جمعت من السحر الحلا	*** ل	ومن جمال ريق
وبدت كأن الشمس عنـ	ـ *** د	ـ ظهورها لم تشرق
وتقدمت نحوـي بحسـ	ـ *** ن	ـ عقري المنطقـ
وتـمايلـت في كالجدولـ	ـ *** كـ	ـ ثوبـها المـترـفـرقـ
ـ قـالتـ تعـاتـبـنيـ تـرـكـ	ـ *** تـ	ـ مـحـبـتيـ وـتـعـشـقـيـ
ـ يـاـ غـادـتـيـ إـنـيـ حـدوـ	ـ *** تـ	ـ لـكـرـدـفـانـ أـيـنـقـيـ
ـ وـطـنـ الشـهـامـةـ	ـ *** مـةـ	ـ وـلـوـدـادـ الأـصـدقـ
ـ وـطـنـ الطـهـارـةـ	ـ *** رـةـ	ـ وـالـوـفـاءـ المـعـرـقـ
ـ وـطـنـ السـمـاحـةـ	ـ *** حـةـ	ـ وـالـجـمـالـ المـشـرقـ
ـ يـاـ كـرـدـفـانـ وـأـنـتـ أـجـمـ	ـ *** لـ	ـ فـيـ زـهـرـةـ مـفـرـقـ
ـ فـيـكـ الطـبـيـعـةـ قـدـ تـجـ	ـ *** تـ	ـ بـالـخـرـيفـ المـورـقـ
ـ فـيـكـ الـجـمـالـ	ـ *** كـائـنـهـ	ـ يـفـيـضـ لـمـسـتـقـ
ـ فـيـكـ الـغـرـامـ	ـ *** مـهـذـبـ	ـ بـتـعـفـ وـتـرـفـقـ
ـ فـيـكـ السـحـابـ	ـ *** لـوـانـ	ـ بـادـيـ الرـونـقـ
ـ فـيـكـ الـجـمـالـ	ـ *** حـرـ	ـ لـشـاعـرـ مـطـلـقـ
ـ فـيـكـ العـقـولـ	ـ *** بـسـاـ طـ	ـ عـقـرـيـةـ تـلـتـقـيـ

وشاعرنا سعد الدين فوزي نظم هذا الشعر في سن مبكرة ويمكننا القول بين الصبا والشباب هي تلك الفترة التي يكون فيها الإنسان أكثر حيوية وطموماً وقوه وفكراً ويقول إحسان عباس^(١) في مقدمته لهذا الديوان: (يقع ما نظمه سعد الدين من شعر بين عامي ١٩٣٨ - ١٩٤٦ في الأكثر، أي هو شعر الصبا، بدأه وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من العمر، وانتهى منه وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين، ويتفق أن تنتفتح قريحته في سنوات الحرب وهو ما يزال طالباً بكلية

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، مقدمة الديوان.

غردون التذكارية. ولسنوات الحرب في تاريخ الشعر العربي الحديث وطأة خاصة، وبخاصة في تلك السن المبكرة، فالفتى حينئذ تتجاذبه عوامل متعددة أبعدها أثراً في نفسه طموحه إلى الشهرة والظهور، قبل أن يستكمل عدته من الثقافة عامّة والثقافة اللغوية على وجه الخصوص، ولذلك فإنه يقبل بما لديه من عدة على الحواجز التي تحفذه للقول).

ويرى الباحث أن هذه الحواجز حسيّة ومعنىّة أو الاتنان معاً ومن تلك الحواجز الإعجاب بما يراه محفزاً له في قرض الشعر ويتجلّى ذلك في قصيدة (من وحي مفناك)^(١) وما فيها من تشبيهات رائعة لما يحب من تلك الشخصية التي كلما اقترب منها فهي تبعد عنه ويصفها بالغزال والبدر والزهرة والملك والليل وهذا بعد منها جعله يحس بالشجن والحسرة مما جعل قلبه يكون كالجمر وبعد هذا الفراق فإنها تفصح له بالحب ويعيش هذه المشاعر التي تورقه ليلاً من طيف الذكريات، ويلزم الشاعر الوزن والقافية ويمزج بين الحب والطبيعة، فيقول:

أقبلت	نحوِي	ترنو	***	وتولت	بعد	فتره
ثم	ماست	مثل	بان	***	وتجلت	فكره
خطرت	في	ثوبها	الضافي	***	ولكن	خطره
بذت	الغزلان	سحراً	***	وارتنى	السحر	جهره
فهي	في	الظلماء	بدر	***	وهي	في
وهي	إن	ماست	وإن	ما	لت	البستان
آية	في	الحسن	تبدو	***	وملك	زهره
ولها						حمره
وأنيث						الخدin
لم	أكد	أظفر	منها	***	بابتسام	بل

وعن شعوره بهذا الوجd والشوق الذي يلاقيه يواصل فيقول:

خلفت في النفس أشجا *** نا وفي قلبي حسره

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٥-٦.

حسرة في القلب تضنه *** فتعلو منه زفـه
 إيه يا قلب أعني *** أشعـلت في القـلب جـمرـه
 صوبـت نحوـي سـهـاماً *** فـاخـترـقـت الصـدر مـرـه
 فأعادـت سـهـمـها الدـا *** مـيـ ولكن بـعـد كـره

وبعد هذه المعاناة الشديدة وما يخف غلواءـه هو :

ثم قالت في ابتسام *** وفؤادي فيه ثورـه
 هـا هو الحـب حـلـل *** ما وصـمنـاه بشـره
 فـارـتـشـفـ منه زـلاـلاً *** قـلـتـ ما أـجـمـلـ طـهـرـه
 هـا هو النـبـع يـفـيـضـ الـيـوـ *** مـيـاـلاًـ بـوـفـرـه
 وـأـنـاـ فيـ الـعـالـمـ الـمـسـحـوـ *** رـيـفـوـفـ بـنـضـرـه
 لـنـ أـبـالـيـ الـيـوـمـ أـنـيـ *** جـاهـلـ فـيـ الـحـبـ سـرـه
 بـلـ وـحـسـبـيـ أـنـ أـنـاجـيـ *** فـيـ ظـلـمـ الـلـيـلـ صـدـرـه
 إنـ أـنـاخـ اللـيـلـ فـوقـ الـكـونـ أوـ أـسـدـلـ سـتـرـهـ^(١)

وسعد الدين في قصيـته (سـكـتـ وـفـيـ قـلـبـيـ)^(٢) التي نظمـها فيـ العـامـ ١٩٣٩ـ يوضحـ ما يـعـانـيهـ منـ العـشـقـ وـالـهـوىـ وـهـوـ لاـ يـجاـهـرـ بـهـ وـيـتـسـاعـلـ كـيـفـ لـهـ أـنـ يـعـيـشـ بـهـذـاـ الـذـيـ يـشـعـرـ بـهـ بـيـنـ جـوـانـحـهـ مـاـ جـعـلـ حـيـاتـهـ ذـلـ وـانـكـسـارـ وـمـحـبـوـهـ فـيـ الـطـرـفـ الآـخـرـ يـنـعـمـ بـالـحـيـاةـ وـالـسـعـادـةـ وـهـوـ يـسـامـرـ النـجـمـ وـالـلـيـلـ وـكـيـفـ أـنـهـ فـيـ تـأـرـقـهـ يـتـذـكـرـ

(١) ويـكـملـهاـ بـقولـهـ:

وـأـطـلـ الـبـدـرـ يـلـقـيـ *** فـوقـ سـطـحـ المـاءـ تـبـرـهـ
 ثـمـ نـاجـتـ زـهـراتـ النـ *** رـجـسـ الـفـضـيـ زـهـرـهـ
 وـعـلـىـ الـأـغـصـانـ فـرـخـ *** حـائـرـ قـدـ ضـلـ وـكـرـهـ
 فـفـؤـادـيـ فـيـ جـانـ الـ *** خـلـدـ لـاـ يـطـلـبـ غـيرـهـ
 سـوـفـ أـحـيـاـ وـحـبـيـيـ *** جـرـعـةـ تـكـفـيـ وـكـسـرـهـ

(٢) سـعـدـ الـدـيـنـ فـوزـيـ، دـيـوانـ مـنـ وـادـيـ عـبـرـ، مـرـجـعـ سـابـقـ، صـ ٦ـ٧ـ.

أيام الوصل الذي كان بينهما في ذكرى أليمة وهو يعتقد بأنه ما يكنه لحبيبه ليس له نظير في صدقه وعفته ويطلب بنصرته على هذا العذاب الذي يحس به وهو بهذه الحال وتلك الذكريات التي مرت عندما كان يلتقي معشوقه عند النهر للاستمتاع بجو النيل البديع من خضرة وماء ووجه حسن ومناظر خلابة وأنت بقريبي وقد ظفرت ببغيتي وكل منا فخور بحبه. وهو في هذه الحالة المتأرجحة بين مطمئن وخائف ويطلب حبيبته بأن لا تكن ضئيلة في حبها له وهو من جانبه سوف يكون ملخصاً كل ذلك في القصيدة من بحر الطويل، وهي متعددة الوزن والقافية حيث يقول:

سكت وفي قلبي أسى وسعير *** وأمسكت دمعي كي يقال صبور
وأخفيت حبي في صميم جوانحي *** فليس له بعد الخفاء ظهور
وساءلت نفسي ما دهاك وما الذي يبدل حالى في الهوى فأثر
أحيا على ذل وأغفو على قذى *** وأنت سعيد في الحياة قرير
أسامر نجمي في الليالي وأنثني *** أساجل زهر الروض وهو نصير
وأرسل شعري بالصباية منشداً *** وما الشعر إلا خاطر وشعور
تذكرة أيام الوصال بقربه *** فكان بقلبي عند ذاك سرور
وأمضت في ذكري حتى أمضني *** شعور بأن الدائرات تدور
وأيقنت أنى في الصباب مفرد *** وليس لمثلى في هواك نظير
تفردت في حبي بخلة ماجد *** وفي له بين الضلوع ضمير
تعذبت حتى فاض كأسى من الأسى *** فأين لمثلى في هواك نصير
هو الحب لم أودي بحر مكرم *** ودان له بين الأنام كبير
يهز عروشاً ذات عز وصولة *** ويعنو له تاج علا وسرير
تذكرة يوماً حين كنا بخلوة *** نداعب ماء النيل وهو نمير
ونبني قصوراً من رمال بشطه *** تجاورها فوق الرمال قصور

ونظر نحو الزهر ريان ناصراً *** ونظر نحو البدر وهو منير^(١)
وفي وصف بلية يصف الشاعر حبيبته بأوصاف كثيرة فهي تتجلى فيها
براءة الطفولة وهي ضياء تتير الظلمة في الدياجي ويشرق يسر الناظرين، وأن الله
سبحانه وتعالى قد وهبها جمالاً أخذاً فهي مثل زهر الربيع وهي أنسودة وأغرودة
حيث يقول شاعرنا سعد الدين فوزي في قصيده (تسبيحة حائرة)^(٢)، التي يصف
محبوبته ويربط بينها وبين الطبيعة، وهي موحدة الوزن والقافية، المؤرخ لها عام
١٩٤٠م:

فِيكَ مَعْنَى مِنَ الطُّفُولَةِ عَذْبَ *** وَمَجَالَ
فِيكَ حَسْنَ وَرُوعَةَ وَضِيَاءَ *** وَجَمَالَ مَنْوَعَ
فِيكَ مَعْنَى الشُّرُوقِ وَالْأَمْلِ الْحَ-
فِيكَ ذَاكَ الْضِيَاءِ يَشْرُقُ لِلنَّفَ-
فِيكَ قَدْ أَفْرَغَ إِلَهَ جَمَالَ *** غَامِرَ النُّورَ عَبْرِي السَّمَاتِ
فِيكَ إِشْرَاقَةَ الصَّفَاءِ تَجَلَّتْ *** مَثَلُ زَهْرَ الرَّبِيعِ بَيْنَ الْلَّدَاتِ
فِيكَ تَرْنِيمَةَ الْوَفَاءِ لَقْلَبَ *** شَاقَهُ الْحُبُّ فِي رَبِيعَ الْحَيَاةِ

(١) وتنوّاصل القصيدة:

تَهَبْ عَلَيْنَا الرِّيحُ وَهِيَ بَطِئَةَ *** وَقَدْ نَالَهَا عَنْدَ الْمَسَاءِ فَتُورَ
وَأَنْتَ بِقُرْبِي لَا عَدْمَكَ جَاسِ *** رَزِينَ عَلَى رَغْمِ الْهَيَامِ وَقُورَ
تَأْمَلْتَ حَسْنَ الْوَجْهِ مِنْكَ فَلَمْ أَعْدَ *** أَثْوَرَ وَقْلَبِي فِي هَوَاكَ أَسِيرَ
وَأَيْقَنْتَ أَنِّي قَدْ ظَفَرْتَ بِبَغْيَتِي *** وَأَنِّي بِحُبِّكَ الْغَدَةَ جَدِيرَ
كَلَانَا مَحْبُّ فِي الصَّبَابَةِ غَارِقَ *** وَكُلَّ مَحْبٍ بِالْحَبِيبِ فَخُورَ
(تَذَكَّرْتَ ذَاكَ الْعَهْدَ عَهْدَ صَبَابِتِي) *** فَعَدْتَ وَقْلَبِي بَائِسَ وَكَسِيرَ
وَأَدْرَكْتَ أَنِّي لَا مَحَالَةَ هَالِكَ *** وَإِنِّي شَقِيٌّ وَالْحَبِيبُ نَفُورَ
فِيَا قَلْبٍ لَا تَيَأسَ وَيَا حَظٍ لَا تَهْنَ *** فَإِنِّي عَلَى ذَلِ الْهُوَى لَصَبُورَ
وَإِنِّي إِذَا شَاءَ الْحَبِيبُ مِنِّي *** سَاقِضِي سَرِيعًا - إِنْ ذَا لَيْسِيرَ
سَأَبْذَلُ رُوحِي إِنْ أَرْدَتُ فَلَا تَكُنْ *** ضَنِينًا فَتَرَ مِنْ يَدِكَ كَثِيرَ

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص.٨.

فيك أنشودة الجمال لنفس *** تعشق الحسن في سنا البسمات
 وفيك أغرودة الغرام لصب *** واجه الصد والنوى في ثبات
 والشاعر سعد الدين فوزي نظم أشعاره في فترة الشباب من عمره وشعره
 امتداد لمدرسة الفجر وفي ذلك يقول محمد إبراهيم الشوش^(١): (ويمكن اعتبار هذا
 الديوان امتداداً لمدرسة (الفجر) التي ازدهرت في الثلاثينيات وقد تكونت هذه
 المدرسة حول مجلة الفجر التي أنشئت عام ١٩٣٤م وكانت لنفسها طابعاً خاصاً
 ومن بين شعرائها محمد أحمد محجوب ويوسف مصطفى التي ومحمد حمدي
 كما تضم عدداً من الأدباء كعبد الحليم محمد ومحمد عشري صديق والمرحوم
 أحمد يوسف هاشم والمرحوم عرفات).

ويرى الباحث أن مدرسة الفجر كمدرسة أیولو في مصر التي انصرفت عن
 قول الشعر واتجه شعراً لها وأدباؤها إلى مبادئ السياسة والاجتماع والخدمة العامة
 وكذلك مدرسة الفجر وشاعرنا سعد الدين سرعان ما طلق الشعر بحسبانه تهويات
 خيالية واتجه إلى مبادئ الحياة العامة حيث انتقل إلى ميادين الفلسفة والاقتصاد.
 وعن زهده في الشعر يتمثل في وصفه المعاناة التي يجدها الشاعر من سهر
 وعن ومشقة يتضح ذلك في قصيده التي بعنوان (هكذا الشعر)^(٢) التي نظمها في
 العام ١٩٤٠ حيث يقول:

أطافت كالشعراء تجلس ساهراً *** في الليل بين قصائد ومتون
 وعلى يراعك مسحة قدسية *** سحرية الكلمات ذات رنين
 أتعاقر الأشعار في كنف الدجي *** وللليل مسرح بهجة وفنون
 ويظل جفنك في الظلم مؤرقاً *** بالشعر لا من لوعة وحنين
 للفن عشت مضيناً متالماً *** والفن صنو طلاقة وجنون
 وقعت أنغام الهوى لجماعة *** ألفت حياة خلاعة ومجون
 أرسلت بينهم عيون قصائد *** عادت إليك بصفقة المغبون

(١) محمد إبراهيم الشوش، أدب وأدباء، مرجع سابق، ص ٦١.

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٨.

فأحطم يراعك لا يبغي بقطرة *** وأترك جهادك واكتف بالدون
 والشاعر سعد الدين فوزي تأثر بالشاعر علي محمود طه المهندس أحد
 شعراء (أبولو) وفي ذلك يقول إحسان عباس في مقدمته لديوان سعد الدين حيث
 يقول^(١): (وإذا تعذيت وطأة الحرب وجدت أن سعد الدين كان يعيش جانباً آخر من
 شعره في ظل أحد الشعراء المشهورين يومئذ وهو علي محمود المهندس، ومن
 قرأ ديوان سعد الدين عرف أن كثيراً من قصائده كان محاكاً لقصائد المهندس
 سواءً صرخ بذلك أو لم يصرخ). ولذلك نجد في ديوانه قصيدة بعنوان (الشاعر)^(٢)
 مهداة إلى الأستاذ علي محمود طه المهندس وكانت بتاريخ ١٩٤٠.

وفي هذه القصيدة يظهر سعد الدين الإعجاب الشديد بالشاعر المهندس حيث
 يصفه بريادة الأدب في زمانه وسيظل شعره خالداً على مر الأجيال ويصفه كذلك
 بأنه مخلص لفن وشعره وأنه مجدد في الأفكار غير المحدودة ويقترح عليه
 بالتمعن في الأرام وضياء الشمس وكثبان الرمل وفي كل ما في سحر الكون البديع
 حيث يقول سعد الدين في قصيده المهداة إلى الشاعر علي محمود طه المهندس:
 أنت يا شاعر قيثار الحياة *** أنت يا شاعر مزمار الوجود
 فأبعث اللحن طليقاً في فضاء *** وأسكب الإلهام في سمع الخلود
 ثم عش للشعر لا تطلب سواه *** فهو نعم الخل في دنيا القيود
 وأخلصن للفن تحيا في رضاه *** باسم الأفكار مسموع النشيد
 وأبعث الأنغام تعلو في رباه *** وأسرح الأقوام بالدار النضيد
 ذاك لحن الحب تحكيه الرواه *** وهو في نأيك يا رب القصيدة
 واعتصر قلبك وأهدد من قواه *** في سبيل الفن والجيل الجديد
 حرر الشعر وحلق في سماء *** وانشر التجديد في دنيا الجمود
 إنما الشاعر من تسمو رؤاه *** مطلق الأفكار لا يرضى الحدود
 أنظر الأرام في عرض الفلاة *** وضياء الشمس خفاق البنود

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، المقدمة.

(٢) المرجع السابق، ص ٩-١٠.

وكتيب الرمل يعلو في بهاء *** ثم خذ للشعر من ذاك الوقود
 ذاك سفر الكون يزهو في حلاه *** مشرق الأزهار بسام الورود
 فأقرأ السفر ولا تعمل سناه *** ثم حدث عن جمال لا يبدي
 ونجد الشاعر سعد الدين فوزي يحادث ويسأل النجم وخاصة نجمة الصبح
 مما يدل على أن الشاعر هيجه الذكرى فظل حتى ذلك الوقت وبيث شكوكاً لهذه
 النجمة كما يبين في قصidته (نجمة)^(١) من بحر البسيط، التي يقول فيها:

يا نجمة الصبح هل ما زال مرآك *** يدمي القلوب وينكى أنه الشاكي
 أم قد طلت على الدنيا بأكملها *** ثم اخفيت وفي ذكري ذراك
 يا نجمة الصبح لا تذكى عواطفنا *** ففي الغرام ورود بين أشواك
 ومن الغرام شقاء ليس يعرفه *** سوي المعدب في الدنيا أو الباكى
 والظلم عند الشاعر سعد الدين فوزي له وقع خاص فهو يمثل له معنى وصفواً
 وسكوناً فهو يتأمل هذا الظلم ويتدبر بل ويعتبر الظلم ملهمًا له في كثير من أشعاره،
 كذلك الليل عنده للعبادة والتهجد ويظل متفكراً في نعمة الله سبحانه وتعالى.

ويوضح الشاعر بأن ظلمة الليل تمثل حياته الشعرية ويعيش في هذه الظلمة
 جهاداً تعيساً في سر هذا الكون البديع ويتذكر الموت ويختتم قصidته برجائه العفو
 والصفح والرشاد والهدایة والعون والنصر من الله سبحانه وتعالى فيقول في
 قصidته (الظلمة الملهمة)^(٢) من بحر الرمل، ويلزم فيها وحدة الوزن، وينوع
 القوافي، ويستخدم نظام المقاطع حيث يقول:

لك يا ظلمة معنى في شعوري *** فيك تصفو الروح للرب الغفور
 ويحل الصفو أعمق الصدور *** أدوت الظلمة أضواء الشرور

فيك يا ظلمة وهي للفؤاد *** قد لفقت الكون في هذا السواد
 جئتني بالشعر مسكي المداد *** كيف لا؟ والشعر وهي للضمير

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١-٢٢.

لَكْ يَا ظلمة فرح متجدد *** قد ضمت اليوم صوفياً تهجد
عشق الكون وهذا الكون معبد *** للذى قد راقه صنع القدير

أنا يَا ظلمة طفل في الوجود *** أعيت الحكمة عقلي وجهودي
سوف أحيا طول عمري في القيود *** وفؤادي لم يجد غير القشور

أنت يَا ظلمة جزء من حياتي *** فيك إشرافي ومهوى كلماتي
أنا يَا ظلمة قد لات قناتي *** في جهاد النفس في حرب الدهور
ليتنى أعرف سر الكون يوماً *** شافني العيش فهل أبلغ علماً
بحياة قد بدت للقلب وهما *** ثم حلت في قرارات القبور

أنا يَا رباه عبد من عبادك *** فاعطني يا رب فيضاً من رشادك
وأهدني يا رب أحيا في جهادك *** أنت يَا رباه عوني ونصيري
وسعد الدين فوزي نظم شرعاً وجداً في كثير من نواحي الحياة ناسها وطبيعتها وفي
العام ١٩٤٠ نظم قصيدة تتحدث عن واحد من فصول السنة وهي قصيدة (الخريف)^(١)
حيث الأرض تكتسي حلة خضراء وفصل الخريف لدى السودانيين فصل خير فيه تنزل
الأمطار ويزرع الزارعون محاصيلهم وفي وصف دقيق لهذا الفصل نجد الشاعر
يتحدث على أن فصل الخريف ملهم للشعراء لطبيعته الجذابة والأرض تسر الناظرين
من زهر وروض وطير ووصف كذلك الجو الخريفي من رعد وبرق ومطر وتعرض
لوصف صوت الرعد وليل الخريف المظلم المدلهم المليء بالسحب الداكنة والرياح
الهابهة وهذا الوصف لحال المطر ليلاً وبعدها يتعرض الشاعر متقدلاً في وصفه إلى
الصباح الذي يأتي بعد الليل والأرض بدأت تتكشف للناظرين والضوء قد حيا الوجود
وبدأت الطيور رحلاتها وأشرقت الشمس وبدأت الحياة تدب ووصف النيل ونسيمه
وأزهاره وطبيعته الجميلة الخلابة ويختتم الشاعر قصيده بأن هذه المناظر الساحرة في

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣.

الخريف فإنه يجيش بخاطره تلك الذكريات الجميلة لحبيبه الهاجر فكان هذا الفصل يلهب مشاعره وأحساسه ووجدانه كل هذا التفصيل في هذه القصيدة التي يقول فيها:

الأرض قد لبست غلالة شاعر *** وترجت في فتنة للناظر
 والزهر ملء الروض أشرق باسماً *** ورمى القناع عن الجمال الزاهر
 والطير حيا بالهتاف ولم يزل *** في الروض يشدو بالهديل الساحر
 وإذا الخريف أتى بوجه ضاحك *** متهلل وجري بويل ماطر
 فالخصب والإيناع ملء جنابه *** والماء يهمي بالشعاع الطاهر
 والبرق يلمع كابتسامة مارد *** يرنو إلى الدنيا بطرف ساخر
 والرعد يدوي في الظلم كأنه *** لعنات جن في الظلام القاهر
 والوحشة الرعناء تجثم في الدجي *** كالشك يجثم في فؤاد الحائر
 والريح قد جنت فجاء نشيدها *** صخباً كدمدة المحيط الثائر
 حتى إذا جاء الصباح مظفراً *** والليل قد ولى كأمس الدابر
 والضوء قد حيا الوجود ببسمة *** غراء تكشف عن جمال ناصر
 والطير قد غنى بصوت خافت *** مثل البيان على لسان الشاكر
 والشمس قد سفرت فكان ضياؤها *** رمز الضياء ومسترداد الخاطر
 والنيل قد خلع العذار ورحبت *** موجاته بسنا الضياء الباهر
 والأرض سكرى والطبيعة قد بدت *** في الصبح تشوّي من سلاف دائر^(١)

(١) ويمضي الشاعر فيقول:

والعطر يعقب في النسيم كأنه ***
 رسول السعادة للحبيب الذاكر ***
 ولربما جاء الخريف لمهجتي ***
 بالذكريات من الحبيب الهاجر ***
 ولعل قلبي والشقاء حل فيه ***
 أن يحتسي فيض النعيم الباكر ***
 ولعل قيدي أن يحل وناظري ***
 يرنو إلى وضع الجبين السافر ***
 فإذا مضى هذا الخريف فليتني ***
 أمضي إلى حرم الجمال العamer ***
 حتى إذا جاء الشتاء فلن يرى ***
 قلبي يضج من الجحيم الساعر ***

والشاعر سعد الدين فوزي يمتاز برباطة جأش وشجاعة متناهية ويتصح ذلك في قصيده (خواطر جامحة)^(١) من بحر الطويل، فقد قالها وهو على فراش المرض فوصف حاله في افتتاحيتها بقوله:

مريض؟ أجل والداء أضحي مسامري *** ومالـي عون في ظلام الـدياجـر
 يؤرقـني دائـي فـأقضـي مـسـهـدا *** ليـالي في حـزـن وـهم مـساـور
 وـتـطـرقـني الـآـلـامـ في هـدـأـةـ الدـجـى *** وماـ هي إـلاـ من بـنـاتـ خـواـطـري
 أـسـطـرـها شـعـراـ يـفـيـضـ سـلـاسـةـ *** وأـبـرـزـها لـلـنـاسـ مـثـلـ الـجـواـهـرـ
 فيـقـبـلـها قـوـمـ سـيـلـقـوـنـ عـنـدـهـا *** شـعـورـ شـبـابـ فيـ هوـىـ القـطـرـ سـادـرـ
 وـماـ أـنـاـ إـلاـ نـفـحةـ عـبـرـيـةـ *** تـجـودـ بـهـاـ الـأـقـدارـ جـودـ الـمـحـاذـرـ
 لـتـصـلـحـ منـ شـأنـ الـحـيـاةـ وـتـجـتـلـيـ *** مـنـ الـعـالـمـ الـمـخـبـوـءـ كـلـ السـرـائـرـ
 تـزـينـنـيـ الـأـلـامـ فـيـ كـلـ مـجـمـعـ *** وـاتـبعـ شـرـعـ الـحـقـ شـرـعـ الـضـمـائـرـ
 وـماـ أـنـاـ إـلاـ مـنـ بـلـ الـدـهـرـ صـابـرـاـ *** سـأـخـلـدـ رـغـمـ الـدـهـرـ فـيـ كـلـ خـاطـرـ
 إـذـاـ رـامـتـ الدـنـيـاـ هـوـانـيـ فـلـنـ تـرـىـ *** سـوـيـ ثـورـةـ الـأـسـدـ العـقـابـ الـكـوـاسـرـ
 وـماـ مـطـمـحـ نـحـوـ الـعـلـاءـ وـهـزـةـ *** وـمـاـ هـمـةـ تـسـموـ وـآـمـالـ شـاعـرـ

وَعَنْ أَمْنِيَاتِهِ لِأَمْتَهِ وَمَا يُرْجُوهُ لَهَا يَقُولُ:

ولن أرتضي ذلاً يراد بأمتى *** فللموت عندي من جليل المفاحر
حرام علينا أن نكون بنى أب *** وأم ونرضى بالأسى والتنافر
ونغفل ماضينا وقد كان حافلاً *** بشتى المعالي أو صنوف المآثر
فللذل ألوان وللحر غضبة *** وما كل ذنب للجود العواشر
ومن يرض بالذل المسلط ساعة *** من العمر يفن العمر بين الأصاغر
فإن نادت العليا أجيبيوا نداءها *** بكل حسام لامع الطرف ثائر
وهيأ نقم مجد الحياة وعزها *** دانت الأيام يوماً لخائر

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٢٣-٢٤.

وعن فخره بأجداده يقول سعد الدين:

تذكراً أجدادنا كل رفعة *** فللهم ذكرى للجدول الغواibles
أقاموا لنا مجدًا وطيداً مؤثلاً *** يدل على الدنيا بحد البوادر
وقد آثروا عيش الكفاح ودونهم *** أوأوين كسرى بل عروش القياصر
فللهم ما كانوا: كرام أعزه *** وما خلفوا فينا أعز الذخائر
هو الحر أن يلقي الحياة كريمة *** يعيش دهره مثل الزهور النواضر
وإن يلقها ذلاً يعفها تأبها *** ويؤثر كأس الموت من كف جائز
هو الحر نحو المجد يزجي رحاته *** بهمة جبار وإيمان صابر
وتعنووا له الأيام ترجو وداده *** ويأمن، طول العمر، شر المقادير
سلام على الدنيا إذا كان وصلها *** يناب لخداع ويرجى لغادر
فعيشوا كراماً أو فموتوا أعزه *** فلموت خير من حياة الأصغر

وعن النيل وساكنيه وشبابه يقول^(١).

وللوطن عشق وفخر للشاعر سعد الدين فوزي حيث يوضح في قصيده
(إلى الخلود)^(٢) كلمات رائعات في حق وطنه السودان فهو يفديه بروحه وهذا
أقصى ما يمكن أن يقدمه الإنسان ويحثّبني شعبه للنهوض بوطنهم فإن الغد
أفضل ويدعو إلى البذل والعطاء لرفعة الوطن فالشاعر يحب وطنه ويعمل كل

(١)

وكونوا شباب النيل أسدًا أبية *** يضيق بذكركم كتاب العابر
رضعتم لبان المجد محضاً مطهراً *** وعشتم بواط أخضر الوجه طاهر
يزينكم من سالف الدهر عابر *** فجيئوا لماضيكم بأجمل حاضر
هو النيل قد أحيا الموات ولم يشا *** سوي نابع من دوحة النيل صادر
هو النيل بناء الحضارات والعلا *** ومهد الرجال الغر مهد المفاخر

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٢٦-٢٧.

ما في وسعه ليرضيه وسعد الدين يذكر أنه ولد ونشأ وترعرع في السودان
ولهذا فإن للوطن مكانة كبيرة في فؤاده وامتزج به فهو يدعو بالمجد والفاخر
لوطنه ويدرك بأمجاد الأبطال للدفاع عنه ويرجو لوطنه الرفعة والنقدم وفي كل
ما سبق يقول:

وطني انبث فالروح في — *** بأساء قد جفت فداكا
وأنهض إلى العلية فالـ *** علية قد سمعت نداكا
وغداً تواتيك المنى من نصرت مناكا
ويكون ملء يديك مجـ *** بـ بعدما صغرت يداكا
فانهض ولا تيأس فإـ *** ن المجد لم بيرح رباكا
وإذا دهاك الخطب يو *** ما لا تخف مما دهاكا
فأنا الذي وهب الحيا *** ة ولم يشا إلا رضاكا
وطني بحبك قد غدو *** ت أسير تربك أو سماكا
ولقد رتعت فما رتعـ *** ت على ثرى إلا ثراكا
وأنا الذي قد جاء طـ *** لـ ثم شب على نداكا
فسكت مني في الفؤـ *** د وما سكنت سوي حماكا
وحللت في قلبي فجا *** ء دمي يمازجه هواكا
فإذا فديتك بالحيا *** ة بما أردت سوي علاكا
وإذا دعوت بما دعـ *** ت لغير مجك أو بهاكا
وطني انبث فالمجد يـ *** عـ لا تخب مـ دعاكا
وطني وناضل في الحـ *** ة فإني دومـ فـ تاكا
وعلى المـ *** تـ تـ خـ المنـيةـ أوـ رـ دـ اـ كـا
فالـ *** دـ وـ دـ فـ تـ نـ ماـ كـاـ

والنيل لو لم يدر نب *** إِلَى فِي الْجَهَادِ لَمْ سَقَاكَا^(١)
وفي قصidته (عودة إلى الكوخ)^(٢) يترك سعد الدين فوزي كوكه في حضن
الطبيعة ويتوجه نحو المدينة ولكنه يعود بعد أن سئم لهوها وماديتها لأنه حين رأى
المدينة على حقيقتها أخذ يعد الخرطوم مدينة صغيرة نسبياً ويمكننا القول بأنه ذهب
وأتى - ذهب إلى المدينة الحمقاء حيث اللهو فعاد إلى الجذور وقد سئم محبة
الجمال المجلوب، حيث عاد إلى أحضان الطبيعة، وهو ينوع في القوافي، ويكتب
القصيد على طريقة المقاطع الشعرية، كل خمسة أسطر تمثل مقطعاً شعرياً وهي
من بحر الطويل، تفنن الشاعر في كتابتها، حيث يقول:

رأيت	كوفي	في	جلالك	نائما
فأقبلت	أسعى	نحو	حضرتك	ساهما
فهل	أنت	يا	ستكرم	نادما
وتصفح	عني	إذ	كوفي	والدجى
رفيق	وضوء	الفجر	بسم	حالما

هجرتك يوماً والفواد إلى العلا

(١) ويو اصلها بقوله:

إن الحياة مع الأبطال نا * * * صية العلا لا دون ذاكا
 فاطلب وعلى خطأ الأمجاد فار * * * سم في مسالكها خطاكا
 وأفوك يديك من السلا * * * سل ما استطعت لها فاكاكا
 وإلى المعالي الباسما * * * ت أنهض فليس لها سواكا

المجد حمرك هل رشد سفت من المفاحر ما رواكا
فإلى السماك مظفراً عشق من فلاتت هداكا
ولى الخلود العلا نجم وكل قدر إلى هداكا

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٢٩ - ٣٠.

طموح وقلبي كان غرًّا مضلاً
 فعدت إلى الكوخ الذي كان موئلاً
 يغالبني شوقي فأهزاً
 وأهزم ضعفي حين أسرع قدماً

هناك رأيت اللهو للاء صاحباً
 وأبصرت غيداً ملء العين كوابعاً
 فعدت إليك اليوم سأمان راهباً
 وما هزني حسن ولا شاقني هوى
 كذلك كون أباح قد المائماً

هناك أقام الحسن بستان زهره
 فلوثه من الساعون طهره
 فعاوض إبان الزهر فجره
 وأسلمه إلى الردى الجنون إثماً
 فأفقر روض كأن بالآمس باسماً^(١)

وفي الطبيعة على النيل ومناظرها الجميلة الخلابة يصف الشاعر سعد الدين فوزي زورقاً في وقت الأصيل ذلك الوقت الذي يسر الناظرين وخاصةً منظر النيل في تلك اللحظات حيث أشعة الشمس الذهبية وجمال الطبيعة من أزهار

(١) ويكللها بقوله:

هجرتك يا كوفي وأي لشاعر
 ألم به طيف من الحسن عابر
 فجاءك مختاراً فهل أنت ناظر
 لمحنته الكبرى بفيض من الأسى
 فيقبل بساماً ويمرح ناعماً

وورود وأطياف ومناظر الفلك التي تسير فوق الماء كل هذه المناظر الساحرة تجعل المشاهد مأسور القلب ويكون هذا الجو ملهمًا للشعراء في نظم القريض ويستمر الشاعر في وصف الزورق حيث يشبهه بالطفل في بهائه وسنائه وابتسامته حتى إذا جاء الليل وطوى الزورق الظلام حيث يصف كل هذه المشاهد في قصيده (الزورق الحالم)^(١) استخدم فيها نظام المقاطع ولون في القوافي مع وحدة الوزن، فيقول:

زورق	سار	في	الأصيل	وضيا
حفيما	كالوليد	الموج		هزه
ذهبيا	ردا	الضيا		وكساه
شيا	ما	وسنان	يميز	رهو
الحسناه	الطبيعة	جمال		من

رفيق	دون	العباب	فوق	سار
الطريق	عناء	في	الفلك	يؤنس
رقيق	السماء	من	حلم	غير
أنيق	كل	الضباء		فحباه
الاتحاء	مذهب	خيال		من

ورفق	هدوء	في	السير	زانه
شرق	خيالات	من	القلب	يملا
طلق	السمت	منوع	جمال	
وعمق	صفاء	في	اللب	يأسر
للشعراء	القريض			ويصوغ
بديع	سار	في	جلال	زورق

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٣٠-٣١.

دونه النسك في ظلام الخشوع
أو سنا الطفل في ابتسام وديع
وجوى الصب غارقاً في الدموع
حائر الفكر في وغى الأهواء^(١)

للطبيعة وصف وجداي بلغ عند الشاعر سعد الدين فوزي ففي قصيده
(الطبيعة تصحو)^(٢) يستخدم نظام المقاطع وينوع في القوافي، يصف الطيور عندما تغادر أوكرها في الصباح الباكر حيث الجو الجميل وفي تلك اللحظات ترثين الطيور هذا الجو البديع بسعتها الذي يهيج الذكرى والشجون وينتقل بعد الصبح إلى وقت الشروق حيث جماله بأشعته الذهبية حيث تصحو وتدب الحياة على الأرض ويصف الزهور والرياض وصوت وغناء الرعاعة كل هذه الأوصاف نجدها في قوله:

استفق	هيا	البلابل	نجيَّ
يستيق	أتى	الصباح	فهذا
الأفق	حواشي	الضياء	ووشى
الذهب	وماء	اللجين	يذوب

الساجعة	الربى	طيور	وهبت
الهاجة	الهوى	ذكرى	تهيج
ضائعة	مضت	حب	وأيام

(١) ويمضي الشاعر فيقول:

أقبل	الليل	كالخيال	خفيا
أودع	الكون	سره	الأبدية
وطوى	زورقاً	على	النيل طيا
وهو	وسنان	ما	يميز شيئاً
من	جمال	الطبيعة	الحسناً

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٣٨٠-٣٩.

الوصب وتندي الشجون تثير

الشروع	جمال	هذا	لعمرك
أنيق	بوضع	علينا	تجلى
المستفيق		يقطة	تكلله
المنسكب	الرؤى	جمال	جلها

باليها	ما	الأزاهر	وتلك
سرباليها		بالدم	تتوج
لها	أوحي	جمالك	لعل
الحقب	وبؤس	الحياة	شقاء

الأئام	يعشق	الزهر	أم
الغرام	لصروف	دماً	فيبي
الهيايم	لهول	طوراً	ويفترق
(الذهب) ^(١)	لون	بالدم	فيمزج

(١) وتتوالى القصيدة:

ناظره	بدت	الرياض	وتلك
الشاعره	منا	المنى	تنبه
حائزه	غدت	عمر	وآمال
الطلب	وبعد	الجهاد	لطول

فهيا	نقني	لهذي	الحياة
إذا	الصبح	جاء،	غناء
فإن	الظلم	ولا	الرعاة
سيحجب	اللعب	عننا	العن

(حيرة الشيخ)^(١) وهي من مجموعه الهرج، وهي قصيدة الشاعر سعد الدين فوزي التي فازت بجائزة الشعر في العام ١٩٤١م في الكلية وفيما يلي نبذة عن تقرير المحكمين وهم الأستاذ الكبير أحمد محمد صالح والعلامة الشيخ محمد عبدالقادر المصري^(٢): (تعتقد اللجنة أن قصيدة هذا الشاعر غاية في الجودة لما فيها من سمو الخيال وطريق المعاني وقوة الأسر، وترى أنه قد وفيَ الموضوع حقه حتى أشرف على الكمال، وقصيدته من السهل الممتنع لا تجد فيها نبوأ ولا تعسفاً ولا إسفافاً وللجنة ترجو لهذا الشاعر مستقبلاً باهراً جداً في عالم الأدب وترى أنه سيتبوا مكاناً عالياً بين شعراء العربية جماء، حق الله فيه الآمال وقد كان الموضوع حيرة إعرابي بهرته المدينة).

ويعلق إحسان عباس على تقرير هذه اللجنة بما يلي^(٣): (لا تدري يومئذ أنها قد رسمت للشاعر حدوداً ضيقة حين أو همته أنه وصل أو شارف الوصول - كما يقول المتصوفة - وليس هذا مكان التعليق على نبوءة اللجنة وهذا لو صدق فيها، ولكن من أين يحق لها أن تحكم على شاعر في تاريخ تطوره من قصيدة واحدة، هذا النوع من العوائق التي وقفت في سبيل شاعرية سعد الدين كيف كان إحساس شاب مبتدئ تجاه هذا النوع من التقرير؟ كيف كان يحس حين يضع المحكمون قصيدة من قصائده ثانية لقصيدة أكبر شاعر في نظر السودانيين يومئذ وهو الشيخ عبدالله عمر البنا؟ وكيف كان يمكن أن يشق طريقه في الشعر وهو لما يستكمل (شخصيته الشعرية) ثم يجد لها مثل هذا التقدير؟).

والقصيدة في مجلها تصور الفرق بين الباذية أو الريف أو القرية وما شابهها والمدينة عندما زارها ذلك الإعرابي وانبهر بما وجده فيها من فروقات في العمران والحضارة والمدينة التي لم تكن بالطبع موجودة في باديتها الصحراوية مقارنة بالمدينة التي يخترقها النيل، فيقول الشاعر في ذلك:

أقبل الشيخ ونور الـ *** بدر يحبه في السماء

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٣) المرجع السابق، المقدمة.

لم يكن يملأ كأس الـ *** ليل من خمر الضياء
 أرسل الطرف فما الطرف *** يشكو من عناء
 ما يرى؟ سحر أهذا الـ *** حسن أم بعض الرواء؟
 أي رؤيا شاهد الشيء *** وفي أي سماء؟
 الفضاء القصور الشم هذي *** تبتغي عرش كل قصر شأنه الحس
 كل قصر شأنه الحس *** وفي أي بهاء؟
 عقري الصنع ع منو *** ع الذرى عالي البناء
 أي بلقيس ستبدى *** عند فرض الولاء
 أي زهر توج السن *** في هذا الفناء
 حيث يجري الماء *** بسام كالفضة الصفاء؟
 ويغنى الطير الأها *** ن الهوى خير غناء
 بابل قد جمعت في *** ساحة عند المساء
 واستمر الشيخ يمشي *** بين أطراف وضاء
 هذه اللغة من حس *** من حديث الشعراء
 عربات تملأ الأنطا *** ر في أزهى طلاء
 مسرعات كاندفاص *** في الريح خلاء
 وحسان مجمع *** الأر واح الظباء
 كاشفات عن *** النحر بديع الرداء
 باسمات عن *** الدر شبيه المرائي

ثم ماذا؟ نظر الشيء *** خ إلى أعلى الفضاء
 فرأى نوراً كنور النجم *** يسري في خفاء
 أي شيء نافس الطير *** ر على متن الجواء
 طائر من معدن يع *** لو على متن الهواء

والشاعر سعد الدين فوزي مهموم بقضايا الأمة العربية والإسلامية حيث يعتبر أن القوة في الوحدة بين الدول العربية جماء في قصidته (الوحدة العربية)^(٢) وهي من مجزوء الكامل، التي فازت بالجائزة الثالثة في مبارزة الشعر العربي لإذاعة أم درمان عام ١٩٤٢ حيث يبدأ قصidته بتوضيح أن الوحدة هي حلم العربة والأمل المرتجى للشيخ وأمنية الشباب وهي وعد كريم ينتظره الجميع وخاصة بأن العرب تجمعهم العقيدة الإسلامية حيث يقول:

ال المسلم	فؤاد	في ***	يشرق	إلهام	من	قبس
المتبسم	بالسنا	طع ***	يس	فيه	عروبة	حلم
الملهم	الشباب	مني ***	النابهين	الشيوخ	أمل	تبعد
متوسم	كبارق	ن ***	الزما	افق	على	تبدو
المعدم	حياة	على ***	الكريم	كالوعد	وتلوح	تهدى
النوم	فجر	الرواد ***	قبلة	العقيدة	تربي	تحل
والغم	الجوانح	ملء ***	عربية	وحدة	هي	تحل

(١) ويکملها بقوله:

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٤٥-٤٦.

ويقول إن الوحدة هي إكرام العرب وهي أمل الأمة وطموحها:

يا وحدة العرب الكرا *** م نظمت ما لم ينظم
فيك التقوى أمل الطمو *** ح وأنه
ويواصل الشاعر ويدرك بأن عوامل الوحدة وعناصرها متوافرة لدى الأمة
العربية متمثلة في التاريخ المشترك واللغة العربية لغة القرآن الكريم والدين
الإسلامي الذي وحد بين العالمين عاملاً وحضاراً للإسلام التي أنارت العالم بفكرة
ورشدها ودينه وأصبحت فتحاً لكل الخلق:

قد هياأس *** أس التاريخت *** بنائك
هذا التقاليد *** كل الكريمة *** أس تقدم
تسري على الرشا *** د من من *** د من من
وتنير ساطعة *** على *** أفق *** السنين
فلق من الإصباح *** في يشرق *** سمائك
ولديك من لغة *** ب الكتا *** دعامة *** ب دعامة
أي من الإعجاز *** في تبهر *** بياني
صحف من التبيين *** تز *** خر *** بالبلاغ
وروائع لسواك *** في الماضين *** لم تتقدم
درجت على مهد الخلود *** د فتية *** د فتية
ومشت على هام السني *** فريدة *** ن كالأنجم
هي حلية القلم البلي *** غ وزينة *** غ تهمز
ولديك من دين الحني *** فة قوة *** لم تهزم
دين من الصحراء أشرق *** للوجود *** دين المظلوم
أيام كان الغرب يد لاهيا *** رج *** لم يفطم

ويحيي الشاعر في ختام قصيده الشباب العرب بالتقدم نحو الوحدة العربية الذي يربط بها الدم والمصير المشترك وأوضح أن النيل والفرات التقى بشعوبها في الثقافة والفكر ويشابه هوى دمشق ربى السودان حيث يقول^(١):

وفي وصف الحب والعشق قصيدة للشاعر سعد الدين فوزي بعنوان (قصة حب)^(٢) وهي من مجموعه الرمل يكتبها على نظام المقطع الشعري يلزم وحدة الوزن وينوع في القافية، يوضح فيها مراحل الحب وترعرعه في وجده فيفيقول في مطلع القصيدة:

ولد	الحب	على	مهد	الريع
ونما	طفلًا	لدى	الروض	البديع
كالفراش	الغر	كالطفل	الوديع	
صار	يلهوا	فوق	مخضر	الرابع
وهو	عندِي	كل شيء	في	وجودي

وعن أوقات الحبو وأجوائه يقول:

فانتينا	وغناء	شدو	بين	فانتينا
ننظم	صفاء	عقوداً	الوقت	ننظم
أنا	هنائي	وبالحب	للحب	أنا
وهو	الشعراء	صفي	في	وهو

(١)

يا فتية الشرق الحبيب ***	دنا الضحى فلنقدم
ضموا إلى جنب اليرا ***	عة كل أبيض مخزم
هي وحدة عربية ***	بالدم ربط عراها
فيها التقى النيل السعيـ ***	ـ مع الفرات الأكرم
وهوى دمشق من ربى ***	السودان غير مذمـ
ضموا مشاعلكم وهـا ***	ـ كالقضـاء المـبرـم
إـنا جـمـيـعاً لـلـعروـة ***	ـ والـحنـيـفة نـنـتـمي

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٤٠ - ٤١.

جاء يهديني إلى دار الخلود

وفي لقاء الأنس في مرحلة الشباب والحب العذري يقول:

كم سهرنا في ضياء القمر
وغفونا عن سهام القدر
وقطفنا في ربيع العمر
من لذادات النصر الشباب
ثم لم نحفل بنقد أو جحود

وعن لحظات الصفاء ومرور أوقات التلاقي سريعاً يصف ذلك بقوله:

هذه الأزهار تزهو حولنا
إن هذا الليل يغرى مثنا
وصفاء الكون قد أضحي لنا
وكنار الحب يشدو معنا
ها هو الصفو فهل من مستزيد

ويواصل في وصفه:

وإذا بالصفو كالملح السريع
قد جرى والصيف أوفي بالدموع
وصحا الشوان يبكي في ضلوعي
غادة الحب وأيام الربيع
إن هذا الحن من نوع جديد

وعن ذكريات الحب ووقعه على القلب يقول:

فتذكرت الحب وذكر نار
كيف كنا وله في القلب دار
خفقان الصدر تدار موسيقى
وأنا في الحب صب مستطار

ومضت في الحب أيام السعود وفي وصف الليل يقول:

عجيبا	بستانًا	كان	حين
طيبا	ينفح	الليل	زهره
يطيبا	ولأ	الزهر	عندي
	وعندي	الضوء	لن
	أرى	حتى	نوره
حببيا	قربى	直至	سجد
السجود	له	كل	القلب

ويختتم قصيده بأهمية الحب في حياته فيقول^(١):

وبمناسبة زيارة الأديب عباس محمود العقاد إلى السودان عام ١٩٤٢ نظم الشاعر سعد الدين فوزي قصيدة ترحب بهذه الزيارة بعنوان (الكتار الزائر)^(٢)، وهي من مجزوء الكامل، والعقاد هو^(٣): (Abbas Mahmoud Al-Qadah)، أديب مصرى كبير، وكاتب قدير، أحب القراءة من صغره فأعللت القراءة من مكانته، وجعلته واحداً من أبناء مصر العلما، ولد العقاد في أسوان عام ألف وثمانمائة وتسعه وثمانين وتعلم في مدرستها الابتدائية، وعمل موظفاً بالسكة الحديدية، وحين كان العقاد تلميذاً في المدرسة الابتدائية لم يكن يشتري مصروفه طعاماً أو حلوى مثل الذين في سنه من التلاميذ، بل كان يشتري بمصروف الأسبوع كله كتاباً، فقد كانت القراءة هي كل ما يشغلة،قرأ العقاد في كل فروع العلم: في اللغة، والتاريخ، والجغرافيا، والدين، وقرأ عن الشخصيات المشهورة في العالم من رجال العلم، وقادة الجيوش، وقرأ عن النبات والحيوان،

(١)

هذه	الأصوات	سلوى	للقلب
تطفى	الشكوى	وترثى	للكليب
غير	أني	صرت	لا
في	ضياء	الذر	إن
وهو	عني	خاب	حبيبي
	كل	شيء	في وجودي

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٦٠-٦٢.

(٣) دليل المعلم في اللغة العربية، مدارس الموهوبين، المركز القومى للمناهج والبحث التربوى، بخت الرضا، تأليف شعبة اللغة العربية، مايو ٢٠٠٧م، ص ٥٥.

والطيور، والملابس، قرأ عن هذه وغيرها، وتعلم اللغة الإنجليزية وأتقنها، وتعلم شيئاً من اللغتين الألمانية والفرنسية. ألف العقاد أكثر من ثمانين كتاباً وموضوعات مختلفة نشرت له الصحف مقالات كثيرة فكثر قراءوه، وأصبح مشهوراً، وأقبل عليه طلاب العلم، فجعل لهم يوماً من كل أسبوع هو يوم الجمعة، يلتقي بهم ليسألوه، ويناقشهم، وكانت له مكانة رفيعة بين العلماء والأدباء، توفي العقاد سنة ١٩٦٤م).

أما عن القصيدة فقد شبه الشاعر الضيف بطائر الكنار وهو طائر جميل أنيق حسن الصوت مستأنس يحب الصحبة ويكره الوحدة وموطنه الأصلي جزر الكناري. وببدأ الشاعر قصيّته بتحية الضيف الكريم والترحيب به في وطنه السودان وإخوته الكرام الذين يسعدهون بهذه الزيارة لأخذ كريم يجمعهم به أواصر الإسلام واللغة والعروبة ويربط بينهم النيل ويصف العقاد بأنه باعث النهضة الأدبية فيقول:

كلا و لم تنصب شبا *** كاك للبديع النافر

ويواصل الشاعر تمجيده للعقد يوصفه بأنه قد سلب العقول بفكرة وعلمه
وكلماته المنقاة فيقول:

يا صائد	المعنى	الفريد	سلمت	أكرم	ظافر
حللت	أحلام	العقو	ل	فكنت	ناظر
وسموت	افق	القلوب	* * *	فكنت	طائر
لم ترك	الهمس	الضئيل	* * *	إلى	النداء
فيقنت	بسمة	شادن	* * *	مرح	ودمعة
ساهر					الهادر

وعن كتابات العقاد يوضح بأنه هو من كتب عن عبقرية النبي محمد صلى الله عليه وسلم وداحضاً لكل المكذبين والمكابرین وذاکرًا للبطولات فيقول:

السافر	بالبيان	بـه	* * *	الكتا	أغال	حطمـت
مهاتر	غير	هفت	* * *	النبي	في	بالعقرية
ومكابر	حـقه	في	* * *	مـذبـ	ـكـلـ	ـالـجـمـتـ
محاذـر	غـيرـ	ـفـيهـ	ـلـهـ	ـبـطـوـ	ـأـسـبـابـ	ـوـجـلـوتـ
ـمنـاظـرـ	ـكـلـ	ـرـأـيـ	ـمـعـ	ـدـوـاـ	ـبـالـحـجـ	ـأـزـهـقـتـ

و بختم قصيدةه وبصف كتاباته نقوله:

يا صاحب القلم والبيان * * * المحلق الساحر

للشاعر سعد الدين فوزي قصيدة فائزة بالجائزة المحلية الثانية في مباراة الشعر

العربي للإذاعة البريطانية عام ١٩٤١م بعنوان (الأندلس)^(١).

ويحدثنا التاريخ عن دولة الأندلس^(٢): (بعد سقوط الدولة الأموية وظهور الدولة

العباسية عام ١٣٢هـ تمكن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الملقب

بـ(الداخل) من الاستيلاء على شبه جزيرة الأندلس التي فتحها طارق بن زياد وموسى

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٣١-٣٣.

(٢) نحن والعالم الإسلامي، إعداد لجنة بتكليف من المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، بخت الرضا، آفاق للطباعة والنشر، ص ٥٠-٥١.

بن نصير أيام الدولة الأموية، ثم أخذها العباسيون، بعد ذلك استولى عبد الرحمن الداخل على قرطبة عاصمة الأندلس عام ٧٥٦ م - ١٣٤ هـ بعد هزيمة الحاكم العباسي، وأسس دولة الأندلس التي استمرت لأربعة قرون أو يزيد، وتداول الحكم فيها بالوراثة عشرة من الأمراء والخلفاء الأمويين، أشهرهم عبد الرحمن الداخل، والذي في عهده عم الأندلس الأمن والاستقرار واهتم بالجيش والأسطول والشرطة وأنشأ مسجد قرطبة الكبير، والذي يعد من أعظم المساجد الإسلامية فناً وروعةً والذي ما يزال قائماً حتى يومنا هذا).

أما عن القصيدة فيبدأها الشاعر بذكرى الماضي التليد الذي صنعه الجدود وهي أيام الفتوحات الإسلامية وخاصة فتح الأندلس والقائد طارق بن زياد رمز الأبطال والشاعر سعد الدين يمجد عهد دولة الأندلس وانتشار الحضارة الإسلامية والعربية في الغرب تلك الحضارة الإسلامية المتمثلة في الترجمة والتلقييف وكل العلوم التي بهرت الغرب الذي كان عائضاً في العصور المظلمة، تلك الحضارة الإنسانية العادلة الراقية المتمسكة بالعلم وانتشار الأدب والعلماء الذين تألقوا في ذلك الزمان في كل ضروب العلم والمعرفة مما جعل الأندلس منارة سامية وقبلة للباحثين عن العلم والحرية والكرامة الإنسانية.

وفي ختام قصيده يتحسر الشاعر على نهاية دولة الأندلس وانتهاء حكمها وفي كل ذلك يقول الشاعر :

ذكر	فخر	الذكريا *** ت	صحف	المجد	التليد
ذكر	فولا	الذكر	ما *** حن	الشباب	إلى
وأعد	على	ماثراً *** قد	خطها	قلم	الخلود
أيام	طارق	فوق	سطح	الفلك	يبسم
والبحر	يحمل	فوقه	بحراً *** يموج	من	الأسود
زمراً	من	تح	للردي	صدر	الشهيد
قد جاءها	قبس	من	الر	يشرق	بالوعود
فتقدمت	للغرب	تحـ	ـمل	مشعل	النور الجديد
نور من	الصحراء	أشـ	ـرق	في حمى	الوادي البعـ
يا أرض	أندلـس	لذـ	ـر	فـمي	عـذب النـشـيد

الجديد	العزم	ـ قـ	صاحب	ـ المـ	ـ ***	ـ رحبـ
البنود	ـ خـ	ـ فـ	ـ النـ	ـ أـ	ـ مـ	ـ وحفظـ
ـ الفـ	ـ الشـ	ـ مـ	ـ وـ	ـ العـ	ـ مـ	ـ ولـ
ـ الرـ	ـ ذـ	ـ يـ	ـ فـ	ـ العـ	ـ نـ	ـ فـ
ـ السـ	ـ وـ	ـ لـ	ـ الرـ	ـ العـ	ـ أـ	ـ وكـ
ـ المـ	ـ غـ	ـ لـ	ـ إـ	ـ عـ		ـ وثقـ
ـ الرـ	ـ مـ	ـ لـ	ـ إـ	ـ جـ		ـ حـ
ـ الـ	ـ مـ	ـ قـ	ـ إـ	ـ إـ		ـ وتأـ
ـ الـ	ـ سـ	ـ رـ	ـ مـ	ـ جـ		ـ فـ
			ـ ***			
ـ القـ	ـ رـ	ـ عـ	ـ قـ	ـ دـ	ـ عـ	ـ وـ علىـ
ـ النـ	ـ زـ	ـ لـ	ـ جـ	ـ نـ	ـ حـ	ـ قـ دـ
ـ وـ	ـ عـ	ـ نـ	ـ عـ	ـ سـ	ـ حـ	ـ وـ تـ
ـ الـ	ـ طـ	ـ مـ	ـ بـ	ـ بـ	ـ بـ	ـ فأـ قولـ
			ـ ***			(١)

(١) وبختتم الشاعر قصيده عن الأندلس بقوله:

ـ علمـاء	ـ فـي	ـ الـ بـحـثـ	ـ المـفـيدـ	ـ ***	ـ عـلـىـ	ـ رـبـوعـكـ	ـ أـمـعـنـ	ـ الـ
ـ مـ	ـ مـ	ـ مـ	ـ مـ	ـ ***	ـ وـالـمـرـءـ	ـ يـؤـمـنـ	ـ بـالـقـدـيـ	ـ حـرـيةـ
ـ ذـلـ	ـ لـقـرـيـبـ	ـ وـلـبـعـيدـ		ـ ***	ـ يـأـقـوـلـ	ـ بـالـأشـعـارـ	ـ الشـرـوـدـ	
				ـ ***				
ـ كـ	ـ الـرـوـحـ	ـ مـنـ	ـ خـطـبـ	ـ شـدـيدـ	ـ ***	ـ يـاـ	ـ أـرـضـ	ـ أـنـدـلـسـ
ـ دـ	ـ دـارـتـ	ـ فـعـدـتـ	ـ إـلـىـ	ـ الـقـيـوـدـ	ـ ***	ـ قـدـ	ـ دـارـتـ	ـ الـأـقـدـارـ
ـ وـإـذـاـ	ـ قـدـ	ـ غالـهـ	ـ شـبـحـ	ـ الـخـمـودـ	ـ ***	ـ لـهـفـىـ	ـ عـلـيـئـ	ـ وـقـدـ
					ـ ***			
ـ كـ	ـ النـحـسـ	ـ مـنـ	ـ بـعـدـ	ـ السـعـودـ				

المبحث الثاني

الفضيلة والجمال والعنف

وبمناسبة فوز الشاعر عبدالله عمر البنا بجائزة الشعر العربي من لندن ١٩٤١م فكانت تهنئة الشاعر سعد الدين فوزي هذه القصيدة التي بعنوان (السودان الشاعر)^(١) (شعر مناسبات)، يعبر فيها عن غبطته وسروره بهذا الفوز لابن النيل الشاعر الفصيح البلوي عبدالله البنا الذي ارتوى ورضع درر البلاغة من ماء النيل العذب فتوج ذلك شعراً ساطعاً مشرقاً وأخرجه شعراً وجданياً منمقاً يعبر عن نفسه وبني وطنه ويصفه بالغريد في الدوحة الغناء الذي نثر شعره على ضفة التاميز حيث مثل السودان تمثيلاً مشرفاً يدعو إلى الفخر حيث رحب به بنو التاميز بهذا الشعر الرصين.

وسعد الدين فوزي يقول: إن فخر البنا عم كل العرب ففرح به بنو مصر وهذا الفرح عم كل شيء حتى النيل والليل وكل الكائنات فخورة بهذا البيان الحر كل ما ذكر مفصلاً في قوله:

تفني القصيد بين أرجائها الخضر *** يصافح في تسياره صفة النهر
يعانق ماء النيل في خمرة الهوى *** ويودعه سر البلاغة والشعر
فجاء فتي للنيل يطفئ غلة *** فرواه ذاك النهر من مائه الثر
وأرضعه در البلاغة فانتشى *** وصار على الأيام يخرج بالدر
فتوج ليل النيل بالشعر ساطعاً *** فنافس ليل النيل إشراقة الفجر
وأخرجه كالطل في كنف الدجي *** صفاء ولاؤ على ورق الزهر
ونظمه كالعقد بضا منقاً *** ينافس عقد الدر في رونق البحر
وقدمه للعارفين صحائف *** تعبّر عن نفس وتكتشف عن سر
فيما لك غريداً تفني بدودة *** وطاف على أغصانها ناضج الفكر

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٨-١٩.

فتوج بالشعر الرصين مجالساً *** على ضفة التاميز تعجب بالشعر وأثبت للسودان فضلاً مؤثلاً *** وعلم ثغر النيل أنشودة الفخر فقال بنو التاميز مرحى لمنطق *** إذا عدت الأشعار عد من السحر وهزّ بني مصر قصيد يصوغه *** فهلل تكبيراً لديه بنو مصر^(١) الشعر الوجданى عند سعد الدين فوزي يعبر فيه في كل مناحي الحياة وترتفع فيه روح القومية وحب الوطن والدعوة إلى رفعته ومن هذه القصيدة التي سماها (إلى النصر)^(٢) يتحدث عن القوات المسلحة السودانية وكل القوات الأخرى التي تدافع عن الوطن وفي مطلع القصيدة يدعو إلى النصر الذي تقوده القوات المسلحة التي شبهها بالأسود في الزود عن الوطن (شعر وطني) وهي عبارة عن نشيد من نوع القوافي، فيقول:

إلى النصر هيا جنود الوطن *** وروموا الفخار بهذا الوجود
فليس الخلود رخيص الثمن *** وليس الفخار لغير المجيد
وهذى البلاد إذا تمحن *** بحرب الحديد إزاء الحديد
عليكم نعول عند المحن *** فكونوا جميعاً لها يا أسود

وشبه الجيش ودفاعه عن الوطن كقصف الرعد وهو وصوت الصواعق وأن النصر فخر للقوات المسلحة فيقول:

إلى النصر هيا كقصف الرعد *** وهو الصواعق عند النزال
وكر العقاب بعزم شديد *** وصبر العقاب إزاء النضال
فإن النجاح رهين الجهود *** وليس النجاح سريع المنال

(١) ويكللها بقوله:

فمازج ماء النيل فخر يهزه *** فطرّب من ذكرى لدى مطلع البدر
ومد ذراعية إلى معانقاً *** وقال تعال اليوم نهتف بالشكر
فهب نسيم الليل نشوان راسياً *** وطوف بالأرجاء يعيق بالنشر
وصافح نجم الليل سحر وروعة *** وطوق جيد النيل طوق من الطهر
وقادت تحفي الكائنات فخورة *** أمير البيان الحق والأدب الحر

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٥.

وبأس الفيالق تحت البنود *** لنيل المفاحر عند القتال

ويدعو القوات المسلحة وهي في طريقها إلى النصر بالوقوف صفاً واحداً
حتى يذكروا العدو بهذه الصفوف المتراسة فيقول:

إلى النصر صف شديد البناء *** عظيم الجهد بلغ الآخر
يسير بعزم رفيع اللواء *** سريع المضاء حديد النظر
يهز الجبال بوقع النداء *** إذا هب يوماً لدفع الخطر
يكسر علا في الفضاء *** وأهوى سريعاً كلمح البصر

ويصف سعد الدين فوزي جنود الوطن بالأوفياء والمجاهدين ويدعوهم
جميعاً لتلبية النداء:

إلى النصر هيا جنود البلاد *** فأنتم رجال الحمى الأوفياء
وأنتم كماة الوعى والجهاد *** فسيروا جميعاً لدفع البلاء
إلى النصر فوق الربي والوهاد *** فصوت النفير دعاء للدفاع
فهبووا جميعاً أسود الجلاد *** لنصر البلاد ولبوا النداء

ويختتم قصيده بالدعوة إلى النصر في سبيل حماية الوطن وعزته فأنتم
أهل لذلك ساعة المحن يا أسود فيقول^(١):

وللفجر هوى وجمال طبيعة عند سعد الدين فوزي فإقبال الفجر يبشر بيوم
جديد بعد ليل فائت في قصيده (أقبل الفجر)^(٢) وهي من مجزوء الرمل، التي
صاغها في العام ١٩٤٠ م يصف الفجر بأنه بديع اللون حيث الأزهار تتفتح بعد
نومها مساءً والأطياف تخرج من أوكرارها تغزو وتغنى ويبدو الكون بساماً وفي تلك
اللحظات له ذكريات فيقول:

(١)

إلى النصر هيا جنود الوطن *** وروموا الفخار بهذا الوجود
فليس الخلود رخيص الثمن *** وليس الفخار لغير المجيد
وهذى البلاد إذا تمحن *** بحرب الحديد إزاء الحديد
عليكم تعول عند المحن *** فكونوا جميعاً لها يا أسود

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٢٠-١٩.

أقبل الفجر بديع اللون قدسي الضياء
وتمطى الزهر بعد النوم في ظل المساء
وتغنى الطير جياش الهوى عذب الغاء
وتبدى الكون بسام الرؤى جم الرواء
فادركيني قبل أن يغمري البهيم الليل
وأقبل شعري فإن الشعر تذكار المقيم

وبعد الصباح تدب الحياة حيث تعم الحركة بعد السكون للإنسان والحيوان

ففي تلك اللحظات تشد الشاعر الذكريات ويعمله الحزن فيقول:

كلما في الكون أصغرى مستهاماً للصياح
وهناف الطير يعلو ناشراً معنى الكفاح
فتذكرت وقلبي قد شكا نوع الجراح
كيف كان الشاعر الفريد مرخي السراح
وأنا اليوم حزين النفس تغوني الهموم
ملء أيامي تباريح وفي قلبي جحيم

وفي الصباح تنفتح الورود والزهور وتظهر بشكل جميل والنسيم العليل
يعطر المكان وفي هذه اللوحة الجميلة تتجلى عظمة الله سبحانه وتعالى خالق هذا
الكون وفي تلك اللحظات يتذكر قصة حبه فيقول:

سقط الظل على الأوراق في سمت جميل
ذاك نخب الفجر تحسوه أزاهير الخميل
كلما هبت نسيمات على القلب العليل
زاد إيماني بهذا الحسن والكون النبيل
غير أن القلب مشتاق أمضته الكلوم
وسماء الحب قصتها عن النور الغيوم

وجمال الفجر للطبيعة يظهر في النور والحسن وتكون الطبيعة في تلك
اللحظات بهية وجميلة ويتمنى الشاعر أن يدوم هذا المنظر البديع فيقول:

سُطُرَ الْفَجْرِ كِتَابُ الْحَسْنِ مِنْ نُورٍ وَزَهْرٍ
 فَجْلًا النُّورُ عَيْنُ الْكَوْنِ فِي رَفْقٍ وَيِسْرٍ
 وَأَطْلَعَ الْعَطْرَ يَزْجِي نُشْرَهُ فِي كُلِّ سُطُرٍ
 فَارْتَشَفَ يَا شَاعِرُ الْحَسْنِ جَمَالًا لَسْتَ تَدْرِي
 أَهُوَ بَاقٌ أَمْ سَرَابٌ لَا يَدْوُمُ
 حَبْدًا النَّشْوَةُ تَبْقَى فِي دَمَائِي لَا تَرِيمُ

ويختتم الشاعر قصidته بجمال الطبيعة عند الفجر حيث النور بعد الظلام والحركة بعد السكون وتكون الحياة بشكل قشيب فيقول^(١):
 قصidته (في الهاوية)^(٢) يظهر فيها الحزن والأسى للشاعر سعد الدين فوزي وفيها يعبر عن الحالة التي فيها وهي من سيء إلى أسوأ وهو الوضع الذي سماه بالهاوية التي تدرج إليها ويوضح حاله التي وصل إليها وقد فسر السبب بأن الجهالة هي السبب لكل ما هو فيه فيقول:

إني انحدرت مع الجها	لة في جيم
وعدوت في الدنس	الوبئ لأنكر
ودفت نورك في ظلا	مي بل كرهت
وبح ضلاليه	جري فتبعت وحي

(١)

أقبل الفجر سريع الخطو رفاف الحياة
 فمشى بالنور يسعى نحو تلك الزهارات
 فجلت أكمامها للنور بعد الظلمات
 وتجلت فتنة كبرى بعض الوجنات
 فأدركيني قبل أن يغمري الليل البهيم
 واذكري شعري فإن الشعر تذكار مقيم

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٦٨.

أكذا يعود الطهر إثماً *** والتنقية
 بالأمس كنت من الهوى بك في قطوف دانية
 ملكان في كنف الطها *** رة كالزهور الناديه
 فغدوت في كنف المها *** به كالفلة الصاديه
 وتدكر القلب الذي *** عرف الصباة ماضيه
 وفي التأمل والتدبر والتفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى وأن الإنسان لا
 يستطيع معرفة سر هذا الكون يقول تعالى: (...وَمَا أُوتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ^(١).
 والشاعر هنا يشعر بالضعف ففي قصidته (نفحة مظلوم) ^(٢) من مجزوء
 الكامل، يقول سعد الدين فوزي:

رباه ما سر الحياة *** فإنني عفت
 أرسلت عقلی في الوجود *** بما عثرت على مداده
 في كل ناحية مسائل تستطيل على
 منه ظامئ للعلم ما تمت لعقل وبح
 رباء يداه صفت شاعر أنا؟ ما
 هل كنت غمراً غمامه نزلت على ظماً الفلاه
 لا الرمل يشكوها ولا هي قد أزالت من صدأه
 أكون بين القانتين وقد أعد من العصاه؟
 وأبيت العابدين وليلتي بين
 إن كان ذا إثمِي *** وإجرامي فسحقاً للتقاه

وفي قصidته التي بعنوان (نجوى) ^(٣) نجد الشاعر سعد الدين فوزي يبيح
 بسره فيما يجيش داخل وجданه من حب ويناجي الحبيب وفي القصيدة بنوع القوافي
 ويلزم وحدة البحر، وهي من مجزوء الرمل، فيقول في مطلعها:

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٥).

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٦٩.

(٣) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٣٦-٣٧.

أنت عندي مشرق الإله *** هام في علية فني
 تطلق الروح من الأشجان أو أغلال حزني
 وسماء أنت لي في نشيد وتعني
 نست أدرى كيف صرت المرن كالعود يوم

وعن حالته العاطفية التي يحس بها يقول الشاعر:

أنت عندي نبع إلهها *** م ودنيا من شعور
 لم تعيش في عالم الحب ولكن *** في الضمير
 أنت أيقظت فؤاداً راقه *** صمت القبور
 أنت وجهت يراعي نحو *** إشراق نور
 نحو دنيا من صميم الـ *** فن لم توصم بزور
 نحو روض من رياض الشعر بسام نصير

ويصف الطل والطير والصمت والحب عند الرؤبة فيقول:

أرأيت الطل يزهو *** باسماً فوق الزهور
 أرأيت الطير يشدو *** باعثاً معنى السرور
 ورأيت الصمت يشجو *** رائعاً فوق الغدير
 ورأيت الحب يسمو *** طاهراً فوق الشرور
 ذاك يا ابن الود وهي *** جاء من قلب طهور
 رب سحر قيد الأـ *** باب يعلو بالصرير

ويختتم الشاعر قصيدته بدور الفن والشعر في حياته فيقول^(١):

(١)

ها هو الفن جميل يا لها من أسرار فني
 ها هو الشعر طليق قبس من كل حسن
 وهو لحن في حياتي يا لها أنغام لحن
 صدرت من زهر الأـ سراح لا أوتار حزن

قصيدة الشاعر سعد الدين فوزي التي بعنوان (الرائد الأول)^(١) التي نظمها في العام ١٩٤٢م وقد أهداها إلى روح زعيم الجيل الرائد الأول عرفات محمد عبدالله في ذكراه السادسة.

وعرفات محمد عبدالله هو صاحب مجلة الفجر ولد عام ١٨٩٩م وتوفي عام ١٩٣٦م وهو من مؤسسي جمعية اللواء الأبيض وكان يعمل موظفاً بقسم المستخدمين بإدارة البريد والبرق بالخرطوم وكان مشهوراً بدماثة الخلق وسعة الإطلاع حاضر البديهة سريع النكتة كما اشتهر بأنه رسام (كاريكاتير) بارع وكان قوي الذكرة. أما عن القصيدة فإن مطلعها يكشف عن قوة البيان للشاعر سعد الدين وعن هدف هذه القصيدة و اختياره للألفاظ التي تناسب الموضوع فيقول:

شعر	يفجره	لحسناً	الدم ***	وينشد	الفم
أطلقت	فيه	وهاجة	خواطري ***	تتكلّم	تبسم
وجلوت	فيه	ن	البيا ***	عرائساً	تبتسم
طوراً	يرق	غرد	كأنه ***	بعقر	ينغم
طوراً	طوراً	كالرعو *** د	اللطي ***	القصافات	يدمم
فهو	النسيم	إذا سجا *** وهو	اللطي ***	اللطي ***	يتضرم
أرسلته	بالمكرما	ت	وبالعلا ***	وبالعلا ***	يتترنم

وينتقل سعد الدين ليصف عرفات بأنه كان ملهم الشعراء بعياريته وبفقده عم الحزن وانطفأ الشعاع فيقول:

يا ملهم	الشعراء	أ---	---	العربي	الملهم	الملهم
متيقظاً	والناس	حو	لك ***	جاهلون	ونوم	ونوم
أرسلت	طرفك	والظلا *** م	على	المدارك	يجثم	يجثم
ماذا	رأيت	سوى (الجها *** لة	في	الشقاوة	نعم)	نعم)

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٥١-٥٥.

أفق	به	مات	الشعا	*** ع	وما	تضيء	الأجم
ومرائب	طار	الغرا	*** ب	بها	وغاب	القشع	
صخابة	بالإثم	والـ	*** لا	عدوان	ـ	تندم	
غنى بها	الشيطان	وهـ	*** و	المستبد	ـ	المجرم	
تعس يا	شاد	الخلا	*** ف	وتتعس	قوم	أجروا	

ويستمر الشاعر سعد الدين في رثاء عرفات محمد عبدالله وأفضاله على
أمتة في ريادته للعمل العام وكفاحه وشجاعته ومجلته الفجر التي أثارت العقول
بمواضيعها الشائقة في كل محاور العلم فيقول:

يقدم	رائد	أول	رأيت؟	وأنت	ماذا
ويضرم؟	عليه	يش	يا حامل	المصباح	يا
تحلم	بمجده	باتت	لامة	الصباح	كنت
يتوسّم	ومثلها	ء	الرجا	فيك	وتوسّمت
مخيم	الخطوب	ودجي	ساطعاً	(فجرك)	أرسلت
تألموا	لبائسين	ء	بالرجا	تدفق	قبساً
تفحّم	وحجة لك	م	الكلو	تأسوا	ومبرة
المتبسم	(فجرك)	رك	بو	حامل	يا
ويقمع	يهز	سحر	صفحاته	على	فجر
المحكم	البيان	به	الضافيا	البحث	فيه
سلم	للمكارم	هي	صحائفناً	فيه	خلدت
تتوهم	لامة	ح	الصراء	بالحق	وأتيت
ويهزم	يصول	رأى	حدها	لك	ويراعية
متيم	وبالبلاد	ت	المكرما	بحب	قلم
ويلهم	يفيض	نيل	معينه	كأن	يجري

ويواصل الشاعر رثاؤه لعرفات محمد عبدالله بذكره لمحاسنه وصفاته وأخلاقه والشموخ والقوة والشرف والبسالة فيقول:

ما ذا أقول وأنت أكرم *** من يقال
 إني رأيتك في حياة *** دلائل
 مثل ندرت له الجهاز *** شاك
 ورسالة لك في المرأة *** بع لم يشبهها
 وعرفت فيك العزم وال毅 *** إيمان كيف يجسم
 فلقد ظمئت بما ورد *** ت الذل وهو مكرم
 وأكرم الرجال أجل من برد *** الزلال
 يا عزمة الرجل الكري *** سلمت أين الضيغ
 بل أين منك الصخر ي *** فيه الزمان ويحكم
 من ذا ينال النسر فو *** ق الشامخات
 دنياه دنيا الأقويا *** ما بسالة تقم
 من ذا يفل الصارم ال *** مسلول يخضبه الدم
 عاف الغراب فبات ي *** شاه الهمي المعلم
 من ذا بربك يستشير *** المشرفي ويسلم

ويختتم سعد الدين مرثيته لعرفات بأنه كان مخلصاً لأمته وهو الآن مع الخالدين المخلصين إن شاء الله ويعاتب الذين جرّحوه بالخصام وبأنك كنت مجاهداً حقاً تسعى لل Mage لك ولأمتك وكنت صبوراً على الصعب والمكاره فيقول^(١):

(١)

عرفات أخلصت الودا *** د لأمة بك أعلم
 نم في ربوع الخالدي *** ن وانت حر مكرم
 تمضي السنون وانت نور *** ر للحقيقة مضرم
 يا باسمة ثغر الزما *** ن بها يضيء وبيسم
 يا سيرة للمجد ي *** ظمها الجهاد الأعظم

وكان الشاعر سعد الدين إسماعيل فوزي يقف في كل مناسبة من مناسبات مهرجانات الزواج وهي مهرجانات أو احتفالات استحدثها السيد الإمام عبدالرحمن المهدى نقام في السابع والعشرين من رجب كل عام ويزوج فيها العازبون من أقاربه وأتباعه بالمهر الذي ترتضيه السنة النبوية المطهرة فيتغنى بذلك العيد ويرى فيه عيداً للإصلاح وانتصاراً للشريعة ومن هذه القصائد قصيدة (من مهرجان الزواج)^(١)، من مجموع الكامل (شعر مناسبات)، التي نظمها عام ١٩٤٢م، وتمجد هذه المناسبة ويبداً القصيدة في وصف العروس فيقول:

خذها بياناً من دمي في ثورة لم تكتم
عذراء كاللهب المقدس أو ضياء الأجم
بيضاء الملحق أو يمين المنعم
أرسلتها لل Magej و هي لغيره لم تقسم
سهمي رمت به إلى العلياء بين الأسمهم

وعن سعادته وامتنانه بهذه المناسبة التي يعدها أياماً صالحة وعيداً لهذا الجيل المسلم المصلح فيقول:

عيد الزواج أتى فهل *** خاطري
فهي وشدا *** يا ربـةـ الشـعـرـ الجـدـيدـ أـلاـ بوـحـيـكـ

ما كان مطلبك اليسي *** ——
تبأ لقوم جrho *** ك وه تضار الأجم
عرفت جهادك أمة *** تحنو عليك وترأـمـ
ما كان يخفي الحق مه *** ——
ولقد عرفت الحر يـ *** تـاكـ الزـمانـ وـيرـغمـ
ورعاـهـ جـيلـ بـاتـ غـ *** ——
فـسـعـىـ إـلـىـ الـأـمـجـادـ وـهـ *** وـ رـجـاؤـنـاـ المـتوـسـمـ
بـالـعـزـمـ يـقـتـحـمـ الصـعاـ *** بـ وـ فـيـ الـمـشاـكـلـ بـيرـمـ
وـشـعـارـهـ مـجـدـ الحـمىـ *** وـهـوـ الطـموـحـ المـسـلـمـ

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٦٢-٦٦.

أجلی	الليل	البهيم	عن	الصباح	المحكم
ضوء	أنار	الديا	* جر	كل ركن	مظلم
وغدا	غدو	في	* قلب	الشقي	المعدم
أمل	الشبيبة	في	* * *	ويقظة	للنوم
عيد	- رعيت	من	* *	ضيف	ال يقدم
أقبلت	كالنور	البهي	* *	الخريف	المنعم
كم	كنت	البشير	* *	بصفو	مفعم
وأقمت	في	فؤا	* *	لها	د
من	عرساً		* *	كان منزل	مائتم
وتحل	تمهر	بالقلو	* *	وبالشعور	المضرم
لا	أعماق	النفو	* *	وفي تلافيف	الدم
تشتكي	شح	الزما	* *	ن ولا ضنين	الدرهم

ولها من الزهر المعطر *** حلية
 ومن تتوهم العواطف حلية *** للقلب
 كم أسرة كنت لها بليل الصايا ***
 عبد الزواج لدى قو لـ الصاحب
 إني إلى الآباء أز جي قوله ***
 ليس زواج تجارة للطامع
 إن زواج دعامة *** الأخلاق لم تهدم
 لبث مع الأجيال مد كمة الذرى لم تفص
 هو قبلة الأرواح في كف الإله الأعظم

ويحيى الإمام عبد الرحمن راعي هذه المناسبة قائلاً:

مولاي خذ مني مقا *** لة شاعر متألم
 حتى أنجلى منك الصايا *** على جانب مرقمي
 أبدلت دمعي في الحيا *** ة بسمة المتسم
 وجعلت شدوبي في البلا *** د قصيدة لم تألم

ويواصل شكره للسيد عبد الرحمن المهدى الذى أبهج الأسر بهذا العمل
النبيل الذى يعتبر من عمل الراشدين الصادقين بإذن الله:

يا كعبة الوطن العزيز *** ويَا المتوص
 جددت عهد الراشديـ *** نـ القوم
 وغمرت ربات المخـ *** دـعـ الأعمـ
 في وثبة كنت المظـ *** رـ مدـهاـ المحـكمـ
 وخـلـصـتـ بالـشـبـانـ منـ خـورـ وـطـولـ
 في عـزـمةـ ذـلـ الحـدـيدـ لـهاـ كـأنـ لـمـ يـبرـمـ

ويختتم القصيدة بمخاطبة الإمام عبد الرحمن المهدى ابن الإمام محمد أحمد
المهدى مجر الثورة المهدية الإسلامية التي استشهد في سبيلها الكثيرين من أبناء

الأمة حتى تحقق لهم النصر. وقد روى الإمام المهدى أنصاره على التقوى والجهاد والإيثار ويحيى الشاعر الأجداد ويهنىء السيد الإمام عبد الرحمن المهدى فيقول^(١):

وعن هجرة المصطفى سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ إلى المدينة وبهذه المناسبة العطرة نظم الشاعر سعد الدين فوزي قصيدة بعنوان (عيد الهجرة)^(٢).

ويقول عبدالسلام محمد هارون^(٣) عن الإذن بهجرة المسلمين إلى المدينة: (فَلَمَا أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي الْحَرْبِ، وَبَأْيَهُهُ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالنَّصْرَ لَهُ وَلَمَنْ اتَّبَعَهُ وَأَوْيَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَمْرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَصْحَابَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمِنْ مَعِهِ بَمَكَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْهِجْرَةِ

(١)

يَا صَاحِبَ الْمَجْدِ الْطَّرِيفِ *** فَوِيَا وَرِثَ الْأَقْدَمِ
ذَكْرِتِنِي عَهْدَ الْبَوَا *** سَلَ سَاطِعًا كَالْأَجْمَعِ
رَاجَعَتِ فِيهِ السَّابِقِي *** نَفَّا ظَفَرَتِ بِتَوَامِ
فِي ثُورَةِ شَدَهِ الزَّمَا *** نَلَهَا كَانَ لَمْ يَفْهَمِ
سَالَتِ بَهَا الْوَدِيَانِ دَاهِي *** مِيَةَ الظَّى لَمْ تَحْجُمِ
مِنْ طَوْعَةِ الْأَلْمِ الْمُمْضِي *** وَمِنْ طَمْوَحِ الْقَشْعَمِ
نَسْجَوَا لَوَاءَ النَّصْرِ فِي *** الْمُعْلَمِ لَلْكَمَى
فِي زَمَرَةِ الْعَدْلِ الْمُتَظَلِّمِ *** (مُجِيءَ طَلَابِ الْمَعْلَمِ)
مَتْرُفَعِينَ عَنِ الْمَذْلَةِ *** فِي طَلَابِ الْمَعْلَمِ
مَتَجَرِّدِينَ عَنِ الْحَوَا *** دَثَّ فِي سَمْوِ الْمُسْلِمِ
وَحْيَاتِهِمْ فِي اللَّهِ بِي *** نَنْهَى هَدِي وَبَيْنَ تَقْحَمِ
يَا مَجْدَ آبَائِي ذَكْرِي *** تَكَّفِي الشَّدَائِدَ فَأَسْلِمِ
قَبْسًا يَضِيءُ الْحَقَّ لِلّٰهِ *** مَظْلُومَ وَالْمَتَّلِمِ
فَقَدِ الشَّبَابُ إِلَى الْمَكَا *** رَمَ فِي مَضَاءِ الضَّيْغَمِ
مَوْلَايِ إِنْ جَمِحَ الْبِرَا *** عَفَّ فِي حَمَكَ تَرْنَمِي
فَأَهَنَّ فَدِيَكَ بِالْحَيَاةِ *** وَبِالْيَرَاعِ الْمَلَهِمِ

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٤٧ - ٥٠.

(٣) عبدالسلام محمد هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة السادسة

(٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)، ص ١٠٠.

إليها، واللحوظ بإخوانهم من الأنصار، وقال: (إن الله عزّ وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تؤمنون بها) فخرجوأ رأساً وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يؤذن له ربـه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة). وبدأت الهجرة بهذا الإذن ثم تتـابـعـ المهاجـرونـ.

أما عن هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة يقول عبدالسلام محمد هارون^(١): (وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتـظرـ أنـ يؤذـنـ لهـ فيـ الـهـجـرـةـ،ـ وـلـمـ يـتـخـلـفـ مـعـهـ بـمـكـةـ أـحـدـ مـنـ الـمـهـاجـرـينـ إـلاـ مـنـ حـبـسـ وـفـتـنـ،ـ إـلاـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ،ـ وـأـبـوـبـكـرـ بـنـ أـبـيـ قـحـافـةـ الصـدـيقـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـماـ وـكـانـ أـبـوـبـكـرـ كـثـيرـاـ مـاـ يـسـتـأـذـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ فـيـ الـهـجـرـةـ فـيـ قـوـلـ لـهـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ:ـ (ـلـاـ تـعـجـلـ لـعـلـ اللـهـ يـجـعـلـ لـكـ صـاحـبـاـ)ـ فـيـطـمـعـ أـبـوـبـكـرـ أـنـ يـكـونـهـ).

وبعد اجتماع قريش في دار الندوة ووضع خطتهم فيما يصفون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه، وبعد التداول كانت الخطة من أبي جهل بن هشام^(٢): والله إن لي لرأياً ما أراكـمـ وـقـعـتـ عـلـيـهـ بـعـدـ قـالـواـ:ـ وـمـاـ هـوـ يـاـ أـبـاـ الـحـكـمـ؟ـ قـالـ:ـ أـنـ نـأـخـذـ مـنـ كـلـ قـبـيلـةـ فـتـىـ شـابـاـ جـلـيدـاـ نـسـيـباـ وـسـيـطاـ فـيـنـاـ ثـمـ نـعـطـيـ كـلـ فـتـىـ مـنـهـمـ سـيفـاـ صـارـمـاـ ثـمـ يـعـدـوـاـ إـلـيـهـ فـيـ ضـربـةـ رـجـلـ وـاحـدـ فـيـقـتـلـوـهـ،ـ فـنـسـتـرـيـحـ مـنـهـ،ـ فـإـنـهـ إـذـاـ فـعـلـوـاـ ذـلـكـ تـفـرـقـ دـمـهـ فـيـ القـبـائـلـ جـمـيعـاـ فـلـمـ يـقـدـرـ بـنـوـ عـبـدـ مـنـافـ عـلـىـ حـرـبـ قـوـمـهـ جـمـيعـاـ فـرـضـوـاـ مـنـاـ بـالـعـقـلـ فـعـلـنـاهـ لـهـمـ.ـ قـالـ الشـيـخـ النـجـديـ:ـ الـقـوـلـ مـاـ قـالـ الرـجـلـ هـذـاـ الرـأـيـ لـأـرـأـيـ غـيـرـهـ فـتـرـقـ الـقـوـمـ عـلـىـ ذـلـكـ وـهـمـ مـجـمـعـونـ لـهـ.

فـأـتـىـ جـبـرـيـلـ عـلـيـهـ السـلـامـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ فـقـالـ:ـ (ـلـاـ تـبـتـ هـذـهـ اللـيـلـةـ عـلـىـ فـرـاشـكـ الـذـيـ كـنـتـ تـبـيـتـ عـلـيـهـ،ـ فـلـمـ كـانـ عـتـمـةـ مـنـ اللـيـلـ اـجـتـمـعـوـاـ عـلـىـ بـابـهـ يـرـصـدـوـنـهـ مـتـىـ يـنـاـمـ فـيـثـبـونـ عـلـيـهـ،ـ فـلـمـ رـأـيـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ مـكـانـهـ قـالـ لـعـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ:ـ (ـنـمـ عـلـىـ فـرـاشـيـ وـتـسـجـ بـبـرـدـيـ هـذـاـ حـضـرـمـيـ الـأـخـضـرـ فـنـمـ فـيـهـ إـنـهـ لـنـ يـخـلـصـ إـلـيـكـ شـيـءـ تـكـرـهـ مـنـهـ).

(١) عبدالسلام محمد هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، مرجع سابق، ص ١٠١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٢.

ويقول أبوبكر جابر الجزائري^(١): (أَمَا الْحَبِيبُ فَلَنْتَرَكَ لِعَائِشَةَ أَمَّا الْمُؤْمِنِينَ تَقْصُّ عَلَيْنَا تَحْرِكَهُ نَحْوُ هَجْرَتِهِ، فَقَدْ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ لَا يَخْطُئُ أَنْ يَأْتِي بَيْتَ أَبِيهِ بَكْرًا أَحَدَ طَرَفِ النَّهَارِ إِمَّا بَكْرَةً وَإِمَّا عَشِيَّةً حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي أَذْنَ فِيهِ لِرَسُولِ اللَّهِ بِالْهِجْرَةِ فَإِنَّهُ أَتَانَا بِالْهِجْرَةِ وَسَاعَةً كَانَ لَا يَأْتِنَا فِيهَا).

فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُوبَكَرَ قَالَ: مَا جَاءَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِلَّا أَمْرٌ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ فَأَخْرَى لَهُ أَبُوبَكَرَ عَنْ سَرِيرِهِ فَجَلَسَ وَلَيْسَ عِنْدَ أَبِيهِ بَكْرًا إِلَّا أَنَا وَأَخْتِي أَسْمَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (أَخْرُجْ مِنْ عَنْدِكَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هُمَا بَنْتَنِي، وَمَا ذَاكَ فَدَاكَ أَبِيهِ وَأُمِّي؟ فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْنَ لِي فِي الْخُرُوجِ وَالْهِجْرَةِ) فَقَالَ أَبُوبَكَرٌ: الصَّحَّةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (الصَّحَّةُ)

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ مَا شَعِرْتُ قَطْ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ حَتَّى رَأَيْتُ أَبَابَكَرَ يَبْكِي يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ أَبُوبَكَرٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنْ هَاتَيْنِ رَاحِلَتَيْنِ، قَدْ كُنْتُ أَعْدَدَتُهُمَا لِهَذَا، فَاسْتَأْجَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَرْقَطَ مِنْ بَنِي الدَّلِيلِ، وَكَانَ مُشْرِكًا لِيَدِلَّهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ فَدَفَعَا إِلَيْهِ الرَّاحِلَتَيْنِ يَرْعَاهُمَا لِمَيعَادِ خَرْوَجِهِمَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الْخُرُوجِ عَهِدَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِيهِ طَالِبًا أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَ بِمَكَّةَ لِيُؤْدِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، إِذَا كَانَ النَّاسُ يَضْعُونَ عِنْدَهُ وَدَائِعَهُمْ مَا يَخَافُونَ عَلَيْهِ وَذَلِكَ لِمَا رَأَوْا مِنْ أَمَانَتِهِ وَصَدْقَتِهِ، وَأَتَى أَبَابَكَرَ فَخَرَجَ مَعَهُ مِنْ خُوخَةٍ لَهُ فِي ظَهَرِ بَيْتِهِ فَعَمِدَ إِلَى غَارِ ثُورٍ وَأَمْرَأَ أَبُوبَكَرَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَتَسَمَّعَ لِهِمَا مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِمَا نَهَارَهُ ثُمَّ يَأْتِيهِمَا مَسَاءً بِمَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْخَبَرِ، كَمَا أَمْرَأَ أَبُوبَكَرَ عَامِرَ بْنَ فَهِيرَةَ مُولَاهُ أَنْ يَرْعِي غَنْمَهُ نَهَارًا ثُمَّ يَرِيَهَا عَلَيْهِمَا مَسَاءً لِيُسْقِيَهُمَا مِنْ لَبْنِهَا، وَإِذَا جَاءَهُمَا عَبْدَ اللَّهِ أَوْ أَخْتِهِ أَسْمَاءَ بِطَعَامٍ اتَّبَعَ عَامِرٌ أَثْرَهُمَا بِالْغَنْمِ فَعَفَى أَثْرَهُمَا).

أَمَّا عَنِ اسْتِقْبَالِ الْأَنْصَارِ لِلْحَبِيبِ وَعَظِيمِ فَرَحْبِهِ وَحَفَاؤُهُمْ بِهِ يَقُولُ أَبُوبَكَرٌ جابرُ الْجَزَائِريُّ^(٢): (وَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لِاسْتِقْبَالِ الْحَبِيبِ عَنْ بَكْرَةِ

(١) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبو بكر جابر الجزائري، دار الخانجي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط/٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبو بكر جابر الجزائري، مرجع سابق، ص ١٦٨.

أبيهم، فامتلأت بهم الطرق، وظهروا على سطوح المنازل نساء وأطفالاً ورجالاً وهم يقولون، الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء رسول الله، والنساء والصبيان يضربون بالدفوف وينشدون:

طبع	البدر	علينا *** من	ثبات	علينا *** ما دعا	داع	الله داع	علينا *** ما دعا	علينا *** ما دعا	داع	الله داع	علينا *** ما دعا	داع	الله داع
وجب	الشكرا	المبعوث	إليها	فينا	جئت	بالأمر	المطاع	شرفت	المدينة	مرحباً	يا	خير	داع
جئت													

ونعود للشاعر سعد الدين فوزي لتصوير هذه المشاهد والواقع والأحداث ورسمها بالكلمات شعراً وأصبحت عيداً للمسلمين فيقول بهذه المناسبة العظيمة هذه القصيدة التي ألقاها بمناسبة هذا العيد عام ١٩٤٢ م جاء فيها:

نغم	تدفق	من	ربى *** الماضي	على	وتري	الفرد
صور	من	الأيام	بـا *** سمة	المعالم	والحدود	
ذكر	من	الماضين	قد *** درجة	على	مهد	الخلود
هي	هجرة	الرجل	العظيم *** وغرة	النصر	العتيد	
أيام	سار	محمد	والليل *** ينذر	يـنـذـر	بالوعيد	
لم	يـبـدـ	نـجـمـ	في السـماـ	ءـوـلـيـسـ	ـمـنـ	ـقـبـسـ شـهـيدـ
والـبـيدـ	ـتـرـفـ	ـفـيـ	ـثـيـاـ	ـبـ	ـفـيـ	ـحـلـيـ الـظـلـمـاءـ سـوـدـ
ـوـالـرـمـلـ	ـيـحـثـ	ـسـاجـيـاـ	ـوـالـرـيـحـ	ـتـرـعـفـ	ـفـيـ	ـرـكـودـ
ـوـالـكـونـ	ـيـرـقـبـ	ـفـيـ	ـحـنـاـ	ـنـ	ـرـحـلـةـ	ـأـمـلـ الـأـمـلـ
ـالـقـيـوـدـ	ـتـائـرـاـ	ـتـ	ـعـلـىـ	ـمـذـلـاتـ	ـالـنـفـوسـ	ـأـمـلـ
ـأـمـلـ	ـقـبـلـةـ	ـفـيـ	ـأـلـرـوـاحـ	ـفـيـ	ـحـضـرـ	ـوـبـيـدـ
ـيـسـرـيـ	ـمـعـ	ـالـظـلـمـاءـ	ـيـسـ	ـنـدـهـ	ـهـوـيـ	ـوـدـودـ
ـمـشـياـ	ـكـرـامـ	ـالـنـفـسـ	ـمـنـ	ـخـطـرـ	ـإـلـىـ	ـجـدـيدـ
ـرـجـانـ	ـلـكـنـ	ـفـيـ	ـحـمـىـ	ـخـطـرـ	ـإـلـىـ	ـجـدـيدـ
ـلـجـأـ	ـإـلـىـ	ـالـغـارـ	ـكـرـيمـ	ـوـفـيـ	ـحـمـىـ	ـوـطـيـدـ

نسجت *** ت رعية ناسجة الغنکبو عليه
 وأنته شادیتان سا في الجو *** جutan في المدید البرود
 والصخر *** وکأنه دوحة أبیت
 وتقىدا *** ر لفح صا والرمل
 مشيا على حر السهو *** ل وحاولا مر الجهود
 ولديهما من قوة الإیمان *** أقدام قد
 وإذا بیثرب قد تجلت في ضھي اليوم السعید
 قد أسفرت للمستزید حسنها يشرق حسان
 وشبابها جذلان يهتف عالیاً *** عالیاً
 ما بين صداح وصا دحة *** دحة وسام سعید
 ونخیلها نشوان ير *** ير ضاحكاً في يوم عید
 وإذا محمد مقبل متألق *** مقبل الوفود
 قمر أطل فأشرفوا طرباً *** طرباً وبالنشید
 ذکرى تمر بخاطري *** بخاطري جدودي
 قد حطموا الأصنام في دنيا *** دنيا والجمود
 كم يسهرون الليل في كنف *** كنف الرکوع وفي السجود
 متجردين *** كانواهم الحوادث وجود
 ما فيهم اللاظف الغای *** الغای ولا أخو الحس البليد
 نفر أعدهم النبي لكل *** لكل جبار عنيد
 لم ينجه البرج الحصی *** بن ولا حمى القصر المشید
 قد أسسوا في الناس مملکة *** مملکة على عدل وجود

ويختتم الشاعر سعد الدين قصيده للأمة العربية الإسلامية موجهاً نصائح وعبر بهذه الذكرى العطرة والحالة التي هم فيها ويحثهم على التمسك بالماضي التليد وأن هذه الذكرى تكون لنا قدوة وذكرى وعبر فيقول^(١):

وفي العتاب الموجه لأحد أصدقائه كتب الشاعر سعد الدين فوزي قصيدة بعنوان (أهذا هو الجزاء)^(٢)، من بحر الكامل، (شعر اجتماعي - إخوانيات) تدور القصيدة في مجملها لعتاب صديق كريم للشاعر ويوضح فيها الألم الذي عاناه من هذه الجفوة التي كانت بعد صفاء وأيام عامرة بالإباء وفجأة انقلبت وحصل الجفاء حيث يقول:

أَلْمَ شَقِّيْتَ بِهِ فِيَا أَلْمِي *** هَذِي الْطَرُوْسُ وَذَلِكَ قَلْمِي
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ بَتَ أَرْقَبِهِ *** وَإِذَا غَفَوْتَ أَرَاهُ فِي حَلْمِي
يَا (فَاسِمِي) وَالْوَدِ يَمْلَكِنِي *** أَكَذَا يَجَازِي عَبَادُ الصَّنْمِ؟
أَقْسَمْتُ بِاسْمِكَ وَهُوَ فِي خَلْدِي *** نُورٌ يَتَوَجَّ أَحْرَفُ الْقَسْمِ
أَرَأَيْتَ نَخْلَ الْبَيْدَ مُنْتَظَراً *** جُودُ الْغَمَامِ وَرَقَّةُ الدَّيْمِ؟

(١)

يَا دُولَةَ الْعَرَبِ الْكَرَاءِ *** مَوْهِلُ لِمَجْدِكَ مِنْ مَعِيدِ
فَالَّاَنَّ مَاذا قَدْ دَهَا *** كَوْنَتْ مَشْرِقَةَ السَّعُودِ
أَمْتِيمَ بِالْدِينِ صَارَ مِتِيمًا بَسَنَا الْخُودِ
وَمَحَارِبَ فِي اللهِ بَا *** تَإِلَى حَمَى كَأسِ وَعُودِ
وَإِذَا شَبَابَكَ أَصْبَحُوا رَهَنَ الْمَحَارِمِ وَالْقِيُودِ
كَمْ عَاقَرُوا نَبْتَ الدَّنَا *** نَوْجَلَسُوا أَنْصَافَ غَيْدِ
وَتَجَرَّعُوا كَأسَ الْهَوَا *** نَفَهَ لَذَكَ مِنْ مَزِيدِ
وَالْقِيدَ قَدْ لَبَسُوهُ مِنْ ذَهَبِ وَلَيْسَ مِنْ الْحَدِيدِ
خَدَعَ السِّيَاسَةَ لَا تَجُوا *** زَعَلَى ذُوِي الرَّأْيِ السَّدِيدِ
يَا أَمَّةَ الْعَرَبِ الْكَرَاءِ *** مَوْذَاكَ مَجَدُ لَنِ تَبَدِّي
صَبَرَأَ عَلَى عَنْتَ الزَّمَا *** نَوْقَسَوْهُ الْدَهَرَ اللَّدُودِ

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٧٥-٧٦.

ورأيت زهر الروض مرتقاً *** ضوء الصباح وكان في الظلم؟
ورأيت من قد شفه سقم *** يرجو الشفاء لذك السقم؟
قد كنت في فقر إلى ثقة *** ومودة فبدلت في كرم
ماذا جرى؟ أتراك منقلباً *** تلاك الصدقة أقدس الحرم؟
قد كنت عندك آمناً مرحاً *** مثل الحمامنة في حمى الحرم
وغدوت عندك فكرة خمنت *** في خاطر بسواي مزدحه
ما كنت غير غمامه نزلت *** في قفر أيامي وفي سامي
فنزلت من قلبي على ظمأ *** مثل الحياة على ربي العدم
قصيدة (رسالة)^(١) من مجزوء الكامل، بعث بها الشاعر إلى مصر مع طلبة
الحقوق وللشاعر سعد الدين فوزي شوق لمصر وخاصة أنه من ناحية النسب
والأسرة له جذور مصرية. ويبدأ الشاعر قصيده بوصف النيل وكل الطبيعة حوله
ورحلتهم إلى أرض الكنانة ومفارقة الوطن (حنين للوطن الأم) فيقول:

سلسل	قصيدك	يا	فتى	الأحلام	*	*	*	*	في	سمت	عجب
واستوح	أحلام	النخيل	بضفة	النهر	*	*	*	*	القريب		
رتلن	أنغام	الضحى	وسكتن	في	*	*	*	*	المغيب	شفق	
يحلمن	بالذكر	الخوا	لي	فوق	*	*	*	*	الخصيب	واديه	
عاصرنه	وشهدن	في	محرابه	ركب	*	*	*	*	الخطوب		
غادرن	أترا باً	لهن	بوحشة	البيد	*	*	*	*	الجديب		
وفد	النيل	الحبيب	يهزها	شفق	*	*	*	*	الحبيب		
أخلصن	في	حب	له	بحني	*	*	*	*	رطيب	وخصصنه	
ما	من	ماء	به	غم	*	*	*	*	الغريب	سوى	حظ
وأنا	غدوت	ضا	ف	النيل	كالأمل	*	*	*	السليب		
سهران	في	الدجى	سامات	في	بهج	*	*	*	الغروب		

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٧٣-٧٥.

يا ناسكات نصبي
 حظكن هذا البَدِّ
 فيض الحيا *** كالنور في ليل رهيب
 من القفر كالنور في ليل رهيب
 ذهب الرفاق إلى الكنا *** نة مسرح الأدب الرحيب
 يقول نفسه قد جئت مصر إذن فطبي
 كل الشبا *** ب وجست في روح الأديب
 حققت أحلام في كعبة العلم المباح *** لكل أبناء الجنوب
 وأننا قعدت عن المسير *** وبت في ليل الكروب
 ويسأل الشاعر رفاقه عما شاهدوه في مصر من جمال للطبيعة والأهرامات
 والجامع الأزهر والمكتبات الثقافية ويتعرض لعلاقة السودان بمصر والعوامل
 المشتركة للشعبين فيقول:

يا رفقي أما رأي *** تم مصر في ثوب قشيب
 ورأيتم هرم الجلا *** ل بيته منقطع الضريب
 ومشيت في الأزهر الـ *** سعمور في رب مهيب
 ووردم نبع الثقا *** فة عندها غير المشوب
 أدوا القلوب قطربنا *** فمن القلوب إلى رسالة
 (بلغ) خليله *** ومشى النسيب إلى خليل
 وأحكموا لهم عن نهضة دلوب صمت الشباب وليس دوماً
 صمت الناس صمت بالمربيب
 هي صمته النسر الذي *** تهيا حقاً
 وغداً نnal مكانة الأحرار *** في ركب الشعوب

يعتبر الشاعر سعد الدين فوزي ذو إحساس مرهف ونجده يتغنى بوجوداته عن كل شيء ففي هذه القصيدة يتحدث عن ملهمة الشاعر لذلك نظم هذه القصيدة وسماها **(إلهام جديد)**^(١)، من بحر الرمل، والشاعر ينوع في القوافي ويستخدم طريقة المقاطع الشعرية، حيث يفتحها بالإلهام الجديد المتمثل في الحب والجمال والأزهار حيث يقول:

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٥٧-٥٨.

أيها الشاعر في دنيا *** ك: إلهام جديد
 إن هذا اللحن من نأيك *** موهوب فريد
 وهو لحن الحب قد غنته *** في قلبك غيد
 الجمال الحق والأزهار *** تزهو والنشيد
 كلها في عالم العشاق *** صفو وسعود
 ويواصل الشاعر في التمجيد بعالم الحب في كل شيء ويعتبره باباً للسعادة
 فيقول:

أيها الشاعر طر في عالم الحب وغن
 فهو كونه دأبه الإلهام في حسن وفن
 لست تعني غير أن تحيا سعيداً لست تعني
 المنى تمضي وهذا المال قد يغنى ويفني
 زادك الأقصى مع الأيام سحر وتغنى
 ويمضي الشاعر ويدرك بأن الحب يجلب لك البهجة والسرور كأنه روض
 وأزهار ويخاطب الشعراء فيقول:

أيها الشاعر ما ضرك أن تحيا وحيدا
 عندك الحب وما تبغى على الحب مزيدا
 فهو نأي يملأ الدنيا غناءً ونشيدا
 وهو روض فيه أزهار يجاورن الورودا
 فاسمع الزهر وناج الورود واسمعه القصيدا
 أيها الشاعر يا ابن النور في دنيا الشقاء
 هائم في الأرض يستهدي بأنوار السماء

ويختتم قصيده بأن الشاعر تظل كلماته باقية فيقول:
 والأمانى على عودك في طهر الضياء
 أيها الشاعر يا خالد في دار الفناء

ويتذكر الشاعر سعد الدين فوزي أيام الطفولة وذكريات الصبا ويُسرد ذلك في قصيده (حول المهد)^(١) حيث يصور لنا مشاهد من تلك الفترة فيقول:

يا حبيبي حين صاغ الفجر أحلام الصبا
وتمطى الطير في الأوكار والنجم خبا
وتبدت زينة الأزهار في غرس الربى
فأنا الساهر حول المهد أحيا متعبا
مهلك الفتان أهديه الحديث المطربا
وأنا الشاعر أرجو الوصول والدهر أبي
قد سيأتي كيف أغري بالقوافي من سبا
غير أنني قد تخت الحب أما وأبا

ويقص علينا كيف كانت علاقته مع حبيبته واللعب واللهو والحب البريء فيقول:

يا حبيبي كيف أنسى حينما كنا معا
قد رتعنا فيما شاء الهوى أن نرتعا
وبنينا من رمال الشط قصراً أروعها
ورسمنا لطيور الماء ذاك المصرعا
والفراش الغر يدعونا ويمضي مسرعا
غير أنني قد غدت الآن صباً موجعا
وهو يلهم عن قصدي كلما الشعر دعا
إن في شعري من الإلهام سراً مودعا

ويتذكر الشاعر ويحن لتلك الأيام ويشبه حبيبته بليلى وهو بمحنونها ويذكر الأمكنة فيقول:

يا حبيبي طهر القلب على نار الجوى

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٤٢ - ٤٣.

أنت ليلي وأنا المجنون في دنيا الهوى
 يا ملاكاً فوق عرش الحب والطهر استوى
 أين شط النيل؟ أين القصر؟ أين المرتوى؟
 أين نبع الوصل أين البدر من بعد النوى؟
 ما دها الأيك وأين الطير صاح الهوى
 وبح قلبي إن قلبي عاد مهدود القوى
 وغرامي في منايا الصدر والذكرى ثوى

وعن الشباب كتب الشاعر سعد الدين فوزي قصيدة نشرها بعدد النيل
 بتاريخ ١٠ يونيو ١٩٤٣م بعنوان (في ركب الشباب)^(١) يدعو فيها الشباب أن
 يتركوا اللحن القديم وهو لحن السابقين وأن يأتوا بنغم جديد ويدعوهم كذلك إلى
 نهض الهم ودفعها إلى العلياء يقول فيها:

دع عنك لحن السابقين *** وهات من نغم جديد
 إني شغفت بنهاية الأشبال في حرم الأسود
 هبوا إلى العلياء في *** عزم وعن أمل وطيد
 قد زانهم مرح الشبا *** بـ وهاجمم لذع القيود
 نظروا إلى الدنيا وقد هدت بمعركة الحديد
 فتوثبوا مثل النسو *** رـ وحلقوا فوق السدود

يا فتية الوادي أما *** م جهادكم حرم الخلود
 جهد الشباب موقف بيّبني القريب على البعيد
 تمضي الحياة إلى مرا *** فها على سنن رشيد
 كذلك للشاعر سعد الدين فوزي قصيدة أخرى بعنوان (في ركب الشباب)^(٢)
 يتحدث عن الذاتية السودانية يدعو فيها الشباب إلى ركب المجد والسؤدد لرفعه

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٣.

الوطن ووحدته وقد نشر الشاعر هذه القصيدة بعدد النيل ١ يونيو ١٩٤٣ م والسودان في ذلك الوقت يقع تحت نير الاستعمار الإنجليزي فيقول:

أهجمت يراعي واستترتم خواطري *** بفضل خطاب من هوى النيل زاخر
تحذتم عن وحدة القطر والدجى *** رقيق وفجر المجد داني البشائر
وحللت ذاتية القطر فانتهت *** إلى قدسها المأمول كل البشائر
فهل تجعل الأيام منها حقيقة *** وتصدف في الوادي أمانى شاعر
هي الوحدة الغراء تبدو وتخفي *** على أفق السودان رمز التآزر
ويتحدث الشاعر عن النيل وحضاراته ويواصل دعوته للشباب بالدفاع عن

الوطن والاستشهاد في سبيله فيقول:

وهبت بياني للبلاد وسقطه *** لدى منطق الأغلال منطق ثائر
هو النيل بناء الحضارات لم يشا *** سوي نابع من دوحة النيل صادر
فكونوا شباب القطر أساً أبية *** وجئوا لماضيكم بأشرف حاضر
هو الحر أن يلق الحياة كريمة *** يعش عمره مثل الزهور النواضر
وإن يلقها رهن القيود يضيق بها *** ويؤثر كؤوس الموت من كف جائز
جاء في جريدة النيل بعدد يوم الثلاثاء ١٨ يونيو ١٩٤٣ م ما يلي: (أخي
الأستاذ نقد الله: كان لدعوتك الصادقة إلى شعر يقوي الأخلاق ويدو ركب
النهاية ويصف ملامح المجتمع ويحلل عيوب الناس ويصور حسن الطبيعة، أثر
عميق في نفسي وتوجيهه رشيد ليراعي، فجاءت هذه القصيدة وأخواتها اللواتي
اتسع لهن صدر النيل تجاوباً من نفسي لنفسك واستجابة مني لدعوتك، فهل لك أن
تنقبل هذه الباقة يا سيد المحرر).

كانت تلك الكلمة الشاعر سعد الدين فوزي يستجيب فيها للأستاذ: نقد الله،
فجاءت هذه القصيدة بعنوان (في محراب الريف)^(١)، من مجزوء الكامل، مقارناً

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٧٨-٨١.

فيها الشاعر بين دنيا الطبيعة ودنيا الحرب، ومطلع القصيدة يصور البيئة الريفية في فصل الخريف فيقول:

في بقعة وشى الخريف *** بها الحقول ونضدا
 طلع الصباح على الحق *** ل مذهباً درر الندى
 ومضى يقبلها النس *** يم وينتني متوددا
 فتميس جذلى والنع *** يم على أسرتها بدا
 ويصف الزهور والورود والفراش والغمام فيقول:

في مرتع جم الفرا *** ش بجوه وتمردا
 لا ينتني قلقاً ويا *** بي أن يقر ويقعدا
 يطوي لجيناً في جنا *** حيه وينشر عسدا
 وكأنما خلس الغما *** ئم قوسها متعددا

وفي وصف الطيور والجداول والحمائم وجمال الطبيعة يقول:

في مسرح تجلو الطبيعة *** فيه حسناً
 تخذت منابره منابره *** بل كي تبين وتنشدا
 ولدى جداوله جداوله *** ئم راكعات سجدا
 يرشفن ماء ماء *** مة كالسلا صافياً متجداً

وعن جمال الطبيعة في أشجارها وحقولها ومياها والأطياف التي تفرد يقول:

جو تنزه خاطري *** في سحره وتجردا
 وهنا سموت فلست أذ *** كر أمس أو أرجو غدا
 ورأيت سرباً *** ض الثلج طار وغردا
 متجمعاً فوق الماء *** سهماً في الفضاء مسددا
 ينقض نحو أتى وجه *** اللجين به أقام وعربدا
 فإذا أصيدا الطبيعة *** عقريباً وصحبت في حرم

وفي وصف الحقول وزراعتها يقول:

سيدة	عرفتك	نوا	النمير	الحق	ناسك	يا
الندي	يجل	ما	ونذك	فقر	على	تعطي
العدا	الردد	ل	لنا	أن	نفسك	أكرمت
الردى	على	ف	تخا	أن	روحك	ورفت
المدى	من	الكاف	بالدرا	الضمائر	تغى	
مفردا	أو	هم	صاحبًا	اتخذك	إني	
معبدا	الشمائل	حلو	الطبيعة	وتخذت		
الفرقدا	جوارك	في	حرم	من		
الردى	يستفز	فع	المدا	قلب	لاقصف	
أسودا		مجنون	الفتك	بخرم	علم	في
سؤددا	مجدًا	والفتاك	بالظى	يبنى	شعب	لا
	كتائب	جث	علي	يبنى	حاكمًا	أو

وَبَعْدَ تَصْوِيرِهِ لِلرِّيفِ وَجْمَالِهِ وَحَقْولِهِ الْخَضْرَاءِ وَأَهْلِهِ الطَّيِّبِينَ يَتَحَسَّرُ

ضاعت ثقافة تأكم الدنيا وحكمتها سدى
ومشي بها الموت الغشو ممسعاً ومبدداً
وعلا دخان الهدم أقتم في المدائن أربدا
عصفت بها الشهوات لم تترك فؤاداً أو يداً

ويتسائل عن هذا التغيير الذي طرأ فيقول:

هل عف وحش الغاب والإنسان نسان
حطم العهود وما رعى لأخيه ***
واعتدى قاتل ثمة موعدا

وعن دنيا الحرب يقول^(١):

قصيدة (في موكب العرب)^(٢) يتحسر فيها الشاعر سعد الدين فوزي على أيام ومجده في ظهر الحزن وقالها بمناسبة عيد الهجرة جاء فيها:

شاعر من موكب العرب عاد محزونا بلا طرب
هم بالإنشاد في بلد في اللهو واللعب
فبا القيثار عن نغم ليس للعلياء بمنتب
وعصاه الشعر وهو فتى أحلى من الضرب

ويصف حال بلاد العرب مما أصابها فيقول:

أيها الفريد ما ببرحت أرضنا ملأى من العجب
يشتكي الإملاق واحدنا (بينما) نمشي على الذهب)
هكذا قد قال شاعرنا غير أن القوم في رب
ما دهى الإسلام؟ هل رقت عنه أشبال الحمى الأشب
ما أصاب النيل؟ هل خضعت منه أمواج لمغتصب

(١)

يا موقد الأعمار كونى ***
هم ألهروا الدنيا ورا *** حوا في المذاج هجا
شربوا على نخب الضعيف *** وقد رأوه مشردا
وشدوا على نغم السلا *** سل أن رأوه مقيدا
صبراً على عنت الزما *** ن فقد يدين لنا غدا

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٤٦-٤٧.

ويزول الحزن من الشاعر عندما جاء عيد الهجرة هجرة الرسول ص من مكة إلى المدينة هذه الهجرة التي تحفz الأبناء على الاقتداء بالحبيب المصطفى ﷺ وصاحبـ أبي بكر الصديق صبراً وفكراً وثباتاً وأخوة صادقة وكانت الهجرة نوراً وفتحـ لـلإسلام والمسلمـين حيث يقول الشاعـر :

ثم جاء العـيد مؤـلفـاً *** باسمـاً في ثـوبـه القـشـبـ
يـمسـحـ الـآلامـ عنـ كـبدـ *** حـظـهاـ فيـ الشـرقـ لمـ يـطـبـ
ذـكـريـاتـ الـأـبـنـاءـ جـدـ خـالـدـةـ تـحـفـ زـلـكـ الـمـلـكـ
أـيـنـ أـيـامـ لـنـاـ سـلـفـتـ سـطـرـتـ بـالـنـورـ
أـيـنـ أـجـادـ لـنـاـ عـرـفـواـ كـيفـ بـيـنـيـ المـجـدـ
أـيـنـ سـيـفـ الدـيـنـ مـلـتـمـعاـ مـاضـيـاـ مـنـ سـيـفـنـاـ الـخـشـبـ

وفي وصف الخريف وليلـيه المـطرـةـ ورـعـدهـ وبرـقـهـ نـظمـ الشـاعـرـ سـعدـ الـدـيـنـ فـوزـيـ قـصـيـدةـ بـعـونـانـ (ليلـةـ عـاصـفـةـ)^(١) وـهـيـ لـيـلـةـ مـنـ لـيـلـيـ الـخـرـيفـ يـصـفـ فـيـهاـ الـظـلـامـ وـاـخـتـفـاءـ النـجـومـ وـالـرـياـحـ وـالـرـعـدـ فـيـقولـ:

ظـلـامـ تـضـلـ بـهـ الـأـنـجـمـ *** وـتـخـشـيـ العـثـارـ فـلـاـ تـقـدـمـ
أـوـيـ كـلـ نـجـمـ إـلـىـ خـدـرـهـ *** وـعـبـسـ وـجـهـاـ فـلـاـ يـبـسـ
وـفـكـ الـظـلـامـ شـيـاطـيـنـهـ *** رـيـاحـاـ تـثـورـ وـلـاـ تـحـجـمـ
فـطـرـوـاـ تـقـهـقـهـ مـلـءـ الـفـضـاـ *** ءـ وـفـيـ قـلـبـهاـ مـرـحـ مـضـرـمـ
وـطـوـرـاـ تـولـلـوـلـ مـفـجـوـعـةـ *** كـطـالـبـ حـدـاـهـ ثـأـرـ
لـهـاـ تـرـةـ عـنـدـ هـذـاـ السـحـابـ *** فـرـاحـتـ تـطـالـبـ ماـ
تـحـتـ خـطـاهـ يـوـمـضـ الـبـرـوقـ *** وـقـصـفـ الرـعـودـ وـمـاـ يـرـحـ
كـأنـ بـهـاـ جـنـةـ لـمـ تـزـلـ *** تـهـيـجـ قـوـاـهـاـ فـمـاـ تـحـكـمـ

وفي ذـكـرـهـ لـمـنـاسـبـةـ قـصـيـدـتـهـ (قـسوـةـ وـلـكـنـ)^(٢) (إـخـوانـيـاتـ) يـقـولـ سـعدـ الـدـيـنـ فـوزـيـ:

(١) سـعدـ الـدـيـنـ فـوزـيـ، دـيـوـانـ مـنـ وـادـيـ عـبـرـ، مـرـجـعـ سـابـقـ، صـ ٩٢ـ.

(٢) المـرـجـعـ السـابـقـ، صـ ٩٥ـ ٩٦ـ.

(قسوت عليه و كنت على موعد متأخر فقضيت لحظات كأتنى في سقر ثم جاء
واعتذر بعذر مقبول فما قبلته غضب ثم ولا ي ظهره وانصرف فقلت):

قسوت عليك من شغفي *** بروحك يا أخا روحي
وثرت عليك ثورة عا *** بد في القلب م透وح
ورحت مشت الخطرا *** ت في هم وتبريح
وقد وليتني ظهرا *** ورحت بغير تلويح

ويتسائل الشاعر عن هذا الجفاء والقساوة فيقول:

أكانت قسوتي غير ————— *** حنان يثور دفاقا؟
وغير عتاب مفتون قسا إذ ذاق ما ذفاص؟
مضيت! ألم تكن أقسى علي؟ و كنت مشتاقا؟
أراك غضبت! يا ويحي! لقلب بات خفافا!

وكان الشاعر يتحسر على هذا الصنيع ويوضح أسباب الجفاء في الغيرة
عليه ويفصح عن مشاعره نحوه فيقول:

أغار عليك من فتن *** الصبا
إذا ابتسمت لدى الإشرا *** ق في سحر والزهر والماء
مكانك في سماء الرو *** ح مجلو وإغراء
تمهل! فالهوى يدعوه! وهذى غلوائي
قسوت عليك لكن عد *** ت محترقاً بأنياسي
وكنت ملأت في شرخ الصباية *** بالأسى كأسى
أليس الذنب عنف مودتي *** وجموح إحساسى
فلا تعجب فإني ما *** خلقت الناس كسائر

ويفصح الشاعر أكثر بمشاعره فيقول:

فؤاد رف في الدنيا *** حليف والإهمام هو
أسير على الثرى لكن *** أطوف سام بعالم أحلامي رفيق تزلي تهفو إليك لم

أصنامي عالماً حياً *** فلت شبيه تخذتك

وعن مكانته وأشواقه يقول^(١):

للانتظر رهق وقلق وأرق والشاعر سعد الدين فوزي في قصيدة
(انتظار)^(٢) وقد اختار له وقت الدجى والظلم ولكن طال الانتظار والترقب
وهاجت الهواجس والذكريات وفي شكه هذا تزعر بأسباب لعدم هذا المجيء
والوفاء بالميعاد ومنها عدم الإيفاء بالعهود أم اتجه إلى أماكن أو منازل أخرى
فكانـتـ الحـيرـةـ وـلـكـنـ يـعـدـ كـلـ هـذـاـ الـانـظـارـ وـالـخـوـفـ عـثـرـ عـلـيـهـ وـنـسـىـ كـلـ مـاـ أـصـابـهـ
في فترة الانتظار فتحول الرهق والقلق والأرق إلى ألق فقال في ذلك:

طال انتظارك في الدجى *** وشقيق روحك غير آت
ماذا وراءك في الظلام *** م سوي الهواجس مضرمات
أتكون عقيبي ما بذلت *** لديك من كرم الصلات
شحنا لدى حرم اللقاء *** وغصة في الذكريات؟
ومضيت تبحث عنه في *** قلق وحظك لا يواتي
ماذا شاه عن المجيء *** ومن حداه إلى الشتات؟
أتراه قد لقي الوعود بلا ثبات؟
أم مال للود البريء *** لدى منازل آخريات
إني أصبت بحيرة كبرى تسود لي حياتي
هذا الهواجس أضرمت روحـي *** ولم تعنقـتـ
يا وبح إخلاصـيـ وماـ أـلـقـيـ بهـ والـحـبـ عـاتـ

(١)

بذلت لك الهوى حرأ صريحاً غير مستور
نسجت جواه من نار وصفت رضاه من نور
فراح معربداً ملء الصبا في قلب مسحور
ونزهني فلم أحفل بغير هواك في الحور

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٩٩-١٠٠.

ومضيت أضرب في الدجى *** والليل يسخر من شكائي
 حتى عثرت عليه مؤ *** تلق السنا بين العادة
 فرجعت مضطرب الخطى *** ونسيت في بلواه ذاتي
 ورشفت أ��واب الصبا *** به بالفواجع مترعات
 إني ندمت على اليقى *** ن وكان في شكي نجاتي
 وفي وصف وجداي بلیغ لبرهه من الوقت سماها الشاعر سعد الدين فوزي
 (ساعة حب)^(١) من مجزوء الرمل، يصف وقتها ولحظات الصفاء فيها بأنها أجمل
 الأوقات يقول فيها:

حين رق الليل وأنساب السنا ملء العيون
 نظر البدر إلى إلفين من بين الغصون
 شغلا عن غابر الدنيا وعما سيكون
 وهما في سكرة الحب على مهد الفتون
 لهما ساعة حب تعدل العمر الثمين

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٣٠١.

المبحث الثالث

في الحب للإنسانية والوطن ونبذ الحرب

لحظات الصفاء لا تنسى وتصبح ذكريات جميلة أما الهوى فإن الإنسان يظل في وجده وله الشاعر سعد الدين فوزي في قصيده (هيهات أن يفني الهوى)^(١) من مجزوء الكامل، يتحدث فيها عن الصدود والجفاء الذي لاقاه ويصف هواه وغرامه كالدم الذي يجري في عروقه ويدرك أن الذي تملكه من الحب لا فكاك منه مهما كانت الأسباب فسوف يظل باقياً في نفسه وأحاسيسه ومشاعره فيقول:

أنزع غرامك من دمي *** وأمنع هياشك عن فمي
واسمع أنين الروح في *** جسد لديك ملهم
وتنح عنه وقل خيا *** ل في جوانح ملهم
وامح الذي سطرت يدا *** ي من الحديث المفعم
هل كان في الطرس الحزي *** — سوي بقية مأتم
أو كان غير حشاشة *** ذات سطوراً من دم
وتقص بالنار التي *** لفحت جوانب مرقمي
أو ذره في ليل الهوا *** ن على جحيم مضرم
وانسخ عهودك وأترك الـ *** — عش الحزين لأيم
وتأمل المحراب في *** كنف الظلم وهوّم
فالليل قد عفا عليه *** — وصار مؤئل معدم
هيهات أن يمضي ودا *** دك عن جوانح مغرم
أكيف ورد الحق عن *** حب الندى المتبسّم
ويضل طوفان الأنجام *** جي الديا السود ضوء

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١١٩.

هيهات أن يفني الهوى *** في المتألم

والشاعر سعد الدين فوزي يرجو الرفعة لوطنه السودان علماً بأن الشاعر قد نظم شعره كله بين عامي (١٩٣٨م - ١٩٤٦م) وهي الفترة التي كان فيها الوطن العزيز يقع تحت نير الاستعمار الإنجليزي فكانت رجاءات الشاعر وأمنياته أن تسود الرفعة للوطن ويخرج من كيونة التي فيها فكانت قصidته (*نشيد السودان الجديد*)^(١) من مجزوء الرمل، ويفتحها بفخره لوطنه السودان، ويلون فيها القوافي، فيقول:

أي صوت من مغانيك الحسان
ثائر لم يدر ما مضى الهوان
خالد كالمجد في قلب الزمان
زاخر كالبحر ثوار المعاني
ذلك الماضي لنا باسم حلو الجنى
منه تناسب المنى نحو سودان جديد

وينتقل الشاعر في وصف جغرافية وتاريخ السودان من فياف ورواب وسهول وتاريخ تليد بالأبطال فيقول:

في الفيافي الجون أو قلب السهول
في الروابي الشم أو بين الحقول
كم دعا الداعي على قرع الطبول
حين لبى الأسد في ركب جليل
كم زها الماضي بنا باسماً جم السنا
منه تناسب المنى نحو سودان جديد

ويتحدث الشاعر عن وحدة السودان التي زرع المستعمر أو بذرة التفرقة العنصرية بين أبناء الوطن وانتهـج سياسة فرق تسد فيقول:

وحدة ضمت شمالاً وجنوباً
غاية عذراء أو سهلاً طربوا

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٢٠-١٢١.

تنثني تذوبا الأحداث عنها أو
وحدة الأحرار إذ هموا وثوبا
كلما طافت هنا صاح قلب معنا
منك تناسب المنى نحو سودان جديد

ويخاطب الشاعر شباب النيل ويدعو للدفاع عن وطنهم والعمل بهمة على
رفعه فيقول:

يا شباب النيل يا خير الشباب
وثبة الأحرار من غيل كابتسام
كابتسام الفجر من خلف الهاضب
فنقم يا صاح كالأسد الغضاب
ولنتم ما بنى ذلك الماضي لنا
منه تناسب المنى نحو سودان جديد

والقلب يعشق وكذلك يتمرد على هذا الحب كما جاء في قصيدة الشاعر
سعد الدين فوزي (قلب تمرد)⁽¹⁾ من مجموعه الكامل، الذي أوضح أسباب هذا التمرد
فقال:

قلب تمرد في هواك ولم يكن يتمرد
في ساعة اليأس الغشوم مضى يثور ويرعد
عصفت به الآلام هوجا كالرياح تعربد
مجونة ملء الدياجي السود لا تتردد
ويواصل الشاعر في وصف ثورة التمرد الذي مرّ بقلبه فيقول:

هي ثورة الطير الجريح لمن أذل جناحه
فمضى يهوم في الدجى والليل شل صباحه
حيران روّعه الأسى والصمت غال صداحه

(1) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١١٧-١١٨.

هي ثورة القلب السجين يضج بين قيوده
دنياه دنيا من تهاويل الهوى وشروعه
وحياته روض تجرد من بهاء وروده
فارحم أسام فائت ملء وصاله وصوده

ويتسائل الشاعر عن أسباب هذا التدني الذي حلّ بقلبه في هواه فيقول:

أتراه لما ثار كان من الهوان بمعزل
أم تلك ثورة من أحب إزاء من لم يعدل
من نشوة المرح الطلاق وسكرة المتبتل
هبطت به دنيا الواقع والمداعع من عل

وبعد كل الذي أصاب هذا القلب من تمرد لكنه يعود مرة أخرى لما كان فيه

من حب وعاطفة فيقول:

قلب تمرد ثم عاد إلى الحمى متبعداً
يزجي إليك مع الشؤون الحمر قلباً سيداً
ويبيث ما يلقاه من عن قصائد خرداً
فالموت أهون من جفاك إذا حكمت به غداً

فصل الخريف واحد من فصول السنة الجميلة إذ ينهر المطر وتختضر
الحقول والأشجار وتصير الأرض خضراء مما يكون الجو صفوياً يسر الناظرين
ففي قصيدته (**الخريف الباكر**)^(١) من مجموع الرمل، يصف لنا الشاعر سعد الدين
فوزي فصل الخريف بقوله:

الخريف الضاحك النشوان في تلك الروابي
ببراع في يد تختال كالسحر العجاب
مس أطباق الثرى وانساب في قلب العباب
فلنسنر نحو المروج الخضر هوناً يا صاحبى

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٢٣ - ١٢٤.

ولنرائب مولد الأحياء في عرس الهضاب

ويتكلم عن حركة الناس والمراعي والوديان ولقاء الأحبة فيقول:

موكب كالنور مرقوب الخطى في كل واد
تتلقاء المراعي بين منهوم وصاد
وتناديه المنى الظماء على صدر الوهاد
تتمنى قبلة من شغره نخب الوداد
والهوى يشتد في أضلاعها أي اشتداد

ويتوالى الشاعر في وصفه للخريف فيصف الزهور والحقول والسنابل
والسحب والخضرة فيقول:

قم تأمل كيف تناسب المنى في كل زهره
ويرف الحقل مخضلاً لدى أول قطره
وارتعاش السنبل المطلوب إذ نبه فجره
مارد في السحب مسحور الطلا يسبك خمره
في كؤوس كلها خصب وإشراق ونصره

ويواصل الشاعر ويتحدث عن انساب الماء في الجداول وتفتح الأزهار والغمام
والهوى والسرور في فصل الخريف فيقول:

واسمع للجدول المناسب في رقة همسه
وابتسام الزهر المفتون فتاناً بنعشه
والتماع الأفق الغيمان في أثواب عرسه
فالخريف الضاحك النشوان يغرينا بغرسه
والهوى والحب والأفراح في أشراق كأسه

ونتيجة لتقدم العلم كانت الاكتشافات والاختراعات التي أفادت البشرية بعد كان الناس غير متواصلين أصبح التواصل سهلاً براً وبحراً وجواً بل جاء اختراع الراديو والتلفزيون والهاتف السيار وإنترنت كل هذه الاختراعات والاكتشافات جعلت أن يكون العالم حرة صغيرة بل شاشة صغيرة بعد أن كان يوصف بأنه

قرية صغيرة والشاعر سعد الدين فوزي في زمانه كان المذيع هو الوسيلة الوحيدة التعليمية والترفيهية ولذلك نجد الشاعر قد تعجب بجهاز صغير تحمله أينما سرت وكانت وهو ينقل لك الحديث فلذلك نجد الشاعر اختار عنواناً لقصidته وهو (عجبت لساحر)^(١) من مجزوء الوافر، يلون القافية وينوع، ويقصد به المذيع فنجد أنه يصف هذا الجهاز العجيب بقوله:

عجبت لساحر ي ملي على الدنيا فتستمع
على موجاته رقص السرور ورفت المتع
وفي خلجلاته كمن الردى والهول والفرع
فمن ورقاء صادقة ومن هوجاء تندفع
ومن فكر به مرح ومن ويل به يقع
طرائق كلها عجب لدى المذيع تجتمع
عجبت له إذا ملأ الدجى شوقاً وأحزاناً
فكم من شاعر يزجي الهوى كالسحر الحانا
يهوم في الدجى قلقاً ويدرك بعض ما كانا
هزار أراكة نسجت وشاح النور الولانا
ينوح فيستبي الدنيا بقلب ذاب أشجانا
وخير الشعر ما جعل الأسى والشجو عنواناً

ويسرد الشاعر فوائد المذيع وما يقدمه للناس من مواضيع مختلفة في السلم وال الحرب والترفيه والأخبار والحديث بكل ضروبه ويدرك بماضي الأمم وجدها فيقول:

عجبت له وقد تخذ الورى صحاً وسماراً
يحدثهم بما حوت الوغى ويعيد ما داراً
ويجمع في مقالته الردى والهول والناراً
كأن حديثها قطع من البركان لو ثاراً

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٢٦-١٢٨.

وكم نسجت مقاطعه لأنباء العلا غارا
وضمت في صحائفه سطور المجد أحراها
ومن عجب الشاعر في المذياع يذكر بأنه يشق صوته الليل والبرق والرعد
والرياح والبحر والأمواج والجبال فيقول:

عجبت له يشق الليل بين البرق والرعد
وفي قلب الرياح الهوج ما ينحاز عن رفد
إذا غضبت حسان البحر ملء شعابه المرد
فإن له على الأمواج ردا غير ذي رد
وإن هزئت به شم الجبال شمخن في مجد
فإن لكيده سحراً على ما حكن من يد

والشاعر يتوقع اكتشافات أخرى تأتي بعد المذياع بتقدم العلم وقد تحققت كل التوقعات التي كان ينشدها بفراسته حيث ذكر بأن هذا العالم المنتظر يمكن أن يؤدي إلى أن يصل الإنسان إلى القمر وقد كان فيقول:

عجبت فداعيت كفای في قلب الدجى وترى
وحررت أكان من سحر الوقى ما شامه بصري
أم الإنسان قد سرفت يداه حبائل القدر
فقيد كل منطق وأطلق كل مستتر
وذلك كل جامحة وسوم كل ذي خطر
وقد يمضي على متن السحاب خداً إلى القمر

وفي تقديمها لهذا الديوان يقول إحسان عباس^(١): (وإذا تعديت وطأة الحرب
ووجدت أن سعد الدين كان يعيش جانباً آخر من شعره في ظل أحد الشعراء
المشهورين يومئذ وهو علي محمود طه المهندس ومن قرأ ديوان سعد الدين عرف
أن كثيراً من قصائده كانت محاكاً لقصائد المهندس سواء صرخ بذلك أو لم

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، المقدمة.

يصرح؛ والمهندس من أخطر الشعراء على الناشئين لأنه يمدهم بثوب جاهز من المصطلح الشعري المبهم الذي يمكن أن ينثر في تضاعيف الإيقاع حيثما اتفق). ولذلك فلا غرو أن يكتب الشاعر سعد الدين فوزي قصيدة في رثاء الشاعر علي محمود طه بعنوان (رثاء الملاح التائه)^(١) من مجزوء الهرج، فيها يعزي الشعب المصري في فقده الجلل لما قدمه من أشعار للعروبة وللنيل وسكن واديه فيقول:

أعزكم	بني	أعزى *** مصر	دولة	على	فقر	الشعر
وابكي	شاعراً	فذا *** فقدناه				
قضى	ملء شرا *** عه	سحر من	السحر			
وفارق	المسحو *** ر	عند طائع	الفجر			
فمن	لأشعا *** ر	والأوتار	للبحر			
ومن	الوادي *** ومن	لعرائس	النهر			
ومن	النشوة السكري *** ومن	لبلابل	الفكر			
ومن	مشبوباً *** اللوج	الأيام في	صدرى			
قضى	ملء شرا *** عه	سحر من	السحر			
هناك	الوادي *** وفي	جنباته	الخضر			
أريحا	رأسه *** على مهد من	المضني	الزهر			
وحيوا	يوم *** رفات	الشاعر	الحر			

للعرب حضارات قديمة ولذلك نجد الشاعر سعد الدين فوزي يفتخر بحضارة العرب ولذلك نجده يصف تلك الحضارة في قصidته (الشرق الساحر)^(٢) التي يفتخر فيها بأمجاد العرب فيقول:

يا فتاة الغرب أني *** من بني الشرق الحبيب

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٧١-٧٣.

من مهاد للحضارات *** غدت خير الشعوب
 من بلاد عطر المجد *** بها جو القلوب
 ويصف بلاد الشرق في كنزاها وزرعها وأرضها وصحرائها وجبالها وبدراها
 وليلها فيقول:

إني من كنزاها الفيا *** ض قدرت نصبي
 لم أزل آخذ من خصب *** بها أو من جديب
 فمن الصحراء صبري *** في ملاقة الخطوب
 ومن الشم الرواسي *** عزمتى الوثوب
 ومن البدر ابتسامي *** ومن الأزهار طببي
 ومن الليل الذي يسجو *** بها حس الظروف
 ويصف سكان الشرق بالحكمة والقوة وأن بلاد العرب هي أرض الأنبياء وسكان

الشرق هم الملوك وأهل حضارة في العمارة والقصور فيقول:

أيها الشرق رعاك الله من شرق عجيب
 عالم الحكمة والإلهام والجهد الخصيب
 عالم القوة والجهل وميدان الحروب
 كمنبي سار في حكمته سير الغريب
 صاماً للضيم والإيذاء بالصدر الرحيب
 لم يزل بين جحود فيك أو خير مجتب
 ثم دار الدهر فانقادوا له شأن الطبيب
 أيها الشرق لكم أست لكم من ملك حسيب
 قد عرفت الخيمة الغراء في سفح الكثيب
 وعرفت القصر يسبى الطرف بالحسن الخلوب
 وعلى الحالين كنت النسر في ليل الخطوب

ويصف شباب الأمة العربية بالشجاعة فيقول^(١):

الصباح هو بداية يوم جديد في الصبح تشرق الزهور والورود وتتفتح وبهذه الطبيعة الجميلة يصف لنا الشاعر سعد الدين فوزي الطبيعة عند الصبح في قصidته (ذات صباح)^(٢) من مجموعه الرمل، حيث يصف الطبيعة الزاهية وحركة الحسان في بداية اليوم الجديد يصف سيرهن وعمرهن ويصفهن أجمل الأوصاف وهن في وسط هذه الطليعة الساحرة حيث يقول:

(1)

كم شباب الغضوب فاقوا لك عزمه * * * الليث
فإذا ثاروا العصيب جن الحرب في الوقت
وإذا رقوا الحبيب فمعنى الحب في قلب

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٥٠-٥١.

وعلى الماء رأيت البط *** يسري في أمان

غارقاً في النشوة الكب *** سعيداً لا يعني
و هنا مهد غرام *** وهنا عش
و هنا قد سكر العشاق من أكرم حان

وعن الطبيعة ربوعها وخضرتها والسناء والبرق الليل يصفها لنا سعد الدين

فوزي في قصيده (ملك الطبيعة) ^(١) من مجموع الكامل، حيث يقول:

طوفت بالآفات من *** غضبي ومن متسمات
ونقلت عن لغة الراعي *** د حديث مجانون وعات
وجمعت من برق الدجي *** لمع السناء المتبرجات

وفي وصف أخضرار الأرض بالحقول والغضون الليل البهيم الذي
يضئه ضوء القمر والفجر الذي يمحو الظلام يقول الشاعر:

وعلى الريبع الخضر كم *** راقت عربدة
ويفتح السمات الورق النضير *** أجل سبات
وترنج الغصن الصغير *** وقد تنبه من سبات
وتبرج القمر المنير *** كأنه حلم
وسمعت ما همست به *** الأداء في أذن النبات
والفجر يivism للدجي *** ويلف في مسراه ذاتي

وعن تمنع الشاعر بمناظر الطبيعة الخلابة وتجابوه معها ووصف حركة وتغريد
الطيور وكأنه يرافقها بل وكأنه راعياً يشدو وهو أيضاً ينادي الزهور فيقول:

وأنا أرف مع الطيور على الربى المتلائات
وأحس بالغم القوي يهز أجنة الزيارة
متاماً صلف القوي بها وفنسفة الطغاة

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٢٢-١٢٣.

والدف في عش البلابل شمته حلو الصفات
فسبحت في قلب الطبيعة شادياً مثل الرعاة
وعقدت تاجي من أزاهر عندها متألقات
ونسجت أرديتي من النور المرقق في الجهات
وتخذت عرشي في الروابي الغر ضاحكة السمات

الحرب مدمرة تقضي على الحرج والنسل وتوخر تقدم الأمم والشاعر سعد الدين فوزي في قصيده (صرخة الجريح)^(١) وهي قصيدة لإغاثة منكوبى الحرب بالسودان التي فازت بجائزة الشعر بالكلية عام ١٩٤٠م وكان السودان في تلك الفترة يقع تحت نير الاستعمار الإنجليزي وعالمياً كانت الحرب العالمية الثانية مشتعلة والقصيدة تتحدث عن مأسى الحروب وتبدأ القصيدة بأمرأة فقدت زوجها في الحرب تلك فيصف حال تلك المرأة فيقول:

قالت تحادثني والليل قد سرت *** فيه الدياجر ألواناً من الحرب
والدموع منحبس عن عينها سكب *** فأعجب لقصتها في مدفع سكب
غيداً تعصرها الآلام قاسية *** رهن الظلم ورهن الذل والرعب
ما خطبها؟ أسلمت للحزن مهجرتها *** والليل يرهقها بالأين والتعب
حتم تدفع عن طفل تخادعه *** عن لذعة البرد أو عن وطأة السغب
روحان في كنف الحرمان حالهما *** يدمي القلوب ويمحو بهجة الطرف
ويسترسل الشاعر فيوضح على لسان المرأة ما أصابها من ضرر ألم بها

في الحرب وهو استشهاد زوجها فيقول:

قالت: فقدت رجائي بعد نصرته *** وخيم الحزن في قلبي فواحدوني
فقدت زوجي شهيداً لا كفاء له *** وأصبح الطفل رمز اليتم دون أب
ولست أنسى صباحاً جاء ينبيّني *** سأدفع اليوم عن قومي وعن نشبي
سأبدل اليوم روحي دون حرمته *** وفي سبيل العلا أمشي إلى اللهب
هذا حياتي لقومي والعلا سبب *** لنصرة الحر أما فاته سببي

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٢٧-٢٨.

وغاية المجد أن أسمو إلى فك مداره النبل يعلو أرفع الشهب
التضحيات شعاري والعلا غرضي والعزم منتهجي في كل مضطرب
ولكن رغم فقد الجلل الذي أصابها ولكنها تصبر وتحسبه شهيداً دافع من
أجل وطنه السودان فيقول الشاعر في ذلك:

وليس يؤلمني جرح أصاب به *** مadam ينسب للعياء والغلب
في راحة القلب برد لا مثيل له *** وإن دهى الجسم جيش الآين والنصب
وفي سبيل بلادي كل ما بذلك *** يداي طوعاً وحربى كلّ مغتصب
وكيف أنسى بلادي عند نكبتها *** يوم النضال وللسودان منتبى
والشاعر هنا يجرب الزوجة المكلومة ويتحدث عن الجهاد والاستشهاد
والحرب ويشيد بالشهداء الذين دافعوا عن عرضهم وأوطانهم وعقيدتهم فيقول:
أحببتها وفؤادي فيه معترك *** الله در فتى ذي منطق عجب
إن الحياة جهاد والرجال تهي *** قبل النهاية في تيارها اللجب
إن الحياة جهاد والوجود وغى *** (والحرب مشتقة المعنى من الحرب)
لولا الأكارم في دنيا مروعة *** ما داعب النوم يوماً مقلة التعب
خير العطاء عطاء أنت باذله *** في غفلة الناس لم يمن ولم يشب
والباذل المال قد أدى رسالته *** كالنازل الروح لم يرجف ولم يهاب
ويختتم الشاعر قصيده بالبحث على الجهاد والدفاع في سبيل الوطن وبأن
المقومات متوافرة من كرم وشجاعة ومال فليضحى الجميع في سبيل نصرة الوطن
فيقول منادياً^(١):

(١)

هذا البلد تناديكم فواعجاً *** إن نام معظمكم عن عزة الطلب
قوموا بواجبكم يا قوم واستبقوا *** فالجود شيمتكم من سالف الحقب
والمال في يدكم كالماء منسوباً *** فأعجب لمنسكب من خالص الذهب
بالمال مجتمعاً والجهاد مشتركاً *** والرأي مؤتلفاً نسمو على الشهب
فليعمل منهجمكم بذل وتضحية *** وليرج نائلكم في طارق النوب
وليشد فارسكم في كل موقعة *** بالمجدد مؤلفاً للنيل والعرب

أن من أخطر أدوات التدمير للأرض بإنسانها وزرعها وضررها هي الحرب فالحرب هي الخراب ولذلك نجد الشاعر سعد الدين فوزي يصور لنا هذه المأساة المدمرة في قصيدة (من أدب الحرب)^(١) حيث يبدأ الشاعر بوقفه وتحيره فيما أصاب الإنسان، ووصف أرض المعركة من آلات حربية وأصوات مدامع وقتلى وجراحى حيث يقول:

وقف الشاعر والدنيا دماء وحديد
عرب الشيطان في أرجائها كيف يريد
وعوى في جوها المدفع أو ضيت رعود
واللظى في قلبها الموار مجتاح عنيد
وهي لا تبدي على كف الردى أو لا تعيد
 العاصف يجتاحها الحق موتور طريد
وأعاصير حداها من قساة الجن سود
تعصف الأرواح في عسف فتمضي لا تعود
لوحت بالمخطب الدامي وظفر لا يحيد
منطق الأدغال يا ويحي على الدنيا يسود

وفي مشاهدة الشاعر في ليلة شتوية يصف لنا ما حلّ من مأساة الحرب من حزن وقد ودفن لجثث الموتى في تلك الليلة الظلماء فيقول:

وقف الشاعر والليلة من قلب الشتاء
طوفت فيها الرياح الهوج من وادي الفناء
والمزامير لدى أحزانها رجع بكاء
أجهشت فيها أمانى الروح من بعد الثنائي
والدجى موكب أحلام لأرواح ظماء
ذهبت في ضجة الحرب قربان فداء
كفت بالظلمة الرعناء حلم الأربعاء

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٠١-١٠٣.

ومضت لم تدر ما قبل وما بعد الدماء
أوراء البؤس في الدنيا نعيم في السماء
أم مصير الآدمي الغر شيء من هباء

ويمضي الشاعر ويفصف آثار الحرب وضررها من تحطيم وقتل للشباب وأفقدت
الحياة سلمها وبهجهتها وساعة الحرب ينعدم فيها الحب والوئام والسلام فيقول:

ويحها لما مضت في غير ذنب أو خلاف
حطمت كأس شباب كان مرموق السلف
ثم عادت نعش أعراس قشت قبل الزفاف
وارتضت عن بهجة الأسحار في خضر الضفاف
وابتسام النور في وجه الدجى والحب صاف
وحنان من أب أسكنها بين الشغاف
وحديث من حبيب الروح نديان القوافي
ساحة في صمة الفقر ونسيان الفيافي
صحبها في الليل غربان الفلا والشوم ضافي

وفي نهاية القصيدة يتعجب الشاعر من صنع الإنسان لهذه الحرب
الضروس التي تقضي على الأخضر واليابس ويسأل الشاعر لماذا يريد الإنسان
من هذه الحرب العينة وشبهه بالفراش الذي يسعى لحثّه في النار وأن الحرب هو
معول هدام والشاعر ظل يتعجب من هذا الصنيع فيقول:

أطرق الشاعر مشدوه الحجى مما يراه
حاسر الرأس وقد دقت على الأرض عصاه
حار في الإنسان ماذا يتغى مما آتاه
كالفراش الغر يسعى للظى وهو رداء
عصفت بالنور في دنيا الأضاليل يداه
ومشى بالمعول الهدام يفني ما بناه
ويحه من مار يملي على الدنيا هواه

عاد بالخيبة لم يدرك من البطش منه
لو سما يوماً لعاقت قطرة الطين خطاه
ومضى الشاعر في صمت وقد أربى أساه

إن من نعم الله على السودان وشعبه نهر النيل الذي يعتبر شريان الخير والنعيم للأمة السودانية ولذلك عرف الساكنون على ضفافه الزراعة منذ القديم وبذلك يعتبر السودانيون من أقدم الشعوب المتحضرة التي مارست حرفة الزراعة هذا بالإضافة إلى أن النيل يشكل طبيعة جميلة خلابة على شاطئيه ولكن للنيل أزمان بها فيضان هائج يقضي على الكثير من الزرع والمساكن فالشاعر سعد الدين فوزي يصور لنا النيل وهو قد طغى على غابة الخرطوم فأغرق أدواهها وألهم أطيارها ذلك في قصidته (بابل الجديدة)^(١) تسببها لهذه المنطقة بها فيقول:

خدوت	بمهجة	حرى ***	وعدت	سکرى
هناك	تركت	أشجاتي ***	وقد	بشرا
عرفت	بها	صنوف الحسن ***	لم	تعرف بها
جمال	جد	في المنح ***	وبكر	لم تعد بکرا
ترك	الوصل	أشتاتاً ***	وتغرى	بالذى أغرى
وتتناث	فيك	من سحر الرؤى ***	ما يفع	الصدرا

وهنا الشاعر يصف لنا المناظر الخلابة عند زيارته لهذه الغابة وما فيها من جمال فيقول:

خدوت	لها	لها	فقلت
الظلا	مع	وقد	وقام
أحلى	الذى	بانت	مؤذن
جذلا	الفجر ***	مجالى	الأطيا
الأعلى	بدد	الحسن	في
فكم	قد	ما	أدواهها
وكم	لها	أهلى	جزلا
صلى	لها	رفعت	ربة
	لها	ر	يحيى
	لها	إيوانها	ر
	لها	الأنوا	طائر
	لها	في	غاف
	لها	إيوانها	أن
	لها	الأنوا	أبى
	لها	في	يهر
	لها	إيوانها	طائر
	لها	الأنوا	الخلا
	لها	في	طائر
	لها	إيوانها	lah ***
	لها	الأنوا	وكم

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٦٩-٧١.

ويواصل الشاعر وصفه لما رأه من أضواء وزهور وطيور ومياه النيل والدوحة
الغرقى فيقول:

هناك	رأيت	أشتاتاً *** من الأضواء لا تفني
فهذا	زهرة	زهرة تصحو *** وهذى زهرة وسنى
وهذا	صامت	صامت ساج *** وهذا ساج يرسل اللحنا
وكم	ذا لج في حزن *** وهذا لج في حزن يجهل الحزنا	
وكم	من ناسك أصغرى *** إلى الأمواج واستأنى	
وكم	من طائر لاه *** علا في الجو أو غنى وإرهاف صمت في النيل	
نظرت	إلى مياه النيل *** صمت وإرهاف حملت عليه من طاغ وملت إليه من صاف ضاف	
ورحت	أعب من سحر على أجزائه طاف	
فهذا	دودة دودة غرقى *** وهذا نرجس	
وهذه	بقعة بقعة عذرا *** لم تخضع لمداف	
تلقت	قبلة قبلة الأنسا *** م في مهد الهوى القافي	

وفي ختام القصيدة يصف لنا الشاعر تأثير الفيضان على هذه الغابة ويصف جمالها الذي بدأ عليها فيقول:

هناك	غرقت في سحر *** على الألحاء منشور
وشمت	الزهر والأمواه *** ه في فيض من النور
وشاهدت	الجمال الفذ *** يبدو غير مستور
فقلت	وفى فؤادي *** خفقة للحسن
أهذا	بابل *** عادت إلينا دون تحذير
أم	الفردوس قد *** وافت وهذا ملعب الحور

يقول إحسان عباس كاتب مقدمة ديوان سعد الدين فوزي^(١): (يقع ما نظمه سعد الدين من شعر بين عامي ١٩٣٨م - ١٩٤٦م في الأكثر، أي هو شعر الصبا، بذأه وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من العمر، وانتهى منه وهو لم يتم الخامسة والعشرين؛ ويتفق أن تتفتح قريحته في سنوات الحرب وهو ما يزال طالباً بكلية عردون التذكارية، ولسنوات الحرب في تاريخ الشعر العربي الحديث وطأة خاصة، وبخاصة في تلك السن المبكرة فالفتى حينئذ تتجاذبه عوامل متعددة).

ولذلك فلا غرو أن نجد قصيدة (السودان المجاهد)^(٢) وقد أهداها الشاعر لقوة الدفاع السودانية الذين سطروا بالدم أمجادهم العسكرية وحقوقهم القومية في الحرب العالمية الثانية ومن المعلوم تاريخياً بأن الجنود السودانيين حاربوا مع بريطانيا في معسكر الحلفاء بشرط تقرير مصيرهم بعد نهاية الحرب.

وقد بدأ الشاعر قصيّته بأشادة قوة الدفاع بقوله:

ذلتكم	للعدى	حرباً	وكنتم	للعلا	صحيبا
ورحتم	في فم	الدنيا	* *** نشيداً	مطرباً	عذبا
خلال	كالندي	طهراً	* *** وطبع	كالحيا	خصبا
وعزم	لا يني	يمضي	* *** إلى	غاياته	وثبا
جموح	لا يرى	صعباً	* *** إذا	رامه ما	صعبا
شغوف	بابنة	العليا	* *** فما	يخطبها	تأبى
فيمهرها	دماً	حرأً	* *** ومحدأً	راسخاً	صلنا

ويتنقل الشاعر ويشبه الجنود السودانيين بالشعب والصواعق والبرق
والخريف وأنهم يتوغلون في الرمال بشجاعة أثناء الليل متحملين كل ما يحيط بهم
يرأوا وحواً فقول:

طلعتم في سماء المجد
لكم عزم الصواعق زلت قلب الدجي رعوا
الشهبا تخجل د شهبا ***

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، المقدمة.

(٢) المراجع السابقة، ص ٨٤-٨٦.

وفيكم من سنا البرق *** ومضي
 وتلك جهودكم تحكي *** الخريف
 كرام حققوا حبذا *** وحذّا
 هناك على رمال البيد *** حيث الشر قد أربى
 وقد خباء الدجى فيها *** المنون تصيب من لبى
 وزاجر في جوانبها *** يسومها ضربا
 إذا عبر الثرى في عنفه *** قلب الثرى قلبا
 وهذا الطائرات تبث *** ربوعها فوق
 تكسر عن مخالفها *** وتزار فوقها
 إذا سرب بها أورى *** جلت يا ويلها سربا

وفي صمودهم وضربهم للعدو يقول:

هناك حملتموا لعدوا *** كم في داره الخطبا
 مضيت زعزعا *** نكبا إذ إعصاره هبا
 كان كلام مع الأقدا *** ر في فتكاتها قربى

وعن شعور الشاعر الخاص وفخره ببني وطنه في قوة دفاع السودان يعبر

بقوله^(١):

إن أسوأ أنواع الحكم هو الاستعمار وقد وقعت كثير من دول العالم تحت نيره والشاعر سعد الدين فوزي في قصيده (الحرب الخفية في أوروبا)^(٢) وهي

(١)

قطبا	بحكم	وتهدت	شعراً	جهادكم	نظمت
عقبى	لبن لكم	وليت	تجدي	جهودكم	فليت
رجبا	واسعاً	وأفقاً	لاملاً	لنا	فإن
الحجا	نهتك	ونمضي	نبغي	كما	
الركبا	للعلا	تحدو	الأحرار	عزة	وفينا
نسائل	لنا	ماذا	به	دين	عن غد؟

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٦٦-٦٨.

القصيدة التي اشترك بها الشاعر في مسابقة الإذاعة عام ١٩٤٣ وقد فازت بالجائزة الأولى في السودان وذهب تمثيله في لندن، وقد وصف فيها الشاعر فريقاً من رجال الدولة المحتلة في أوروبا وقد ساروا في قلب الليل إلى أغراضهم حيث هاجموا قواعد العدو ووصف الشاعر في القصيدة مسرح الحدث وتوقيته والظلم الواقع على الناس التي وقعت دولهم تحت الاستعمار وشبه المستعمر بالذئب وشبه المجاهدين بالنسور والأسود وسرد رحلتهم وحزنهم ودقهم وخطفهم وهدفهم وساعة انقضاضهم على العدو كالصواعق وضربهم للعدو وتشتيتهم له فيقول في كل تلك المشاهد:

في مسرح بالغرب حيث *** الناس دامية الخطوب
 والليل مسود كمهرة *** خاطئ جم الذنب
 والحزن يجثم في ضمير *** الليل كالسر الرهيب
 ما بين نائحة على *** ولد وثاكلة الحبيب
 أو ذاكراً وطناً غداً *** في قبضة الذئب الغلوب
 في داره لكنه *** فيها على شجن الغريب
 أرأيت هذا النسر عود *** نفسه حر الوثوب
 وبلا الأعلى المشرف *** ت ولم يفق عند الكليب
 في رفقة شم الأنوث *** ف مشت إلى الخطر القريب
 من عزهم عزم الأسود *** وعزّة الليث الغضوب
 ساروا وضوء النجم *** يستبق الخطى نحو المغيب
 متلفتين لما يكن الليل *** في حذر الليب
 في كل حين وقفية *** تزن الخطى خوف الرقيب
 يخشون من حذر على *** أسرارهم خفق القلوب
 متجلبين الليل في *** كنف المسالك والدروب
 حتى إذا ما شارفوا *** أهدافهم شأن الأريب
 ورأوا عدو بلادهم *** يحتال في مرح الغلوب

وتبوا عليه صواعقاً *** وآتوه كالقدر المصيب
 ومضوا يذيقون العدو في الموت في عزم دوب
 كأساً بكأس والردى خمر الفوارس والحروب
 عزriel عازف لحنها *** أتراه من نوع طروب

ويختتم الشاعر القصيدة بتمجيد الأبطال الذين هزموا الطاغية المحتل وأنهم
 يدافعون عن أوطانهم ولا يتربكونها للمستعمر ولهم عزة ذكرى لأوطانهم ينشدون
 لها العلا فيقول^(١):

السلم والتسامي يدعو لهما الشاعر سعد الدين فوزي وينبذ الحرب التي
 تدمي الحياة فهو دائماً يدعو إلى التعمير وأن يعيش الإنسان كريماً فلذلك نجد
 الشاعر في قصيده (معركة الثوج)^(٢) وهي من مجزوء الكامل، وهي قصيدة
 موحدة الوزن ومتوعة القافية، ولعل الشاعر من عنوانه للقصيدة يتضح أن الحرب
 تقضي على كل شيء بسرعة فهي مثل الثوج تذوب بسرعة ولذلك يفتح القصيدة
 بمشاهد من هذه المعركة فيقول:

يا صاحبي هلا شهد *** ت اليوم معركة الثوج
 حشد الحمام بها وسا *** ئله على بيض المروج
 ومشى إلى الغابات مص *** طخب الخطى جم الضجيج

(١)

ويح لطاغية يشب *** الحرب في عنف عجيب
 أينام أسد الغاب عن *** وطن وعن حق سلبي
 خذها شواطاً من لظى *** حمراء دامية الشبوب
 وتذكروا وطنأً تطلع *** في السلسل للمجيب
 خاضوا في ذكراه في *** طلب العلا شعل اللهيب
 في كل يوم دولة *** تصحو على يوم عصيب
 هل ذاك ما شرح المسيح *** وتلك فلسفة الصليب
 أم تلك فلسفة الوحوش *** تدب في لغة الشعوب

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٧٦-٧٨.

ويسمى الشاعر هذه الحرب بحرب الحضارة في ظل هذه العلوم المتقدمة
ويتسائل الشاعر عن هذا الإنسان الذي يبني مجده ويهدمه فيقول:

طبعاً في المجد فيقول: بالحرب ويجيب مفترضاً هل هذا الإنسان وحشاً أم هي فطرته أم هذه الحرب ولا يزال الشاعر محترأً في الشخص المتعلم والمتحارب الذي يهدم لم يدخل سهلاً ولا حزناً ولا أفقاً تناهى سكت النهي وتكلم الـ فولاذ - واً أسفـاً - وناها سفـاها ويـحـ لـ عـقـلـ يـبـتـنـيـ مـجـداًـ وـيـهـدـمـهـ بـنـاـهاـ آـلـةـ لـفـتـاكـ قـاـ سـيـةـ تـهـدـمـ منـ جـنـوـنـةـ الـذـيـ بـلـدـ حـجاـهاـ فـتـاـهاـ حـداـهاـ

قد حرت فيم يهدم الرجل *** المثقف أو يحارب؟
أبقيه الوحش القديم *** م بنفسه تلد العجائب؟
أم تلك فطرته استوى في لؤمها وعد وراهب؟
أم في سبيل العجد قد نظم الفواتك والكتائب؟
ما المجد غير مظاهر خداعه ومني كواذب
يا ويح من شاد القصو ر وبات يخطر في الخرائب
ركب الهواء وجاس تح *** ت الماء يغلب أو يغالب
ويرجو الشاعر أن يشيد بالإنسان بعلمه حضارة راقية تكرم الإنسان وتدعوه
إلى المساواة بين البشر وأن تزول الفوارق والعنصرية فيقول:

أترى يشيد العلم أر *** كان الحضارة من جديد؟
أترى تزول فوارق *** الأجناس في الزمن الرشيد؟
أترى تشيد ثقافة *** كبرى تجل عن الحدود؟
لا شعب يفخر بانتصا *** ر ناضج بدم الجنود
أو سيد يختال في الـ *** دنيا على شرف المسود
المجد يعرفه ولـ *** كن في مؤازرة وجود
إن أشد ما يؤلم الإنسان هو الفراق عن شخص عزيز فيمكن أن يصبحا شتتين
ويمكن أن يلتقيا وكذلك نجد الشاعر سعد الدين فوزي في قصidته (الرحيل)^(١) فقد
تصادف في ذلك اليوم أن كانت الطبيعة ثائرة يوم الرحيل فحالت دون الشاعر وتوديع
حبيبه فانطبقت ثورته النفسية مع ثورة الطبيعة فجادت قريحته بهذه القصيدة حيث يقول
في مطلعها:

أمل أودعه بلا أمل *** وعلى شفاهي لوعة القبل
حرمت لقاء و كنت أودعها *** لهف المشوق ونشوة الثمل
وعناق محروم رجعت به *** والصدر دامي القلب ذو شعل
ومني حيت لها أهددها *** ففقدتها وفجعت في أ ملي

وفي وصف حاله وحال الطبيعة في تلك اللحظات يقول:
ووقفت أرقب مصرع القمر *** والفالك هم بنا أخا سحر!
أتراء لما اهتز في قلق *** يدرى بما أزجاه لي قدرى
فضمنت كفى فوق مضطرب *** بين الضلوع مروع الصور
ورنوت للأمواج ثائرة *** ومضت يدي تناسب في شعري

ويواصل في وصف هيجان الطبيعة من رياح وسحب داكنة وظلام شديد
ورعد وبرق فيقول:

وسبحت في دنياي منطلاً * والريح تعصف والدجى فرقا**

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٢٩-١٣٠.

والسحب دكن والظلم أسى *** يذكي لديّ الهم والحرقا
 والرعد يزار مثلاً زارت *** جن الجبال إذا الردى نطا
 أروح غير مودع ويدِي *** صفر وقلبي في الهوى احترقا
 هذى المدينة كم رأت طبِي *** والعمر طفل والزمان صبي
 كم دللتني في أصائلها *** في ضفة وسنانة العشب
 ذهبية الأعطاف ضاحكة *** تستقبل الأمواج في طرب
 وأنا أرف فراشة جمحت *** مفتونة باللهو واللعب

وعن دنو وقت الرحيل وأحزانه عن الشاعر يقول:

ودنا الرحيل وفي فمي نغم *** باك به الأشجان تزدحم
 وأسود وجه الأفق والتهمت *** بيض الملاعب هذه الظلم
 وتولت الميناء واجمة لهفى تلوح كأنها حلم
 والريح تعزف في جوانبها *** مجنونة والموج يحتم

ويختتم قصيدته بوصف حال الفراق فيقول^(١):

وعن الطبيعة كتب الشاعر سعد الدين فوزي (بحر الشمال)^(٢)، وفيها يعاتب نفسه لماذا لا تستمتع بهذه الطبيعة الساحرة حيث الجمال متمثلًا في البحر والقمر المطل على البحر والرمال والجبال وكذلك يصف التلوج والشاعر في إعجابه هذا يتذكر النيل الذي يحن إليه ويدركه أيام الصبا فيقول:

في مسرح بالغرب حيث *** الناس دامية الخطوب
 والليل مسود كمهجة *** خاطئ جم الذنوب

(١)

فنظرت آخر نظرة وجري *** دمعي على خدي منهرا
 والبرق يجلو من مناظرها *** ويعيد لي من حسنها صورا
 فهززت كفي نحوها قلقا *** مستودعاً قلبها سكرا
 فرأيتها تهتز حانية *** أفلم تكن محابينا عمرا

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٣٨.

والحزن يجثم في ضمير *** الليل
 ما بين نائحة على *** ولد
 أو ذاكراً وطناً
 في داره
 أرأيت هذا النسر عود *** نفسه حر
 وبلا الأعلى المشرقاً *** ت ولم يفق عند الكئيب
 في رفقة شم الأتو *** ف مشت إلى الخطر القريب
 من عزّهم عزم الأسود *** وعزّة الليث الغضوب
 ساروا وضوء النجم يسبق الخطى نحو المغيب
 متلقيتين لما يكن الليل حذر اللبيب
 في كل حين وقفه تزن الخطى خوف الرقيق
 يخشون من حذر على *** أسرارهم خفق القلوب
 متجلبيين الليل في *** كنف المسالك والدروب

تتمتع كردفان بطبيعة ساحرة خلابة برمالمها ووديانها وكثبانها وأشجارها وأطيافها وفي هذه القصيدة يحيى الشاعر سعد الدين فوزي شباب كردفان وكل أهل كردفان حيث اختار اسماً للقصيدة وهو (في ركب الشباب)^(١) ويحيى فيها مهرجان كردفان الثقافي ويحيى الشباب حتى في عزيمتهم وجهادهم وأفضالهم وحكمتهم ويحيى كل التاريخ المضيء فيقول:

حيّ الشباب عزيمة ومضاء *** واستوح أياماً لهم غراء
 كتب الجهاد على الشباب فقم بنا *** نزج الفداء، ونجمع الأهواء
 لا كان من يسمع النداء فلم يجب *** أو كان من ترك الجهاد مراء
 لا كانت الدنيا مطية حائر *** ترك الطموح وجانب العلياء
 انظر إلى التاريخ في صفحاته *** درس تفجر حكمة وأضاء

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٤٢-٤٤.

طلبت شعوب أشرف غاية *** ومضت تفك قيودها الحمراء
وبكل تاريخ سطور من دم *** سطعت فكانت قوة وضياء
ويخاطب شباب وادي النيل ويصفهم بطلائع الأمة ويمجد النيل وحضارته
وطبيعته الخلابة فيقول:

يا فتية الوادي، مدلت لكم يدي *** وجعلت شعري للشباب حداء
إني أرى فيكم طلائع أمة *** أوحت إلى قلمي فسال وفاء
كانت لهذا النيل خير قلادة *** يزهي بها يوم العلاء ما شاء
صحابته طفلاً في الزمان ولم تزل *** ترعى حماه فتية حسناء
ملء الضفاف الخضر، ترتع حرة *** والنيل يivism للكرام جراء
عرفته صخباً إذا غضب الدجى *** وأطار في أجوانها الأنواء
ورعاته في صمت الأصيل وقد سجا *** ورأته في بهج السناء وضاء
وحبت شواطئه الكريمة عزة تطا *** السنين قوية قعساع
ومشت إلى حرم الخلود بما بنت *** من تالد ترك الزمان وراء
ويصف إقليم كردفان وطبيعته الرملية وجماله في فصل الخريف ويصف
سهوله الفسيحة ويوضح بأن أبناء كردفان هم كرماء وشرفاء وهم بني جلدتنا
وأهلنا فيقول:

يا فتية الوادي وملء نفوسكم *** دنيا رقة تفجر وإباء
جئنا إلى وادي الرمال وقد جلا *** فيه الخريف حديقة غناء
جئنا إلى السهل الفسيح وقد زهرت *** فيه الطبيعة نعمة ورخاء
جئنا لا متطفلين وإنما *** جئنا نكرم عنده الكرماء
أبناء جلدتنا وخيرة قومنا *** متسابقين إلى العلاء شرفاء
ويخاطب فتية الوادي ويؤكد بأنه نذر نفسه فداء لكم ويحثهم على رفع الهمم
 وأنه يرى فيهم شريان هذه الأمة ونهضتها إرضاء للجذود وإسعاد للأبناء وأنه
يدخر لهم ليوم كما يحتبس النيل الماء ويفيض من بعد فيقول:

يا فتية الوادي نذرت لكم دمي *** وجعلته وقاً لكم وفاء

إني أرى فيكم بشائر نهضة *** ترضي الحدود وتسعد الأبناء
 عزم كما ترضي الأسود وهمة *** تضع الظنون كئيبة خرساء
 لو أذعنت يوماً لمنطق حائر *** فعلى ضياء غد مضت شماء
 كالنيل يحتبس المياه لغاية *** ويفيضها من بعد طاب عطاء
 وللشاعر سعد الدين فوزي قصيدة بعنوان (جامعة الدول العربية)^(١)، وهي
 من مجموعات الكامل، (شعر وطني قومي) وهي منظمة إقليمية أنشئت عام ١٩٤٥
 ومقرها في مصر وأول منصب تولاه المصري عبد الرحمن عزام.

والشاعر في قصidته يوضح بأن إنشاء هذه الجامعة كان في الحرب
 العالمية الثانية ولكن رغم ذلك فإن الأمل منشود أن يحقق العرب تطلعاتهم وقد
 وصف الشاعر بزوج فجرها بالربيع فيقول:

ولدت على مهد الحروب *** والكون يظلم بالخطوب
 كالبدر يولد في الظلام *** فيهتدى نضو الدروب
 عذراء من خدر العرو *** به رفها أمل القلوب
 طلعت كما طلع الربي *** مع الطلق في زهر وطيب
 أني تافت حولها فالموت مندفع اللهيب
 هول يزمر في الفضا *** الجون والأفق الرهيب
 ولظى تشب مع الصبا *** ح ولا تكف مع المغيب
 عثا ت نق عن حكي *** م الغرب أو حكم الصليب
 دينا بها الحق الصرا *** ح يعود كالحق المربي

والشاعر يشيد بموقف العرب في قيام هذه الجامعة التي تهتم وتتناقش قضايا
 الأمة العربية ويدرك بأن الجامعة قد طال انتظارها زماناً حتى تحققت الأمنية
 آملين أن تكون الوحدة العربية هدفاً والعلا رمزاً عند النداء سيلبي كل العرب
 فيقول:

يا أيها الصرح المش *** يد في الجوانح والجنوب

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٣٢-١٣٤.

طال ارتقابك *** ولأنت سر في الغيوب
 عشنا زماناً لا ندل بغير غابرنا الحبيب
 نبكي على مجد العروء *** به حين مال إلى الغروب
 ونعيش بالذكرى يجدي فتي شق الجيوب
 حتى طلعت فكنت قـ *** بـلة فتية ومزار شيب
 أني دعوت أتاك جند *** الحق في ركب مهيب
 كل يخف لصحابه *** شأن الحبيب إلى الحبيب
 متساندين إلى العلا *** متساقبين إلى الوثوب
 دوى النداء فلن ترى *** في الشرق غير فتى مجيب
 ويواصل الشاعر امتنانه بقيام الجامعة وأن آمال الأمة معقود عليها وأن
 تجتمع الأمة العربية على الجهاد وأنه حان عود الحضارة العربية إلى مجدها وهي
 حضارة الإسلام الخالدة وأن الشاعر بهذه الطموحات فإنه يفتخر بأمته فيقول:
 يا أيها الصرح الذي *** اجتمعت لديه مني القلوب
 فيك ازدھى الأمل البعيد *** فعاد كالأمل القريب
 إن كان جمعنا الأسى *** بالأمس في ليل الكروب
 فالليوم يجمعنا الجها *** د الحق في عزم دووب
 تلك المعالم لن ترى *** كالأمس بادية الشحوب
 مهد الشراح حين كـ *** ن القرب في ليل عصيب
 قد آن للنور المقدس *** أن يعود إلى الشعوب
 وتشع أضواء الحضار *** ة منك في الكون الرحيب
 تلك الرسالة قد حملت *** لواها أوفي خطيب
 وبذلت للغرب وهو *** ل معارف الشرق الخصيب
 والليوم قد باسم الزما *** ن وحق لي مرح الظروف
 حر يشيد بقومه الأ *** حرار في ركب الشعوب

وفي وصف عاطفي يوضح الشاعر سعد الدين فوزي في قصidته (لوعة)^(١) وأنه بشعره يعكس ما يحس به من هوى وظماً وأنين ويذكر اسم حبيبه وأن حبه لها كثير وأن قلبه أصبح في حزن ودموعه كدموع الطفل وأنه صار كالطير السجين فيقول في كل ذلك:

يا مشرق الأمل الحبيب ومغرب الأمل الحزين
ومني الهوى الصادي وأين كمثه في الظائمين
الشعر رتل ووقعه على وتر الحنين
وجlah أغنية تفجر بالصباة والأنين
يا "مادي" جاءك من ظلال الحسن في الشط الأمين
قلبي الذي ضن الآباء به على الدمع السجين
طفل توزعه الهوى بين الوساوس والظنون
فمضى يرتل لحن المذبح كالطير السجين
دنياه دنيا الشاعرين وشعره في "مادلين"

للشاعر سعد الدين فوزي قصيدة بعنوان (الببل والشاعر)^(٢)، (شعر إخوانيات) وقد أهدتها إلى الأستاذ/ محمد عثمان محجوب وهو معلم وداعية إسلامي وشاعر مجاهد من مواليد جزيرة الفيل بودمني عام ١٩٣٥م، وجزيرة الفيل تعتبر من أعرق أحياء مدينة ودمدني التي تقع في ولاية الجزيرة على الضفة الغربية للنيل الأزرق وقد عمل الأستاذ/ محمد عثمان محجوب في بداية حياته العملية بالتدريس حيث عمل بالمعهد العلمي ثم معهد الكاملين الأوسط ثم معهد النور الأوسط ثم معهد ود مدني العلمي وعمل معلماً بالمدارس الثانوية ثم هاجر إلى المملكة العربية السعودية ثم إلى ليبيا وله مساهمات في الصحافة والأعلام.

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣-٣٤.

وفي القصيدة يتحدث الشاعر عن بلبل الوادي في وقت الصباح الباكر حيث تخرج الطيور من أوكرارها مع النسمات والجو العطر فيقول:

ويصف الشاعر تغريد البلبل فيطرب العاشق ذاك اللحن الطروب وهذه المناظر الجميلة مجتمعة تجعل الخيال يسترجع الذكريات فيقول:

ويواصل الشاعر وصفه للبلبل وترنمه وانتقاله من غصن لآخر والشاعر يعتبر نفسه دوحة لهذا البلبل ولعل الشاعر محمد عثمان محجوب لما اتصف به من أدب رائع في اللغة العربية وقد أطرب بكلماته السامعين والقراء ولا غرو في ذلك فهو معلم نشر رسالة العلم داخل وخارج السودان فيقول سعد الدين:

بلبل	الوادي	تراث	* *** نخب	أيام	وضاء	بلبل
أنت	فوق	الغصن	تشدو	بسماً	جم	أنت
وأنا	الدوحة	أحسو	* *** من	أفوايق	اللقاء	وأنا
رب	وصل	يغمر	* *** واح	منا	بالسنا	رب
هو	عند	الناس	ضرب	* *** من	الشعراء	هو
ويح	قلبي	ما	لقلبي	———	يبدوا	ويح قلبي ما لقلبي
هذه	الحب	فهم	ال———	* ***	بالرجاء	هذه الحب فهم
					الوفاء	

نهر النيل مظهر من مظاهر الطبيعة الكبرى وهو يعد من أهم أنهار العالم والشاعر سعد الدين فوزي يكتب (*أغنية الشاطئ*)^(١)، من مجزوء الرمل، وهي قصيدة على شاطئ النيل استعاد فيها الشاعر ذكرياته حب مضت في ذلك المحراب ويبدأ القصيدة بوصف الشاطئ وجماله وبهائه فيقول:

عن يا شاعر لحن الحسن في هذا المكان
فاللهوى يحلو هنا والسحر يوحى لي بياني
ضفة؟ أم ذاك محراب السناء في كل آن؟
حومت فيه المنى - غرا - إلى جنب المعانى
فتجلى فتنة الناس من ماضي الزمان

ويصف الشاعر الشراع الذي فوق النيل وحركة الموج والأشجار والذكرى الماضية فيقول:

يا شراعاً طاف فوق النيل في سمت جميل

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٩٧-٩٩.

حين راح الموج في نسك لدى ضوء الأصيل
وأقام الشاطئ النعسان في صمت طويل
كم مثيل لك في الماضي رأى سحر النخيل
مطرق يرنو إلى الشيطان كالشبح الجليل

ويخاطب الملاح بالصبر في هذا المكان الجميل الذي يثير شجونه وذكرياته
وأطيافه فيقول:

أيها الملاح صبراً! لا تفت هذي الضفافا
ها هنا لي جولة والسحر بالأرجاء طافا
كم سبحنا في ضمير الليل أسراراً لطافا
والهوى ينساب في أحلامنا والسعاد وافي
أيها الملاح! كم طفنا! وما أحلى الطوافا

والشاعر يقول إن منظر السنبل وشاطئه ملهمًا للشعراء في نظم القصائد لما
يتمتع به من طبيعة جذابة خلابة فهو جنة الله في الأرض فيقول:

غن يا شاعر ما ألهمت في هذه المغاني
فهنا قدس الهوى العلوي والحسن المচان
جنة يا رب هذى؟ قد سمت بين الجنان
أم ضفاف الكوثر الموعود في أحلى بيان
أنني أطلقت في محرابها أحلى الأغاني

ويواصل الشاعر وصفه للنيل وشاطئه ومناظره ورماته ودفن الأصيل
والخضراء والبدر فيقول:

تتلقى القبلة الأولى إذا جاء الصباح
وبها يعلو الشقيقان شراع وجناح
كلما طافت بها في لمعة الصبح الرياح

طاب للموج على أصواتها هذا المراح
 وعلى الشاطئ فوق الرمل لي طاب الصواح
 وإذا ما مالت الشمس إلى شط المغيب
 ربة مخلوقة تناسب في صمت مهيب
 ودعتها صادحات النيل بالشدو الكئيب
 لم تزل هذى الضفاف الخضر في حسن عجيب
 تتلقى بعد حين قبلة البدر الحبيب

ويكرر مخاطبته للشعراء بالتلغى بالنيل وشاطئه الوديع حيث يصفه بقىثاره
 الهوى العذري فيقول^(١):

وفي قصيدته بعنوان (عاصمة الشمال)^(٢) والتي يقصد بها مدينة (استكهولم) واستكهولم هي عاصمة مملكة السويد وأكبر مدنها وتقع على بحر البلطيق ويوجد بها مقر الحكومة والبرلمان والعاهل السويدي، يعيش فيها ٢١٪ من سكان السويد قد كانت مركزاً للاقتصاد والسياسة منذ القرن الثالث عشر بسبب موقعها الإستراتيجي.

ويبدأ قصidته بفقده لرفاقه بالسفر ويصف حاله بعد ذهابهم ومفارقته فقده لهم ويعبر عن ذلك شرعاً فيقول:

(١) غن يا شاعر وانظم قصة الشط الوديع
 أنت قيثار الهوى العذري في هذى الربوع
 هاهنا محراب قلب هام بالحسن الرفيع
 لم ينزل في هذه الأرجاء جياش الضلوع
 مولعاً بالحسن في موج وفي أفق بديع

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٣٤-١٣٥.

ذهب الرفق على التوالي *** وبقيت وحدي
 ذهبا إلى الحي الحبي *** بـ خلفوني للنزال
 ذهبا وهم عندي مني الـ *** دنيا ومبتهج الخيال
 أنسى بهم شجن الغري *** بـ واستعين على الليالي
 وأنال فيض وعد مالهوا *** ودادهم كمالي
 واليوم أسكب من دمي *** شعرا وأمرح في مجالی
 فوداعنا اليوم الحسين *** فتى المجالس والمعالي
 ويصف الشاعر مجالسهم في (استكهولم) وطبيعة المدينة وأيام الهوى فيها

فيقول:

إن أنسى لن أنسى مجا *** لسنا بعاصمة الشمال
 أسعى إليه إذا المغي *** بـ أتى ولآلات الأعلى
 فيضمها فهو الرحي *** بـ كأنه حلم الخيال
 الروح والراح العتي *** بـ والرياحين الحالى
 ما بين شقراء الغدا *** ئر قد حبته من الوصال
 كأس المنى والفتنة الـ *** غراء والسرحان الحال
 "مارية" رمز الجما *** لـ الفذ والقلب الموالى
 تبغي لديه مني الشبا *** بـ إذا تعز على المناں

ويختتم قصيده بأحد أصدقائه وأيام صفائه فيقول^(١).

(١)

أحسبن هل أنسى مجا *** لسنا بعاصمة الشمال؟
 والحب ملء صدورنا *** خفقات قلب غير سال
 لا تبتئس فغدا لنا *** لقيا على النيل الزلال

وعندما يجف معين الشاعر ويفقد ملهمة الشعر يكون حبه غير طاهر ولذلك نجد الشاعر سعد الدين فوزي في قصيده (الصنم)^(١) وهي من بحر الكامل، يرمز إلى كل ذلك فيقول:

معينه	يفيض	ومن	المعين	جف
حنينه	ومات	ملهمه	ضاع	لو
سجينه	الغرام	في	الطلاقه	كره
يخونه	وهو	العيش	صفاء	وابي
وجنونه	الهوى	به	الم	دفن
شجونه	لديه	أن	تحلو	فعجبت
يقينه	الأليم		للشك	ويميل
ويصونه	هوى	يضرمه	كان	قد
دينه	سيشرق		قدساً	ويظنه
يمينه	حوله	قد	الطهارة	علم
تلويته	بدا	به	صنم	وإذا
طينه	أسفر		المحبوب	تمثاله
دينه	الطهارة	حب	شاعراً	يا
آنيته	ذاك	الحب	شقاء	هذا

وعلى لسان الجندي نظم الشاعر سعد الدين فوزي قصيدة (أمنا الأرض)^(٢)، من مجزوء الرمل، وتبدأ القصيدة بعودة الجندي من ساحة المعركة ووصف حاله في ذلك فقال:

عاد من وادي الظى وال— ***ليل منشور الجناح
ورمى إكليل غار *** كان نديان الأقاح

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ٣٧-٣٨.

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٢٥-١٢٦.

قد ذوى بين يديه *** وهو في وقد الكفاح
 ومضى يستتبئ الا *** فاق عن ضوء الصباح
 ويداه فوق صدر *** بات مشبوب الجراح

ويمضي الشاعر في حال الجندي وسهامه وأرقه وذكرياته وأحلامه فقال:

نام هذا الكون إلا *** من كمٍ فيه صاح
 ساهر الموتى وأشلا ***ء في الضحايا في الباطح
 من قلوب شيعت أحالمها *** في شر ساح
 وعقول نسخت أبابها *** هوج الرياح
 حين طاف الموت بالا *** فاق في ليل وقاح

ويواصل الشاعر في وصف حال الجندي وتأملاته في النجوم والجدائل
 والقمر وفي آخر المطاف لم ير من كل المشاهد التي مرت ملجاً إلا الأرض التي
 يستقر عليها حياً وميتاً فقال:

ورنا للأجم الزهر *** وقد براح اومني صراح
 لم ينزل منها سوي سخ *** ر وإهمال صراحت
 ومشى للجدول الرق *** راق في تلك الفساح
 فتبدي الجدول المسحور *** في أبيهى وشاح
 من ضياء القمر المختال *** في حسن مباح
 فرمى الجندي عن أكتافه عب *** السلاح
 لم يجد غير الثرى *** من صاحب عند البراح
 قال هذى أمنا في ظل *** أيام شحاح
 صدرها الجيش معمو *** ر بأسباب النجاح
 فاغفرني يا أرض ما نأ *** تيه هذا التلحي

وعن الجندي في ميدان القتال كتب الشاعر سعد الدين فوزي قصيدة (في قلب الجحيم)^(١) وقد أخذت الجائزة الثالثة في مسابقة الشعر، واستهل الشاعر القصيدة بوصف حال الجندي ليلاً حيث الظلام الدامس وبعده النهار الغائط والثرى الذي يصعب الوطء عليه في هذا الجو يظل الجندي يقظاً يحمل أسلحته مدافعاً فقال:

عبس الدجى وانساب نعش النور في الظلماء!
والليل جبار العصا... يقسوا على الأضواء
فتخوفت زهر السماء وبتن غير وضاء
وأربد قلب الكون في صخب من الأنواء
والحر كاللهب المسعر صبّ في الأرجاء
وكأنما نبض الثرى من هولها بدماء
وهناك في كنف الظلام وخاطر البيضاء
متيقظاً للهمسة الحيرى وللأوضاعاء
متلFTA! ويحيى أبين تردد ومضاء!
روح ممزقة وقلب لج في الأهواء
حملته أجحة الظلام لعالم وضاء
ودعته في صخب المدافع ذكريات مساء
في زورق ندت جوانبه يد الأداء
وشراعه كالحلم رف على جبين الماء
وكأنه حورية نشرت فصول رداء

ويمضي الشاعر في وصف الجندي ودوره ويوضح أن الجندي على هذه الحال يستعيد ذكرياته عن وطنه وخاصة أنه قد بعد عنه لحظات وداعه من قبل الأهل والأصدقاء والأحباء ويصف الشاعر لحظات المعركة التي يخوضها الجندي

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عبر، مرجع سابق، ص ١١٢-١١٣.

من اهتزاز للأرض بصوت السلاح ودفعه واندفعه في ساحة الحرب كالسيل
والسيف والنسر في انقضاضه على العدو إما النصر أو الشهادة فقال:

وسرت به الذرى إلى وطن هناك نائي
وفقته النشوى تودعه لغير لقاء
فارتد عن ذكراه بين تجاوب الأصداء
ورنا إلى علم تربع في الذرى الشماء
فاهاز أي عزيمة غممت وأي إباء!
والأرض تزار والربى تهتز من برحاء
والليل مسرح جنة صرخت بشر عواء
نفت مجاتها لظى يطغي بكل فضاء^(١)

وفي قصيدة (العودة إلى الوكر)^(٢) من مجموعه الهزج، يذكر الشاعر سعد الدين فوزي انتقاله إلى دنيا الوكر متلقاً إليها من دنيا الأسى فيبدأ القصيدة بقوله:

تعالي ننطق في الليل كالمال كالنور
دعى دنيا الأسى وامضي بنا من شر ديجور
خذى أجحة الأملاك أو رفي كعصفور

(١) ويمضي الشاعر في قصيده فيقول:

كالويل كالسيل المجلل مؤذنا بقضاء
والهول في غرف السماء يضج في خلاء
طير أم البركان زمر جوفه ببناء
سبحان من شاد الحديد ورده لشقاء
ومضى الفتى كالسيف يدفع عن كريم لواء
وانقض كالنسر الجموح معجل بفداء
ويل لمن شب النظى في قسوة ومراء
ثارت على القيد الغشوم عزائم الشهداء

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١١٤-١١٧.

فأني قد طمئن لعالم طلق الأسارير

وهنا ينطلق الشاعر إلى الصحراء متقدلاً بين الأودية فقال:

تعالي ننطلق في البيد من واد إلى واد
هناك في حمى الظلماء لا خمر ولا شاد
هناك عوالم ظمائي ونور غير وقد
بدا في اللجة الزرقاء مرهوناً بميعاد

ويواصل الشاعر سيره وترافقه في ذلك من سماها بابنة الفولاذ في دلالة على مرافقة في تلك الرحلة وهذه من تهويمات الوجدانين وأحلامهم التي يسافرون فيها إلى أماكن بعيدة ومهجورة هرباً من جحيم الحياة التي يعيشون فيه غرباء، غريب طاف محموماً وعاد إلى حمى الورك، وفي أوتاره نغم حزين، يكنى (بابنة الفولاذ) عن الطائرة فقال:

وهيأ يا بنة الفولاذ من تل إلى تل
هنا الأعشاب لا تنمو على مهد من الظل
وكم من دوحة شابت أسى في قبضة الذل
عراء كالردى صمتاً وكالآجداث إملاقاً
به الأشجار كالأشباح زدن الليل إشفاقاً
وكم من ناسك في الطير أمضى الليل إطرافاً
به صمت وكان اللحن في دنياه دفaca

ويصف الشاعر هنا في رحلته الليل والنجوم والبدر ويستعيد ذكرياته فيقول:

فشقى الليل واستهدي بنور الأتجم الساجي
فإن البدر في العلياء قرط صبغ من عاج
وقد طوفت في الذكرى بماض جد وهاج
تناديني مغانيه بأتوار وأمواج

وعن الغد وما يدور في قلبه من لقاء ورجاء وأمل يقول:

غداً قلبي يحدثني لقاء في ذرا الفجر
مع الأداء في كأس الدجى والزهر والطير
غريب طاف محموماً وعاد إلى حمى الوكر
وفي أوتاره نغم حزين حاج في الصدر
أتى للدفء من بعد الطوى في ليله القاسي
يرف كأنه حلم سرى أو بعض أنفاس
بقيه شاعر ضاعت سدى في عالم الناس
هزار لج في شدو ولكن دون إحساس

وعن هذه الرحلة إلى الوكر التي مضت يقول الشاعر:

مضى كالحن إذ يبكي على أوتار محزون
غريباً يذرف الآفق في صمت وفي خون
يضم الناي في شوق ويعلو عن بني الطين
وفي نظراته ارتسمت تهاويل لمجنون

ويختتم الشاعر قصيدته بتساؤلاته ويدرك الموت والصحراء ويتفاعل

بالمستقبل فيقول^(١):

(١)

فهل للموت ما أزجاه من شجو وإنجاد؟
وللصحراء ما عزفت يد في فجرها الصادي
وذاك الغابر المسحور هل يحظى بميلاد؟
فطيري فالسنا وشى سحاباً رف في الوادي
غداً للخافق الجياش في صدري أماتية
غداً في العليم الجبار قد ماجت أواذيه
ساسكب روحي الظماء وأروي بعض ما فيه
وأصبح خفة حيرى ترف في مغانيه

وفي وصفه للطبيعة بجمالها وبهائها في مدينة الأبيض بكردفان تلك المدينة الرائعة يصف الشاعر سعد الدين فوزي مناظر البلدة وطبيعتها الساحرة الخلابة كل ذلك في قصيدة (الرمال)^(١) من مجزو الكامل، التي نظمها في يوم ١٦/١٢ من العام ٩٤٣م يستهلها بحنينه إلى الرمال التي صاحبها عند الصبا فقال:

إني حنيت إلى الرما *** ل و كنت من عشاقها
 وبعثت خفاقي رسو *** ل هوى إلى خفايقها
 ولكم هفت بسرها *** وسبحت في أعماقها
 هي عالم ثر ولـ *** كن بعد حل نطاقها
 صاحبتها عند الصبا *** وقبست من إشراقها
 في عالم طلق المشا *** عر نال من إطلاقها

ويواصل الشاعر وصفه للرمال بكردفان وكل الطبيعة وذكرياته عنها فقال:

كم من ليال والضيا *** ء يمد سحراً متراً
 ولقد أطل البدر من *** طرف السماء وقد عفا
 في نوره شجن الغريـ *** بـ وبعض حلم قد غفا
 وأنا لدي حرم الصبا *** النشوان ألعب مسرفا
 فإذا تعبت أقول يا *** أبت إلى وقد صفا
 البدر هات البدر لي *** علي أداعب من جفا

ويصف الشاعر الليل والجداول والهول والبهم فقال:

الليل والملع الخوا *** لد فوق كثبان الرمال
 والجدول الرقراق موج *** سيره بعض الدلال
 وبالهم ترتع في السهول *** وتحتمي خلف التلال
 وأنا أرف مع الهوى *** بين الأشعة والظلل
 والخيال مندفع خفي *** النبع مزمار ولرب

(١) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عبقر، مرجع سابق، ص ٤٠٩-٤١٠.

هاجت به الذكرى وها *** ج مع السناء قلب الليالي
والشاعر يتذكر أيامه وليلاته في مناطق الرمال الكردفانية ومدينة الأبيض
بسمائها الصافي وكواكبها المضيئة وكذلك يصف الظلام وهو في كنف السرير
فقال:

ولكم	RNWT	إلى	السما	* * *	أبثها	أمل	الصغير
وساحت	FIV	دنيا	الملا	* * *	ئك	بين	ولدان
وسكرت	MN	نجوى	الكوا	* * *	كب	سلسلت	مثل
بيضاء	FI	طهر	الضيا	* * *	نقية	مثل	الضمير
وإذا	JNHT	إلى	الظلا	* * *	لغفوت	في	السرير
و حلمت	BAC	بالدنا	البعدة	* * *	بالآخر		

ويصف الشاعر الشمس وأشعتها فوق الحقول وشبه ذلك المنظر كالناعس
الذي ينظر في ذهول وكالعاشق في السهول فقال:

كم منظر والشمس تـنـ *** فض ثوبها فوق
 الحقول صفراء من أثر النـعا *** س تطل في بعض
 الذهول كالعاشق المضني كـزـهـ *** ر ضل في قلب السـهـول
 العـلـيل وـقـفـتـ *** أو مـسـيرـها خطـوـ
 الدـلـيل وـقـفـ *** مـراـقـباـ الزـمانـ

و هنا سعد الدين فوزي يصف الزمان وتقلباته والناس و اختلافاتهم فقال:

ومضى الزمان بركبته الصخاب *** في دنيا عجب
 ما بين جياش الضلو *** ع وبين عربيد الشباب
 فغدوت في لحج الحيا *** كمن يفيء إلى عباب
 لحج تقادفي وتق *** كمنكسر صمني الخواني
 والناس في الدنيا *** وهم أخوه وفلسفة كذاب
 أو غاشم يحتال في الدنيا *** على ظفر وناب

والشاعر هنا يرثى إلى سحب الخريف المتائلة كالزهور البيض فيقول:

وَغَدُوتْ هَلْ تَجْدِي الْيَرَا *** عَةَ عَنْ فَلْسَفَةِ السَّيْفِ؟
أَشْدَوْ وَلَيْسْ لَدِيْ مَنْ *** أَمْلَ سَوِيْ سَحْبَ الْخَرِيفِ
مَتَالِقَاتْ كَالْزَهْوَرِ الْبَيْضِ فِي الْأَفْقِ الْلَّطِيفِ
نَزْهَنْ عَنْ دَرْنَ الْحَيَا *** ةَ وَمَنْ عَنْ هَمِ الْصَّرْوَفِ
وَخَطَرْنَ فِي صَدْرِ الْسَّمَا *** ءَ بَرْقَةَ الْأَمْلِ الْرَّهِيفِ
مَلَكَاتْ حَسْنَ لَوْ غَضْبَ— *** نَ لَجْئَنْ بَالْوَلِيلِ الْعَنِيفِ
كَمْ لِيَلَةَ وَاللَّيْلِ كَالْرَّهَبَانِ *** فِي كَنْفِ الْخَشْوَعِ
فِي غَرْفَةَ وَالْمَزْهَرِ النَّشْوَانِ *** تَرْجَمَ عَنْ ضَلْوَعِ
وَأَخْوَهُ الْطَّلا نَظَمَ الْكَوْوَ *** سَ وزَانَهَا بَيْنَ الشَّمْوَعِ
تَهَتَرْ فِي سَحْرِ الْطَّلا *** فِي جَوْفَهَا كَفْتَى وَلَوْعَ وَجْوَعِ
وَأَتَى إِلَيْ صَرِيعَ أَحَلَامَ *** وَفَلْسَفَةَ الْطَّرَوِ *** بَ لِلْكَأسِ وَأَشَارَ الْبَدِيعَ كَالْحَلْمِ يَرْفَ بَ

ويتحدث الشاعر عن نفسه و فعلها فيقول:

وَمَضَى الزَّمَانْ بِرَكَبِهِ الصَّخَابَ *** فِي دَنِيَا عَجَابَ
مَا بَيْنَ جِيَاشَ الْضَّلُو *** عَ وَبَيْنَ عَرَبِيدَ الشَّبَابَ
فَعَدُوتْ فِي لَجْجَ الْحَيَا *** ةَ كَمْنَ يَفِيءَ إِلَى عَبَابَ
بَحْجَ تَقَاذْفَنِي وَتَقَاءَ— *** صَمْنِي كَمْنَسِرَ الْخَوَانِيَ
وَالنَّاسَ فِي الدَّنِيَا أَخْوَ *** وَهُمْ وَنَابَ كَذَابَ
أَوْ غَاشِمَ يَحْتَالَ فِي الدَّنِيَا *** عَلَى وَنَابَ

وفي وصفه للحسناء التي لاحت له قال الشاعر:

وَمَضَى الزَّمَانْ بِرَكَبِهِ الصَّخَابَ *** فِي دَنِيَا عَجَابَ
مَا بَيْنَ جِيَاشَ الْضَّلُو *** عَ وَبَيْنَ عَرَبِيدَ الشَّبَابَ
فَعَدُوتْ فِي لَجْجَ الْحَيَا *** ةَ كَمْنَ يَفِيءَ إِلَى عَبَابَ

بحجج تقادفي وتق *** صمني كمنكسر
 والناس في الدنيا أخو *** وهم وفلسفة
 أو غاشم يحتال في الدنيا *** على ظفر
 ويواصل الشاعر في إعمال خياله فيقول:
 ومضى الخيال بموج مندفع *** الأعنة
 وغدوت بين الحور والدنيا *** تلين لدى
 أنا، من أنا، غرد يدا *** عب بالأغاني كل شاد
 أم صرت صنو الأقرب *** ن لدى السموات الشداد
 أم بت عصفور الأرا *** كة في خميلة خير ناد
 أسرى على متن السحا *** ب ولا أحن إلى المعاد
 ويصف الشاعر الطبيعة في قوله:

أنا في ضفاف الكوثر *** رفاف المثاني
 وعلى الضفاف الغر كم *** حورية سلبت جناني
 في لجة من نورها *** فضي مندفع المعاني
 والنهر رتل لحنه *** قدسي في أجلى بيان
 فسكت من خمر الهوى *** ونسيت من طرب كيانى
 في لمحه أهدى الخيا *** ل إلى عز الصولجان

ويفيق الشاعر من ذلك الحلم الخيالي فيقول:
 وأفقت من حلم الجنا *** ن لأصطفى حلم الصحارى
 في ذلك الدير العتي *** ق وبين رهبان النصارى
 وهناك بين ملاحن شردت وأدعية حيارى
 ما بين ترتيل التقا *** ة وبين ترجيع العذارى
 عبق البخور فكأهم *** نعم وكلهم سكارى
 فتركتهم والقلب مضطرب *** وهذا طارا

ومضى الشاعر في خياله وأحلامه وأفاق عند الفجر فقال^(١):
وبمناسبة الهجرة نظم سعد الدين فوزي قصيدة (من وحي الهجرة
(٢)، ويرى الباحث بأنه لابد من الإشارة إلى هجرة المسلمين الأولى
إلى الحبشة.

وقد جاء في تهذيب سيرة ابن هشام^(٣): (فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَافِيَةِ، بِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَمَّهُ أَبِيهِ طَالِبٍ وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ، قَالَ لَهُمْ: لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ فَإِنْ بَهَا مَلْكًا لَا يَظْلِمُ عَنْهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صَدْقَةٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرْجًا مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَخَرَجَ عَنِ الدُّرْجَاتِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ مُخَافَةً لِلْفَتْنَةِ، وَفَرَارًا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ فَكَانَتْ أُولَى هَجْرَةٍ كَانَتْ فِي إِلَيْسَامِ).

أما عن هجرة الحبيب الطيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى طيبة الطيبة فقد جاء في كتاب هذا الحبيب ما يلي^(٤): (أَمَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَنْ تَرَكَ لِعَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ نَقْصٌ عَلَيْنَا تَحْرِكَهُ نَحْنُ هَجْرَتَهُ، فَقَدْ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَخْطُئُ أَنْ يَأْتِي بَيْنَ أَبِيهِ بَكْرَ أَحَدَ طَرَفِ النَّهَارِ أَمَا بَكْرَةً وَإِمَّا عَشِيهَةً حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي أَذْنَ فِيهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١)

ومضيت أحلم والظلام *** م يمد لي أفق الخيال
وحجبت حتى ما عرف *** ت أكان ذا بعض الخيال
وأفقت والفجر الولي *** د يعيد لي أشتات بالي
وصحوت والكأس المقدس *** ماثن يرنو حيالي
والشمع ذاب ولم يعد *** في غرفتي غير الذبال
وخرجت للدنيا الفتية *** ما أمل من السؤال

(٢) سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، مرجع سابق، ص ١٣٩-١٤٢.

(٣) عبد السلام محمد هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، مكتبة السنة، الطبعة السادسة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، ص ٦٧-٦٨.

(٤) أبو بكر جابر الجزائري، هذا الحبيب محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا محب، دار الخاني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، ص ١٥٨.

بالهجرة فإنه أتنا بالهجرة، وساعة كان لا يأتينا فيها، فلما رأه أبو بكر قال ما جاء برسول الله ﷺ في هذا الوقت إلا أمر حدث، فلما دخل رسول الله ﷺ فأخر له أبو بكر عن سريره فجلس ﷺ: (أخرج من عندك) فقال يا رسول إنما هما بنتاي، وما ذاك فدك أبي وأمي؟ فقال: (إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة)).

يستهل الشاعر قصيده بالتأمل والتفكير والتدبر في الكون فقال:

سكت دهراً فلم أعزف على وترِي *** ولم أناج المنى أو أشد للقمر
رميت قيثاري والنأي ما حفلت *** يدي به وقذفت الكأس في الشر
ورحت أضرب في الآفاق مضطرباً *** أعالج الناس في شيء من الحذر
وبيْن جنبي قلب فيه معترك *** من الوساوس والأمال والفكر
فلا الخمائل تلهيه ولا رشأ *** حلو يمنيه دنيا المجد والظفر
ولا البساتين عند "الرين" مثقلة *** قطوفها بجميل طيب الثمر
ولا الحسان - بها التاميز - ضاحكة *** عيونهن بما يفتر عن حور
ولا الكنوز - كنوز الفن - عامرة *** بكل كنز عريق الأصل مدخل
ولا الحدائق في باريس نابضة *** بكل حسن كريم الود مزدهر

والشاعر وهو في الغربة لم ينس وطنه فيحن إلى أصحابه وأ أيامه وليلاليه النضرة وسعد الدين وهو في الغربة يقلب الفكر في تاريخ أمته بالأيات وال عبر وفي تلك اللحظات يخلق الشاعر بخياله ويذكر البيداء والنسيم والرحلة التي سلكها الرسول الكريم ﷺ في قلب الbadiaً مهاجراً إلى مدينة الهدى والنور وقد شبه هذا الموكب بالجلال هذه الهجرة التي غيرت مجرى التاريخ والبشرية وكانت فتحاً ونوراً على الإسلام والمسلمين الذي شع نوره وانتشر في كل أنحاء المعمورة شاملاً وكاملأً وخاتماً فقال:

نعم مضيت مع الآفاق مغترباً *** فما نسيت هوى الأوطان في سفري
وكم حزنت إلى الماضيولي ظمأ *** إلى الصحاب صاحب الفكر والسهر
وكم ذكرت ليالي الصيف مبتسمأ *** لذلك العهد من أيامنا النضر

نقلب الفكر في تاريخ أمتنا *** ونملأ القلب بالآيات وال عبر
 وكم تحلق في دنيا الخيال وكم *** تعود أفكارنا ملأى من الصور
 نكاد نرقب والبيداء ساجية *** والليل يجح مشتاقاً إلى السحر
 مواكب النور تسعى نحو غايتها *** والكون يرقب ما خطت يد القدر
 وللنسم حفيظ مثلاً خطرت *** فيه الملائكة حول السائر الحذر
 هو النبي سرى في قلب بادية *** يضاعف الهول فيها كل منحدر
 فكيف يبعد أصناماً تترعرعها *** يد الخيال وتعليها على السرر
 إلى الغيوب مضى بالروح منطلقاً *** موزع القلب بين السمع والبصر
 هنا الجلال على الصحراء منسكب *** وفي البطاح جمال الظل والشجر
 وفي الظلال يحس الله منتشرأ *** وفي الصباح يرى ما صاغ من صور
 هي العقيدة وهي الله خالصة *** فكيف يبعد ما شادوه من حجر
 فليبلغ الهول ما صبوه من ضرر *** فقوه الروح فوق الهول والضرر
 وليهجر الأهل وليرحل فإن غداً *** سيممنح الدين ما يرجوه من ظفر
 ويقارن الشاعر بين هجرة الرسول ﷺ ودولة المدينة الإسلامية وحكم
 الخلافة الراشدة والتعلم والأمن والعدل وما يدور في العالم اليوم من حروبات
 وظلم فقال:

يا هجرة الروح عدنا طيّ غاشية *** كان في قلبها حقداً على البشر
 كائناً الحرب لم ترفع كوارثها *** عن الأيام، وإن الكون في خطر
 إذا الصباح أتى فالناس واجفة *** والليل إن جاء بات الناس في ضجر
 والعلم أصبح موقوفاً لتهلكة *** والسلم أصبح لفظاً غير ذي أثر
 وال الحرب تقع في ركن الظلم كما *** يقع الذئب من ناب من ظفر
 والأفق ينذر بالنار التي خمدت *** بالأمس بين عويل الناس والذعر
 يا هجرة الروح ما ضر الذين أبوا *** إلا الحروب سلام غير مندثر
 أغایة المثل العليا، صراع وغى *** تعود من بعده رسمًا بلا أثر

أَمِ الزَّمَانِ خَدَا فَارْتَدَ أُولَهُ *** وَنَحْنُ عَبْدُ الطَّبَعِ وَالْفَطْرِ
وَيُسْتَدْعِي سَعْدُ الدِّينِ فَوْزِي الْهَجْرَةُ النَّبُوَيَّةُ وَمَا تَحَقَّقَ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ نَبْرَاسًا
لِعَالَمِ الْيَوْمِ وَأَنْ يَسْتَرِشَدَ بِالْهَجْرَةِ كُلَّ النَّاسِ حَكَامًاً وَمُحَكَّمِينَ وَأَنْ يَقْتَبِسُوا الضَّيَاءُ
وَالْهُدَى وَالظَّهَرَ حَتَّى يَكُونَ عَالَمُ الْيَوْمِ عَدْلًاً وَسَلَامًاً وَأَمْنًاً فَقَالَ فِي خَتَامِ
قَصْبِيَّتِهِ (١).

(١)

يَا هَجْرَةَ الرُّوحِ، هَاتِي بَعْضُ مَا حَفِظْتُ *** يَدِ الزَّمَانِ لَدِي الْأَصْلِ وَالْبَكْرِ
هَاتِي مِنَ الْمَجْدِ أَلْوَانًا مَخْلُدةً *** عَلَى الزَّمَانِ وَأَشْتَاتًا مِنَ السَّيْرِ
وَمِنْ ضَيَاءِ الْهُدَى نَبْرَاسَ قَافْلَةً *** وَمِنْ نَسِيجِ الْعَلَا أَغْلَى مِنَ الدَّرَرِ
هَاتِي مِنَ الظَّهَرِ آيَاتٌ مَقْدَسَةً *** وَمِنْ عَبِيرِ التَّقَى أَزْكَى مِنَ الْزَّهْرِ
فَأَنَا يَوْمَ فِي بِيَدِي قَاحِلَةً *** مِنَ الشَّكُوكِ وَفِي رَكْبِ بلا وَطَرِ
لَعْنَا نَهْتَدِي مِنْ بَعْدِ مَا قَذَفْتُ *** يَدِ الزَّمَانِ بَنَا فِي الْمَسْلَكِ الْوَعْرِ

الفصل الثالث
حسن عباس صبحي
(١٣٤٧هـ - ١٤١٠هـ = ١٩٢٨م - ١٩٨٩م)

وفيه تمهيد ومبثثان:
المبحث الأول: الرمزية والإحساس بالذات.
المبحث الثاني: الطبيعة والوجود والشوق

تمهيد

ولد الدكتور حسن عباس صبحي بمدينة (شندي) الواقعة عام ١٩٢٨ م وتتأثر بها وبخضتها كثيراً، وحفظ القرآن على يد والده عباس صبحي الذي سُمي حي كامل باسمه تكريماً له وهو (ديم عباس).

تلقي تعليمه الأولى بشندي والمرحلة الوسطى بعطرة التي شكلت له جزءاً كبيراً من حياته حيث التقى بأستاذه/ عبدالقادر شريف الذي حبب إليه اللغة الإنجليزية فانكب إليها وكان من المتفوقين في منافسات الإلقاء بالإنجليزية والعربية.

انتقل للدراسة الثانوية بمدرسة وادي سينا، وبدأت موهبه بالظهور وقد كانت بدايته موقفة وتم عن إحساس ديني نبيل حيث اهتم بسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وشخصية سيدنا عمر بن الخطاب الفذة رضي الله عنه، وكان أيضاً معجباً بشخصية العقاد وعقريته والمهاتما غاندي محب السلام وقدم بحثاً عنه وهو طالب بالسنة الثالثة، كان يهوى دراسة التاريخ فقرأ تاريخ فلسفة اليونان وقرأ لمارتن لوثر كنجد، وكافة أعمال شكسبير وسقراط وشارلس ديكنز، واهتم أيضاً بالعصر العباسي والأموي والأندلسي كما اهتم بالثورة المهدية وكان اهتمامه بالأدب الشعبي من خلال تأثيره بمدارس وشخصية الحارollo وشخصية مهيرة بنت عبود التي كانت تمثل له قمة الفروسية والبطولة.

تخرج من جامعة الملك فؤاد (جامعة القاهرة حالياً) عام ١٩٤٥ م.

قدم الدكتور/ حسن عباس صبحي من خلال مايكروفون إذاعة (هنا ألم درمان) الكثير وكان له قدرة صوتية مميزة حيث قدم العديد من البرامج الإذاعية الناجحة كبرنامج (موضوع يهمك) و(أديب في دائرة الضوء) وذلك في عهد الأستاذ/ محمود أبوالعزائم، وأيضاً من أميز البرامج التي يقدمها برنامج (الليل) في اليوم المفتوح.

عمل مذيعاً بإذاعة لندن (BBC) وقدم العديد من البرامج في فترة الخمسينيات وعاصر فترة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ م وقد انتقل

للعمل بإذاعة لندن قبل العدوان بقليل إلا أنه ترك العمل بها إبان فترة العدوان وعاد إلى السودان ليعمل محاضراً في جامعات السودان المختلفة ولا سيما جامعة أم درمان الإسلامية التي كان من دعائمه في مجال اللغة الإنجليزية.

نال الدكتوراه في اللغة الإنجليزية وآدابها مقارناً لها باللغة العربية عام ١٩٦٨م من جامعة أدنبرة بالمملكة المتحدة، موضوع الرسالة (أثر الكتاب الإنجليز الحديثين في الشعراء العرب منذ ١٩٣١م - ١٩٦٠م) تحتوي الدكتوراه على ترجمة ما لا يقل عن مئة قصيدة من العربية إلى الإنجليزية وتحتوي الكتب التي أعدها على عدد ليس بالقليل من أضرب هذه الترجمات.

عمل معيداً بجامعة أم درمان الإسلامية منذ عام ١٩٦٥م ومحاضراً بعد الحصول على الدكتوراه منذ العام ١٩٦٨م مترقياً خلال تلك الفترة حتى نال درجة أستاذ مساعد ١٩٧٥م ثم عمل رئيساً لشعبة اللغة الإنجليزية وآدابها بالجامعة منذ ذلك الوقت حتى انتدب إلى المملكة العربية السعودية بكلية التربية للبنات بتبوك.

عمل رئيساً لشعبة اللغة الإنجليزية بكلية التربية للبنات بتبوك حتى عام ١٩٨٩م حيث وافته المنية ودفن بالمملكة العربية السعودية بمدينة تبوك رحمه الله.

ويقول عنه د. عبدالحميد يونس في مقدمته لهذا الديوان وهو يتحدث عن المؤثرات في شعر حسن عباس صبحي وخاصة نشأته في موطنه شندي حيث يوضح^(١): (كانت لهذه النشأة آثارها على حبه للطبيعة وتأمله في ظواهرها، وتشخيص نفسه ومشاعره في شتى صورها وكائناتها، فأنذه تلقط أصواتها، وعينه تسجل ألوانها وحركاتها، وقلبه ينبض بمحبتها، وإن كان يعكس هذا كله في مرآة وجданه، تشرق إذا أشرق، وتبتسم إذا ابتسם، وتظلم إذا اظلم، وتكتئب إذا اكتب).

ما لإحساس بالذات وبالجامعة وبالطبيعة، قد نقله إلى كما ينقله إليك في إيقاع متداج، ومن هنا رأينا موسيقاه ذات نقرات متتابعة، وإذا خالفت التقاليد القديمة في أكثر الأحيان، وهي على تأثره بتجربة الشعراء المحدثين في تطوير موسيقاً الشعرا

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مطبعة التقدم، القاهرة (د.ت)، المقدمة.

لمختلف الأغراض، فإنه يتمسّك بإيقاع الشعور، فهو الذي يحدد أبعاده، وهو الذي يسرق من المماعلة، أو يقتضي فيها، وهو الذي يرتفع بالنبرة أو يخفض منها، فالمرحلة على السفينة في البحر غير الجلوس إلى النيل في الأمسيات الهادئة، وهرج الشباب الباكر غير التأمل أفلته التجربة وصفاته الثقافة وإيقاع الأمل، والإقبال على الحياة غير إيقاع الخوف من اليأس والإشراق من المجهول).

وعن تأثير شندي على الشاعر يقول عنه عبدالواحد حامد الأمين رئيس الندوة الأدبية في السودان^(١): (في مدينة شندي بالسودان حيث يمتزج التليد والطارف من بدواوة وحضارة في جو شاعري أصيل، سمع الفجر الندي ذات يوم من أغسطس ١٩٢٨م أولى صيحة تعلن ميلاد الشاعر، وكفراشة تهفو إلى الضوء والرحيق تنقل الصبي الشاعر حتى التحق بالمدينة العاصمة ينهل من منابع العلم والثقافة فيها بشغف وطموح حير أقرانه بما تفتح له من مواهب مبكرة أثمرت نتاجاً أدبياً مبرياً شعراً ونشراء).

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٧٨.

المبحث الأول

الرمزيّة والإحساس بالذات

والقصيدة التي أفتتح بها حسن عباس صبحي ديوانه بعنوان (حنين)^(١) وهي مهاداة إلى صديقه عبدالله حامد الأمين وترجع هذه القصيدة إلى الأيام التي قضاها الشاعر في لندن أيام العدوان الثلاثي الغاشم على أرض الكناة.

ولعل الشاعر تعاطف وجداً نادياً في هم قومي تمر به أمته العربية.

أما عن صديقه عبدالله حامد الأمين^(٢) حيث يقول في سيرته الذاتية بأنه من مواليد مدينة أم درمان في العام ١٩٣٤م وتوفي عام ١٩٦٧م ووالده هو الشيخ حامد الأمين العمراوي من علماء الدين وأساتذة العربية واضطر لقطع دراسته الثانوية لمرضه بضمور الأعصاب لم يستسلم وواصل تتفيق نفسه بنفسه وأنشأ الندوة الأدبية بمنزله عام ١٩٣٥م وانضم لندوته عدد من أصدقائه منهم طه عبد الرحمن، عبدالصمد عبدالله، خليل عبدالله الحاج، عثمان علي نور، إسماعيل خورشيد، أحمد محمد السنوسي، والفاتح علي مختار وشارك في الندوة عدد كبير من الكتاب والنقاد والشعراء من أمثال الدكتور عبدالمجيد عابدين وظل رئيساً حتى وفاته وغنى له عثمان حسين ومحمد الحويج قصيدة (كلمة منك حلوة) كان نشطاً ومثابراً في إثراء المنتديات التي حضرها هذا ورغم مرضه شارك على النطاقين المحلي والدولي وأصبح نائباً لرئيس اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا. وكتب في الصحف المحلية وأصدر كتاباً بعنوان (تحت الشمس من جديد) ومجموعة قصصية قصيرة، له مخطوطات وكتابات لم تنشر.

أما بالنسبة للقصيدة فهي من عناوينها يتضح فيها الوجd والسوق إلى الوطن العزيز ويقارن بين الحال في السودان والعيش مع الأهل والأصدقاء وبين الغربة التي تفقد الإنسان الكثير خاصة العلاقة الاجتماعية وخاصة السودانيين وبما أن

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ١١-١٦.

(٢) <http://www.sudanway.sd/charact-AbdellaHamedElAmeen.htm>

القصيدة مهاده إلى صديقه عبدالله حامد الأمين إلا أنها تعبر تعبيراً صادقاً لعشقه لوطنه السودان إذن عبدالله حامد الأمين يمثل الوطن الكل لما يجمع بينه وبين الشاعر من إخوة صادقة وتوافق في الفكر والمشاعر.

فيقول حسن عباس صبحي مفتتحاً قصيده بذكرى بلده السودان ومهد الصبا فيسأل عن الحال في وطنه ونيله وإنسانه:

أحبابنا على الربوع الخضر يا أحبابنا
يا من تفتحت لهم قلوبنا
أكمام ورد متراugas بالسنا
وعاتقت ذكراهem أرواحنا
كيف الصباح والمساء عندكم
وكيف حال النيل في دياركم
وخفقة الأمواج حينما تقبل الضفاف
وواحة النخيل والوديان والربى؟
أما هنا يا رفة الصبا
لا شيء في الحقول يورق النبات

ويعد الشاعر بين وطنه السودان وبلاد الغربة ويفصل ما يلاقيه من عناء ومشقة حيث يستخدم نظام المقاطع وينوع في القوافي، ويقول في نفس القصيدة:

حتى سحائب الأمطار لم ترقى بنا
جفت صخور الزهر في وادي الرماد
واغرورقت عيوننا لضيعة الحصاد
وجاء السهاد ليانا بوحشة
يا ليانا... رفقاً بنا
رفقاً بنا يا ليانا

المسهدة	الأعين	بهذين	رفقاً
أحبابنا		أحبابنا	
دارنا	عن	معزل	أياماً
الزمان		يخطها	أسطورة
الألوان		باهتهة	قاحلة
الضياع		حزينة	
الصراع	يلفنا	أحسائهما	نعيش
		في	
		أرجائهما	لا
	غير	في	قوت

ويصف حاله في المدينة التي يسكنها في الغربة:

ويذكر أسطورة سيزيف وما يلاقي من عذاب، هذه حياة الشاعر في ديار الغربة معاناة وقسوة، ويتنى العودة إلى الوطن.

"سيزيف" في أعماقنا يضج
 بالأئين بالحنان العذاب يضمد لو يود
 إلى متى نحيبه المكبل السجين
 لا يطرق القلوب في جمودها الدفين
 لأنها مصبوبة من صخرة الجلمود؟
 لأنها تعيش في مجاهل اللحد?
 لأنها لا تعرف الحياة والإنسان؟
 لأنها تزعزع ابتسامة الورود؟
 وأنها وشاحه النيروز في الجديد؟
أحبابنا أحبابنا

ويتحدث الشاعر عن النيل وعشقه له وخيراته الوفيرة على السودان
 وتاريخه في الماضي البعيد:

النيل في كياننا.. ترتيله عريقة بيضاء
 فياضة كف موسى بابتهالات الصفاء
 فجرها مزمار داؤد بألحان السماء
 ترتيله نقية كأدمع العذراء
 تحنانها يهزنا... يجدنا لموطن الصبا
 لمرتع الرابع مسرح الربي عاشقين
 للمقرن المفتون بالعناق بين عاشقين

ويتحدث الشاعر عن مسيرة النيل:

الأبيض الرؤوم ينبري في لهفة من الجنوب
 ويلتقي بالأزرق المصدق الغضوب
 ليneathا برحلة الخلود

والقفار	الفيفي	عبر
والوجود	الحياة	روح
الفلاح	سواعد	على
بالكفاح	تعج	ملحمة
والعرق	الدموع	من
الصغير	مهندنا	رفاقنا
	في	فيها

وينقلنا حسن عباس صبحي في قصidته إلى مدinetه شندي المطلة على النيل
ويصفها ويصف مشاعره نحوها فيقول:

والخمير	الحقل	عروس	شندي
الأسواق	مخضلة		قلوبنا
للعناق	تحن		أرواحنا
والنخيل	الأطيار	لواحة	تهفو
السيسبان	ظلال	في	ولسلام
الغدير	الأمواه	عطشى	أرواحنا

تجري تهددها العيون والوديان
وقد سقتها ساريات المزن من ماء المطر
إنا هنا تشناق للرعاة للأغnam
لأنفحة والأنسام العبير
ولانطلاق والغزلان الأرب
في ساحة (الهواد) تحرسها التلال

ويختتم قصيده بشوّقه لوطنه وبلده حيث يقول صاحبه^(١):

والشاعر حسن عباس صبحي يدعو إلى عدم الاستسلام والتواكل بل يبحث على طرد التساؤم وأن الإنسان أن يقتسم الصعب ويتوكل على الله سبحانه وتعالى ولا ينهرم وأن المؤمن قد يبتلي في نفسه أو ماله أو عرضه أو غيره ولكن الإيمان الحق هو الذي يجعل الإنسان يؤمن بالقضاء والقدر وفي قصيده (البعث)^(٢)، يحدثنا الشاعر بـلسان فتى كان موجوعاً بالندم واليأس لكنه رغم الجراح انقض وثار على كل ما يعتريه بقوة هائلة قفر الحزن منه بـسلاح العزيمة والصمود ودك معقل الشؤم وإذا بالمخاوف تتحطم وتنهزم النعasse وتتبعث في نفسه القوة تكتسح كل ما يعترضها كالسيل العرمم ويصبح بعدها الفتى حرّاً طليقاً قوياً ويرتفع إلى السمو والتقدم كل ما تقدم نجده في النظم الآتي:

عبَ الفتى الموجوع من كأس الندم
وتجرع الآلام في حزن لهم
وتفجرت دنياه بالنبع المسم
حجب القائم عليه أشراق النعم
وطواه ليل اليأس في صمت العدم
لكن رغم جراحته... رغم الألم
هب الفتى من غمرة الشر الملم
في صدره المحموم سخط يضطرم

(١)

أحبابنا... أحبابنا

إنا هنا نرنو إلى الديار في خشوع

ونحضر العهود في الحنايا في الضلوع

إلى اللقاء يا بلادنا

إلى اللقاء يا رفاقنا

إلى اللقاء في مواكب الربيع

عند الربى الخضراء في وادي الربع

(٢) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مطبعة التقدم، القاهرة، د.ت، ص ١٧-١٨.

داس السدود وثار، ثار ليقتحم
 فتطايرت أشباح غربان الرم
 تطوي الفتى في ولوارات من نقم
 فاستل خنجر بأسه يعلوه دم
 وتأججت في نفسه نار الحم
 خاض البلاء بكل إصرار وعزم
 ومضى يدك معاقل الشؤم النهم
 ويمزق العش الملثم بالبكم
 ويطيح بالوهم المبدل بالسأم^(١)

ومن أصدق ما عبر به الشاعر حسن عباس صبحي عن نفسه حينما فقد بصره
 تعبيراً وجداً نياً معبراً عن الحالة التي عليه بعد أن فقد نور عينيه وقد استعمل الشاعر في
 القصيدة من بحر المتقارب أسلوب الرمز وهي تجربة ذاتية يقول فيها:

أيا طائر الليل

ولى من الليل عمر طويل
 وما زلت أنت تصيح تصيح
 بصوت جريح

(١) ويكملاها بقوله:

وإذا بعملاق المخاوف يتحطم
 وإذا التعasse بالشكيمة تتهزم
 وإذا بفيض البعث يكتسح الظلم
 وإذا النجاۃ تسيل في سيل عرم
 يحتاج أوكار العناكب والرخ
 ويعانق الفجر الطليق على القمم

فيطرق سمع الوجود الفسيح
وينهال يا طائري في حزن
الحالة العتمة فتكزه
ويثخن فينا جراح الشجن
فذكر مر الأسى والنواح
إلى أن تهل عيون الصباح
وتنتشر شمس النهار الضياء

وحينئذ

تعود إلى وكرك المنعزل
بعيداً برأس الجبل
وتلقى بجسمك يا طائري
كليلاً من الرحلة الساهرة
ويحملك النوم في مركبه
ويرخي الشراع
وأنت تنام

وتحلم بالرحلة القادمة
ويمضي الصباح

بأنفاسه الطيبة الحلوة بأنواره
بأنواره الساطعة بهجته النضرة بأزهاره
بأزهاره الفضاء حرّة في بأطياره
وطير (الخداري) يغنى طيقاً نشيد الأمل... ربّع الحياة
ينغم ألحانه في انتصار

ويشعل في القلب روح الرجاء

ونار الكفاح

وأنت تنام

القادمة بالرحلة وتحلم

الضياء شيئاً يذوب و شيئاً

الطيور نغمات تودعه

إلى أن يغيب وراء الأفق

وحينئذ

يعود (الخاري) إلى عشه

يقطب الحديقة بين الفروع

وينضج في جسمه شوقه

ليوم غد

ليسكب من صدره حب

لدنيا الحياة وروح الرجاء

وبعد قليل

يعلم المساء

وتتبعه الظلمة الموحشة

وتعوى الذئاب بصوت نكير

يخيف الجزيرة تحت الجبل

وتشرع ضفدعه في النقيق

تشاركتها ضفدعات آخر

وتسلل نومها تتسلل من

زواحف مكتبات الصور

تمرغ أجسامها في الوحل

تجر على العالمين الخراب
 وتنفس أحشاؤها ألف شر
 وبين الظلام
 تصب الكلاب
 نذير الجزيرة النباح بجوف
 الذئاب غعمات تجاوبها
 ويعلو الصراخ
 يدوي النباح
 يلف الجزيرة.. يهز الجبل
 فتفقر من حلمك
 الغيهمي وتنظر مبتهجاً
 بالظلم وتجلس في وكرك
 المنعزل بعيداً هناك
 الجبل صيحاتك توزع
 النائحة لرحلتك وتهفو
 الغائمة^(١) بدنيا الظلام

(١) ويختتمها بقوله:

وأنت تصيح
 تصيح تصيح
 بصوت جريح
 فيطرق الفسيح سمع الوجود
 وينهال يا طائري في حزن
 الحالكة العتمة فنكزه
 ويثخن فينا جراح الشجن
 فذكر مر الأسى والنواح
 إلى أن تهل عيون الصباح
 وتنشر شمس النهار الصياء

و هذه القصيدة الوجданية الرائعة التي سمى بها الديوان (طائر الليل)^(١) وهي تجسيد واقعي لما ألم بالشاعر في نعمة البصر .

وقد علق محمد مصطفى هدارة على هذه القصيدة لكل الذين يقرؤونها^(٢) (ليستينوا التجربة الذاتية الفريدة التي عانى منها الشاعر والذي اختار فيها طائر الليل رمزاً لبصره وعبر عن رحلة هذا الطائر برحلة عينية في عالم النور ثم الظلام وعبر عن مشاعره تجاه العالمين بهذا التصوير الرائع للصبح بأنفاسه الحلوة وبأنوار بهجته وبأزهاره النضرة وبأطياره الحرة أو إحساسه بالليل فقد عبر عنه بهذه الصورة الرهيبة الكئيبة المظلمة الموحشة، وعواء الذئب، ونقيق الضفادع وانسالل الزواحف الكئيبة الصور التي تمرغ أجسامها في الوحل ونباح الكلاب وشتان ما بين الأمل الذي يخفق في النهار لطائر الليل فيحمل بالرحلة القادمة والباس الذي يدين عليه فلا يجعله يفكر إلا في الرحلة القائمة).

وكذلك للشاعر حسن عباس صبحي قصيدة نظمها في لحظة قلق وحيرة قبل أن يسترد بصره بعد إجراء العملية الجراحية له بموسكو وهي بعنوان (النور)^(٣)، من بحر الرمل وفيها يتحدث عن فقد البصر ويرجو أن يعود إليه وعقد مقارنة بين النور والظلام فالنور يهدي سالكه والظلام به الخيالات المخيفة والأسباب فيقول:

يا سنا الشمس.. ويَا ضوء القمر
إِمَلْأَ العَيْنَيْنِ بِالنُّورِ الْبَهِيجِ
وَاسْكُبَا الشَّرْوَقَ دَفْعَهُ أَحْنَاءَ
الْعَرْوَقَ بَيْنَ عَيْنَيْهَا
وَبِرِيقِ الْعَيْنَيْنِ تَحْبُو بَضِيَاءَ

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ١٩-٢٤.

(٢) محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، مرجع سابق، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٢٥-٢٦.

العيون النور أبي قد
 بالجفاء ورماها
 المساء جاء ولها
 مخيفة بخيالات
 منها تقفز
 السكون حل كلما
 العيون جفا قد
 وأباهما جفاتها قد
 عليها يحنو فمتى
 وبتسام؟ بشروق

ويواصل الشاعر حسن عباس صبحي شعره الوجданى ففي قصidته
 (Fantasy^(١)) وهي من بحر الخفيف وهي كلمة أعممية تركية ومعناها
 الفرحة أو المهرجان وفي الغرب تأتي بمعنى الإغراق في الخيال حتى حدود
 الغرابة ويكون ذلك في الفن أو الأدب أو في أسلوب الحياة وفي القصيدة يبدأها
 بالتشاؤم في تعامله مع النفوس المريضة ولكنه استطاع أن يخرج من هذا العالم
 البائس إلى النزية وينتقل في حياته من الأسوأ إلى الأفضل وفيها يقول:

كم شقينا
 مع الطوايا الحقدة
 من قلوب دميمة وكريهة
 تصنع الموت للنفوس النزية
 المنكودة فجاجها فهجرنا
 المحبوبة لشمسنا وانطلقنا

^(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٢٧.

وسخنا الكئيبة من الهموم
 وفتحنا صدورنا للضياء
 لابتسamas فجرنا لصفاء
 ونعمنا بوارفات الرجاء
 ومملأنا حياتنا بالغاء
 بمزامير حبيبة صادحات
 وشربنا من الكؤوس الرطيبة

وكذلك حسن عباس صبحي تستهويه شجرة عجوز تستجيش نفسه بالتعبير عنها ولعله في ذلك يرمز بها إلى الإنسان عندما يكون سينما ينفر منه الناس وقد يخدعهم بمظهره ولكنهم سرعان ما يتذكرون أنه في ذلك مثل الشجرة التي أصبحت مرتعًا وأملاً للرخام بعد أن كانت محضرًا تفرد فوقها الطيور وخاصة في الربيع وفي هذا التشبيه يتحفنا شاعرنا بوصف وجداً يبلغ في قصيدة (الشجرة المهجورة)^(١) حيث يقول:

عفاء...

فارقها الشباب

لا شيء فيها	يفيها	يستطاب	شيء	لا
الغضن	ودع	نوره	نوره	
فكبـا	هزيلـا	يابـسا		
لـا شيء فيها				
غير	أوكـار	الرـخم		
والـسوس	ينـهـش	عـودـها		
والـعنـكـ		الـمنـهـوكـ		

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٢٨-٢٩.

ينسج الفروع نعشه وسط
 كانت لعهد مسراً حياً
لتغريد الطيور
 وزهت بها الأوراق ريا بالربيع
 وظللها كانت بساطاً وارفاً
 لا شيء فيها
غير أوكر الرخم
 والبوم يغشاها إذا جاء المساء
 أرجائها في وينوح

وللصيف في السودان وقع خاص على النفوس بقمرة المضيء ونجومه
 المتلألأة حيث يحلو السمر وشاعرنا حسن عباس صبحي يصف لنا ليالي الصيف
 على شاطئ النيل حيث الهدوء والسكون والقوارب والمراكب النيلية ويكون السير
 هادئاً لخفة حركة الرياح وفي هذا الجو الوجданى البهيج تصفو النفوس مع هذا
 الجو الرائع من نيل وزهور وورود وأشجار وأطيار وفي خلال عبور النيل يثير
 في أعماقه ذكريات الحب الجميلة التي كان مكانها شط النيل ولكنه يجلس اليوم
 كسيير القلب لأن الحب قد ضاع منه ويصور لنا ذلك كله في قصidته (ليالي
 الصيف)^(١) من بحر المندارك، حيث يقول:

القمر الوسنان المشبوب
 يتراقص في بحر البلور
 وللأجم... يا للأجم
 حول القمر عرائس نور

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٣٠-٣١.

وشراع يرشف في شوق
 أنفاس الريح الشوانة
 والمجداف
 يرتاد الموج بإيقاعه
 "والجدعان"
 بسواudem تلك السماء
 يرعون المركب بأمانه
 والملاح "الرئيس"
 منطلق النفس برحلته
 في نظراته
 أسرار النيل المطوية
 في الأعماق
 في الأبدية
 ويدور الصوت المحبوب
 ويدور رقيقاً ويدور
 هيلا هب هب هيلا
 هيلا هب هب هيلا
 ويجب على متن التيار
 آفاق الدوار
 هيلا هب هب هيلا
 ويثير بأعمامي لهفة
 لليالي على الصيف الشط
 أيام بنينا عشن الحب
 لكنني أجلس يا ملاح

في هذا اليوم كسير القلب
 قد ضاع الحب يا ملاح
 قد ضاع
 قد ضرب يضرب عاد فؤادي
 في الأفق في الأفق
 ويفتش في نهر الأشواق
 ليعود إلى الشط الأسمر
 بحببي يودعه حبه
 هيلا هب... هيلا

وفي القصيدة أعلاها وصف لنا الشاعر حركة سير المركب الشراعية
 وملاحها ومساعديه وقوة أجسامهم وقوه التيار وكلماتهم وأنفاسهم التي تحفظهم
 على الدفع بمجداف المركب لزيادة حركة السير على النيل.

ومن القصائد التي تدعو إلى التأمل تلك القصيدة للشاعر حسن عباس
 صبحي التي بعنوان (رفقة صامته)^(١) وفيها خيال بديع لهذه الرفقة حيث اختار
 رفيقاً من عالم الحيوان وهو الكلب وكثير من العرب يتذكرون رمزاً للتضحية
 والوفاء لصاحبها فضلاً عن استخدامه في الصيد وفي القصيدة رمز لعالم الإنسان
 حيث الصديق الوفي.

ويوضح لنا الشاعر تلك الرفقة الصامدة مع هذا الحيوان في ذلك الجو
 المشحون بالسحب وهم رفيقان يسيران في الطريق واستمرت رحلتهما حتى
 الصباح حينها قفلا راجعين وعند منعرج الطريق لاقى الشاعر رفيقاً له فما كان

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٣٣-٣٥.

من الكلب إلا أن أومأ برأسه مودعاً لهذه العلاقة وانسحب في هدوء كل هذا في
القصيدة التي يقول فيها:

جاعني يوماً بلطف
ذلك الكلب الصديق
عندما كنت وحيداً
في مساء
أتمشي في الطريق
فتقبلت الصداقة
ومضينا
نذرع الشارع في وحشتنا
لفنا صمت الدياجر الكثيف
لا كلام
كل ألف مع نفسه
بعد حين
نظر البدر إلينا
من غلالات السحاب
نظرة فيها شحوب
والنجوم
رمضتنا بالشعا ع الفاتر
وعلى طول الطريق
لم أفكر حينذاك
كيف ضمتنا الصداقة
بل تقبلت الرفيق
في سكوت

وَمَعَ الْلَّيلِ الطَّوِيلِ^(١)

والشاعر حسن عباس صبحي يتحدث عن مجلس الأمن وهيمنته على القرارات الدولية ويصف اجتماعاتهم بالضجيج والصخب وتناول الأكل والشرب وانفلاطهم والمكيفات والمنبهات التي يتعاطونها والصراعات المحتدمة بين الدول وازدواج المعايير في اتخاذ القرارات وهيمنة القوي على الضعيف وأن مجلس الأمن هو المتحكم في إصدار القرارات سلماً وحرباً كل ذلك في قصيدته (السياسيون)^(٢) من مجزوء الرمل، وهي قصيدة قصيرة من مقطعين موحدة الوزن، فتترافق فيها الصور، وهذه القصيدة تصور فترة من تاريخ العالم، حيث احتم الصراع بين الشرق والغرب وسباق التسلح، حيث يقول:

الضجيج
الصاخب
والزحام
الخانق

(١) ويوافق الشاعر قصيده فيقول:

فَاتَتِ السَّاعَاتُ إِلَّا حَفْنَةُ مِنْهَا
تَبَقَّتِ يَدِينَا
قَيْلَمًا يَأْتِي الصَّابَاحُ
فَفَفَنَا رَاجِعِينَ
وَعَلَى الْطَّرِيقِ رَأْسُ
حِيثُ قَابِلَتِ الرَّفِيقُ
فِي الْبَدَائِيَّةِ
أَوْمَاءُ الْكَلَبِ بِرَأْسِهِ
وَتَوْقُفُ وَلَوْيَ الْهَزِيلِ
وَتَمَطِي وَثَنَاعَبَ
ثُمَّ وَلَىَ فِي هَدَوِيِّ

(٢) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٤٠ - ٤١.

والتباكو والسجائر
 واجتماع المجلس
 القاعة وانفصال
 التسلح واحتشادات
 وكذا العالم يحيا
 في صراع واضطراب

مجلس الأمن الكريم
 هل يعيش العالم
 في نذير وجحيم
 ورزايا ودمار
 أم رخاء وونام
 وأمان وسلام

ولعل الشاعر هنا قد انتقل بهمة وتعبيره الذاتي إلى قضايا عالمية تؤكد أن الشاعر وجداً متعاطف مع الإنسانية جماء وخاصة أمتة العربية والإسلامية التي وقعت تحت ظلم هذا المجلس وخاصة قراراته في شأن القضية الفلسطينية. والتعبير الذاتي لدى شاعرنا حسن عباس صبحي يسمى إلى قضايا أمتة العربية والإسلامية في قصidته (أهازيج الصباح)^(١) يصور لنا لوحة حزينة للفلسطينيين الذين وقفوا تحت الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي مدعوماً من الغرب عموماً وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وأتباعهم من الدول الغربية التي كان لها تاريخ مظلم في احتقار الشعوب أيام حملاتهم الصليبية الاستعمارية التي نكلت بالشعوب في آسيا وإفريقيا وغيرها.

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٤٢ - ٤٤.

وأسوا إفرازات الحروب والاستعمار هم اللاجئون والنازحون فيتذكرون
الشاعر كل ما حلّ مساء أو صباح حيث يسكنون الخيام في الأرض الياب
وتصيبهم الأمراض والهلاك ولكن إن شاء الله بصمود الشعب الفلسطيني البطل
مثلاً في مقاومته للاحتلال الغاشم فسوف ينتصر عما قريب بمساعدة الشرفاء في
كل أنحاء العالم وخاصة الأمتين الإسلامية والعربية ويتغنى الشعب الفلسطيني
بأنشاده الوطنية لدولته الحرة المستقلة كل هذا الوصف الوجданاني البليغ عند
شاعرنا حسن عباس صبحي حيث يقول:

كلما دق صباح أو مساء

كل باب للرجاء

تعالى صرخات الأبراء

من صدور اللاجئين

مفعمات بالمنايا مثقلات بالآثرين

كلما دق صباح أو مساء

كل باب للرجاء

والخيام الكابيات

في بباب وخواء

تنزف الحقد الدفين

من سعال وهياكل

والهلاك

يحصد الأرواح حصدا

بالمناجل

كلما دق صباح أو مساء

كل باب للرجاء

تعالى صرخات الأبراء

من صدور اللاجئين

مفعمات بالمنايا مثقلات بالألين
 وتنادي وتنادي
 وتدوي بالنداء
 يا بلادي في الحداد
 يا أراضينا الخصيبة
 عن قريب عن قريب
 يا فلسطين الحبيبة
 عن قريب عن قريب
 في خضم الثائرين
 وصفوف العائدين
 نتغى عن قريب
 بأهازيج الصباح

وعن الحرية نظم الشاعر حسن عباس صبحي قصيدة (**أغنية للحرية**)^(١)
 (شعر إنساني) وفيها ينوع القوافي، وهي مهاده إلى صديقه طه عبدالرحمن
 ويستهل الشاعر قصيده بأنه تعرف على الحرية منذ زمن طويل بدءاً من قريته
 حيث لاحظها عند العصفور في تنقله من مكان لآخر دون قيد أو شرط وعرف
 الحرية كذلك في تمايل أشجار النخيل مع الرياح ولذلك تعرف الشاعر على الحرية
 في عنفوان النيل من منبعه إلى مصبه ولذلك يدعو الشاعر إلى الحرية وتطبيقها
 في كل حياة الناس فيقول:

من زمان
 عرفتها في زمان
 هناك في رحاب قريتي
 عرفتها في لثغة العصفور
 تناسب في طلاقة وفي حرارة تطير

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٤٥ - ٤٧.

تعيش في قلوبنا ريانة بالنور

عرفتها في رقصة النخيل

يميل ها هنا وها هناك

ثم ينثني يميل

أهدابه الخضراء تنسج الجمال

وترضع السنا في خفة الدلال

عرفتها في عنفوان النيل

هذا الجسور الفارس المغوار

ممتطياً جواده الأسمر مطلق العنان

وقلبه الجبار جذوة من نار

يخوض زحمة الوعى بسيفه البتار

يخوضها وشاحه الإصرار

يسابق الرياح والإعصار

حتى يتم جولة الخلود

عرفتها حريري

عرفتها في لثغة العصفور

عرفتها في رقصة النخيل

عرفتها في عنفوان النيل

غرستها في حبة الفؤاد

سقيتها حرارة الأكباد

هددتها.. رعيتها.. عشقتها

ضحيت في سبيلها بكل غال

حياتنا ندى لها

من غيرها حياتنا محال

المبحث الثاني الطبيعة والوجود والشوق

وفي وصف لنهر النيل وجريانه حتى مصبه في البحر المتوسط كتب الشاعر حسن عباس صبحي قصيدة (بورسعيد)^(١)، المطلة على البحر الأبيض المتوسط حيث يوضح الشاعر بأن النيل هو المصدر الرئيس للحياة على سكان وادي النيل من أعمال الزراعة والصيد وينذكر قصة الصياد جابر الذي يصطاد السمك بشبكته وهو مسرور بذلك وينشد ويغنى علماً بأن منطقة جابر هي بورسعيد ويصحبه في كل ذلك طفله الصغير الذي يلعب بجواره ويدنن بالألحان والأناشيد، ويستعمل في القصيدة السطر الشعري، لا البيت العروضي، وهي أسلوب قصصي متسلسل الصور والأفكار والمشاعر، فقال:

النيل ما زال يسير
ويحضن الأغانى بحبه الوفير
ويبعث الحياة
وعلم جابر الصياد
بقلبه الكبير
يغازل السمك
ويطرح الشبك
وينشر ابتسامة
عريةة وثيرة
بووجهه المجدد
ويشرب الدخان
وينشد الموال
بصوته الوقور

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص٤٨-٤٩.

يَمْجُدُ الْأَبْطَالِ
 بِأَرْضِ بُور سعيد
 وَطَفْلَهُ الصَّفِيرِ
 بِرْقَةُ الْعَصْفُورِ
 يَدْنَدُنُ الْأَلْحَانِ
 كَالشَّهَدِ كَالسَّكَرِ
 فَيَهْتَفُ الْمَوَالِ
 بِقَلْبِهِ الْوَرِيفِ
 أَنْشَوْدَةُ جَرِيَّةٍ
 تَضَيِّءُ فِي عَرْوَقِهِ
 بِمَشْعُلِ الدَّمَاءِ
 وَثُورَةُ الشَّهِيدِ
 بِأَرْضِ بُور سعيد

وفي قصيده (أغرودة)^(١) كتب الشاعر حسن عباس صبحي واصفاً جمال الحياة مع ابنته الصغيرة والبهجة التي يحس بها في وجهها البريء وأفراده وأماله وسعادته، والشاعر يكون صباحه رائعاً بابنته فينسى همومه وأحزانه وأن يومه بابنته هو يوم عيد وربيع وأن ابنته هي الحنان والرجاء والشاعر يحب كل الأطفال وفي تقديره لصغيرته فإنه يحتفل بكل مناسباتها وخاصة عيد ميلادها ويوضح الشاعر بأن بنته هي السنا والنور لوالديها وتزيل عنهم الوحشة. وفي القصيدة نجد شعر التقلية والشكل الجديد، والتأثر بالمذهب الرمزي وهدوء العاطفة، وبعد عن القضايا الاجتماعية والسياسية.

يقول الله تعالى (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَالْبَنِيقَاتُ الْصَّلِحَاتُ
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا)^(٢).

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٥٠-٥١.

(٢) سورة الكهف، الآية (٤٦).

ونظم الشاعر عن ابنته حيث قال:

ما أروع الصباح يا بنيني
ما أروع الصباح
في بسمة من وجهك البريء
تنضد الأفراح
وتتسج الآمال
في عشنا المورد الوصي
فترقص الحياة من جديد
ويلبس الوجود ثوب عيد
وتنطفي الجراح
في آهة مشدودة الأوتار
تمور في مسارب الضلوع
تشق باب الصدر في إصرار
بنيني يا برم العربيع
يا نبضة الحنان والرجاء
أني أقبل الأطفال في فمك
أزف موكب الميلاد في ابتهال
وأحمل الأزهار والشموع
ترف كل زهرة ببسمة الصغار
تضئ كل شمعة بمولد النهار
بنيني قلادة السنما
تضم والدين
تتور المساء كلما أتى المساء
بوحشة الدموع وحشة البكاء
تعيد للفؤاد فجره الممراح
فينفض الأحزان

يطلق الجناح
وينشر القصيد في الوجود أغنيات
دفقة مرنانة الأنغام

مرت قارة أفريقيا بظروف سياسية واقتصادية وأمنية سيئة لوقوعها تحت الاستعمار وبعد التحرير عاشت بعض دول القارة حروباً أهلية ومن ضمن هذه الدول التي تأثرت بالحرب الكنغو والشاعر حسن عباس صبحي في قصيده (الحن العودة)^(١) من بحر المتقارب، يتحدث عن مأساة الأطفال في الحرب ويصور لنا الشاعر مأساة الحرب على الشعوب وأنها تدمر ولا تعمّر وفي المشهد فتاة تحلم بعودة أبيها من ساحات القتال ليحدثها عن ما يدور والنصر الذي تحقق فقال:

يا للأطفال الأكباد

كفراخ زغب لا يدرؤن

إن المنبوذ الملعون

قد مزق نسر الكنغو

جوليانا

برغم لومومبا

ما زالت تحلم كل مساء

برجوع أبيها بعد غياب

وتنام

وفي فمها لحن رجاء

وسيعود أبي مع طير الفجر

سيعود إلى بباقة زهر

ويرنّم معنا لحن النصر

ويحدثنا عن جومو النسر

* * * * *

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٥٥-٥٤.

وتردد جوليانا لحن العودة
ويغيب مع الليل المحزون

وفي قصيدة (أحلام السراب)^(١) التي تتحدث عن فرنسا والثورة الفرنسية
و دي جول وحال باريس وترانيم فولتير وروسو مروراً بقلعة الباستيل في تلك
الأجواء التي تحيط بفرنسا وباريس يصور لنا حسن عباس صبحي أحلام دي جول
عن الجريمة في باريس والدمار وأضغاث الأحلام التي يمنيها لنفسه وغروره في
الملك والسلطة كل تلك المشاهد الأسطورية والتاريخية بما يعرف بالقناع،
يصورها لنا الشاعر في قوله:
دي جول..

كل يوم كل يوم
تركب الأحقاد رأسه
عندما توغل في الليل الجريمة
ليل باريس اليتيمة
ليل باريس التي عزفت لروسو
ولفولتير الترانيم الحميمة
ليل باريس التي هدت قوى الظلم
وداست قلعة الباستيل

كل يوم كل يوم
تركب الأحقاد رأسه
عندما توغل في الليل الجريمة
ليل باريس اليتيمة
وعلى رنات أقداح تدار
يتغنى بآشيد الدمار
ويناجي ربه ما رز العظيم

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٥٨ - ٦٠.

ويمني النفس في أضفاف حلم
 أنه رب السماء رب الوجود
 وعلى أقدامه يجثو القمر
 إن أرواس ذليل في القيود
 والجزائر
 لعبة يلهموها كيف يشاء
 كل يوم كل يوم
 ينفح الأوداج يشمخ في اختيال
 يغزل الأوهام في ليل جهوم
 دون كيشوت الذي صاد النجوم
 وطواحين الهواء
 في الخيال
 لا يجاريه انقضاضاً في الفضاء
 كل يوم كل يوم
 ويطير الوهم يذوي في انطفاء
 والخيالات وأحلام السراب
 تتلاشى تتلاشى وتموت
 كلما حاول ديجول الدمار
 أن يرى فيها أكاليل الفخار
 تتلاشى تتلاشى وتموت

أما هنا فيثور حسن عباس صبحي على الحياة الربطية المادية، حيث أن
 معظم الناس حياتهم تتمثل جلها إن لم يكن كلها في الأكل والشراب ويرجو الشاعر
 أن تكون الحياة مرحة حررة ومحملة فالشاعر إذن يريد أن يعيش حياته بكل
 عنفوان فقال في قصيدة (أحرف من نور)^(١):

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٦١-٦٢.

ما هذه الحياة

الأكل والشراب واضطجاعة السرير

والفتك بعدها بعالمي الكبير

لا كانت الحياة يا إنسانتي

لا كانت الحياة

إن لم تكن ممراحة كبسمة الثغور

إن لم تكن طليقة كفنوة العصفور

إن لم تكن ندية كمحمل الزهور

إن لم نعش أيامها بكل عنفوان

بكل ما يجيش في الأعماق من حنان

وما ينمى في الفؤاد الحب للإنسان

وما يثير في النفوس جذوة الفنان

لا كانت الحياة يا إنساني

لا كانت الحياة

إن شافة القلوب في دجنة القبور

إن لم نتوّج ركبها بأحرف من نور

ومن الموضوعات التي تتبني على المشاهدة للشاعر حسن عباس صبحي

صاحب النفس الوجданية والشعور الإنساني المرهف قصيدة (الأربنة)^(١) التي

يصف فيها مشهداً يتكرر كثيراً دون أن نتمعن فيه وهو ذبح أرنية يقول:

من مرتع الحياة المستطاب الناعم

من ملعب الرفاق السوسيني الحالم

من نشوء الجنى من الربيع الباسم

تناولتها بفتحة يد الجлад

فشق صمت دارنا

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٦٣ - ٦٤.

صراخها الجريح
وانتفضت لتوها مذعورة الفؤاد
تحاول النجاة من براثن الجlad
لكنها كانت مهيبة الجناح واهنة
فتابعت صراخها الجريح في جنون
وانكمشت مقرورة من رهبة المنون
يضح في نظراتها الحنين للبقاء
لرفقة الصحاب حول كومة الحشيش
لنفحة الصباح أو نسائم المساء
وفجأة
تقلاصت أوصالها للمسة السكين
وفي هنيهة
تدفقت بحيرة الدماء
وفوقها تمددت ووجهها إلى السماء
أرنية عاشت حياتها كطيف حلم
وكلما يغرس العصفور لابتسمة الصباح
وتتنشى الحياة بالضياء والغباء
تسألني بنينتي في لهفة المشتاق
متى أبي... متى تعود الأرنية؟
فأجيب في دعابة رتبة الإيقاع
غداً بنينتي غداً تعود الأرنية
وفي رحلة على الماء وعالمه يسرد الشاعر حسن عباس صبحي في قصيدة
(الملاح والمحراب)^(١) لهذا القائد الذي يعيش أغلب عمره فوق هذا العالم عالم

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٦٥-٦٧.

البحار والأنهار الذي يختلف العمل فيه عن بقية الأعمال على اليابسة حيث يشعر
هذا الملاح بالقلق فيبدأ الشاعر بقوله:

وقلب الأيام حلوها ومرها
من عمره الذي مضى مع الزمان
من عمره الذي تجرع القلق
ووجهه يرنو ببسملة مخنوقة الأنفاس
يجب قلبه شواطئ الأفق
لعله يرى على المنار طيف نجم
يهدهد الأمان في طريق رحلته
ليهجر السفينة الكليلة المجداف
وينشد النضال في مخاطر البحار
على جناح زورق يطير في انتلاق
يضم في أعماقه الحنان والسلام
لكل خافق يعيش في أسى الظلم
لكنما يداً كؤودة حمقاء
مرفت مخالفها إلى قلب الضياء
خنقت مناذفه فأطفأت المنار

ويمضي الشاعر في سرده لرحلة الملاح وما صاحبها من ليل مظلم ودرّب
طويل وجزائر وسحب فيقول:

ومرت الأيام تتبع الأيام
تسوقها قوافل الأقدار
والليل يدلهم دونما حدود
يطوي الرحال في الدجى يلثم الوجود
الليل والملاح والدرّب الطويل
وجزائر السحب الغريبة في السماء
وذبالة الأمل المعلق في الفضاء

يمتد من أعطافها خيط الرجاء
خيط يضئ بلا انتهاء
في صدر ملاح الليال

ويختتم الشاعر هذه الرحلة في الدروب الطويلة واكتشافها لمناطق جديدة حتى إتمام الرحلة التي أشاد فيها للإنسان محارباً من الحب وبث رسالة منقوشة ومطرزة فيقول^(١) :

ثم في فبراير من العام ١٩٦٢ انعقد المؤتمر الإفريقي الآسيوي للكتاب بالقاهرة وبهذه المناسبة لهذه الفئة المستبررة نظم الشاعر حسن عباس صبحي قصيدة (موتى بلا قبور)^(٢) في أسلوب قصصي يبدأ باقتباس من التراث الشعبي بالعبارة المعروفة (كان يا ما كان) حيث يصور حياة الإنسان الإفريقي تصويراً رمزاً، الذي نطحته رحى الحرب، أهداها إلى المؤتمرين وهي عبارة عن انعكاس

(١)

ومضت سفينته مع الدرب الطويل
في كل يوم تسترد قوى جديدة
في الليل أو عند الصباح قوى جديدة
سارت ولم تعبا بهول أو مصير
لا هم للملاح إلا أن يسير
حتى ولو فقد الحياة مع المسير
حتى يتم رحلة البحر الكبير
ويشيد للإنسان محارباً من الحب العميق
وبث فيه رسالة الإنسان للإنسان
منقوشة من فلذة الأكباد
ويطرز الأنغام والألحان
فترف منها الأغانيات
يهزه الأمل الطليق
عنقود حب وسلام وحنان

(٢) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٦٨ - ٧٠.

الحال في القارتين في كل المجالات والمحاور في رأى الشاعر حيث استهل
قصيده بقول:

كان فيما كان
موتى بلا قبور
عن اليمين أو عن الشمال
موتى بلا قبور
في كل لحظة تمر بالحياة
موتى بلا قبور

وعن تصوره للحياة في آسيا وإفريقيا في ذلك الزمان التي وصفها بالحياة
الممزقة والويلات حيث الرعب والدمار ووصفه لهذه الحال بأنها موتى بلا قبور فقال:
وهكذا الرحى مسحورة تدور
تمزق الحياة تسحق الإنسان
وصوتها بوقعه المجلجل الجهور
يرجع الويلات
يملاً الكبان
بالرعب والدمار ينشر النذير
فيصعد الموال من فؤادنا الكسير
ويذرف الأرغول دمعه الغزير
يئن بالجراح في نواحه المرير
يظل هاتفاً على المدى يدور
موتى بلا قبور
موتى بلا قبور

ويطالب الشاعر برحمة الإنسان وحياته الكريمة بدلاً أن يعيش كالجردان
ويتجزع الهوان وتلوسه النعال ويكون عائشاً في الأحوال وتعربد عليه الذئاب وأن هذه
المأساة تصل بالإنسان إلى الهلاك والخراب والعذاب حتى تكون الحياة موتى بلا قبور
قال:

يا رحمة على الإنسان عندما يعيش كالجردان
يا رحمة على الإنسان عندما يجرّع الهوان
يا رحمة عليه عندما تدوسه النعال
وعندما يغوص في متاهة الأوحال
يا رحمة على الإنسان عندما تعرّب الذئاب
وتطلق العنان للهلاك والخراب
تصب حقداً المحموم في مراجل العذاب
لتختنق الربيع والجمال والنماء
وتنستبيح في شرافة مجازر الدماء
حتى يصير عالم الحياة والرجاء
موته بلا قبور
موته بلا قبور

ويختتم الشاعر قصيده بحياة أفضل للإنسان بعد أن عاش حياة بائسة حتى يخرج من هذا الواقع المعيس في ذلك الزمان فلابد من تحطيم القيود حتى تعيش حياة آمنة في أمن وسلام وتزرع الورود وترتفع إلى العلا فقال^(١):

(١)

إن كان فيما كان قد تکالب الطغاة
وشوهوا معالم الجمال مزقوا الحياة
فن يموت بعد الآن عالم الإنسان
ولكن يكون في رحابه موته بلا قبور
إنا أتينا كي نعمر الوجود
وكي نحطم الأصنام والقيود
و حول مرفاً السلام نزرع الورود
ولن تعيق ركناً الأحداث والسددود
ونجمنا
يشق دربه إلى السماء في صعود

وفي قصidته (**عشيقه الفنون**)^(١) يوضح الشاعر حسن عباس صبحي ما تبذل هذه المبدعة في لوحاتها التي تعكس وتصور الحياة وهي تدغدغ الوجدان ويطرب المشاهد والسامع لهذه العروض التي تقام في شكل دورات وهذه العروض هي ومضة وإشراقة ويدرك الشاعر بأن هذه العروض الشائقه حينما تتوقف وينفض سامرها يخيم السكون وتغيب تلك المعروضات الرائعة عن السمار والشاعر يحن لتلك الإبداعات ويؤكد بأنه هو وهذه الفنانة الأدبية سيان في روحهما الشفيفتين بتأثرهما معاً في كل المحن والإحن والأسى والأحزان ويشهد على ذلك الليل في معاناة الجراح والأسى ويرجو الشاعر أن تعود تلك النجمة الزهراء التي تزين المكان بالحب والسلام والصفاء والضياء والشعور والورود والبلور ويتوقع لتلك المبدعة بعد ربما يجمع بينهما وبين فارس يزيل عنها الألم والأسى فيقول الشاعر في كل ذلك:

زوبعة من الحسن
يا لها من زوبعة
خطواتها الناريه الموقعة
تنوش ألف سهم في القلوب الجائعة
ثوراتها المحمومه المفزوعه
تدغدغ الوجدان تقلق الفكر
دورة فدوره فدوره
وإذا المكان كله طرب
دورة فدوره فدوره
وإذا المكان كله صخب
دورة فدوره فدوره
وإذا المكان كله لهب
كومضه بارقة زفت لنا الصور

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٧١-٧٣.

عشوقة النجوم والقمر
وانقض بعدها السمر
وماتت الألحان في برودة الوتر
وانشققت الصدور عن آهاتها وخيم السكون
وفي محاجر العيون
تجمد الأسى
يا أخت روحي
يا عشيقه الفنون
أواه حينما يخيم السكون
وتتعري الأرواح رعشة المنون
وحينما تغيب عن مسامع السماء
معزوفة الأرغون والأوتار
يا أخت روحي يا عشيقه الفنون
لا تعجبني إن هزني الحنان
يا أخت روحي أنا سيان
نذوب في الأسى ونجرع الأحزان
والليل شاهد على الجراح والألم
على حياتنا التي تضيع في العدم
لكنني لا زلت أرقب النجمية الزهراء
تلك التي تزين جبهة السماء
بالحب والسلام والصفاء
لعلني يوماً أصوغ عشمي الجديد
من سوسن القلوب والضياء والشعور
ومن صفات الورود والألحان والبلور
وربما يأتي غد بفارس أمير
يضم قلبك المؤرق الكسير
يزيل عنك لوعة الأسى المرير

يا أخت روحي يا عشيقه الفنون

كان العرب قبل الإسلام يعملون أ عملاً سيئة منها شرب الخمر وعندما حل الإسلام بنوره حرم تلك الأعمال ومنها شرب الخمر لما فيها من ضرر للإنسان وإذهاب لعقله وتعتبر الخمر من الكبائر.

وقد جاء في قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَنُ أَن يُوقَعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاؤَ
وَالْبَغْضَاءِ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَن الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ
مُنْتَهَوْنَ) ^(١)، ورسالة الإسلام شاملة وكاملة وخاتمة تحريم الخمر في كل زمان ومكان.

والشاعر حسن عباس صبحي له قصيدة بعنوان (تابو) ^(٢) وهي حانة في لندن يصف فيها السكارى من الخمر أشكالهم وأفاظهم وأفعالهم وأعمالهم ورقصهم وسحب الدخان التي تتطاير من أفواههم وهم في حالهم هذه تائدون كالأشباح ويتصايرون ويقفزون والإزعاج يصدر من الطبل الذي يوجد بالمكان والمزامير التي يطلقونها كل هذا المجون الذي كان يشاهده الشاعر يصور في هذه المناظر شعرًا في قوله:

في حانة عريبدة مستهترة
راح السكارى يشربون ويصخبون
وكان في نظراتهم شبح المنون
أفاظهم مسورة مخمرة
وهم ذئاب كاسرة
تعوي وتصرخ في خبل
في الحانة العريبدة المستهترة
ما بين تصاخب الجميع
والقهقات الساخرة
تنتصاعد الأكdas من سحب الدخان

(١) سورة المائدة، الآية (٩١).

(٢) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٣٦-٣٩.

وتحوم في طيء المكان
وببدأ السكارى التائرون
أشباح جن راقصة
يتصايرون ويقفزون
والطلبل يطلق في المكان
دقاته المتمردة
ويصاحب الطلبل العتيد
مزمار عملاق مرید
يحلو لأرباب المجنون
أن يسمعوه بلا انقطاع
فيثير أشجان القلوب
في الحانة العربيدة المستهترة
والأفعوان الراقصة
كانت طيف من جنون
بين ارتعاش الضوء في سحب الدخان
ترمي شباك الصيد ترداد المكان
فيهيم فرسان الهوى
بالسحر من غمزاتها
واللطف من بسماتها
ويصفقون ويهتفون
 بحياتها وشبابها
هي الفريدة بينهم
وهي الحبيبة عندهم
والحانة العربيدة المستهترة
ترتج من صيحاتها وهتافها
والليل في صمت رهيب

يصفى لهم في وحشة
 لصياحهم وسعالهم
 ووجدت نفسي
 قطعة من ذلك الليل البهيم
 أشرب الآهات والآيات
 في جرح أليم
 وتطوف أحداقي بأرجاء المكان
 فأرى حيالي لوحه تعساء لوطها الزمان
 وأنقل اللحظات بين الأوجه المتناثرة
 فتطير منها القهقهات الساخرة
 وتلف أشباح المنون
 في دمدمات هادرة
 حتى إذا جاء الصباح
صمنت حياة الحانة العربية المستهترة

وفي الوفاء لبلدته (شندي) نظم الشاعر حسن عباس صبحي قصيدة (تحية)^(١)
 يحي فيها بلدته التي يعتبرها درة الحقول تحية خالصة صباخية ندية كذلك يتحدث
 الشاعر عن طبيعة بلدته ذات أشجار الجميز وغابة النخيل والأطيار والوديان ومرتع
 الأغنام والغزلان حيث يلتقي الرفاق في تلك الربوع.
 وكذلك يمضي الشاعر بأنه تشرب الصفاء والحنان ونشأ وترعرع في تلك البلدة
 التي شبهها بالقمة الشماء حيث توسيطت النيل كنجمة زهراء بين النجوم.
 ووصف الشاعر بلدته بالغادة الحسناه البدوية ويصفها أيضاً بزهرة البطاح كل
 هذا الوصف الجميل الرائع لبلدة الشاعر (شندي) التي قال فيها:

يا بلدي
 يا درة الحقول
 تحية إليك باقة من القبل

(١) حسن عباس صبحي، طائر الليل، مرجع سابق، ص ٧٤-٧٥.

طرزتها في لهفة على فم الصباح
ندية رطيبة هفهافة الجناح
ثرية بدهنها وردية الوشاح
تقليلها بلدتي

من خافق تذكر الرحاب والربوع
وملتقي الرفاق في مسارح الجميز
وغابة النخيل والأطيار والوديان
ومرتع الهواد والأغنام والغزلان
تقليلها بلدتي

من خافق تشرب الصفاء والحنان
من ثديك النبض بالمحبة السمحاء
يا بلدتي
يا قمة شماء

توسدت بساط نيلنا كنجمة زهراء
بين النجوم في محافل السماء
يحفها الربيع والجمال والبهاء
يا بلدتي

يا غادة توشت بظرحة خضراء
بدوية تنهدت مع الصباح في رواء
وأسدلت فناعها مع المساء في حياء
تحيتي إليك باقة من القبل

طرزتها في لهفة على فم الصباح
ندية رطيبة هفهافة الجناح
ثرية بدهنها وردية الوشاح
تقليلها بلدتي
يا زهرة البطاح

الخاتمة

وتشمل:

النتائج. ❖

النوصيات ❖

المقتراحات ❖

الخاتمة

بدءاً أقول الحمد لله الذي وفقني في إنجاز أطروحة هذه الدراسة. وقد احتوت هذه الرسالة على ثلاثة أبواب وبما أن هذا البحث يهتم بالشعر الوجданى لشاعراء العربية جميعهم ووطننا السودان واحد من الدول العربية التي أسهمت فى مجال الأدب والنقد فكان تطبيق الدراسة على بعض من الشعراء السودانيين.

وكان الباب الأول بعنوان: الجانب النظري للوجدانية، الرومانسية، الإبداعية ومرحلة الازدهار في النقد العربي الحديث والشعر الأوروبي؛ وهذا الباب مقسم إلى مباحث عدة وإدخالنا للرومانسية وشعرائها لنزيل اللبس والخلط الذي يقع فيه الدارسون وعدم التفريق بينها والشعر الوجданى ففي هذا المبحث فصلنا بين الرومانسية والوجدانية مكاناً وزماناً وشرعاً وأوضحنا هذا الخيط الرفيع الذى يربط بينها والوجدانية حتى تعم الفائدة.

كما يشمل هذا الباب تفصيلاً وتدرجأً في الشعر الوجданى ونقده في الشعر العربي عامه ومراحل تدرج هذا الشعر واهتماماته وعناصره والجانب النظري فيه والإبداع والازدهار وفي هذا الباب أيضاً تعرضنا للنقد الأوروبي في مجال الرومانسية.

أما الباب الثاني ركزنا على الوجدانية في الشعر السوداني وكما ذكرنا هي جزء من الوجدان العربي عامه حيث تعرضنا لانطلاق الوجدانية في الشعر العربي السوداني في مجال هذا الشعر في التعبير عن الذات، وفي شعر الطبيعة أفردنا مبحثاً لوصف الطبيعة وعناصرها في الشعر السوداني، وفي هذا الباب مررنا على كثير من الشعر العربي الوجданى لأغلب شعراء السودان ورأي النقد فيه.

أما الباب الثالث والأخير فهو دراسة تطبيقية على ثلاثة من شعراء السودانيين الذين اتفق فيهم كثير من النقاد والباحثين بأنهم شعراء وجدانيون وهم بالترتيب:

أ/ يوسف مصطفى التti

ب/ سعد الدين فوزي

ج/ حسن عباس صبحي

وأورد الباحث رأي بعض النقاد في الشعراء الثلاثة وتعيمياً لفائدة البحث أورد الباحث ترجمة لكثير من الشعراء الوجدانين الذين شملهم هذا البحث وأضاف الباحث السيرة الذاتية للشعراء الذين طبقت عليهم الدراسة.

النتائج:

- ١) النتائج التي توصل إليها الباحث في هذا البحث أن هناك تشابهاً في الألفاظ واللغة والمشاعر والأسلوب بين شعراء الوجдан العربي و الشعر الوجدني السوداني خاصة.
- ٢) وأن مجالات الشعر الوجدني كثيرة في العقيدة والوطن والطبيعة وغيرها.
- ٣) أن الشعر الوجدني هو تعبير بصدق عن الذات.
- ٤) الشعر الوجدني هو مرحلة تجديد في الشعر العربي.
- ٥) للشعر الوجدني أسباب فكرية واجتماعية وسياسية وحضارية.
- ٦) هناك بعض التشابه بين الشعر الوجدني و الشعر الروماني.
- ٧) الطبيعة مصدر رئيس لشعراء الوجدان.
- ٨) للشعر الوجدني السوداني مراحل عدّة.
- ٩) الشعراء الوجدانيون في السودان تأثروا بالشعراء الوجدانين في البلاد العربية.

التصويبات:

يوصي الباحث بالآتي:

- ١) الاهتمام بشعر الوجدان لأنّه يمثل وجдан الأمة.
- ٢) إفراد مؤلفات تحوي الشعر العربي الوجدني السوداني.
- ٣) أن يشتمل المنهاج الدراسي على قصائد من الشعر الوجدني في التعليم الأساسي والثانوي.

المقترحات:

من خلال هذا البحث فقد ظهرت للباحث بحوث جديدة فاستكمالاً لدائره البحث نقترح أن تكون هناك أكثر تفصيلاً لشعراء بعضهم عن شعرهم الوجданى لأن هذا البحث احتوى محاور عامة لشعر الوجدان العرب عامه والسودان خاصة. وختاماً اختم بقوله: (خَتَمْهُ وَمِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) ^(١).

وورد في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: (...إنما الأعمال بالخواتيم) ^(٢). فاللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. قال تعالى: (سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٦﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ^(٣).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

الباحث

(١) سورة المطففين، الآية (٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، ٣٣ - باب الأعمال بالخواتيم، ج ٨، ص ١٢٨، الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبدالله، المتوفي سنة ٢٥٦ هـ، طبعة دار الشعب، القاهرة ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.

(٣) سورة الصافات، الآيات (١٨٢-١٨٠).

الفهارس العامة

- ◀ فهرس الآيات القرآنية.
- ◀ فهرس الأحاديث النبوية.
- ◀ فهرس الأعلام المترجم لهم
- ◀ فهرس المصادر والمراجع.
- ◀ فهارس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	رقم
سورة البقرة			
٣٠٢	- ١٥٥ ١٥٧	(وَلَنَبْلُونَكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَدَشِيرِ الصَّابِرِينَ ...)	١
سورة آل عمران			
٢٨٧	٢٦	(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزَعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).	٢
سورة المائدة			
٤٧٤	٩١	(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبُغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهَوْنَ)	٣
سورة الأنعام			
٣٠٠	١٥١	(... وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ إِنَّمَا حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنْكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)	٤
سورة الأعراف			
١٧٦	١٣٦	(أَنِ اقْدِفْهِ فِي الْتَّابُوتِ فَاقْدِفْهِ فِي الْيَمِّ فَلَيْلِقِهِ الْيَمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوُّهُ وَعَدُوُّهُ ...)	٥

١٧٨	١٣٧	(وَأَرْزَقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعِفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَرَكَنَا فِيهَا ...)	٦
سورة الإسراء			
٣٥٩	٨٥	(...وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)	٧
سورة الكهف			
٤٦١	٤٦	(الْمَالُ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الْدُنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا)	٨
سورة طه			
أ	-٢٥ ٢٨	((قَالَ رَبِّ آشْرَحَ لِي صَدْرِي ﴿١٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِسَانِي ﴿١٦﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي)).	٩
١٧٦	٣٩	(أَنِ اقْدِفِيهِ فِي الْتَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلَيْلِقِهِ الْيَمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوُّهُ وَعَدُوُّهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)	١٠
١٧٨	٥٩	(قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الْزِيَّنَةِ وَأَنْ سُحْشِرَ الْنَّاسُ ضُحَّى)	١١
١٧٧	٧٨	(فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِّيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِّيَهُمْ)	١٢
١٧٧	٩٧	(قَالَ فَادْهَبْ فَإِلَيْكَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخَلِّفُهُ وَأَنْظُرْ إِلَيْكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْحَرِقَهُ ثُمَّ لَنَسْفَنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا)	١٣

سورة النور			
١٢٥	٣٥	(اللَّهُ نُورٌ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورٍ هُوَ كَمِشْكَوَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ أَلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ).	.١٤
سورة الشعرا			
٣١٠	-٢٢٤ ٢٢٧	(وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوِينَ ﴿١﴾ أَلْمَرَأَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ...)	.١٥
سورة النمل			
٢٠٦	٤٤	قِيلَ لَهَا أَدْخُلِي الْصَّرَحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا	.١٦
سورة القصص			
١٧٦	٧	(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَىٰ أَنَّ أَرْضَعِيهِ فَإِذَا خِفْتَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنْ فَإِنَّا رَأَدْوُهُ إِلَيْكَ وَجَاءَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)	.١٧
١٧٧	٤٠	(فَأَخَذْنَاهُ وَجْنُودَهُ فَنَبَذَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِبْدَةُ الظَّالِمِينَ)	.١٨
سورة العنكبوت			
٢٧٨	٥٧	(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)	.١٩
سورة السجدة			
١٧٨	٢٧	(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَدْمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ).	.٢٠

سورة الصافات

٤٨١	-١٨٠ ١٨٢	(سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٦﴾ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)	٢١
-----	-------------	---	----

سورة الزخرف

١٧٧	٥١	(وَنَادَى فِرْعَوْنٌ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَقُولُ أَلِيَّسْ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَرُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبَصِّرُونَ)	٢٢
-----	----	---	----

سورة الحجرات

٣٠٠	١٠	(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...)	٢٣
-----	----	---------------------------------------	----

سورة الذاريات

١٧٧	٤٠	(فَأَخَذْنَاهُ وَجْنُودَهُ فَنَبَذَنَاهُمْ فِي الْأَيْمَ وَهُوَ مُلِيمٌ)	٢٤
-----	----	--	----

سورة المرسلات

١٧٨	٢٧	(وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَتِي وَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً فُرَائِيَا)	٢٥
-----	----	--	----

سورة المطففين

٤٨١	٢٦	(خِتَمْهُ وَمِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِّسُونَ)	٢٦
-----	----	--	----

سورة الناس

٣٠٤	٦-١	(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسَوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسِّعُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)	٢٧
-----	-----	---	----

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

رقم الصفحة	طرف الحديث	الرقم
١٧٩	أربعة جبال من جبال الجنة، أربعة أنهار من أنهار الجنة، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة، قيل: فمن الجبال؟ جبل أحد يحبنا ونحبه.....	١.
١٨٠	إن النيل يخرج من الجنة ولو التمسمت فيه حين يخرج لوجدم من ورقها ...	٢.
١٧٩	إن في الجنة بحر الماء، وبحر اللبن، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشق الأنهر بعد ذلك....	٣.
٤٨١	إنما الأعمال بالخواتيم ...	٤.
١٨٠	تغير المياه كلها وترجع إلى أماكنها إلا نهر الأردن ونيل مصر والجرات وعرفات ...	٥.
١٨٠	رفعت إلى السدرة فإذا بأربعة أنهار ظاهران ونهران باطنان فأما الظاهران فهما النيل والفرات ...	٦.
١٧٩	سيحان وجيجان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة	٧.
١٧٩	إذا هو في السماء الدنيا بنهرین بطردان فقال: ما هذان يا جبريل؟ قال: النيل والفرات عنصرهما....	٨.
١٨٠	الفرات والنيل مؤمنان ودجلة ويرهوت كافران ...	٩.
ج	لا يشكّر الله من لا يشكّر الناس...	١٠.
١٨٠	نهران مؤمنان ونهران كافران، فأما المؤمنان فالنيل والفرات وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ....	١١.
١٨٠	نيل مصر خير أنهاري أسكن عليه خيرتي من عبادي	١٢.
١٨٠	ورفعت إلى سدرة المنتهى ... وأما الظاهران النيل والفرات ...	١٣.

فهرس الأعلام

رقم	العلم	رقم الصفحة
١.	إبراهيم ناجي	٩٣، ٩١، ٨٦، ٣٤، ٣١، ٣٠
٢.	أبو القاسم الشابي	٩٥، ٩٤، ٨٩، ٨٥
٣.	أحمد شوقي	٨٨، ٢٣
٤.	إدريس جماع	١٧٤، ١٦٤، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٧، ١٥٠، ١٤٦، ١٤١ ١٩٥
٥.	إيليا أبو ماضي	٧٧
٦.	بابكر احمد موسى عالم	١٩٨
٧.	البارودي	١٢، ٥
٨.	خليل مطران	٦٣، ٦٢
٩.	صالح عبدالقادر	١٨٦
١٠.	صديق مدثر	٢٠٠
١١.	عباس محمود العقاد	٧٥، ٢٥، ١٣
١٢.	عبد الله الطيب المجنوب	٢٠٨ - ٢٠١
١٣.	كامل الباقي	٢١١، ٢١٠، ١٦٨، ١٦٢، ١٥٥
١٤.	مبarak المغربي	٢١٤، ٢١٣، ٢١٢
١٥.	محمد المهدي المجنوب	٢١٤
١٦.	محمد سعيد العباسي	١٨٦، ١٨٥
١٧.	محمد فضل إسماعيل	١٨٩، ١٨٨
١٨.	محمد محمد علي	١٩٠، ١٦٧، ١٥٩، ١٥٣، ١٥٢، ١٤٧، ١٤٣، ١٤١ ١٩٣، ١٩٢، ١٩١
١٩.	محمد أحمد المحجوب	١٩٥، ١٩٣، ١٧٣، ١٤٦، ١٤٥، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٧
٢٠.	محبى الدين صابر	٢١٥، ١٥٧، ١٤٠
٢١.	محبى الدين فارس	٢١٨، ٢١٦
٢٢.	مصطفى طيب الأسماء	٢٢١ - ٢١٩
٢٣.	منير صالح عبدالقادر	٢١٨، ٢١٧
٢٤.	الهادي آدم	١٩٧، ١٧٢، ١٧١، ١٦١، ١٦٠، ١٥١، ١٤٠

فهرس المصادر والمراجع

رقم	المرجع أو المصدر
	أولاً القرآن الكريم
	ثانياً: كتب الحديث والسنّة
١.	صحيح البخاري
٢.	صحيح مسلم
	ثالثاً: المراجع العامة والدواوين الشعرية
٣.	إبراهيم ناجي، ليالي القاهرة، دار العودة، ١٩٧٣ م
٤.	إبراهيم ناجي، وراء الغمام، ليالي القاهرة، مطبعة التعاون، ١٩٣٤ م
٥.	أبوالقاسم الشابي، أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٠ م
٦.	أبوالقاسم هاشم، ديوان في ظلال الهجير، قصيدة (كفى يا قلب)، مدرسة مار يوسف الصناعية، الخرطوم، ١٩٨٦ م
٧.	أبوبكر جابر الجزائري، هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، دار الخانجي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م
٨.	أحمد أبوسعد، الشعر والشعراء في السودان، دار المعارف، بيروت، ١٩٥٩ م
٩.	أحمد هيكل، دراسات أدبية
١٠.	إدريس جماع، لحظات باقية، شركة دار البلد للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٨ م
١١.	إلياس أبوشبلة، أفاعي الفردوس، دار المكتشوف، ١٩٦٢ م
١٢.	إيليا أبوماضي، الجداول، دار العلم للملايين، ١٩٦٠ م
١٣.	التجاني يوسف بشير، إشراقة، الدار السودانية للكتب، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م
١٤.	حسن عباس صبحي، طائر الليل، مطبعة النقدم، القاهرة، (د.ت).
١٥.	حسن عزت، ديوان الشعر والشعراء في السودان

١٦.	ديوان البارودي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤ م،
١٧.	ديوان الكاظمي، الحلبي، القاهرة، ١٩٤٨ م
١٨.	ديوان النيل، إعداد لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والعلوم الاجتماعية، مصر، والمجلس القومي لرعاية الآداب والفنون، السودان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ م
١٩.	ديوان الهمشري، الهمشري، وزارة الثقافة بمصر، ١٩٧٤ م
٢٠.	ديوان عبد الرحمن شكري، الإسكندرية، ١٩٦٠ م
٢١.	ديوان معروف الرصافي، بيروت، ١٩١٠ م
٢٢.	ديوان من وادي عقر، المقدمة، إحسان عباس، دار ريحان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦١ م
٢٣.	رشيد أليوب، أغاني الدرويش، دار صادر، ١٩٥٩ م
٢٤.	رشيد أليوب، الأيوبيات، دار صادر، ١٩٥٩ م
٢٥.	الزهاوي، الكلم المنظوم، ١٩٠٨ م
٢٦.	الزين عباس عمار، قصائد من بريطانيا، د. ، مطبع نبتكو
٢٧.	سعد الدين فوزي، ديوان من وادي عقر، دار ريحان للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦١ م
٢٨.	السيوطى، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٦٧ م
٢٩.	شعراء السودان في المعركة، نشر المركز الثقافي المصري بأم درمان، ١٩٥٧ م
٣٠.	شوقى ضيف، شوقى شاعر العصر الحديث، الطبعة الثالثة عشر، دار المعارف، ١٩٥٣ م
٣١.	عباس محمود العقاد، إبراهيم المازنى، الديوان، القاهرة، ١٩٢١ م
٣٢.	عبدالسلام محمد هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة السادسة (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)،
٣٣.	عبدالقادر القط، الاتجاه الوجданى في الشعر العربي المعاصر، ط٢/،

	٤٠١ - ١٩٨١م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
٣٤.	عبدالله الطيب، أصداء النيل، الدار السودانية، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٩م
٣٥.	عزيز أندرلوس، الشاطئ المهجور، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م
٣٦.	العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي
٣٧.	علي محمود طه، الملاح الثاني، دار العودة، ١٩٧١م
٣٨.	عمر الدقاد، شعراء العصبة الأندلسية في المهجر، دار الشرق، بيروت، ١٩٧٣م
٣٩.	عيسي يوسف بلاطة، الرومانسية ومعالمها في الشعر العربي الحديث، نشر دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م
٤٠.	فوزي ملوف، على بساط الريح، ريو دي جانيرو، ١٩٢٩م
٤١.	كامل الباقي، ديوان الباقي، وهي القلم الفضي، نشر المكتب الحديث للطباعة والنشر، ١٩٧٠م
٤٢.	محمد إبراهيم الشوش، أدب وأدباء، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، الطبعة الأولى ١٩٧٣م
٤٣.	محمد أحمد المحجوب، ديوان قصة قلب، طبعة دار الثقافة، بيروت
٤٤.	محمد أحمد المحجوب، قلب وتجارب، نشر مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤م
٤٥.	محمد النويهي، الاتجاهات الشعرية في السودان، معهد الدراسات العالمية، ١٩٥٧م
٤٦.	محمد حمدي المناوي، نهر النيل في المكتبة العربية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (١٣٨٦ - ١٩٦٦م)
٤٧.	محمد عبد الرحيم، نفاثات اليراع في الأدب والتاريخ والمجتمع، طبعة شركة الطبع والنشر، الخرطوم، ١٩٣١م
٤٨.	محمد محمد علي، ديوان ألحان وأشجان، مطبعة الاتحاد بمصر، ١٩٦٠م
٤٩.	محمد مصطفى هدارة، النهضة السودانية، مجلد (٩)، العدد (١٩)، تيارات

	الشعر العربي المعاصر في السودان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢ م
٥٠.	محمد مصطفى هدارة، ملامح من المجتمع السوداني، ص ٣٠١، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان
٥١.	محمد مندور، الأدب ومذاهبه، الطبعة السابعة، مصر ٢٠٠٨ م
٥٢.	محمد مندور، محاضرات عن خليل مطران، مطبعة دار الهناء، عام ١٩٤٥ م
٥٣.	محمود أبوالعزائم، كنت قريباً منهم، الجزء الأول، الناشر دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م
٥٤.	مصطفى صادق الرافعي، ديوان قطرات، القاهرة، ١٩٠١ م
٥٥.	المنجد في اللغة العربية، طبعة ثانية، دار المشرق، بيروت ٢٠٠١ م
٥٦.	الموسوعة الشرбاصية في الخطب المنيرية، تأليف د. أحمد الشرباصي، دار الجيل، بيروت، لبنان، المجلد الرابع (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).
٥٧.	ميغائيل نعيمة، الغربال، مقالة محور الأدب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠ م
٥٨.	نبيل راغب، المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العينية، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة
٥٩.	نقولا فياض، ديوان رفيق الأقوان، بيروت، ١٩٥٠ م.
٦٠.	نوابغ الفكر العربي، الشيخ إبراهيم البازجي، دار المعارف، مصر.
٦١.	يوسف مصطفى التبي، ديوان الصدى الأول والسرائر، شركة دار البلد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩ م
المجلات والصحف والمقالات:	
٦٢.	جريدة الحضارة، العدد (٢)، أكتوبر ١٩٢٠ م، ومذكور كذلك في تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، لهدارة
٦٣.	دليل المعلم في اللغة العربية، مدارس الموهوبين، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، بخت الرضا، تأليف شعبة اللغة العربية، مايو ٢٠٠٧ م
٦٤.	مجلة أبولو عدد يناير ١٩٣٣ م، محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي

المعاصر في السودان	
٦٥. مجلة الخرطوم، أول نوفمبر ١٩٦٨	
٦٦. مجلة الفجر، العدد الأول، العدد (١٦)، أول فبراير ١٩٣٥ م.	
٦٧. مجلة الفجر، المجلد الثالث، العدد الرابع، ١٦ أبريل ١٩٣٧ م، ومحمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان	
٦٨. مجلة الفجر، المجلد الثاني، العدد الثالث، ومحمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، بيروت، ١٩٧٢ م	
٦٩. مجلة النهضة السودانية، المجلد الأول، العدد (٧١)	
٧٠. نحن والعالم الإسلامي، إعداد لجنة بتكليف من المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، بخت الرضا، آفاق للطباعة والنشر	

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	استهلال
ب	إهداء
ج	شكر وتقدير
و	المقدمة
الباب الأول	
الباب الأول: الاتجاه الوجданی في الشعر العربي في العصر الحديث	
٢	الفصل الأول: الوجدانیة عند شعراء الإحياء في الشعر العربي الحديث وفيه مبحثان:
٣	المبحث الأول: الذاتية.
٢٣	المبحث الثاني: التجديد.
٤٥	الفصل الثاني: مفهوم الرومانسية عند النقاد العرب في العصر الحديث وفيه مبحثان:
٤٦	المبحث الأول: معنى ومفهوم الرومانسية.
٥٢	المبحث الثاني: نموذج للشعر الرومانسي الأوروبي
٦١	الفصل الثالث: الإبداع الوجданی في الشعر العربي الحديث. وفيه مبحثان:
٦٢	المبحث الأول: المدرسة الجديدة في الشعر العربي المعاصر
٧١	المبحث الثاني: النزعة الوجدانیة والطبيعة
٨٢	الفصل الرابع: مرحلة الازدهار في الشعر الوجданی العربي الحديث وفيه مبحثان:
٨٣	المبحث الأول: مشاهد الطبيعة
٩٤	المبحث الثاني: المساء والحزن

الباب الثاني
مراحل الوجودانية في الشعر السوداني

و فيه ثلاثة فصول:

١٠٢	الفصل الأول: الانطلاق الوجوداني
١٠٣	المبحث الأول: الانتقال من التقليدية إلى الوجودانية عند التجاني يوسف بشير
١١٦	المبحث الثاني: التعبير عن الذات عند التجاني يوسف بشير
١٢٩	الفصل الثاني: شعراء الوجود
١٣٠	المبحث الأول: الدعوة إلى التجديد
١٥٠	المبحث الثاني: التعبير عن الذات
١٧٥	الفصل الثالث: الطبيعة في الشعر الوجوداني
١٧٦	المبحث الأول: ذكر الطبيعة في القرآن الكريم والسنة النبوية
١٨٢	المبحث الثاني: النيل ومظاهر الحياة والحنين
الباب الثالث	
الدراسة التطبيقية على بعض شعراء الوجود	
٢٣٠	الفصل الأول: الشاعر يوسف مصطفى التني
٢٣١	تمهيد
٢٣٤	المبحث الأول: صدى الحب للإنسانية والوطن
٢٥٨	المبحث الثاني: الطبيعة والأسى واللوعة
٢٧٨	المبحث الثالث: الرثاء والحرية والجمال
٣١٧	الفصل الثاني: الشاعر سعد الدين فوزي
٣١٨	تمهيد
٣٢٠	المبحث الأول: ملامح المجتمع وحسن الطبيعة.
٣٥٤	المبحث الثاني: الفضيلة والجمال والعفاف.
٣٨٦	المبحث الثالث: في الحب للإنسانية والوطن ونبذ الحرب
٤٣٤	الفصل الثالث: حسن عباس صبحي.
٤٣٥	تمهيد

٤٣٨	المبحث الأول: الرمزية والإحساس بالذات
٤٦٠	المبحث الثاني: الطبيعة والوجود والشوق
الخاتمة	
٤٨٠	النتائج
٤٨٠	التوصيات
٤٨٠	المقتراحات
الفهارس العامة	
٤٨٣	فهرس الآيات
٤٨٧	فهرس الأحاديث والآثار
٤٨٨	فهرس الأعلام
٤٨٩	فهرس المراجع والمصادر
٤٩٤	فهرس الموضوعات